عدد خاص

الهدى

إسلامية جامعة

أفغانستان

الملف الكامل للقضية



- تطور السياسة السوفيتية تجاه افغانستان ما بين: 19 ـ 1979.
- الاوضاع قبل الاحتلال.
- لماذا احتل السوفييت افغانستان ؟
- الاحتلال ونتائجه العامة
- منظمة العفو وحقوق الانسان في افغانستان
- المهاجرون.
- المجاهدون.
- الاحداث الرئيسية خلال سنة 1988.


КОМСОМОЛЬС
№4932
Фамилия
Имя Сергей
Отчество
Год и месяц рождения

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدى

مجلة

إسلامية جامعة تصدرها جمعية

جماعة الدعوة الإسلامية بفاس

المدير المسؤول: المفضل فلواتي

العنوان : حي عز الله - زنقة 2

رقم 1 - شارع الموحدين - فاس

عدد خاص

العدد العشرون

ربيع 1409 هـ/1989 م

الثمن : 10 دراهم

الايداع القانوني : 26 — 1982

كلمة

□ كنا قد جعلنا العدد العاشر «عددا خاصا» وأفردناه لموضوع التربية الاسلامية، وها نحن اليوم نصل الى العدد العاشر الثاني. وقد وجدنا أمامنا قضايا كثيرة — من جنس قضية العدد الخاص السابق — تستحق أن نخصص لها هذا العدد، مثل قضية التعريب والعربية، وقضية القرويين والتعليم الأصيل، أو التعليم بصفة عامة، ومثل قضية الاعلام.

ولكن بعض القضايا الكبرى للمسلمين ضغطت علينا وألحت بشكل لم يبق معه مجال لغيره. ونعني بصفة خاصة القضية الفلسطينية، والقضية الأفغانية.

وبعد العدد التاسع عشر الذي جعلنا محوره الرئيسي بعض الجوانب من القضية الفلسطينية، ها هو العدد العشرون — الذي يصادف خروج الروس من افغانستان بعد احتلال دام عشر سنوات — نخصصه لهذه القضية الكبرى من قضايا المسلمين الراهنة، ويتزامن هذا وذاك مع المنعطف الحاسم الذي دخلته القضية الافغانية، وهو المنعطف الذي فرضه جهاد الشعب الافغاني وفرضته انتصاراته الباهرة.

ومما يفرض تخصيص هذا العدد لقضية أفغانستان، علاوة على ما سبق — هو أن هذه القضية لاتحظى من الاعلام العربي الاسلامي بما تستحقه وتفرضه من متابعة وتعريف ودراسة وتحليل... ومما يحز في النفس أن غير المسلمين أكثر عناية ودراية بهذه القضية وأبعادها من المسلمين. ويتجلى هذا خاصة في المتابعات والدراسات الغربية في الموضوع.

وقد عهدنا الى الأستاذ محمد الدكالي بإعداد هذا الملف، بعدما عرفناه عنه — خلال عدة سنوات — من متابعة للموضوع وجمع ودراسة لمصادره ومعطياته. فنرجو أن يكون قد وفق على عمله هذا، وأن نكون جميعا قد وفقنا الى أداء بعض ما يجب علينا تجاه إخواننا. شكرا لله له ولكل من ساعد على إنجاز هذا العمل وإخراجه بأي شكل من الأشكال.

«ربنا لاتواخذنا إن نسينا أو أخطأنا».

إعداد : محمد الدكالي

مراجعة : محمد بريش

تم إصدار هذا العدد بتعاون مع الجمعية المغربية لنصرة الجهاد الافغاني

الإفتتاحية

من جمال الدين الأفغاني إلى الشعب الأفغاني

المخاض الطويل للأمة الإسلامية

منذ قرن تماما، كان داعية الاصلاح والنهوض، الشيخ جمال الدين الافغاني (1) يجوب الاقطار الاسلامية، وحتى الاوربية... يحمل الى المسلمين عامتهم وخاصتهم، رسالة تهز الغافلين وتوقظ النائمين، وتبعث الامل في اليائسين... وكان يؤلمه سريان الوهن والخمول في الجسم الاسلامي الكبير، ويؤلمه أن أكثر المسلمين استسلموا ـ أو أسلموا ـ لواقعهم البئيس، بظلمه وظلماته، وتلقوا بعجز كبير، الهجمات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، للدول الاستعمارية.

كان جمال الدين الافغاني يحمل الى المسلمين ـ من بلاد الافغان ـ رسالة تجديد وإصلاح، رسالة عزة ونهوض.. ولقد لخص حياته ورسالته بقوله : «لقد جمعت ما تفرق من الفكر، ولمحت شعث التصور، ونظرت الى الشرق وأهله، فاتسوقفتني الافغان، وهي أول أرض مس جسمي ترابها، ثم الهند وفيها تثقف عقلي، فايران بحكم الجوار والروابط، فجزيرة العرب : من حجاز مهبط الوحي، ومن يَمَن وتبابعتها، ونجد، و العراق وبغداد، وهارونها ومأمونها، والشام ودهاة الامويين فيها، والاندلس وحمراؤها. وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام، وما آل اليه أمرهم. فالشرق الشرقَ. فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه، وتحري دوائه. فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف. فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم.»(2)

والحق أن رسالة جمال الدين الافغاني، كانت أوسع وأعمق مما جاء في كلماته الاخيرة من العمل على توحيد المسلمين وتنبيههم للخطر الغربي. ومع هذا، فإن الامر أعمق وأكبر من أن يسعه رجل واحد بفكره وتحليله، وبحركته الاصلاحية التجديدية...

الامر لا بد أن يتصدى له جمهور عريض من قادة الامة في كل قطر من أقطارها، قادة الامة علما وفقها وخلقا وتضحية... ولا بد مع هذا، أن تنخرط فيه الشعوب الاسلامية بكل طاقاتها. فجذوة الاصلاح والنهوض إذا بقيت في يد فرد أو أفراد، لابد أن تضعف بضعفهم، وتموت بموتهم، وقوة الفرد أو الافراد، مهما بلغت ضعيفة ومحدودة.

فاصلاح الامة، والنهوض بالامة، لابد أن تحرك له، وتتحرك له الامة، ولا بد أن تغذيه وأن تتحمله طاقات الامة : بوعي واقتناع وحماس.

وهذا هو النموذج الذي اصبحت تقدمه لنا بعض الشعوب الاسلامية اليوم... فبعد قرن من الجهود الاصلاحية والتجديدية للافراد والجماعات، بعد قرن من انطلاق دعوات التحرر والنهوض، على أيدي الدعاة المتعاقبين، نجد بوادر الاستجابة الشعبية العامة، ونجد آثار اليقضة العامة، في بعض النقط الملتهبة من العالم الاسلامي.

وكما كان جمال الدين الافغاني رائدا في دعوة الاصلاح والتحرر، من مطلع القرن الرابع عشر، فإن الشعب الافغاني يتقدم رائدا في مطلع القرن الخامس عشر، رائدا بعزته، رائدا بقومته العامة، رائدا بصبره وتضحيته، رائدا بقياداته الفذة...

وهاهو الشعب الفلسطيني ينخرط في هذه الريادة المبشرة، ريادة الجهاد الشعبي العام والمتواصل...

ولكن هل يستطيع الشعب الافغاني بمفرده، والشعب الفلسطيني بمفرده، أن يواجه جيوشا من خلفها جيوش، ودولا تمدها دول؟ هل يستطيع أن يدحر أحلافا ظاهرة وباطنة **(وآخرين من دونهم لاتعلمونهم، الله يعلمهم)** (3).

الامل في الله كبير، ولكن ليعلم المسلمون واجبهم، ويعلموا مسؤوليتهم. وليتذكروا جيدا حسابهم أمام الله تعالى، وحسابهم اليوم أمام شعوب العالم وأمام التاريخ...

ها نحن الآن ــ في عنوان هذه الكلمة ــ قد وضعنا أمامنا مخاض قرن كامل وهو مخاض عسير أليم بقدر ما هو طويل ثقيل. فلو أدى المسلمون عشر واجباتهم في مطلع القرن الماضي لما أدوا كل هذا الثمن الفادح وها نحن اليوم نقف متفرجين على محنة الشعب الفلسطيني ومحنة الشعب الافغاني، وغيرهما. وها نحن نتفرج على عجزنا وخروج أمورنا من أيدينا.

جيوش ودول «كاملة الاهلية والسيادة» وفيرة العدد والعدة، تقف محنطة على مشارف القدس وغزة وتل أبيب... وإذاعات وصحف تحصي حصاد العدو، وشعوب تغدو وتروح... والكل يقول للشعب الفلسطيني، ما قالته بنو اسرائيل لموسى : (اذهب انت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون) (4)

بل حالنا أسوأ من هذا، فإن جيوش «الاشقاء» تحمي ظهر العدو من أبناء فلسطين، وتمنعهم من حرية الهجوم على عدوهم في أرضهم. وقد تعلن الحرب عليهم إذا لم يرضخوا...

وهاهي الشعوب الاسلامية تتمنى وتترقب انتصار الشعب الافغاني، ولكن، مثلما تتمنى وتترقب انتصار «البطل» في الروايات السنمائية : فرجة، وتعاطف، وتصفيق أو أسف... ثم يمضي كل واحد الى شؤونه...

فليعلم المسلمون أن كل هزيمة، وكل فشل، يصيب إخوانهم هنا أو هناك، راجع إليهم، وراجع عليهم...

فليعلم المسلمون أن من جاهد في سبيل الله، فائز ــ لامحالة ــ بإحدى الحسنيين، وأن من خذله، فقد باء بغضب من الله، وجنى لنفسه هو الخذلان والمذلة.

إن المسلمين جميعا، أمة مجاهدة، والجهاد ماض الى يوم القيامة. ولكن الجهاد لا حدَّ لاشكاله وأنواعه وطرائقه ومجالاته. فكما صح في الحديث **(من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق)** (5) صح أيضا : **(من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا)** (6) وصح أيضا : **(إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثةَ الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والمُمِد...)**(7) وصح أيضا : **(من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف)** (7 م) وليس هذا الا بيانا لقوله تعالى : **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة. والله يضاعف لمن يشاء..)** (8).

وقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، بالخيل وفضلها، وما في الجهاد بها من خير وثواب، فسئل عن الحُمُر (الحمير). وهل يكون فيها شيء من هذا الفضل والاجر؟ فقال : **«لم يُنَزَّل علي فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفذة : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»** (9).

وفي وقت مبكر جدا من البعثة الاسلامية نوه الله تعالى ــ وفي موضع واحد ــ بكل من الجهاد العسكري والجهاد «المدني» ونبه على تكاملهما وتلازمهما، فقال سبحانه : **(علم أن سيكون منكم مرضى، وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله، فاقرأوا ما تيسر منه واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأقرضوا الله قرضا حسنا. وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا...)** (10).

ومما ينبغي أن نضعه في هذا السياق، ونتأمله في هذا السياق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اخر عهده يأخذ من المسلمين البيعة : **«على الاسلام، والجهاد، والخير»** (11).

كلمات ثلاث جمع لهم فيها خير الدنيا والآخرة، وعزة الدنيا والآخرة، كلمات يشمل بعضها بعضا، ويفضي بعضها الى بعض، ويكمل بعضها بعضا : كلها إسلام، وكلها خير، وكلها جهاد، كلمات جامعة، بايع الرسول عليها أصحابه، وتركهم عليها.

فلينظر كل مسلم أين هو منها.

الـهـدى

1 ــ توفي رحمه الله عام 1314 هـ ــ 1897 م
2 ــ عن كتاب : جمال الدين الأفغاني : حياته وفلسفته ص. 4 للدكتور محمود قاسم
3 ــ سورة الأنفال : 60
4 ــ سورة المائدة : 24
5، 6 ــ صحيح مسلم
7 ــ صحيح الترمذي
7 م ــ صحيح الترمذي
8 ــ سورة البقرة : 261
9 ــ مروي في الصحيحين والموطإ
10 ــ نهاية سورة المزمل
11 ــ صحيح مسلم. انظر شرح النووي : 13 ــ ص. 7 باب : المبايعة بعد فتح مكة على الاسلام والجهاد والخير.

السياسة السوفيتية

تجاه أفغانستان مابين 1919 - 1979

تميزت السياسة السوفيتية تجاه أفغانستان بطول النفس، واتباع أسلوب الخطوات البطيئة والثابتة في نفس الوقت، بهدف ادخال هذا البلد المسلم ضمن مجال نفوذها وسيطرتها المباشرة، وذلك منذ أوائل العهد البلشفي.

وإذا كانت أفغانستان تشكل أهمية خاصة بالنسبة للاتحاد السوفياتي، فإن الأهمية لاتعود فقط لكونهما يشتركان في حدود طويلة، بل أيضا، لأن الأولى هي امتداد جغرافي وبشري وديني وتاريخي وثقافي للمناطق الاسلامية المحادية لأفغانستان في حدودها الشمالية الخاضعة للسيطرة السوفيتية بعد أن كانت خاضعة للسيطرة القيصرية من قبل.





صورة نشرتها مجلة Socialisme السوفيتية (أبريل 1988) وأشارت الى أن الرسام ألكسندر كوتلنيكوف رسمها بناء على صورة أصلية أخرى، ويتعلق الأمر بزيارة الوفد الأفغاني لموسكو برئاسة الجنرال ولي خان — ويُرى في الصورة المقتبسة لينين وهو يضع يده على كتف الأفغاني المعمم والملتحي ويلاحظ أيضا تلامس الركب والأجساد، هل قصد بإعادة تشكيل الصورة الايحاء بوجود انسجام بين الطرفين ؟!

تطور السياسة السوفياتية تجاه افغانستان

تنص المصادر السوفياتية على أن الاتحاد السوفياتي، كان أول دولة تعترف بأفغانستان[1] كدولة مستقلة ذات سيادة سنة 1919. وهذا الاعتراف لم يأت إلا نتيجة لبروز اسم افغانستان في ذلك الوقت على المستوى الدولي — أي في نفس الوقت الذي استحكمت فيه القوى الاستعمارية الغربية سيطرتها حول مستعمراتها استحكاما قويا — لكونها البلد الوحيد الذي استطاع، ليس فقط أن يرغم بريطانيا على الاعتراف باستقلالها وسيادتها، ولكن لأنها ألحقت ببريطانيا العظمى هزيمة عسكرية مدوية، وهي الامبراطورية التي كانت تتوفر على أقوى الجيوش في العالم، وهذه الحقيقة التاريخية أرخت بظلالها على المصادر السوفياتية التي اهتمت بالتاريخ الحديث لافغانستان[2].

ونستطيع أن نميز بين ثلاث مراحل مرت بها السياسة السوفياتية تجاه الجار الأفغاني، دون أن يكون هناك تقطع أو عشوائية في هذه السياسة، بل تميزت بالمرحلية المترابطة في إطار استراتيجية ثابتة، وإن طبقت بأساليب مختلفة تبعا لما تتطلبه كل مرحلة، وهذه المراحل تأثرت بدورها بالأوضاع الداخلية في الاتحاد السوفياتي من جهة، وبالمعطيات الاقليمية من جهة أخرى.

مرحلة «التحييد»

تشير المصادر السوفياتية، إلى أن لينين نفسه، كان قد وضع أسس السياسة السوفياتية تجاه أفغانستان منذ السنوات الأولى من عمر الثورة البلشفية[3] والسمة الرئيسية لهذه المرحلة، هي ربط أفغانستان **بمعاهدات ثنائية**، الهدف منها تحييد هذه الأخيرة على مستوى العلاقات الثنائية والدولية، بحيث لاتشكل — وهي الدولة التي هزمت أعتى قوة استعمارية في ذلك الوقت — أي خطر يهدد الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي.

وبالاضافة إلى اعتراف الحكومة البلشفية السريع بأفغانستان، والذي جاء مباشرة بعد الهزيمة النكراء التي منيت بها بريطانيا على يد الافغان سنة 1919، حرص لينين على ابداء مظاهر الصداقة والتأييد للحكومة الافغانية على عهد الملك أمان الله خان الذي كان معروفا بعداءه لبريطانيا، واستقبل لينين وفدا حكوميا أفغانيا صرح رئيسه لصحيفة «ازفستيا» السوفياتية بأن الافغان «ليسو على مذهب الشيوعية ولا الاشتراكية، وإنما خطتهم هي طرد الانجليز من آسيا...»[4] واستطاع لينين، أن يقنع الحكومة الافغانية بتوقيع معاهدة بين البلدين سنة 1921 تقضي بألا تكون هناك أية اتفاقية أخرى بين أحد الطرفين ودولة ثالثة يمكن أن تضر بمصالح الطرف الثاني[5].

وفي سنة 1931 تم التوقيع بين البلدين على معاهدة أخرى يستمر مفعولها 10 سنوات، تتعلق بالحياد وعدم الاعتداء[6]. والملفت للنظر أنه تم **تجديد** هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات أخرى سنة 1975، أي بعد انقلاب الجنرال محد داود على ابن عمه ظاهر شاه.

ولايمكن فهم السياسة اللينينية ثم الستالينية تجاه افغانستان في هذه المرحلة دون ربطها **بتطور الأوضاع الداخلية** للاتحاد السوفياتي خلال السنوات الأولى من عمر النظام البلشفي، وبصورة أدق، في تلك المناطق الشاسعة التي اصْطلح على تسميتها بآسيا الوسطى : إن الاستعراض السريع لتطور الأوضاع في تلك المناطق من شأنه أن يجلي خلفية تلك السياسة في تلك المرحلة، وهو استطراد لاغنى عنه.

ففي 20 مارس 1917، أصدرت حكومة كيرنسكي (وهو الذي قام بالثورة الحقيقية على النظام القيصري مابين 12 إلى 15 مارس من نفس السنة) مرسوما ألغيت بمقتضاه جميع التشريعات الهاضمة لحقوق «الاقليات» التي كانت تتكون أساسا من الشعوب المسلمة في آسيا الوسطى وسيبريا[7].

ويشير العلاّمة فانسان مونتاي V. Monteil إلى أن التوسع الروسي على عهد القياصرة في الأراضي الاسلامية، منذ سقوط مدينة قازان العظيمة سنة 1552 ميلادية، وحتى أواخر القرن التاسع عشر، كان يتم بمعدل 130 كيلومتر مربع في اليوم مقابل ضعف هذا المعدل على يد المستعمرين الاوروبيين في القارة الامريكية خلال نفس الحقبة[8].

وكانت أغلب حملات الروس العسكرية، ترافقها حملات استيطانية حقيقية : «فشعب البشكير مثلا، ثار عندما انتزعت منه أراضيه سنة 1773، أما جبليو القوقاز، فقد طردوا من أجود أراضيهم التي استولى عليها «المهاجرون» الروس السلافيون، وشعب تتر القرم، اقتلع بالقوة من وطنه وهُجّرَ إلى تركيا ليحل المستوطنون الروس والاوكرانيون محله، حيث ارتفع عددهم من 500.000 سنة 1783 إلى 1000.000 سنة 1862. وبعد الغاء نظام الرق سنة 1881، اندفعت أعداد لاتحصى من المعمرين الروس في اتجاه الاراضي الاسلامية في آسيا الوسطى، ومن جملة ما «منحته» حكومة ستوليبين Stolipine، «أملاك التاج» أي مراعي المسلمين في أذرْبَيْجَان (مابين 1907 ـــ 1911) «للرعايا الخصوصيين الروس». وفي هذا الوقت، كان بترول باكو الاذربيجانية، وقطن تركستان، قد أصبحا ضروريين للاقتصاد الروسي»[9].

والحقيقة، أن مقاومة المسلمين للتوسع الروسي لم تتوقف، ومن أبرز رموز المقاومة الاسلامية هي حركة الامام شامل الجهادية الشهيرة، وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا ينتصرون على الروس في غالب الأحيان، إلا أن قتالهم توقف سنة 1887، ومع ذلك فإن كراهية الشعوب المسلمة للوجود الروسي الاستيطاني لم تكن تزداد إلا اشتدادا. إن تاريخ المقاومة الاسلامية ضد الهيمنة الروسية القيصرية هو تاريخ عريض وغني جدا، وإن كان لايزال حكرا على المؤرخين المتخصصين.

وفي أوائل القرن العشرين امتدت حركة الاصلاح، التي عمت أرجاء عدد من البلدان العربية ودولة الخلافة العثمانية وإيران وأفغانستان والهند، إلى عموم آسيا الوسطى، وظهرت حركات تجديدية، على المستويات الدينية والثقافية والسياسية، ومن أهم مظاهرها، ظهور حركات وأحزاب سياسية اسلامية منظّمة في العديد من المناطق الاسلامية، كان طابعها العام **الاتجاه الوحدوي على أسس اسلامية واضحة**[10]، خاصة وأن الاختلافات العرقية واللغوية كانت من التنوع بحيث كان من المستحيل أن تجتمع كل هذه الأقوام على شيء آخر غير الاسلام، وهذا ماحذا بالمؤرخ السوفياتي بارتولد، وهو من أبرز اقطاب الاستشراق السوفياتي، إلى أن يلاحظ «أن حضر آسيا الوسطى، يشعرون بأنهم مسلمون قبل كل شيء، ثم يعتبرون أنفسهم سكان البلد الفلاني أو المنطقة الفلانية ولايقيمون وزنا للاعتبارات العرقية»[11].

ومع اندلاع الثورة البلشفية في 1917، كانت آسيا الوسطى بأكملها خاضعة للسيطرة الروسية، وكان الوجود الاستعماري الروسي مستحكما، وبالنسبة للمسلمين، فيما يتعلق بالصراع بين البلاشفة وأنصار النظام القيصري، **فقد بقوا على الحياد**، وإن كانت قطاعات من مثقفيهم قد تأثرت بالمفاهيم الاشتراكية، إلا أن الاتجاه العام لدى المسلمين، وبشكل ساحق، كان يتجه إلى **تأسيس كيان سياسي مستقل تماما** عن الروس على أسس من **التضامن الاسلامي داخليا وخارجيا**، ذلك لأنهم كانوا يعتبرون الروس، بصفة عامة، غزاة مستعمرين، ولم يكن أمل البعض منهم في الثورة البلشفية، يتعدى مساعدة هذه الأخيرة لهم في الاستقلال والتحرر تبعا للشعارات التي رفعتها الثورة في المرحلة الاولى، وخاصة بعد نداء لينين وستالين الشهير الموجه للمسلمين في آسيا الوسطى في 17 نوفمبر 1917 حيث وعدوهم فيه بحقهم المطلق في «**تنظيم حياتهم القومية بحرية تامة وبلا معارضة من أحد...**» (وسيأتي ذكر مقتطفات منه لاحقا). ويسجل التاريخ وقوف فئة مسلمة واحدة قاتلت «إلى جانب البلشفيك الاممين معتقدة أنها، بوقوفها ضد الحكومة (القيصرية) تجاهد جهادا مقدسا. وهكذا كانت الحال في تركستان والقرم وسهوب القازاق حيث كانت الثورة ثورة الروس وحدهم، وظلت المنظمات القومية الاسلامية في موقف المتفرج غير المبالي، لابل لقد بلغ عدم الثقة بالحكومة المؤقتة والكراهية لها حدا وقفت معه هذه المنظمات، موقف الساذج المؤيد للبلشفيك»، وكانت تلك الفئة التي قاتلت مع البلشفيك، جماعة صوفية تسمي نفسها (جيش الله الفيزوفي)[12].

. صورة تجمع الامام شامل (جالس على الكرسي) وعبد القادر الجزائري (واقف) والخديوي اسماعيل وفردناند دي ليسيبس مهندس قناة السويس في بور سعيد سنة 1863
(المصدر : ف. مونتاي)





المجاهدون المسلمون (الباسماتشي) خلال المفاوضات مع السوفييت سنة 1921 (المصدر : مونتاي)

إلا أن لينين وحكومته، بمجرد أن تمكنوا من القضاء على خصومهم من أنصار النظام القيصري، بدأوا حربا شعواء ضد المسلمين، على كل المستويات، لبلشفتهم والقضاء نهائيا على الطابع الاسلامي لشعوب آسيا الوسطى[13]. لقد انفجر الموقف بين المسلمين والسوفيات (الروس والاوكرانيين خصوصا) منذ سنة 1918 بسبب ما ارتكبه البلاشفة من اعتداءات شنيعة كتدمير مدينة كوكند في 5 فبراير 1918 واحتلال أكمولنسك Akmolinsk وكوستاناي Kustanay في 7 يناير وأكتيوبنسك Aktyubinsk في اليوم التالي، وأورنبرغ (التي انعقد فيها «مؤتمر الشعب الاسلامي» في نوفمبر من 1917) في 18 منه وغيرها... وهي كلها مدن اسلامية في ما كان يعرف سابقا بتركستان[14].

وكان من بين القادة المسلمين الذين قاوموا الاستعمار الروسي الجديد العالم سعيد عالم، الذي لجأ إلى أفغانستان بسبب تفوق البلاشفة عددا وتسلحا وتنظيما، واستمر يدعم ويوجه **من هناك**، الحركات المسلحة الاسلامية، خاصة بعد سقوط مدينتي خيوة (التي أعلنت قيام جمهورية خوارزم) وبخارى في سنة 1918. هذا الانفجار في الأوضاع أرغم الحكومة السوفياتية في موسكو على ارسال لجنة تحقيق من خمسة أعضاء (من بينهم فرونزي Frounzé قائد الجيش الرابع وكويبيشيف Kuybïchev المفوض السياسي) إلى طشقند في نوفمبر 1919. وعلى إثر تقديم اللجنة تقريرها إلى لينين أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي منشورا يفضح فيه «الاستعمار» المستتر في تركستان «تحت الغطاء السوفياتي». وكتب لينين إلى اللجنة : «إن إقامة علاقات صحيحة مع شعوب تركستان، **لها في الوقت الراهن بالنسبة للجمهورية الاشتراكية السوفياتية الفدرالية الروسية، أهمية يمكن اعتبارها بدون مبالغة، بأنها ضخمة وتاريخية**»[15]. إلا أن هذه المراجعة، لم تكن سوى شكلا من أشكال المراوغة، لأن السياسة اللينينية؛ ثم الستالينية بعد السنوات الاولى من عمر النظام البلشفي، ستتخذ شكلا آخر أكثر حذرا وتدرجا في تصفية كافة التنظيمات السياسية المختلفة التي أقامها المسلمون في آسيا الوسطى، وكذلك كل البنيات القانونية والاقتصادية والثقافية، علاوة على المؤسسات الدينية والمساجد.

وهكذا، عندما وقعت حكومة لينين معاهدة 1921 مع افغانستان كانت ثورة الباسماتشيفو Basmatchevo (أي قطاع الطرق بالروسية) قد انفجرت وبلغت أوج قوتها خلال سنوات 1920 — 1922[16]. وكانت ذات طابع اسلامي خالص ضد البلاشفة باعتبارهم ضمن امتداد الاستعمار القيصري.

أما معاهدة 1931، فقد وقعتها موسكو أيضا **بعد انفجار ثورة الباسماتشيفو مجددا سنة 1931** بسبب انتزاع الأراضي من أصحابها بدعوى تكوين المزارع الجماعية، وهذه الثورة المتجددة استمرت إلى سنة 1936 لتنطفىء نهائيا. وقد وصفها الكاتب السوفياتي سكالوف Skalov 1923 معترفا بأنها «تمرد حقيقي، **بجميع السكان تقريبا، تحت قيادة** البرجوازية المحلية، **ضد السيطرة الاجنبية**» ملحا بذلك «**على الطابع الاجتماعي لحركة الباسماتشي**»[17].

يتضح مما سبق، أن السياسة الخارجية للحكومة البلشفية تجاه أفغانستان خلال هذه المرحلة، كانت تهدف إلى تكبيل هذه الأخيرة بقيود قانونية، درءا لأية مساندة محتملة من طرف الافغان للشعوب الاسلامية في آسيا الوسطى، التي يشتركون معها جميعا في وحدة الانتماء الديني، ولاشك أن وصف لينين لعلاقة الروس مع المسلمين في ذلك الوقت بأنها ضخمة وتاريخية، **كان واقعا تحت هاجس احتمال تدخل الأفغان لصالح إخوتهم**، خاصة وأن هزيمة بريطانيا العظمى على أيديهم كان لاتزال ماثلة للأذهان في ذلك الوقت.

مرحلة التغلغل الاقتصادي والتسليح

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومنذ بداية الخمسينات، استأنف السوفيات سياستهم المتأنية تجاه افغانستان، مركزين خلال هذه المرحلة على «المساعدات» الاقتصادية والعسكرية، التي ربطت افغانستان، بشكل متزايد بالاتحاد السوفياتي، بحيث أصبحت العلاقة بينهما — وبشكل تدريجي — تتسم بكافة خصائص التبعية الاقتصادية التي تطبع — عادة — العلاقة بين دول

العالم الثالث، والدول الرأسمالية الغربية...

وعلى الرغم من أن السوفيات بدأوا سياسة «المساعدات» الاقتصادية ما بين عامي 1921 و1924 (أي في السنوات الحرجة التي شهدت اندلاع ثورة الباسماتشي) بما قيمته 500.000 دولار سنويا[18] إلا أن التغلغل الحقيقي بدأ سنة 1955 بعد زيارة نيكيتا خروشتشيف ورئيس وزراءه نيكولاي بولجانين لأفغانستان، حيث تم التوقيع على اتفاقية اقتصادية يقدم بموجبها السوفيات قرضا بقيمة 100 مليون دولار، **مع تجديد معاهدة 1931**.

وفي السنة الموالية (1956) تم التوقيع على اتفاقية بين افغانستان من جهة، والاتحاد السوفياتي وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا (التي صدرت أسلحة لافغانستان بقيمة 3 ملايين دولار سنة 1955) من جهة أخرى، لتجهير الاولى بمعدات عسكرية سوفياتية الصنع، كما بدأ السوفيات في تدريب الضباط الافغان، بعد أن كان هؤلاء يتدربون في تركيا وألمانيا والولايات المتحدة[19].

ومن باب المقارنة، فإن سنة 1955 شهدت أيضا بداية علاقات عسكرية بين مصر والاتحاد السوفياتي بعد صفقة الاسلحة التشكيلية المعروفة، إلا أن خروتشوف لم يقم بزيارة لمصر إلا سنة 1961. وعلى الرغم من أن النظام الملكي في افغانستان، كان بعيدا جدا عن «ثورية» النظام الناصري، إلا أن أهمية افغانستان الاستراتيجية بالنسبة للاتحاد السوفياتي، هي التي سوغت هذا الاهتمام السوفياتي بأفغانستان على أعلى المستويات السياسية، قبل أي بلد عربي آخر، مع ما للبلدان العربية الشرق أوسطية من أهمية استراتيجية فائقة هي الأخرى بالنسبة للسياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي، والتي ارتبطت أشد الارتباط بقيام الدولة اليهودية سنة 1948.

ومنذ سنة 1961، بلغ مجموع عدد الضباط الافغان الذين تلقوا تدريباتهم في الاتحاد السوفياتي حوالي 7000، في حين، بلغ عدد الذين تلقوا تدريبات مماثلة في الولايات المتحدة خلال نفس الفترة 1000 من الضباط، كما قفزت نسبة اعتماد افغانستان على الاتحاد السوفياتي في مجال التسليح من 0% سنة 1951 إلى 100% سنة 1960[20].

أما في المجال الاقتصادي والمالي، فقد حرص الاتحاد السوفياتي على تقديم قروض متعددة منذ أواسط الخمسينات، بلغ مجموعها خلال السنوات 1954 — 1975، 1263 مليون دولار، بينما وصل مجموع «المساعدات» الامريكية خلال نفس الفترة 500 مليون دولار[21]، وقطعت تلك القروض بعد اغتيال السفير الامريكي في كابل في فبراير 1979 (!).

وتجدر الاشارة هنا، إلى أن الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء السوفياتي بودغورني لأفغانستان في يونيو 1967، والتي أعلن فيها أنه «يقدر كثيرا السياسة الخارجية الافغانية التي ترتكز على مبادىء الحياد الايجابي وعدم الانخراط في المجموعات والاحلاف العسكرية...»[22] إنما جاءت في سياق السياسة السوفياتية القائمة على الاحتواء التدريجي طويل النفس للجار الافغاني.

وبخصوص تطور النفوذ الاقتصادي السوفياتي في افغانستان، يلاحظ أن حجم القروض قد ازداد بشكل ملفت للنظر **بعد انقلاب الجنرال محمد داود** على ابن عمه الملك ظاهر شاه سنة 1973 بمساعدة العناصر الموالية لموسكو في الجيش الافغاني، والجدول التالي يعكس بوضوح هذه القفزة :

المبادلات الاقتصادية :
الاتحاد السوفياتي — افغانستان[23]
(بملايين الدولارات)

السنة	الصادرات	الواردات
1970	40،0	34،0
1971	50،3	38،4
1972	46،1	37،3
1973	45،5	48،3
1974	81،6	80،0 *
1975	93،7	88،7
1976	116،4 **	88،8
1977	154،5	104،0

* ازدياد الواردات نتيجة لبيع الغاز الافغاني للاتحاد السوفياتي

** تعود هذه القفزة في الصادرات إلى القرض السوفياتي لسنة 1975 والبالغ 425 مليون دولار في إطار المخطط السباعي (1976—1983).

المصدر : US. C.I.A., changing patterns in soviet — LDC trades : 1976-1977, ER-78 — 10326, may 1978, pp 10,11.

يتضح إذا من خلال ما سبق أن سياسة الاغراق بالديون الاقتصادية والعسكرية، إضافة إلى تجديد المعاهدات، تمثل مرحلة متقدمة من مراحل الهيمنة بالنسبة للسوفيات، ودرجات إضافية في سلم التبعية بالنسبة للأنظمة المتعاقبة في افغانستان، خاصة بعد الاطاحة بنظام ظاهرشاه بمساعدة العناصر الماركسية التي كانت تتحين الفرصة بدورها لاستلام السلطة في نهاية المطاف.

مرحلة السيطرة غير المباشرة :

بدأت هذه المرحلة بانقلاب أبريل 1978 الدموي الذي صفي فيه الجنرال محمد داود وجميع أفراد عائلته وأنصاره، بقيادة نور محمد تراقي، وهذا الانقلاب لم يأت من فراغ، بل سبقته مراحل أخرى...

فعندما تأسس الحزب الشيوعي في أفغانستان سنة 1965 رسميا وسمي الحزب الديموقراطي للشعب الأفغاني لعدم جرأة قادته على إعلان انتماءهم الايديولوجي الصريح بسبب تجذر العقيدة الاسلامية في الشعب الافغاني كان السوفيات قد تمكنوا من ايجاد **قاعدة الإرتكاز السياسية**، والتي بدونها لايمكنهم أن يدفعوا الأوضاع لصالحهم في افغانستان، سواء كانوا قد خططوا للسيطرة عليها بواسطة «ادواتهم» المحلية دون تدخل عسكري، أم خططوا لاحتلال افغانستان عسكريا كما حدث هذا فعلا فيما بعد...

ولابد من إلقاء نظرة على الحزب «الحاكم» في افغانستان وتوضيح اختياراته الايديولوجية، وتركيبته القيادية، ومستوى ارتباطه وولاءه لموسكو، وذلك لمعرفة طبيعة وحجم الدور الذي لعبه هذا الحزب، في مرحلة حاسمة من تاريخ أفغانستان المعاصر، لصالح طرف أجنبي على حساب الشعب والوطن...

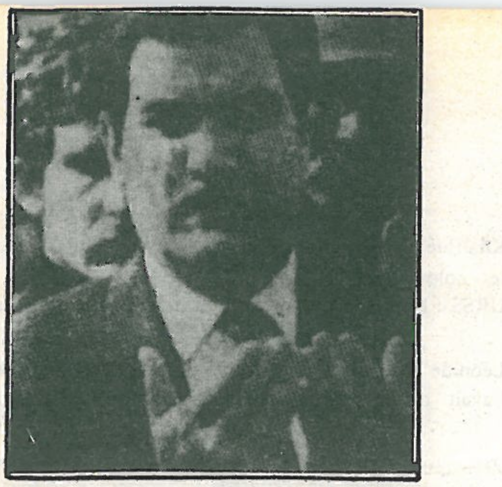
ففي استجواب نادر، أجراه فهمي هويدي مع نور محمد تراقي بعد انقلاب 27 ابريل 1978 مباشرة (العربي : عدد 236، يوليو 1978) قال الزعيم الشيوعي العريق «نحن مسلمون موحدون بالله ! ! وليس لأحد أن يطالبنا بأن نثبت ذلك، ونسوق له الأدلة والبراهين، فتلك مسألة بين الانسان وخالقه. **فكرنا مؤسس على مبدأ الصراع الطبقي، لكننا لسنا شيوعيين، ولم يكن في أفغانستان حزب شيوعي يوما ما...»** هذا الاسلوب النفاقي هو الطابع العام للايديولوجية المعلنة، والذي يلفت الانتباه بشكل صارخ، في هذا الاستجواب الوثيقة، هو **حضور الاسلام بشكل مطلق**، فقد حرص طراقي في طول كلامه وعرضه، على مدح الاسلام والتأكيد على اسلامية الجماهير في أفغانستان، مثل **«إن الاسلام في افغانستان ليس بحاجة إلى حماية أحد، ولكن الجماهير المؤمنة في بلادنا هي الحارسة الحقيقية لمبادىء الاسلام وقيمه»...** أو «إن **الجماهير المسلمة** في أفغانستان بحاجة إلى مساعدة ودعم العالم العربي...» وهذا كله، ينسجم تمام الانسجام، في منطق الشيوعيين الافغان على لسان طراقي، مع تأسيس ايديولوجية الحزب على «الصراع الطبقي» وكون الاتحاد السوفياتي «كان وسيظل صديقا مخلصا للشعب الافغاني» بل يفتخر لكونه أول من اعترف بحكومة الانقلاب. وعلى الرغم من أن لطراقي حوالي 12 مؤلفا في الماركسية اللينينية (أدب وسياسة) صدرت في الهند بلغة الباشتو لأنها كانت ممنوعة في أفغانستان، ومع ذلك فهو يصر على أنهم «مسلمون وموحدون بالله»، ومنذ الانقلاب الأحمر، أصبح الاسم الرسمي لأفغانستان هو «**جمهوري ديموكراتيك افغانستان**»، إلى أن ألغي بموجب «الدستور» الأخير في 1988 حيث اقتصر على اسم : جمهورية افغانستان.

وإذا كان طراقي قد زعم أن عدد المنتسبين إلى الحزب الديموقراطي للشعب الافغاني يبلغ 50 ألفا، أي من الجناحين الماركسيين «خلق» و«بارشام»، فإن مصادر أخرى تقدر عدد الجناح الأول بثلاثين ألفا، بينما الثاني يضم في صفوفه حوالي ثمانية آلاف[24]، وفي تقديرات خبراء آخرين، لم يتجاوز عدد أعضاء تنظيم «خلق» (الشعب) بضعة آلاف، أما «برشام» (الراية) فقد كان تنظيما حضريا جد نخبوي[25]، وفي جميع الحالات، بقي الماركسيون اللينينيون الافغان مجرد تنظيمات سرية لاتتمتع بأي رصيد شعبي.

وبالنسبة للقيادات الأخرى التي أفرزها التنظيمان المذكوران، يأتي بابراك كارمال، الذي تولى منصب نائب مجلس «الثورة»، (وكان هو الذي يترأس جماعة «برشام») ثم فقد هذا المنصب بعد ثلاثة أشهر فقط من انقلاب ابريل 1978 نتيجة تجدد الصراع بين الرفاق، وهو ابن الجنرال محمد حسين أحد كبار ضباط نظام ظاهر شاه البائد، ولذلك كان يطلق عليه في صفوف «خلق» لقب «الشيوعي الملكي»، بل كان يتهم من طرف هؤلاء بأنه «عميل للمخابرات الامريكية»[26].

أما حفيظ الله أمين، الذي درس علم الاجتماع في الولايات المتحدة، فقد كان رجل التنظيم رقم 1 في جماعة «خلق» وهو الذي تولى مسؤولية وضع الترتيبات النهائية لانقلاب ابريل 1978، وتسلم اثره منصب رئيس الوزراء، وكذلك إدارة جهاز مخابرات خاص إسمه «جهاز حماية مصالح أفغانستان»[27]، وفي 16 شتمبر 1979، أي بعد سنة ونصف فقط من الانقلاب الشيوعي، استولى أمين على السلطة بعد تصفية رفيقه الحميم ورئيسه طراقي وعائلته وعدد كبير من أعضاء جماعة «خلق» الموالين لهذا الأخير، ويمثل أمين نموذجا فريدا من دمويته، يضاهي جرائم طراقي وكارمل ونجيب الحالي.

وبصفة عامة، إذا كانت العلاقات بين الرفاق الافغان قد تميزت بالصراع الحاد والتصفيات الدموية المتبادلة، فقد بقوا مخلصين للرفاق السوفيات وطوع بنانهم، ليس فقط بسبب الولاء الايديولوجي والسياسي، ولكن أيضا لأنهم كانوا عاجزين عن تسيير دفة الدولة من الناجية التقنية، خاصة بعد فشلهم المريع في كسب التأييد الشعبي، بسبب السياسة اللا واقعية بدعوى بناء «مجتمع اشتراكي» وما نتج عنها من حملات التصفية التي راح ضحيتها **عشرات الآلاف** من أفراد الشعب الافغاني، من الجنسين، ومن جميع الاعمار والفئات الاجتماعية كما أثبتت ذلك «منظمة العفو الدولية» في تقاريرها السنوية[28]. إن الجهاز الوحيد القوي الذي أداروه بـ «كفاءة»، هو جهاز المخابرات «خاد» (خدمة اطلاعات دولتى) بمساعدة سوفياتية بطبيعة الحال.



نجيب رئيس جهاز «خاد» ولسان حاله يقول كما قال سلفه : «نحن مؤمنون موحدون بالله» !!

في ظل هذه الأجواء من الفوضى والتناحر، كان السوفييت أسياد الموقف في أفغانستان، وكانت هناك فئة شعبية وحيدة، بالنسبة للشعب الافغاني، على وعي بالتحولات الخطيرة التي تشهدها البلاد، ألا وهي الحركة الاسلامية، التي كانت الهدف الرئيسي لكل تلك التحولات الدرامية التي شهدتها «قلعة الاسلام» (افغانستان).

وهكذا، لكي يباشر السوفيات إدارة الأوضاع عن قرب، انتقل فاسيلي سافرونشوك Vassily Safronchuk المسؤول عن التنسيق بين الاتحاد السوفياتي وأفغانستان، إلى «قصر الشعب» بجانب طراقي[29]. أما «الخبراء» فقد تدفقوا بالآلاف، مدنيين وعسكريين، وأصبح السوفييت يشرفون على كل شيء، ويكفي أن نلقي نظرة على نوعية المسؤولين السوفيات الذين كانوا يقومون بزيارات طويلة تصل إلى أكثر من شهرين، ليتضح لنا مستوى النفوذ التام الذي أصبح الاتحاد السوفياتي يتمتع به في أفغانستان : فبالاضافة إلى السفير السوفياتي بوزانوف Puzanov الذي هو عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، سجلت الزيارة الطويلة للفريق ألكسي ايبيشيف Alexei Epichev رئيس الادارة السياسية في الجيش الأحمر السوفياتي وعضور اللجنة المركزية، ابتداء من 6 ابريل، والفريق ايفان بافلوفسكي Ivan Pavlovski القائد العام للقوات البرية الذي دامت «زايرته» شهرين كاملين، وسجلت كذلك الاقامة الطويلة للفريق سمنفيش بابوتين Semenvich Paputine نائب مدير الوزارة السوفياتية للشؤون الداخلية، حتى لقي حتفه يوم 27 ديسمبر، أي يوم الاجتياح السوفياتي[30].

لقد كان الانهيار المتسارع للنظام الماركسي في افغانستان نتيجة للرفض الشعبي العام واندلاع المقاومة المسلحة، إيذانا بانتهاء مرحلة طويلة من مراحل السياسة السوفياتية تجاه افغانستان، وبينما كانت علامات انتصار المعارضة الاسلامية تلوح واضحة في الافق، كانت القيادة السوفياتية، قد اتخذت قرارها الذي لارجعة فيه، باحتلال هذا البلد الاسلامي العريق عسكريا مهما كانت النتائج.

الهوامش

1 و 2 — Khalfine N. : La lutte des peuples de l'Afganistan contre les colonialistes britaniques-in ; Etudes orientales en URSS : L'Afganistan, le passé et le présent — Académie des sciences de l'URSS — Moscou 1981 p. 120.

3 — Léonide Teplinski : La coopération sovieto-afgane comme l'avait recommandé Lénine — in : études orientales 215-238ص، السابق.

4 — د. محمد علي البار : افغانستان من الفتح الاسلامي إلى الغزو الروسي — دار العلم للطباعة والنشر — جدة — 1985 — ص 228.

5 — ن. كالفين السابق ص 120.

6 — ل. تبلنسكي السابق ص 218، 220.

7 — Viencent Monteil : Les musulmans soviétiques — Seuil 1982 — 33 ص

8 — السابق ص 20 — انظر كذلك : أ. بنيجسن وش. ل. كلكجاي : المسلمون في الاتحاد السوفياتي — تعريب د. احسان حقي — مؤسسة الرسالة — ط 2 — 1981، ص 33، 60.

9 — مونتاي السابق ص 21.

10 — لمعرفة تاريخ الحركات الاصلاحية في آسيا الوسطى، انظر الدراسة الدقيقة لبنيجنسن وكلكجاي في المرجع السابق ذكره ص 21، 89.

11 — عن السابق، ص 52.

12 — السابق ص 137، 138.

13 — انظر المرجع السابق ص 137، 142، كذلك مونتاي السابق ذكره ص 19، 40.

14 — مونتاي ص 40، كذلك بنيجسن وكلكجاني السابق ذكره ص 142، 143.

15 — مونتاي ص 40

16 — أورد العلامة مونتاي معلومات مدققة حول هذه الثورة الاسلامية، انظر ص 41، 43 من كتابه المذكور آنفا.

17 — مونتاي 43.

18 — جمال الدين محمد علي : القضية الافغانية بين المبادرات والمفاوضات — مجلة السياسة الدولية — القاهرة — عدد 88 — ابريل 1987 — ص 198.

19 — السابق ص 200

20 — السابق ص 200

21 — S. Tahir Kheli : The Soviet Union in Afganistan : Benefits and costs — in : the Union Soviet in the third world : Successes and failures — westview Press, Boulders Colorado, 1981, p 220.

22 — السابق ص 217

23 — السابق ص 221

24 — Henri Paris : Les sovietiques envahissent l'Afganistan — in : Guerres et conflits d'aujourd'hui — n° 6 fev. 1985 — p. 5.

25 — Alexandre Dastarac — M. Levent : Afranistan : l'éveil des nationalités — Le Monde diplomatique Fev. 1980 — p. 6.

26 — السابق

27 — السابق الهامش 7

28 — انظر فصل : منظمة العفو الدولية وحقوق الانسان في افغانستان في هذا البحث.

29 — داستاراك ولوفان السالفي الذكر

30 — السابق، انظر كذلك حول زيارات كبار المسؤولين العسكريين السوفيات بعد انقلاب أبريل 1978 : Pierre Metge, L'intervention soviétique Le Monde : dossier et documents n° 138 — nov. 1986 كذلك : Henris Paris السابق.



عن جريدة «المسلمون»



بعض المجاهدين يجهزون الالغام لزرعها



لحظة تأمل واعتزاز بجوار أحد صواريخ العدو التي لم تنفجر



لماذا احتل السوفييت افغانستان ؟

مع اقتراب نهاية سنة 1979، لم يكن أمام الاتحاد السوفياتي خيارات كثيرة تجاه تطور الاوضاع في افغانستان، بل لم يكن أمامه سوى خياران : إما أن يتفرج على السقوط المتسارع للنظام الموالي له في كابل، مع ما يستتبعه حتما من سيطرة المعارضة الاسلامية على البلاد... وإما أن يتدخل عسكريا وبشكل مباشر لمنع حدوث هذا التحول المخيف (بالنسبة إليه).

إن القاء نظرة فاحصة على الوضع الاقليمي في جنوب غرب آسيا آنذاك، سيجلي لنا عددا من العوامل التي تكمن وراء قرار الاتحاد السوفياتي إرسال قواته لاحتلال أفغانستان، كما يجلي لنا في نفس الوقت، الابعاد الحقيقية، لمقاومة الشعب الافغاني لعمالة النظام، وللاحتلال الاجنبي، وهي أبعاد تتعدى كثيرا مجرد تحرير افغانستان من هذا الاحتلال، التي قد تكون لها تأثيرات هائلة يصعب تصور نتائجها على المدى البعيد.

ولابد من الاشارة، إلى أن البحث، لمعرفة الأسباب الكامنة وراء المغامرة السوفياتية في افغانستان، لم يحظ إلا بالقليل من الاهتمام ـــ على عكس جوانب أخرى في هذه القضية، فالحقائق الاساسية تكاد تختفي وسط خضم تغطية اعلامية تكاد تنحصر في حلقة مفرغة عن مفاوضات الغرف المتجاورة في جنيف، وتصريحات المسؤولين السوفيات والامريكان الضبابية.

وقبل استعراض دوافع الاحتلال السوفياتي لافغانستان، من وجهة نظر الحركة الجهادية الافغانية، لابد من التعرف على «التفسيرات» المطروحة من طرف هذه الجهة أو تلك، وفي مقدمتها الادعاءات السوفياتية نفسها، من خلال التصريحات الرسمية، أو الصادرة على رموز سوفياتية مختلفة، ثم «التفسيرات» الغربية، وخاصة الامريكية، الرسمية منها والاكاديمية، وذلك بهدف تجلية طبيعة هذه المواقف، والكيفية التي يتعامل بها الشرق والغرب مع قضايانا الاسلامية الكبرى (افغانستان، فلسطين، أرتيريا...) وبالتالي معرفة ما إذا كانت الدول الكبرى تتعامل مع هذه القضايا بناء على مقتضيات القانون الدولي ومبادىء حقوق الانسان المتعارف عليها عالميا، أم أن هناك «منطقا» آخر، يجب تعريته وفضحه باستمرار، ومواجهته بالطرق المناسبة، مادامت الأمة الاسلامية مستهدفة في عقيدتها وأرزاقها وأمنها ودورها الحضاري

التبريرات السوفيتية

تعاقب على قيادة السلطة في الاتحاد السوفياتي ــ منذ هجومه العسكري على افغانستان ــ أربعة من الزعماء : برجنيف، أندروبوف، تشرننكو، وأخيرا غورباتشيف. وكلما هلك أحدهم وخلفه آخر تساءلت وسائل الاعلام عما إذا كان الزعيم «الجديد» سيتعامل مع المشكلة الافغانية بطريقة مخالفة لسابقه، في اتجاه حلها عن طريق سحب القوات السوفياتية المحتلة (وهذا ما ردده باستمرار كل واحد منهم في مناسبات مختلفة) كما يطالب به الرأي العام العالمي.

والملاحظ، أنه رغم تنوع التصريحات السوفياتية الرسمية، إلا أن القيادات وأجهزة الدعاية السوفياتية، لم تذكر قط، الاسباب الحقيقية الكامنة وراء قرارها باحتلال افغانستان واستمراره، **ومع ذلك، فإن الحرب التدميرية، بقيت سياسة ثابتة، ولم يطرأ عليها أي تغير لدى القيادة السوفياتية، رغم تعاقب الزعماء الأربعة على كرسي الامبراطورية.**

والموقف السوفياتي الرسمي، يدعي أن القوات السوفياتية دخلت إلى افغانستان بناء على **طلب** من حكومة كابل وأن هذه القوات ــ حسب تصريح بريجنيف لجريدة برافدا السوفياتية في 1980/1/13 «ستنسحب من افغانستان بمجرد أن يتم القضاء على الاسباب التي دفعت القادة الافغان إلى **توجيه طلبات إلينا** بإرسال قوات عسكرية»[1] ومع ذلك، فإن المسؤولين السوفيات، **لايخفون أنهم، باحتلالهم لافغانستان، إنما يعملون للحفاظ على مصالحهم قبل** أي شيء آخر، وبالتالي، لايرون أن هنالك تناقضا بين كونهم **دعوا** إلى التدخل في افغانستان، وبين دفاعهم عن **مصالحهم الوطنية**، ففي استجواب أجرته مجلة دير شبيغل الالمانية مع يوري اندروبوف (العدد 13 لسنة 1983)، وهو الذي تولى إدارة جهات المخابرات KGB مدة طويلة قبل توليه السلطة، صرح «... أن الولايات المتحدة، لايمكن ألا تكترث لما يحدث في نيكاراغوا، وهي تبعد عنها كثيرا، **في حين أن افغانستان، تقاسمنا جزءا طويلا مشتركا من الحدود، إننا ندافع عن مصالحنا الوطنية** عندما ندافع عن افغانستان»[2] أما غورباتشيف، فقد أشار صراحة، في خطابه أمام المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي بتاريخ 1987/2/25 إلى من وصفهم بأنهم «**يحاولون خلق الاضطراب على حدود الاتحاد السوفياتي**...»[3] وذلك في معرض حديثه عن قضية أفغانستان.

إن من المهم جدا، التوقف قليلا عند مفهوم «الحفاظ والدفاع عن المصالح الوطنية» لدى القيادة السوفياتية، وعلاقته باحتلالها لأفغانستان : ففي البدء، كان حديث هذه القيادة عن «استجابة» فقط لنداءات «حكومة صديقة» لصد «عدوان خارجي» تتعرض له افغانستان، وهذا «العدوان» تساهم فيه، بالتحديد، الولايات المتحدة وباكستان والصين. لماذا إذا تغيرت النغمة، لتتحول إلى حديث صريح عن «المصالح الوطنية للاتحاد السوفياتي» ؟ إن مفهوم المصلحة الوطنية عند الدول الكبرى يأخذ دائما معنى خاصا، له علاقة بالهيمنة التي لايمكن أن تكون موضوع تهاون أو مساومة ــ في إطار التدافع فيما بينها ــ إلا إذا اقتضت «المصلحة» أيضا الدخول في مساومة مع هذا الطرف أو ذاك... ويمكن أن نجد أمثلة على استحكام مفهوم «المصلحة» لدى القيادة السوفياتية في فترات مختلفة من التاريخ المعاصر : ففي الوقت الذي كان الغرب الاستعماري مثلا في حالة حرب طاحنة مع النظام النازي الهتليري، كان السوفيات قد وقعوا معاهدة عدم اعتداء مع هتلر، ولم يصبح هذا الأخير عدوا إلا بعد أن شن هجوما عاما على الأراضي السوفياتية، وأصبحت ذكرى هزيمة ألمانيا الهتليرية عيدا وطنيا يحتفل به كل سنة في الاتحاد السوفياتي.

وعندما طرح الاتحاد السوفياتي مشروع تقسيم فلسطين في الامم المتحدة، في خريف سنة 1947، ودافع بعنف معنوي وسياسي بالغ على «**حق الشعب اليهودي في إقامة وطنه القومي في فلسطين**»، وعندما فتح أبواب الهجرة اليهودية منذ عام 1919 ولم يغلقها إلى الآن، لتغذية جسم الدولة اليهودية بدماء متجددة، وباعترافه القانوني الكامل بها فإنه ــ بمواقفه هذه ــ لاينسجم مع مبادىء القانون الدولي العام أو ميثاق الامم المتحدة أو غيرها من القواعد الحقوقية العامة ذات العلاقة بحقوق الشعوب والافراد، وإنما يصدر عن اعتبارات منفعية تراعى فيها الاسبقية المطلقة لمصلحة الدولة السوفياتية، وإذا ماحدث أي تعارض بينها وبين مصالح طرف أو أطراف أخرى مستضعفة فلا قيمة لها حتى ولو كانت كل القواعد والقوانين لصالحها، وحتى لو أدى به الأمر لأن يتعرض للعدوان المنهجي الهمجي. وكمثال آخر، دعم السوفيات القوي والمستمر للنظام العسكري الاثيوبي في حربه ضد الشعب الاريتري المسلم الذي يخوض حرب التحرير الوطنية منذ أكثر من عشرين عاما، ولايستطيع أي أحد، بما في ذلك السوفيات، أن يبرر تحولهم المفاجىء، من مناصرة القضية الاريترية عموما، وبعض فصائل المقاومة الاريترية اليسارية خاصة، على عهد هيلاسيلاسي، إلى عداء للشعب الاريتري وطعنه غدرا، إلا إذا أدرج هذا التحول الجذري في الموقف، ضمن استراتيجية الاتحاد السوفيتي في منطقة البحر الأحمر الحساسة بصفته «دولة عظمى» لها «مصالحها» بغض النظر عن مضاعفات هذه «المصالح» على شعوب أخرى...

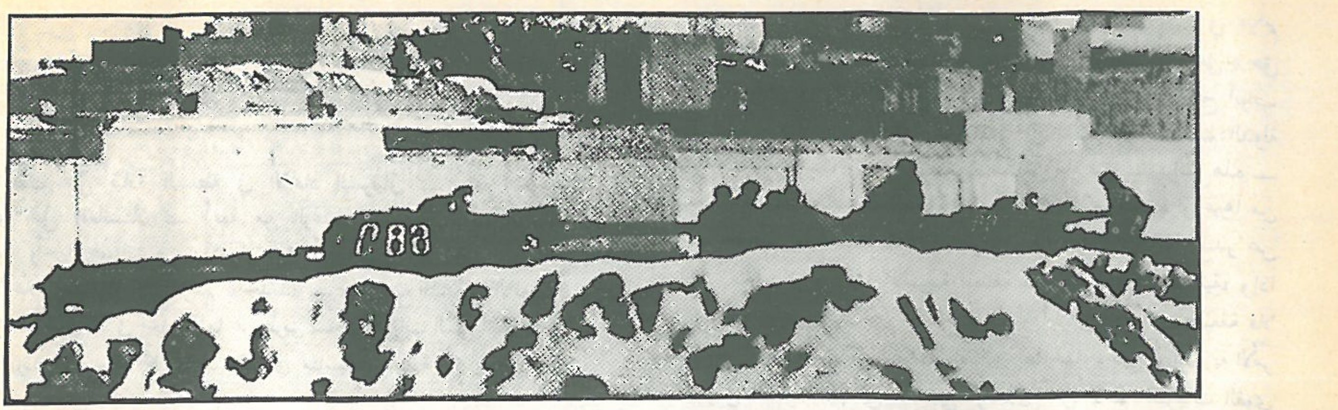
وبالنسبة للأدعاء الاصلي، القائل أنهم (أي السوفيات) تدخلوا في أفغانستان بناء على طلب «القادة الافغان» **فهو ادعاء سخيف لايكاد يصدقه** أحد لأسباب عديدة منها :

1 ــ أن «القادة الافغان» وعلى رأسهم حفيظ الله أمين الذي تولى السلطة بعد التصفية الدموية لزعيم «الثورة» نور محمد تراقي الذي كان رئيسا له، **كانوا هم أنفسهم، وخاصة أمين، أول من صفتهم القوات السوفياتية في كابل عندما** دخلتها **عصر يوم 27 ديسمبر 1979** ونصبت **بابراك كارمال مكانه في نفس اليوم**، (وسيأتي تفصيل هذا لاحقا) فيكف يستقيم الادعاء مع هذه النهاية المخزية للقادة الافغان «الاصدقاء».

2 ــ أن جميع قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، بأغلبية دولية ساحقة في كل دورة منذ عام 1979، **أعتبرت المسألة احتلالا عسكريا أجنبيا وليس شيئا آخر، وأنه يتعين على السوفيات أن ينسحبوا من افغانستان بدون قيد ولا شرط، وأعلنت صراحة، في جميع قراراتها أن الشعب الافغاني حر في تقرير مصيره بنفسه، وله الحق الكامل في اختيار نظامه الاجتماعي الذي يرتضيه لنفسه**، (وهذا من البديهيات التي لايمكن أن يماري فيها اثنان) وأن الاحتلال العسكري السوفياتي لأفغانستان هو انتهاك صريح لميثاق الأمم المتحدة من عدة أوجه...

3 ــ أن النظام الحاكم في افغانستان ليست له أية شعبية أو شرعية دستورية، بل استلم السلطة بانقلاب عسكري، ومارس أشكالا من الابادة الجماعية في منتهى الفظاعة لقطاعات من الشعب الافغاني تم توثيقها رسميا سواء من خلال منظمة العفو الدولية (انظر الفصل الخاص بحقوق الانسان في افغانستان) ومن خلال لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة، أو من خلال شهادات العديد من الهيئات والشخصيات المحايدة، وهو ــ إضافة إلى هويته الدموية ــ مجرد هيكل صوري، أما المتحكم الحقيقي في مقاليد البلاد، فهم السوفيات، دون الحديث عن مظاهر الاحتلال العسكري بالمعنى الحرفي للكلمة ورضى «القادة» الافغان به، وهذا يذكرنا بحكومة فيشي في فرنسا في الحرب العالمية الثانية، التي كان هتلر يتحكم فيها تماما.

وفي هذا الاطار، يشير الفقيه القانوني الشيلي المعروف خوسي اتشفريا José Echeverria إلى أن مغتصبي السلطة المتعطشين لها من الانقلابيين



صورة لجانب من أحد الاحزمة الامنية التي تطوق كابل

وأضرابهم، لايعتد بحكمهم أو قراراتهم لافتقادها الشرعية من أساسها ولتعارض حكمهم مع المصالح العليا لشعوبهم، حتى ولو وجد هذا الحكم قبولا بحكم «الأمر الواقع»(4).

4 ـــ أن «العدوان» الخارجي الذي يزعمه السوفييت، لاوجود له اطلاقا، بل تعلق الأمر، منذ **ماقبل الاحتلال العسكري السوفياتي، بمعارضة شعبية أصيلة قادتها الحركة الاسلامية في افغانستان، وكانت ولاتزال، حركة جهادية مستقلة في جميع مكوناتها العقدية والتنظيمية والقتالية، ولم تكن في أية فترة من الفترات ذات علاقة بأي طرف خارجي**، أما مايقال عن دورباكستان وانطلاق «المتمردين» من أراضيها، فهو حق بديهي يخوله القانون الدولي. نفسه لكل الشعوب التي تعاني من ويلات الاحتلال العسكري، علما بأن حركة الجهاد توجد **داخل** افغانستان، وفي جميع انحاءها، وليس خارجها.

5 ـــ إن وجود **مايقارب الستة ملايين من المهاجرين** (في باكستان وإيران) حسب الاحصائيات الرسمية للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (انظر الفصل الخاص بقضية المهاجرين) يجعل منها **أكبر حركة هجرة قسرية في التاريخ**، ومانتج وينتج عنها مشكلات لاحصر لها وعلى جميع المستويات، الصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والامنية... وهذا النزوح، لهذا العدد الهائل من الناس، يذكر بشيء واحد شبيه به وهو الهمجية الصهيونية التي أدت إلى نزوح مآت الآلاف من الفلسطينيين إلى البلدان العربية المجاورة لفلسطين طلبا للأمن مؤقتا، على أمل العودة إلى ديارهم. **هذه الهجرة التي لايوجد لها مثيل، كانت نتيجة مباشرة للاحتلال العسكري السوفياتي، وليس لأي سبب آخر.**

وبموازاة التصريحات الرسمية، هناك مصادر سوفياتية أخرى، تقترب أكثر من ذكر الاسباب الاصلية لقيامهم بأول وأخطر تدخل عسكري مباشر خارج حدود حلف وارسو (المجر في 1956 وتشيكو سلوفاكيا في 1968) وفي دولة من دول العامل الثالث الأكثر تخلفا (بمقاييس التخلف الشائعة)، إلا أن هذه التصريحات نادرة، إذ من عادة السوفيات ألا يعلنوا عن الكثير من أفكارهم ومواقفهم...

ففي كتاب صادر باللغة الروسية بعنوان : «الاسلام في الاتحاد السوفياتي» تم تحديد أعداء «حكومة الشعب والثورة» في افغانستان، بأنهم هم «**الاخوان المسلمون، عملاء الامبريالية العالمية والقوى الرجعية**» الذين «استعملوا الشعارات الاسلامية، بغض النظر عن كون أغلبية المؤمنين ورجال الدين، ساندوا سياسة الحكومة الثورية في افغانستان»(5).

وهناك تصريح مشابه، لأحد الاكاديميين السوفيات البارزين، أورده هارمون إي كربي في اجتماع للخبراء السوفييت والامريكيين، تسائل فيه هذا الاكاديمي السوفيتي قائلا : «**لماذا لايتركنا العالم وشأننا في أفغانستان ؟ ألا تفهمون أننا نؤدي صفقة العالم ؟ إن سلفيا من أفغانستان، لاتهمه مصلحة الاتحاد السوفياتي ولا مصلحة الولايات المتحدة ولامصلحة أي شخص آخر، ومن أجل هذا، اتركونا وشأننا**»(6).

ومن الواضح تماما أن هذين النصين، متطابقان فيما يتعلق بتحديد الاعداء في افغانستان (أي أعداء السوفييت وعملائهم الافغان) وهما على درجة من الصراحة والوضوح مما لايحتاج معهما إلى مزيد، وبغض النظر عن صفة «العمالة للامبريالية والرجعية» فإن المهم هو ابراز التناقض بين الادعاءات الرسمية حول أسباب احتلال السوفييت لافغانستان (التدخل الخارجي) وبين اعتبار الحركة الاسلامية في افغانستان بمثابة العدو الحقيقي الذي يطالب السوفيات بأن «يتركوا وشأنهم» في التعامل معه.

إن عبارة «اتركونا وشأننا» صادرة عن الشعور بالعظمة، وهم يرون أن لهم كامل «الحق» (أي القوة) للقيام بكل ماهو «ضروري» لصيانة «مصالحهم». هذا الشعور بالعظمة الطاغية لدى الدولة الماركسية الأم، يمكن أن نتلمس أصوله في تفكير وموقف كارل ماركس وفردريك انجلز، إذ من المعروف أنهما كانا متحمسين لحركة الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر، فقد اعتبر ماركس أن «هناك شعوبا **يجب أن تستعمر** من أجل خير البشرية» ! كما «**حيا استعمار افريقيا الشمالية كعمل رفيع من أعمال الحضارة**» كما اعتبر رفيقه إنجلز الاستعمار الفرنسي للجزائر بأنه «**عمل إيجابي**»، بل إن ماركس وإنجلز «اعطيا لكل قوة أوروبية. دورا خاصة في **استعمار وتحديث** (!) جزء محدد من العالم لايزال **بربريا**، ولاتوجد قوة استعمارية ليس لها دور خاص تضطلع به في هذا المجال»...(7).

ما المانع إذا، من الهجوم على دولة «متخلفة» حفاظا على مصالح الامبراطورية ؟

التحليلات الغربية

هناك اختلاف واضح ـــ بصفة عامة ـــ بين مواقف الدوائر الرسمية الغربية، وبين الدوائر الاكاديمية، فيما يتعلق بالكشف عن الاسباب الكامنة وراء إقدام الاتحاد السوفياتي على احتلال افغانستان.

وإذا كان الاكاديميون، بحكم تخصصهم، يميلون إلى الكشف عن الدوافع العميقة لسلوك السوفيات العدواني تجاه هذا البلد المسلم الأصيل، مع تفاوت فيما بينهم في مستوى التحليل والموضوعية، فإن المسؤولين الحكوميين الغربيين، يتجاهلون كلية، الحديث عن هذه الدوافع، على الأقل، في وسائل الاعلام الموجهة للرأي العام، ويركزون الخطاب على المطالبة بانسحاب القوات السوفياتية طبقا لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

والقضية الافغانية، تندرج — في نظر الدوائر الرسمية الغربية — ضمن **المشكلات الاقليمية** ذات العلاقة الوثيقة بسياسة الوفاق، أي التفاهم على مناطق النفوذ، بين القوتين العظميين، من زاوية توافق أو تعارض «المصالح الحيوية» لكل منهما في هذه المنطقة أو تلك من الخريطة السياسية الدولية.

إلا أن هذا لايعني أن الدوائر الغربية — السياسية والاعلامية — لم تحاول تعميم تفسيرات معينة بخصوص قضية أفغانستان، وخاصة الدوائر الامريكية، بل حاولت هذه الأخيرة بالذات، وعلى أعلى المستويات السياسية، الايحاء باستمرار، بأن الاجتياح السوفياتي لأفغانستان، إنما يندرج في إطار خطة توسعية سوفياتية، **بهدف الوصول إلى ماسمي بالمياه الدافئة في الخليج**، ذات الأهمية الاستراتيجية الفائقة، وبالتالي، ليس أمام دول الخليج سوى **الاحتماء بالمظلة الامريكية** في مواجهة «البُعبُع» السوفياتي.

فقد سبق للرئيس الأمريكي جيمي كارتر، في فبراير 1980 (بعد أحداث إيران وافغانستان مباشرة) في خطاب حكومة الاتحاد، أن طرح ماعرف **بنظرية كارتر** Carter Doctrine، حيث **شدد على مصالح الولايات المتحدة في الخليج**، وبعد هذا الخطاب مباشرة، أنشأت الهيئة المعروفة باسم «وحدة الانتشار السريع المشتركة» في 1 مارس من نفس السنة[8]. وكان الزخم الاعلامي، في تلك المرحلة يصب في هذا الاتجاه، أي التهويل بوجود خطر سوفياتي زاحف على الخليج على اعتبار أن السوفييت، باحتلالهم لأفغانستان، لم يبق بينهم وبين الخليج سوى 500 ميل، مقابل «حرص» الولايات المتحدة على حماية أمن الخليج وكذلك باكستان من هذا الخطر المزعوم.[9]

لقد كان كارتر في غاية الوضوح عندما قال في اجتماع أمام أعضاء هيئة الأمن القومي، والبانتاغون والوزراء «...**إن قضايا العالم الخارجي وأوجاعه تفيدنا في الشارع الأمريكي، وهذا الشارع حاصل الآن على النفط العربي، وهو يشكرنا على ذلك، والمشاكل هناك تضمن لنا التصاق العالم العربي النفطي بنا، وهذا هو الاهم حاليا... الثورة في افغانستان أعطت حتى الآن نصف مليون لاجىء، عدم تحركنا في الماضي كان ضربة محكمة، فلابأس أن يتعذب الثوار، وأن يكثر اللاجئون، وأن تحتار باكستان فيما يجب أن تفعله، وهذا كله يحرك الشعوب الاسلامية للنظر فيما يجب أن تفعله من أدوار مستقبلية هي حكما ضد الاتحاد السوفياتي، إلى أن يفهم المسلمون، بعد الضيم والوجع أن تعاونهم مع الولايات المتحدة هو في مصلحتهم، وأن الاتحاد السوفياتي هو الخطر عليهم**»[10].

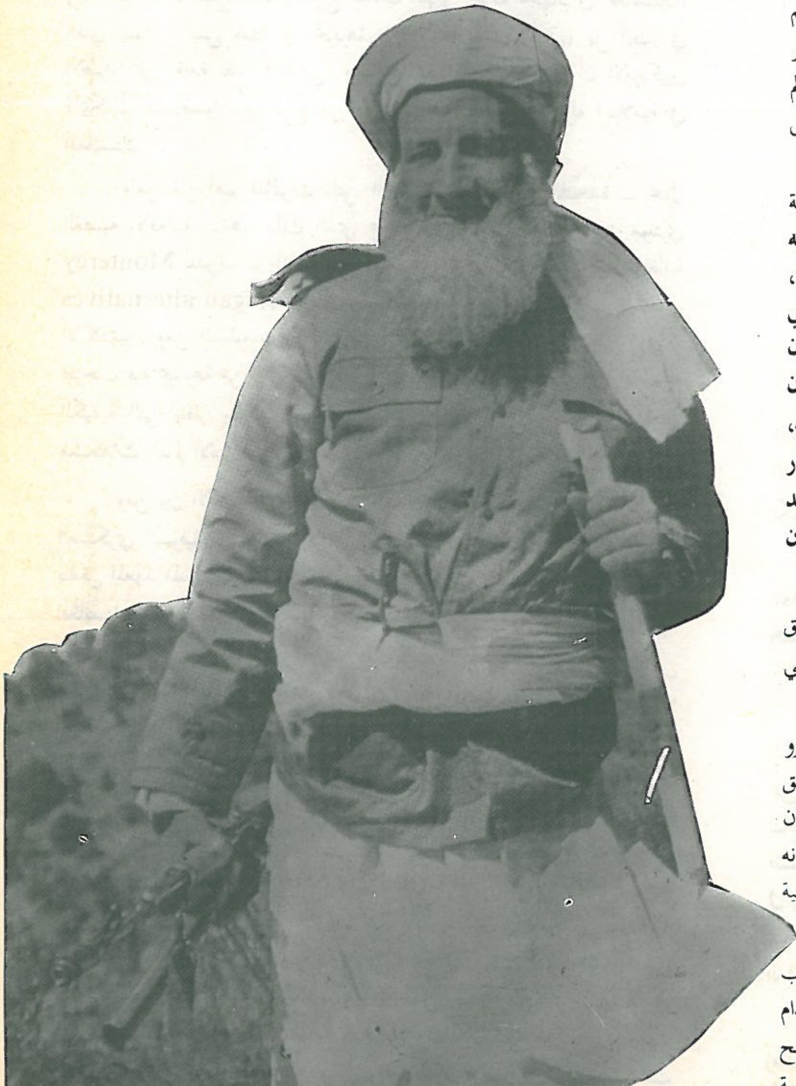
إن عبارة «عدم تحركنا في الماضي كان ضربة محكمة» في المنطق الامريكي الرسمي، تقابلها عبارة «اتركونا وشأننا» التي فاه بها ذلك الاكاديمي السوفياتي والتي تعبر بدورها عن المنطق السوفياتي...

وعدم التحرك، يعني اشياء كثيرة، من بينها معرفة أمريكية مسبقة بالغزو (وهناك دلائل أخرى سيأتي ذكرها لاحقا)، ويعني أيضا — وهذا من حق الملاحظ استنتاجه — موافقة ضمنية أو مضمرة على هذا الغزو، أما لماذا، فإن بقية عبارات جيمي كارتر من الوضوح بحيث لاتحتاج معه إلى مزيد، غير أنه يتعين على المسلمين أن يعوا جيدا المنطق الأمريكي في تعامله مع القضية الافغانية، على غرار تعامله مع القضية الفلسطينية...

أما إذا انتقلنا إلى تحليلات الاكاديميين الغربيين، فسنجدها تتسم بنسب متفاوتة من العمق، إلا أنها تكاد تجمع كلها على أن السبب الجوهري لاقدام الاتحاد السوفياتي على احتلال افغانستان بقوة السلاح، يتمثل في كونه أصبح معرضا «للاختراق الاسلامي» من جهة «بطنه الرخو» أي من الجهة الجنوبية لآسيا الوسطى ذات الحدود الطويلة مع افغانستان وإيران، وذات الأهمية الفائقة بالنسبة للسوفيات.

ومن الاسماء الاكاديمية البارزة التي تناولت القضية الافغانية العلامة فانسان مونتاي Vincent Monteil (الذي اعلن اسلامه بعد صلاة جمعة في المسجد الكبير بنواكشوط سنة 1977 وسمى نفسه «المنصور»، وهو معروف بمواقفه القوية ضد الصهيونية) الذي يرى أن تصاعد **الثورة الاسلامية** ضد نظام أمين، جعل السوفيات ينظرون إلى افغانستان بعين الهلع بحكم التصاقه بحدودهم الجنوبية وبـ «تركستانهم»، وهذا ما حدا بهم إلى اجتياحه في 27 ديسمبر 1979 حاملين معهم كارمل لينصبوه في كابل بعد تصفيتهم لأمين في نفس اليوم[11].

أما ألكسندر بنيجسن A. Bennigsen (وهو من ابرز المختصين في تاريخ آسيا الوسطى وتوفي في يوليو 1988)، فقد تساءل في مرحلة أولى عما إذا كانت دلالة الاندفاع السوفياتي في افغانستان، تتعلق باستراتيجية دفاعية تهدف إلى حماية المناطق الجنوبية من الامبراطورية من عدوى ايديولوجية خارجية، أم أنها بداية لغزو مناطق أخرى من العالم الاسلامي (وذلك بعد أن استعرض تطور النفوذ السوفياتي في البلدان العربية)[12]. وبعد مرور بضع سنوات على الاحتلال، اقتنع هذا الخبير بأن سبب الاحتلال يعود إلى **خوف الكرملين من المد الاسلامي قبل أي شيء اخر**[13].



وبالنسبة للخبيرة المعروفة هيلين ك. دانكوس Hélène Carrère d'Encausse، فإنها ترى أن الغزو السوفياتي لأفغانستان، لم يكن سوى نتيجة منطقية لجهود الضم التي بدأها السوفيات منذ سنة 1978 عندما كان الانتباه منصبا على مايجري في إيران) وبذلك عمل الاتحاد السوفيات على «إبعاد حدوده عن **تهديد اسلامي جد مناضل Trop militant**»[14].

أما الاكاديميون الامريكيون، فعلى الرغم من الاختلاف الواضح بين وجهات نظرهم فيما يخص أسباب الغزو السوفياتي لأفغانستان، وبالتالي الأهداف المتوخاة منه، إلا أن النقطة المشتركة التي كادوا أن يجمعوا عليها، هي نفسها التي توصل إليها زملاؤهم الفرنسيون.

ومن المفيد أن نشير إلى أن الولايات المتحدة شهدت عددا من المؤتمرات الخاصة بالقضية الافغانية، ولاعطاء فكرة عن زخم هذه المؤتمرات، فإن النصف الثاني فقط من سنة 1983، شهد انعقاد ستة منها، وهذا يدل على أن الامريكيين يعتبرون أنفسهم معنيين جدا بما يجري في أفغانستان، ويحسبون ألف حساب، لا لبقاء السوفيات فيها، بل لقدرة حركة الجهاد في أفغانستان على الصمود في وجه العتو العسكري السوفيات طوال هذه السنوات، وأيضا ــ وهذا هو الأهم ــ بسبب وضوح الهدف النهائي لحركة الجهاد في افغانستان، الذي يتمثل، ليس فقط في تحريرها من الاحتلال السوفياتي، بل أيضا في الاصرار على إقامة نظام اسلامي، وليس هناك أدنى شك، في أن الامريكيين لايمكنهم أن يحسوا بأي نوع من الارتياح وهم يرون قيام دولة اسلامية في افغانستان...

ولعل من أهم المؤتمرات التي انعقدت في الولايات المتحدة ـ حول القضية الافغانية ـ هو ذلك الذي عقد في نوفمبر 1983 بمعهد مونتري Monterey للدراسات الدولية لبحث ما سمي بـ «بدائل» المشكلة الافغانية Afgan alternatives، والذي ضم مجموعة متنوعة ومختارة من الباحثين الاكاديميين ومن الدبلوماسيين المتمرسين الامريكيين وأيضا من دول أوروبية، طرحت فيه مجموعة من العروض والتدخلات، وهي جديرة بالتمعن لمن أراد معرفة الكيفية التي ينظر بها الغربيون، وخاصة الامريكيون، إلى واحدة من أخطر مشكلات العالم الاسلامي[15].

ومن بين الاكاديميين الامريكيين الذين تناولوا بالبحث، أسباب التدخل العسكري السوفيات في افغانستان، يوري فالنتا Youri Valenta الاستاذ بنفس المعهد المنظم للمؤتمر، وهو يرى أن السوفييت «لم ينظروا إلى الموقف في افغانستان من فراغ، بل من خلال المسار الاقليمي الشامل، وفي تقديراتهم، كان الموقف في افغانستان معقدا للغاية بسبب الثورة الايرانية، التي كان من الممكن أن تنتشر في المنطقة وتبتلع دولا أخرى غير مستقرة، لقد دفع السوفيات في الظاهر إلى دخول افغانستان **ليكبحوا الحركات المعادية** في المنطقة، وعدم الاستقرارا الداخلي في افغانستان، وبهذا يدفعون ماقد يتسرب من آثار عن الاتحاد السوفياتي. إلا أن هذا التعلل بالدفاع، قد يخفي أغراضا هجومية أبعد من هذا : فبتدخلهم في افغانستان، حصل السوفيات على موضع أكثر تقدما في آسيا يعزز مقدرتهم الاستراتيجية فيها ويسهل عليهم تحقيق أهدافهم في آسيا والخليج الفارسي »[16].

وبالنسبة لروبرت ج. نيومان Robert G. Newman الذي قضى سنوات طويلة في العمل الاكاديمي، كما عمل سفيرا للولايات المتحدة في أفغانستان والمملكة العربية السعودية والمغرب، وهو حاليا من أبرز خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية بواشنطن وكبير وفد الخبراء الامريكيين الذي يتباحث ــ بشكل منتظم ــ مع مجموعة من الخبراء السوفيات حول القضية الافغانية، **يوافق على أن تخوف الاتحاد السوفياتي من وصول المد الاسلامي إلى آسيا الوسطى، يشكل أحد الاسباب الجوهرية الكامنة وراء احتلال السوفيات لافغانستان**[17].

أما هارمون أ. كيرلي، فقد ذكر أن الاكاديميين السوفيات ــ من خلال لقاءاته معهم «... كانت تقلقهم، على نحو أكثر أهمية، مدلولات الثورة الخمينية والسلفية، وأفغانستان في المحل الأول، ثم جمهوريات آسيا الوسطى الخاصة بهم»[18].

لكن التحليلات الصادرة عن الاكاديميين والمسؤولين الحكوميين الامريكيين، لم تكن قط منفصلة على الرؤية المصلحية للولايات المتحدة في إطار تناقضاتها التقليدية مع الاتحاد السوفياتي على مستوى النفوذ الاقليمي لكل منهما في مناطق مختلفة. ويجب التشديد هنا على أن اعتراف الخبراء الامريكيين بالأهمية الخاصة للعامل الاسلامي في قرار السوفيات باحتلالهم لافغانستان، لايتضمن بالضرورة تعاطفا ما مع هذا العامل، بل إن النقيض هو الصحيح.



رؤية المجاهدين الافغان

نادرا ما تتاح الفرصة لوجهة نظر المجاهدين الافغان أن تجد طريقها إلى اسماع الرأي العام العالمي، في كل ما يتعلق بمكونات قضيتهم، فالتعتيم الاعلامي على تحليلاتهم ومواقفهم السياسية، فضلا عن جهادهم اليومي يكاد يكون تاما، على الرغم من أن حجم قضيتهم وخطورتها لايحتاجان إلى نقاش !

وإذا كانت حركة الجهاد العامة في أفغانستان، تديرها عدة أحزاب، تتفاوت فيما بينها من حيث الحجم والتنظيم، إلا أن **الاجماع بينهم حاصل بخصوص القضايا الرئيسية المتعلقة بقضية وطنهم**، سواء من حيث أسلوب حلها، أو الاهداف المتوخاة من وراء جهادهم الطويل المرير.

ومن بين النقط التي يجمعون عليها، وهذا مهم جدا، هي تحليلاتهم السياسية المتعلقة بأسباب احتلال الجيش السوفياتي لبلادهم، ويمكننا أن نعتمد على أي مصدر من مصادرهم لهذا الغرض، بقي أن نشير، قبل عرض مختصر لتحليلهم، إلى أنه لايأخذ طابعا شوفينيا، أو جغرافيا ضيقا، بل يضعون قضيتهم ضمن **منظور تاريخي وسياسي عام** مرتبط بتطور الاوضاع في العالم الاسلامي **في إطار الصراع التاريخي مع الغرب**، كما يلاحظ تركيزهم على **ظاهرة الترابط** ــ سلبيا وإيجابيا ــ بين مختلف أجزاء العالم الاسلامي في تطورها السياسي العام خلال القرن الحالي.

ففي كراس صادر عن «حزب اسلامي افغانستان»[19] كتبه محمد زمان مزمل، عضو اللجنة السياسية للحزب، عنوانه «اسباب الاحتلال الروسي وأبعاد المقاومة الافغانية»، نجد عدة أسباب مختلفة أوردها الكاتب، إلا أن السبب الأول والرئيسي يتعلق بما سماه : «التآمر على الاسلام، والمخاوف السوفياتية»، وفيما يلي، الاطار العام الذي يدور فيه تحليل المجاهدين الافغان لخلفيات الاحتلال السوفياتي لوطنهم :

«بعد قرن من الحملات الاستعمارية التي كان العالم الاسلامي عرضة لها، تلك الحملات التي كان قوامها النهب المستهتر والمتهور للموارد الطبيعية الغنية، والذي ترتب عنه مالا يحتاج إلى تفصيل من.شل للطاقات والفعاليات، لعبت فيه الحكومات الواقعة تحت هيمنة المستعمر، الدور الاساسي، صحا العالم الاسلامي من سباته.

وبعد شعور العدو ببوادر هذه الصحوة، أصبح العالم الاسلامي هدفا لمؤامرة دولية تستهدف أساسا مصادر القوة في هذا العالم، وعلى رأسها الدين الاسلامي. ثم إن روح الحماس الذي طال الاقطار الاسلامية، انتشرت بسرعة فائقة تحت شعار العودة إلى تبني المفاهيم التي ترتكز عليها الحياة الاسلامية، وتحت شعار تجديد دولة الخلافة عقديا وسياسية، ثار العالم الاسلامي ضد الحملات الاستعمارية الجديدة، ومع اهتزاز أسس الاستعمار، توجهت العناية نحو انجاز بحوث ودراسات مفصلة، للكشف عن أسباب هذه الصحوة الاسلامية المعاصرة، وكان من نتائج هذه الدراسات، القول أن الاسباب الكامنة وراء هذه الصحوة ثلاثة هي :

1 ــ الوحدة الفكرية والثقافية الناجمة عن اعتبار القرآن منهجا معصوما شاملا.

2 ــ الوحدة السياسية التي يوجهها الحنين إلى الخلافة باعتبارها البنية السياسية التي يحتاج إليها العالم الاسلامي لمواجهة الضغوط الاستعمارية الخارجية.

3 ــ الوحدة التاريخية، فالمسلمون يتقاسمون تاريخا مشتركا هو تاريخ وطنهم الموحد المترامي الاطراف، والذي طالما وقف وقفة رجل واحد، صامدا في وجه كل الاعتداءات طيلة 13 قرنا.

وللاجهاز على الصحوة الاسلامية، ساعدت القوى الاستعمارية على :

1 ــ قيام الحركات القومية والحركات الانفصالية المتطرفة التي أثارت عاصفة التعصب العقدي.

2 ــ تقويض الخلافة الاسلامية العثمانية التي كانت ــ بالنسبة للشعوب الاسلامية ــ رمزا للوحدة السياسية والوحدة.

3 ــ منح الاستقلال بإجلاء القوات العسكرية وتسليم السلطة للعملاء واصطناع حدود جغرافية جديدة.

4 ــ نشر العقائد الالحادية تحت اسم الديموقراطية، وتصفية العناصر الاسلامية الواعية بأسرار اللعبة، تحت شعار، الاجهاز على أعداء التقدم.

5 ــ اثارة الصراعات والخلافات السياسية بين العملاء لتكريس التخلف الصناعي والزراعي والتبعية السياسية في العالم الاسلامي.

يتبين مما تقدم، كيف أثار الاستعماريون المشاعر القومية في نفوس العرب، والمسيحيين منهم على الخصوص. خذ مثلا الشريف حسين، الذي ثار ضد الخلافة بدعوى إقامة «الدولة العربية الكبرى» تلك الدعوة التي كانت من إيحاءات المستعمر. لأجل ذلك، اجتهد الشريف في الأخذ بأسباب تقويض الخلافة، إلا أن «الدولة العربية الكبرى» المزعومة لم تتحقق، والذي حدث، هو أن البلدان العربية خضعت للاستعمار الانجلو ــ فرنسي وفق ماتم تسطيره في معاهدة سايكس ــ بيكو».

ويرى المجاهدون الافغان ــ في هذا الاطار العام ــ القضية الفلسطينية من هذه الزاوية. «**هكذا تم الاجهاز على القوة العربية بدعوى القومية العربية، وتم تقويض الحصن المنيع الذي كان من المفروض أن ينتصب حاجزا دون وقوع فلسطين صريعة في أيدي الصهاينة، إن الحلم اليهودي بإقامة دولة اسرائيلية في قلب العالم الاسلامي، أضحى واقعا متحققا بسبب بث سموم العقائد القومية في الجسم العربي، وتشتت العالم الاسلامي وأصبح دويلات مجردة من كل أسباب القوة**».

ومن العام إلى الخاص، ينتقل التحليل إلى القضية الافغانية.

«**افغانستان كانت جزءا من العالم الاسلامي الذي وقع فريسة لبريطانيا، إلا أن المسلمين في افغانستان حملوا السلاح ونادوا «حي على الجهاد» وحاربوا بجسارة وشجاعة إلى أن اقتنعت بريطانيا بضرورة الانسحاب من أرض الزلازل والاعاصير...**

في هذه الفترة كانت روسيا (بعد الثورة ــ الهدى) **تشكو من تدهور داخلي في النظام السياسي، وخاصة في الجمهوريات الاسلامية** (في آسيا الوسطى)[20] **وبريطانيا هي الأخرى أبدت تخوفاتها من ثورة اسلامية عارمة متوقعة تهدد موقعها في الهند. لأجل ذلك انبرت كل من روسيا وبريطانيا لتهدئة الاضطراب والهياج الافغاني، فتم الاعتراف بالدولة الافغانية محاولة منهما لايقاف المد الثوري الاسلامي في ماوراء نهر الاوكسوس وممر خيبر، وهكذا استرجعت افغانستان حريتها في الوقت الذي كان العالم الاسلامي برمته يرزح تحت وطأة الاستعمار...**».

وبسبب الطابع الاسلامي العميق، الذي تميز به الشعب الافغاني باستمرار، فإن نشوء الحركة الاسلامية المعاصرة في افغانستان في الستينات، أثار مخاوف حقيقية لدى موسكو لما يمكن أن يترتب على نموها وتجذرها من مضاعفات، ليس فقط بالنسبة لمستقبل أفغانستان السياسي، ولكن أيضا بالنسبة للحساسية الشديدة للقيادة السوفياتية تجاه ما يمكن أن يحصل في آسيا الوسطى لو قامت حكومة اسلامية في افغانستان.

وهكذا اعتبر التحليل، انقلاب العسكريين الماركسيين في ابريل 1978 بمثابة «**الضربة الشيوعية التي اعتمدها السوفيات كخطوة تمهيدية لافتراس أفغانستان... وعلى الرغم من تصديرهم للفكر الماركسي والبرامج الالحادية إلى الجمهوريات الاسلامية، ظل من المستحيل استئصال العقيدة من قلوب الاجيال الجديدة، ناهيك عن الآباء والأجداد. لأجل ذلك، ثبت لديهم أن هذه العقيدة ستظل قنبلة موقوفة مهيأة للانفجار متى ضغطت العناصر المجاورة ــ أمثال الافغانيين المسلمين ــ على الزر الخطير. إن الشيوعيين في موسكو، يزعجهم وجود مثل هؤلاء على مشارف الجمهوريات الاسلامية ويقض مضاجعهم...**».

الاسلام، هل يخيف السوفييت حقا ؟

إنه من الاهمية بمكان أن يطرح هذا السؤال ويجاب عليه، لما يمكن أن تتضمنه الاجابة من عناصر تساعد على فهم أفضل لمسألة اسباب ودوافع الاحتلال السوفياتي لأفغانستان.

وباستقراء المصادر العلمية الموثوقة (بما فيها المصادر السوفياتية نفسها) تتكشف حقيقة مذهلة، وهي أن الاسلام، لم يكن يمثل مشكلة للدولة السوفياتية في الماضي فقط، **بل هو مشكل حقيقي راهن ومستقبلي أيضا**، وهو ــ من حيث طبيعته ــ ليس تحديا خطيرا من طرف الاسلام للايديولوجيا الشيوعية في الاتحاد السوفياتي فقط، بل يأخذ ــ في مظاهره الديموغرافية والاقتصادية خاصة ــ أبعادا خطيرة أيضا بالنسبة لمستقبل الاتحاد السوفياتي على المدى البعيد، وربما المتوسط.

ومنذ الثورة البلشفية في 1917، بقي الاسلام يمثل عاملا «داخليا» رئيسيا في تكييف القرار السياسي للدولة السوفياتية فيما يتعلق **بمشكلة القوميات** وما يتبعها من مشكلات أخرى، كمحاربة الاديان، وتطبيق النظام الجماعي في مجال الزراعة، مثلا. وبعد سبعين سنة من قيام النظام الاشتراكي

السوفياتي، يمكننا أن نقوم السياسة السوفياتية تجاه الاسلام بالقدر الذي يكفي لفهم العلاقة بين «**العامل الاسلامي**» واحتلال السوفيات لأفغانستان، لأن موضوع الاسلام في الاتحاد السوفياتي واسع ومشعب ويحتاج لدراسة خاصة.

وبصفة عامة، تعامل السوفيات مع الاسلام، كدين وكواقع بشري وسياسي وتاريخي على مستويين اثنين، رسمي ودعائي :

الموقف الرسمي :

الدين، بشكل عام، في الاتحاد السوفياتي، يعتبر «شأنا خاصا» باعتبار علمانية الدولة السوفياتية، وأيضا، لأن الشيوعية، في شكلها الماركسي اللينيني، هي عقيدتها الرسمية، و«الالحاد المناضل» **l'athéisme militant**، هو أحد الركائز الاساسية في هذه العقيدة، وبالتالي، فالعداء الشديد للدين هو **خاصية أصيلة** فيها بمقتضى الايديولوجية الشيوعية نفسها. والاسلام، كدين، بالنسبة للدولة السوفياتية هو «شأن خاص» كباقي الاديان.

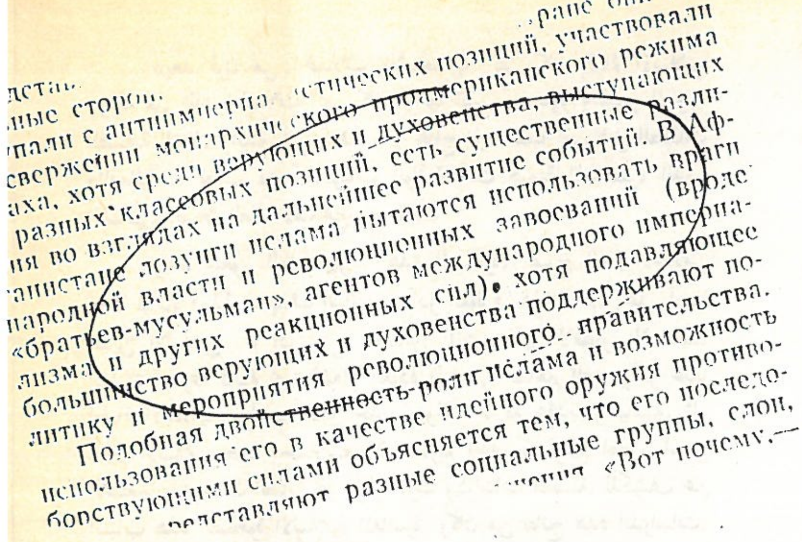
أما كيف يرى المنظرون السوفيات، الدين الاسلامي، رسميا، فيمكن معرفة ذلك من خلال النصوص التالية :

• في سنة 1935 نشرت الموسوعة السوفياتية الصغرى، Malaya Sovietskaya Entsyklopedia وجاء فيها تحت كلمة «اسلام» (المجلد 4 — ص 879، 880) بقلم أ بليايف E. Beliaev ما نصه : «**في روسيا القيصرية، كان الاسلام هو عماد الحكومة، يساعدها على محاربة الحركات الثورية في الاراضي «الاسلامية» وأداة استغلال للجماهير الكادحة المسلمة من طرف رأسماليهم ومالكي الاراضي منهم. وبعد ثورة أكتوبر، أصبح شعارا للعناصر المعادية للثورة في الجمهوريات الشرقية للاتحاد السوفياتي، وأثناء الصراع المكشوف أو السري ضد النظام السوفياتي، حاولت فئة من رجال الدين أن تتكيف مع الاوضاع السوفيتية باختراع نظريات خاطئة حول «شيوعية» القرآن، وتقديم محمد ﷺ كمصلح اجتماعي. وفي جميع الحالات، فإن نجاح بناء الاشتراكية، وقرينها، انتشار الالحاد في الجمهوريات الشرقية للاتحاد السوفياتي، كانت نتائجها تحرير الجماهير الكادحة من القهر القديم للاسلام، الذي يبقى الآن، إيديولوجية الملاكين والمضادين للثورة**»(21).

• ورد في الموسوعة السوفياتية الكبرى Bol'chaya Sovietskaya Entsyklopedia (الطبعة الثانية — المجلد 18، ص 516 — 519) بقلم ل. كليموفتش وهو من جهابذة المنظرين السوفيات، حول كلمة «اسلام» ما نصه : «**ككل الديانات الأخرى، لعب الاسلام دائما دورا رجعيا كأداة للقهر الروحي للعمال من طرف الطبقات الطفيلية المحلية، ولاستغلال شعوب الشرق من طرف المستعمرين الاجانب.**

بعد انتصار ثورة أكتوبر في روسيا، وخلال الحرب الاهلية والتدخل الخارجي، استعمل الاسلام من طرف الثورة المضادة الداخلية والامبرياليين الاجانب لمحاربة الدولة السوفياتية...

وأثناء مرحلة بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي حاولت بقايا الطبقات المستغلة استخدام الاسلام لمحاربة الاشتراكية، رجال الدين المسلمين (استعملت في الترجمة الفرنسية كلمة clergé وهي خاصة بهيئة رجال الدين المسيحيين الهرمية) **عملاء تلك الطبقات، قادوا الصراع ضد التشريع السوفياتي الخاص بالاسرة والزواج، وقاوموا تحرر المرأة ودافعوا عن الحجاب، وارتكبت أعمال ارهابية من طرفهم، استعمل القرآن والشريعة لمقاومة التصنيع والجماعية الزراعية... واليوم، في الاتحاد السوفياتي، لايوجد الاسلام إلا كإحدى بقايا (L'une des survivances) إيديولوجية طبقة المستغلين... الامبرياليون الانجلو أمريكيون يستخدمون الاسلام لمواجهة حركات التحرير الوطنية الثورية في البلدان المسلمة**»(22).



صفحة من كتاب «الاسلام في الاتحاد السوفيتي» يحتوي على تهجمات مقذعة ضد الاسلام والحركات الاسلامية بما في ذلك الحركة الاسلامية في أفغانستان كما في الصفحة أعلاه

• كتب أحد كبار رؤوس الالحاد، ف. أوليشتشوك F. Olechtchouk باسم «اتحاد من لا إله لهم المناضلين» Union des sans-Dieu militants مايلي : «**إن المنظمات الدينية المسلمة، والمساجد [...] هي مراكز نشاط العناصر الوطنية المعادية للسوفيات. أعداء الشعب يخفون خيانتهم تحت راية الدفاع عن الدين... النشاط المضاد للثورة، لرجال الدين المسلمين في الاتحاد السوفياتي هو موجه من طرف جهاز الاستخبارات الياباني**»(23).

• أورد العلامة مونتاي في كتابه «المسلمون السوفيات» (ص 182) نصوصا كتبها كليموفتش أيضا (وهو من أبرز الخبراء السوفيات في الدعاية المضادة للاسلام) في مجلة «العلم والدين» Nauka i Religiia، اعداد يوليو — غشت — وسبتمبر 1965 واصفا فيها الاسلام كـ «**دين لمجتمع طبقي... القرآن يمثل حيفا اجتماعيا كما تم اقراره من طرف الله... وفي الحقبة التي ظهر فيها الاسلام، كان تجارة الرقيق موجودة في شبه الجزيرة العربية، وبالنتيجة، فقد قدس القرآن الاسترقاق Le Coran à sanctifié l'esclavage... وليس من قبيل الصدفة إذا كان القرآن نفسه قد قرر أن الاسلام يشكل ديانة لمالكي الرقيق، والسادة الاقطاعيين** (في الجزيرة العربية ذات الطبيعة الصحراوية ! ! — الهدى) **والتجار، كما يشكل أخرى للفقراء والمقهورين عموما. فالأول يتوجب عليهم أن يخضعوا فقط لله ولرسوله، بينما يتوجب على الآخرين أن يخضعوا لاولئك الذي يملكون السلطة**».

واعتبر كليموفتش أن «**الحركات الاصلاحية، وقابلية الاسلام للتكيف قد تجلت في بلادنا... فالخطباء المسلمون يشيرون، في اتجاه القرآن والسنة، كدليل على أن الاسلام يشكل قوة مساوية force égalitaire** بين الناس، مانحا بذلك طريقا ثالثا للشعوب. وحسب هؤلاء الخطباء، فقد أعطى الاسلام (في عهوده الأولى) — وقبل ظهور كلمة «اشتراكية» لوقت طويل، للانسانية نموذجا لمجتمع بشري لم يعرف أي صراع اجتماعي، أو فقر، أو قهر للانسان من طرف الانسان» وفي جميع الحالات «**فإن الحزب الشيوعي السوفياتي، ينظر بشزر غير قليل إلى نشاطات الدراويش والاخوات الدينية Fratérnités religieuses خارج المساجد، والمعروفة تحت اسم «السلاسل الصغيرة»**».

وبغض النظر عن سخافة الادعاءات المتعلقة بطريقة عرض الاسلام كدين، أو تصوير علماء الدين المسلمين ودورهم، وهي لاعلاقة لها بالتحليل العلمي، فإن الذي يهمنا هو **طبيعة الموقف** من الاسلام لدى السوفيات : فأول

شيء يمكن ملاحظته، هو أن الاسلام يمثل قضية **داخلية** بالدرجة الاولى، أي من صميم البنية السكانية والجغرافية والسياسية، والتاريخية والثقافية والاقتصادية للاتحاد السوفياتي، وليس مشكلا يهم العلاقات بينه وبين بلدان للعالم الاسلامي فقط، فآسيا الوسطى — كما سنرى — تحظى بأهمية استراتيجية على أقصى درجات الاهمية بالنسبة للامبراطورية السوفياتية.

أما الملاحظة الثانية التي تتبدى بوضوح تام من خلال هذه النصوص، فهي أن الدين الاسلامي يعتبر **عدوا** كما أن علماء الدين المسلمين يعتبرون **أعداء** «طبقيين»، ولأن الاسلام وعلماءه أعداء، فقد حرص المنظرون السوفيات على الافتخار بنجاحهم في تقويضه — في جمهوريات آسيا الوسطى — حتى لم يبق منه، في ادعاءهم، سوى **بقايا** (انظر الفصول المتعلقة بوضعية الدين الاسلامي في آسيا الوسطى من خلال المراجع السوفياتية لدى كل من مونتاي، كارير دانكوس، وبنيجسن).

آلة الدعاية السوفياتية والاسلام:

في 24 نوفمبر 1917 أصدرت الحكومة المركزية نداء وقعه كل من لينين وستالين، موجها إلى مسلمي آسيا الوسطى وكان مما جاء فيه: «... **مسلمي روسيا في تترالفولغا، وقيرغيز وسارت سيبريا وتركستان، وترك وتتر ماوراء القفقاس، وتشيتشن وجبليي القفقاس الذين هدم قياصرة روسيا المستبدون مساجدهم وبيوت عباداتهم، واللذين أهنيت معتقداتهم وعاداتهم، اعلموا أن معتقداتكم وعاداتكم ومعاهدكم القومية والثقافية ستكون بعد الآن حرة ومحترمة. نظموا حياتكم القومية بحرية تامة وبلا معارضة من قبل أحد، فهذا من حقكم، واعلموا بأن الثورة كلها وبكامل منظماتها، من منظمة اتحاد المندوبين إلى منظمة العمال إلى منظمة الجنود إلى منظمة الفلاحين، تحمي حقوقكم كما تحمي حقوق كل شعوب روسيا فانصروا إذا هذه الثورة**»[24].

عندما أذاع لينين بيانه الشهير هذا، كان هناك هدف واحد من وراءه، وهو جلب تأييد مسلمي آسيا الوسطى للثورة البلشفية، أي أنه هدف دعائي محض (ويمكننا هنا أن نلاحظ التناقض التام بين ما ذكره لينين عن المسلمين تحت السلطة القيصرية، وماذكره المنظرون السوفيات أعلاه).

ومن المعروف أن محاربة الاسلام في الاتحاد السوفياتي، استعملت فيها، ولاتزال إلى حد كبير، كل الوسائل الدعائية الممكنة: فبالإضافة إلى التربية والتعليم منذ نعومة الاظافر وفي جميع المراحل، كل أنواع لمطبوعات، والصحافة، والراديو والتلفزة والمحاضرات، والأشرطة السينمائية والمسرح، وعدد ضخم من المتخصصين الاجتماعيين الذين يزورون الافراد والاسر في بيوتهم لاجراء حوارات أو يطلبون ملء استمارات لقياس درجات الالحاد أو التدين[25].

وشهدت آسيا الوسطى، بعد التصفية السريعة والعنيفة، لجميع المؤسسات التعليمية والقانونية والاقتصادية والمساجد للمسلمين، حملات هجومية على الدين الاسلامي دون توقف تقريبا، وإن كان يحلو لأجهزة الدعاية السوفياتية، أن تركز على مواد الدساتير السوفياتية المتعلقة بـ «حرية الضمير» وـممارسة الشعائر الدينية».

ولاعطاء فكرة عن ضخامة الجهود التي تبذلها الدولة السوفياتية لمحاربة الاسلام من خلال الكتب فقط، فقد صدر مابين 1954 و1964، 920 مؤلفا معاديا للاسلام بلغات الشعوب الاسلامية المختلفة في آسيا الوسطى وكان نصيب كل قوم كالتالي: الاوزبكيون، 177 عنوانا، الداغستانيون (140)، القازاق (126)، الاذربيجانيون (96)، التاجيك (70)، القرغيز (69)، التتر (65) التشيتشن انغوش (50)، التركان (44) البشكير (24) الكابارد (13) الشركس (12) القرقلباق (11) الابخاز (6) الويغور (5) الأدجار (4) القرتشاي بلكار (3) الدوغان (2) الأوسيت (2) الأباز (1)[26].

الهوامش

1 — عن. Claude Julien : « L'engrenage » — le monde diplomatique — n° 311 — Fev 1980 انظر كذلك برقية مجلس السوفيات الأعلى الموجهة إلى مؤتمر القمة الاسلامي الخامس بالكويت في يناير 1986: نشرة وكالة نوفوستي اليومية بتاريخ 1987/1/26 الرباط. (الصادرة باللغة الفرنسية).

2 — هذا التصريح، أوردته الباحثة كاترين إنغبرغ Caterine Ingberg في تدخل لها بالمؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الافغانية بمعهد مونتري بكاليفورنيا (1983) والذي نشرت العروض والتدخلات المقدمة فيه في ترجمة عربية تحت عنوان: «مشكلة افغانستان: قضايا، خيارات، سياسات» تحرير إلف ه ماجنوس تعريب صليب بطرس وروفائيل مسيحة — مكتبة الوعي العربي — القاهرة — 1985 — ص 171.

3 — النص الرسمي للخطاب (بالروسية) — المطبعة السياسية — موسكو — ص 88.

4 — انظر مقاله الممتاز: Pillage du tière monde, et crime d'Etat — le Monde Diplomatique — Fev. 1980 — p. 13.

5 — هذا الكتاب، صدر عن «معهد الالحاد العلمي» (!؟) — مطبعة المعرفة — موسكو 1983 — ص 153 (بالروسية).

6 — هذا التصريح النادر، ورد في تدخل كربي في المؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الافغانية السالف الذكر (الهامش 2) ص 87، وقد عرف ر. ه. ماجنوس، منظم هذا المؤتمر وأستاذ دراسات الشرق الأوسط بمعهد مونتري، كيربي هذا، بأنه: «خريج هارفارد، وخدم في الجيش الامريكي قبل التحاقه بوزارة الخارجية سنة 1961، وشغل عدة مناصب في عدة بلدان كالهند والسودان، وعمل مديرا لشؤون باكستان وافغانستان وبانغلادش في: Near Eastern ± South Asian Bureau مابين 1982 و1984، كما عين نائبا لرئيس البعثة الدبلوماسية الامريكية في الرباط بالمغرب.

7 — هذه الاستشهادات، أوردها البحاث الماركسي المغربي عبد الله ساعف في كتابه: Ecrits marxistes sur le Maroc (1860-1925) — Ed. le Contact — 1985.

انظر النصوص الماركسية في كتابه هذا، وقد صدرت الترجمة العربية للكتاب في 1987.

8 — هذه المعلومات وردت على لسان شخصية أمريكية عسكرية بارزة، وهو الماجور جريجوري م. كورتانيك عضو «قيادة الولايات المتحدة المركزية» انظر تدخله في المؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الافغانية السابق ذكره ص 52، 53.

9 — إن معرفة المسؤولين الامريكيين مسبقا بعزم السوفيات على احتلال افغانستان (انظر فصل: المواقف، من هذا البحث) وسكوتهم التام عن ذلك وعدم اتخاذ أية مبادرة لمنعه أو معارضته علانية على الأقل، يجعل «التفسير» الامريكي (أي محاولة وصول السوفييت إلى الخليج) مجرد مناورة مضللة، وإلا لماذا لم تتحرك أمريكا مادام الخليج مستهدفا وبالتالي مصالحها الحيوية.

10 — صحيفة الشرق الأوسط 8—1—1980.

11 — أنظر كتابه: Les musulmans sovietiques - seuil - 1982 - p 234, 241.

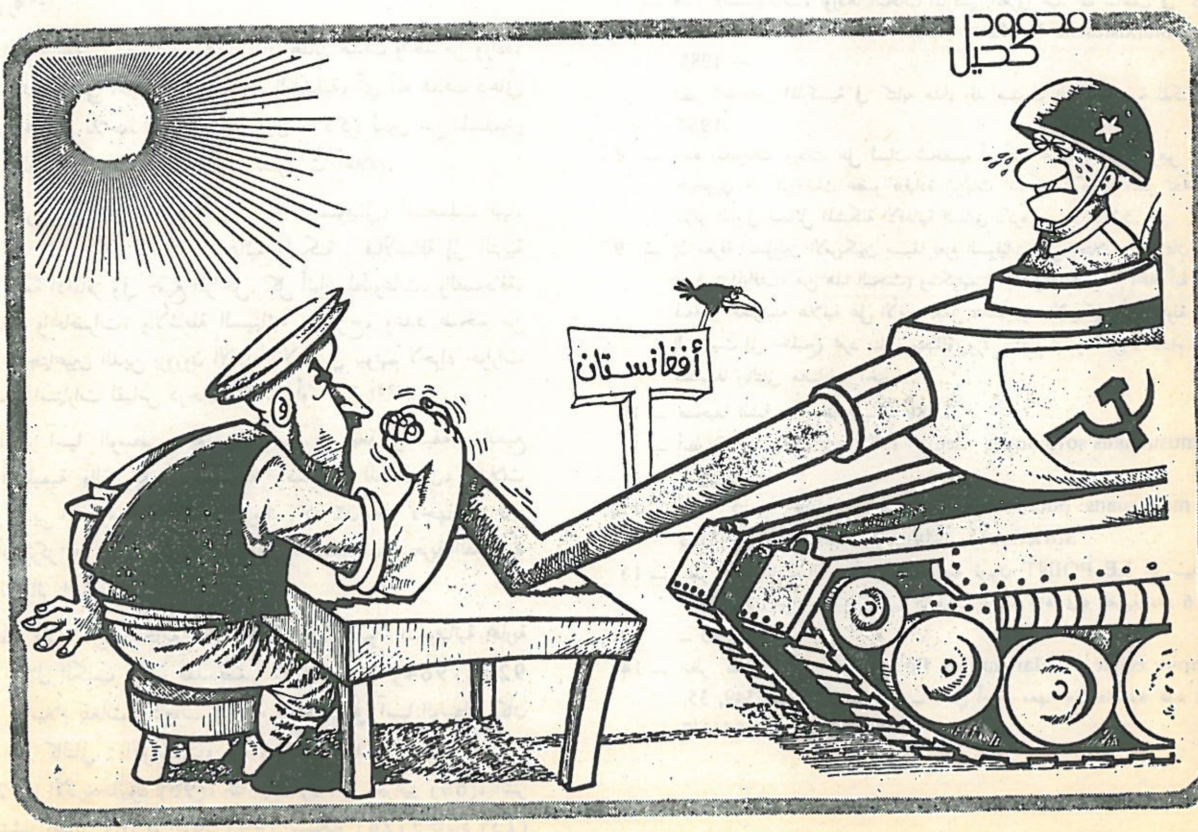
12 — انظر كتابه: Les musulmans oubliés - l'Islam en Union Soviétique — Maspero 1981 — p 304, 305

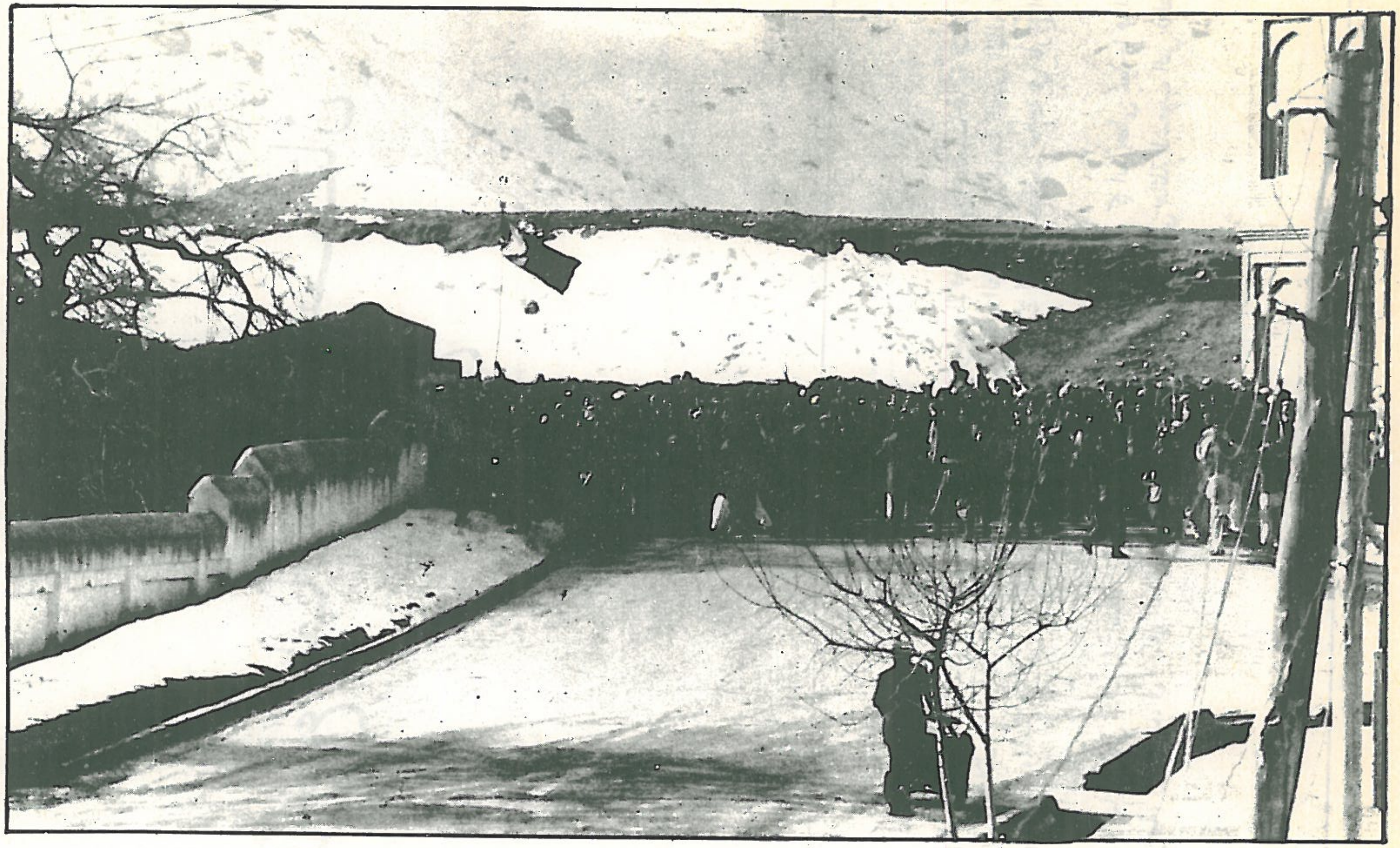
13 — انظر الاستجواب الذي أجرته معه مجلة لوبوان LE POINT الفرنسية عدد 1987/2/1 أو ترجمته إلى العربية الذي نشرته مجلة «الهدى» المغربية عدد 17/16 — 1980.

14 — انظر كتابها: L'empire éclaté — Flammarion Ed. 1980 — p. 349, 35 انظر كذلك الاستجواب الذي أجرته معها مجلة «العالم» عدد 121، 1986/6/7.

15 — سبقت الاشارة إلى الترجمة العربية للعروض والتدخلات في المؤتمر بالهامش 2.
16 — يوري فالنتا : الاهداف والسياسات والبدائل السوفياتية في افغانستان — الترجمة العربية لأعمال المؤتمر السابق ذكره، ص 23 — 48.
17 — انظر تعقيبه على يوري فالنتا في المرجع المذكور أعلاه ص 56.
18 — انظر تدخله في المؤتمر الدولي المذكور، ص 86، 87، وقد سبق التعريف به في الهامش 6.
19 — صادر في سبتمبر 1981، دون ذكر مكان الاصدار، وهي نسخة مترجمة إلى الأنجليزية من طرف س قنديل — 88 صفحة.
20 — للتوسع في هذه النقطة يرجع إلى دراسات مونتاي Monteil وبنيجسن Bennigsen ودانكوس d'Encausse المشار إليها في الهوامش 11، 12، 14.
21 — عن A. Bennigsen — C. Lemercier Qulquejay « Les musulmans oubliés — l'Islam en Union Soviétique » Petite Collection Maspero — p 186, 187 — Paris 1981.
22 — عن السابق ص 187، 188.

23 — عن السابق، ص 187
24 — أ، بنيجسن وش. ل. كلكجاي : المسلمون في الاتحاد السوفياتي — تعريب د. احسان حقي — ط 2 — مؤسسة الرسالة — بيروت — 1981 ص 138، 139.
25 — للتوسع في موضوع السياسة السوفياتية تجاه الاسلام والمسلمين في آسيا الوسطى انظر المراجع السابق ذكرها :
— L'empire éclaté : H.C. d'Encausse p 272, 330
— Les musulmans soviétiques : V. Monteil.
— Les musulmans oubliés : A. Bennigsen — C.L. Quelquejay — p 182 - 3 كذلك : المسلمون في الاتحاد السوفياتي المذكور أعلاه.
26 — Bennigsen — Quelquejay : Les musulmans oubliés — p 188, 189.





طليعة مظاهرة شعبية في شتاء 1980، أي بعد الاجتياح الروسي مباشرة، في أحد أحياء كابل، وترى في عمق الصورة راية مسطرة عليها كلمة التوحيد، .هذه المظاهرة نموذج لانتفاضات شعبية عديدة شهدتها كابل وغيرها من المدن احتجاجا على الاحتلال الروسي..

الأوضاع العامة في أفغانستان قبل الاحتلال

إن استعراض الاوضاع في افغانستان، خلال المرحلة القصيرة من حكم الشيوعيين الافغان التي استمرت ثمانية عشر شهرا منذ انقلاب أبريل 1978 إلى بداية الاحتلال العسكري السوفياتي، ضروري، لأن تلك المرحلة، التي تميزت بسياسة العنف البالغ من طرف النظام، إضافة إلى ماركسيته من جهة، وباندلاع الثورة في كافة مناطق البلاد تقريبا من جهة أخرى، ستكون حاسمة في تاريخ افغانستان الحديث...

وهذا الاستعراض يجلي الاسباب التي أدت إلى انفجار الاوضاع في البلد بين الشعب والنظام، كما أنه يعطي نموذجا فذا لما يمكن أن يتسبب فيه الولاء لقوى خارجية، أيا كانت، في الحاق الضرر والأذى الشنيع بالمصالح الوطنية ومآسي هائلة للشعوب التي ترفض الولاء لتلك القوى الخارجية.

«امتداد لثورة اكتوبر...»

من المريب حقا، ألا يتم تسليط الاضواء، الا نادرا، على تطور الاوضاع الداخلية في افغانستان قبل الاجتياح الروسي، والمتتبع للتحليلات الغربية فيما يخص هذه المرحلة (ولا فائدة هنا من استكناه التحليلات العربية رسمية كانت أو حزبية، لأنها كانت ولاتزال غائبة مغيبة)، سيلاحظ أنها انصبت على تحليل الاوضاع الاقليمية في المناطق التي سماها برزنسكي مستشار الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر لشؤون الأمن القومي بـ «هلال الازمات» وتشمل تركيا، إيران، باكستان وافغانستان، وكذلك تحليل بنية وسياسة النظام الماركسي في كابل، والصراعات الدموية التي عرفها جناحا النظام اللدودين («خلق» و«برتشام») الخ[1]... أما المواقف وردات الفعل الشعبية بقيادة العلماء والمثقفين المسلمين، لسياسة الحكومة الماركسية، وكذلك موقف المعارضة الاسلامية المنظمة، (والحقيقة أنه كان هناك تداخل بين تلك المواقف جميعها) والاسلوب الذي تعامل به النظام مع هذه المواقف المعارضة، وتطور المقاومة المسلحة، وغيرها من العوامل الحاسمة التي شكلت الوضع العام في البلد، والتي على ضوئها أتخذت القيادة السوفياتية قرارها العدواني باحتلاله، كل هذا لم يحظ **إلا بالقليل النادر من الدراسات والتحليلات :**

وهكذا، عندما تناقلت وكالات الانباء، خبر الانقلاب الذي قامت به التشكيلات الماركسية في الجيش الافغاني[2] وتصفية محمد داود وجميع أفراد عائلته، لم تكن هوية الانقلابيين معروفة لدى عامة الشعب الافغاني، الفئات المثقفة الحضرية فقط، وخاصة الحركة الاسلامية، كانت تعرف من هم أولئك الذي استولوا على السلطة، وما هي أهدافهم البعيدة...

كانت المهمة الموكولة إلى النظام الماركسي واضحة : **هدم البنيات الاجتماعية/الاقتصادية والثقافية «الرجعية» وبناء مجتمع جديد على أسس «اشتراكية». ففي خطاب لحفيظ الله أمين، نائب رئيس الوزراء، ورجل التنظيم القوي في جناح «خلق» والمسؤول عن جهاز المخابرات، أمام الطلبة في 1979/2/1، قال، موضحا الهدف الذي تسعى من أجله الحكومة «الثورية» في كابل : «إننا نقاتل من أجل اجتثاث الاقطاع، بشكل يجعلنا ندخل مباشرة، من مجتمع اقطاعي إلى مجتمع خال من استغلال الانسان للانسان»**[3] وفي خطاب له بتاريخ **1979/1/1** بمناسبة الذكرى **14** للمؤتمر الأول للحزب الديموقراطي للشعب الافغاني (أي الحزب الشيوعي) قال أمين : **«إن دولتنا الشعبية، هي أفضل وأول نموذج لدولة بروليتارية عن هذا النوع:..** (وبعد أن ذكر نور محمد طراقي رئيس الدولة وزعيم الحزب، الذي سيقتله أمين شر قتلة فيما بعد) **إن زعيمنا الثوري الكبير، لم يفكر في انتظار نمو حركة شعبية ذاتية يقودها الحزب، بل على العكس من ذلك، ارتأى أن على الحزب أن يستجلب التأييد النشط والعملي من الشعب... إن زعيمنا الكبير، اكتشف أنه، في البلدان السائرة في طريق النمو، وبحكم أن الطبقة العاملة لم تطور قوتها بعد، توجد قوة أخرى يمكنها أن تقلب النظام الاقطاعي المستبد، وهذه القوة، هي الجيش في افغانستان، وأصدر أمره كذلك، بقرار، أن يتم نشر الايديولوجية العمالية في صفوف هذا الجيش...»** (كابل تايمز **19** أبريل **1979**)[5]. وتمت صياغة «البرنامج الديموقراطي الوطني» لتحقيق هذه الأهداف التي سبق أن أعلنها طراقي في ندوة صحفية في **6** ماي **1978**، ويضم البرنامج : الطبقة العاملة، الفلاحين، المثقفين، الحرفيين والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة، تحت قيادة الحزب الديموقراطي للشعب الافغاني[6]، وهو تكتيك دعائي مألوف في البرامج السياسية للتنظيمات الماركسية اللينينية.

وفي نوفمبر في نفس السنة، خطب أمين محددا موقع «ثورة» أبريل بأنها تقع في **«امتداد ثورة اكتوبر 1917 العظمى»** وهو الشيء الذي سارعت أجهزة الدعاية السوفياتية إلى اعطائه صبغة التأكيد عندما صدر بلاغ في موسكو أعلن أنه : **«منذ انتصار ثورة ابريل 1978، أخذ الشعب الافغاني، تحت قيادة الحزب الديموقراطي للشعب الافغاني، طريق بناء الاشتراكية»**[7].

«اجتثاث الاقطاع»

في غشت **1978**، أي بعد أقل من أربعة أشهر على انقلاب **27** ابريل، أصدر «مجلس الثورة» القرارا رقم **6** القاضي بإلغاء نظام الرهن العقاري والربا : فالديون والرهونات العقارية الفلاحية التي مضى عليها أكثر من خمس سنوات ألغيت نهائيا، أعيدت الاراضي إلى أصحابها الاصليين دون تعويض، والاراضي المرهونة منذ أقل من خمس سنوات أعيدت لأصحابها مع جدولة الدين... وقد عممت هذه الاجراءات على الفلاحين الفقراء الذين يملكون مايعادل هكتارين كحد أقصى.

وفي **30** نوفمبر **1978** صدر القرار رقم **8** الخاص بإعادة توزيع الاراضي[8] (وهو ما يعرف «الاصلاح الزراعي») والفصل الاول يعلن **إرادة تصفية شروط النمط الاقطاعي ونصف الاقطاعي. ولاحق للأسرة أن تمتلك أكثر مما يعادل ثلاثين جريب (ستة هكتارات) من الاراضي درجة أولى.**

والارض قسمت حسب **7** درجات مرفقة بمُعامل (من المروج المسقية إلى الاراضي الظامئة التي لم تزرع لأكثر من عامين، والمعامل يتراوح بين **1،00** إلى **0،10**). والمستفيدون من الاصلاح الزراعي رتبوا حسب **6** فئات بالاولوية...

فشل الاصلاح الزراعي

والمخطط كان يفترض كسب تأييد **80%** من الفلاحين الذين كانوا يملكون أقل من هكتارين. بدأ تطبيقه في يناير **1979** في المدارات الحضرية التي تعرف ملكيات كبيرة (خاصة في هرات وقندهار). ومع ذلك ـ كما يظهره توقيت الانتفاضات ـ كان قدوم لجنة الاصلاح يثير ردود فعل عنيفة لدى الفلاحين، لماذا ؟ هذا ما سيتبين من خلال عوامل الاخفاق التالية :

1 ــ الرفض الايديولوجي : إن فكرة اعادة توزيع الاراضي تصطدم **بعمق مع مفهوم احترام حق الملكية كما هو مقرر في الشريعة. وبالنسبة للفلاح الافغاني، ماهو غير عادل، ليس الملكية، ولكنها الاستفادة من موقع سطوة، سواء عن طريق المال (الاقراض بالربا) أو عن طريق السلطة (التسلط والرشوة). والفلاح يطالب ليس بإصلاح للملكية، ولكن للممارسات المالية والممارسات السلطوية للدولة. وبذلك يكون الاصلاح مفروضا بالضبط، من موقع قوة الدولة نفسها مقدمة في إطار ايديولوجي (صراع الطبقات) لايعرفه ولايستجيب لواقعه المعاش.**

2 ــ لا واقعية الاصلاح : المقياس الذي انبنى عليه الاصلاح لايتناسب مع الواقع الاجتماعي ــ الاقتصادي لافغانستان : لم توجد قط كما يؤكد أوليفيي روا طبقة متميزة من المستغلين مواجهة لكتلة مستغلة، فكثير من الشركاء بعملهم مع صاحب الأرض (مقابل حصة لهذا الأخير) يملكون قليلا من الارض ويعيشون كملاك، وكثيرون من الملاك هم مدينون، وحتى اولئك الذين يقرضون بالربا ليسوا بالضرورة ملاك أراضي...

و«الاصلاح» يعرف الاستغلال الزراعي حسب مقياسين : الاسرة الضيقة التي تتكون من شخص بالغ في **18** من عمره مع زوجته وأولاده، ثم المساحة. ومفهوم الاسرة الضيق هذا يصطدم مباشرة مع **بنية الأسرة الافغانية في** الواقع، حيث تعيش في الاطار الواسع لمفهوم الاسرة وهي تكون وحدة اقتصادية متكاملة (تقسيم العمل، مشاركة المرأة بالعمل المنتج في البيت ونشاطات اقتصادية أخرى كالزراعة والرعي والصناعات اليدوية...).

أما المساحة، فقد حصرها قانون الاصلاح في تلك المساحة القليلة (6 هكتارات) مما يجعل مردوديتها ضئيلة أمام تكاليف الانتاج حيث يتعين على

الفلاح أن يلجأ إلى قروض الدولة الربوية مما يرهق كاهله، وهكذا تستغل الدولة نفسها الفلاح، والهدف من وراء ذلك هو دفع الفلاحين في مرحلة تالية إلى الاندماج في نظام التعاونيات، مما يسهل على الدولة أن تضبط أكبر عدد ممكن من الفلاحين بأجهزتها المختلفة.

وكان يتعين على الفلاحين، الادلاء بوثائق قانونية أمام لجنة الاصلاح الزراعي التي تعتمد بدورها على سجل للضرائب لم تحصل قط في الواقع. ويلخص روا تجربة الاصلاح الدموية ــ التي توقفت بدخول القوات السوفياتية، كما يلي: «**لقد تم تطبيق الاصلاح الزراعي حسب نموذج مجرد ودون معرفة حقيقية بالمجتمع الافغاني، نموذج لم يأت نتيجة بحث ميداني، ولكن حسب تصورات دوغمائية، ولذلك، لم يكن مفاجئا أن تنتصب 98% ضد 2% من الظلمة، هذه «الاصلاحات» كانت نتيجتها اندلاع الثورة في 75% من البوادي في أفغانستان**».

ومن الطريف أن روا أورد تناقضا في الارقام الرسمية حول «المستفيدين» من الاصلاح، حيث نشرت كابل نيوتايمز في 17 نوفمبر 1983 رقم 650.000 فلاح اعطيت لهم أراضي في ظرف 5 سنوات، بينما أوردت نفس الصحيفة رقم 300.000 مستفيد قبل خمسة أيام فقط من صدور العدد المذكور(9).

حملة «محو الامية»

لقد لعبت حملة «محو الامية» في مخيلة النظام دورا كبير الاهمية بجانب «الاصلاح الزراعي»، وكانت الفكرة أنه يكفي أن «ينور» الشعب حتى يصبح من المدافعين عن النظام نفسه... فتقرر أن تكون الحملة **فورية وشاملة**: الاطفال، البالغون، الفتيان، النساء، والشيوخ، يجب أن «تمحى» أميتهم **في سنة واحدة**.

كان المشروع يرمي إلى دفع 18.500 عنصر مكلفين بتنفيذ البرنامج (منهم 16.000 متطوع في البوادي ابتداء من سنة 1979 (لكنها بدأت بالاعداد المتاحة منذ ماي 1978، أي بعد شهر أو أقل من انقلاب أبريل). هذا البرنامج يستغرق حوالي 150 ساعة، بينما «المعلمون» يتوفرون على كتاب خاص. ففي صباح كل يوم خميس، كان سكان القرية يجمعون في مقر السلطة المحلية من أجل تلقي تكوين سياسي. وكان واضحا منذ البداية أن **حملة «محو الامية» والمحتوى العقائدي الماركسي متلازمان**: فالكتاب يمجد سلوكيات الحياة الحضرية المتغربة (وهو اتجاه بدأ منذ عهد النظام السابق)، ففي صفحة كاريكاتورية ثلاث من المثقفين بالبذلات وربطات العنق وهم يحملون علما، والجماهير الشعبية من ورائهم باللباس الافغاني الاصيل. والسلوكيات المتعلقة بالأرض والفلاحة من اختصاص الاقرباء الكبار في السن، بينما الأب، على عكس ذلك، عامل في مصنع حديث. والكتاب، ليس هو القرآن، ولكنه الكتاب المدرسي، وفي صفحة، تمجيد للدبابة (الانقلابية) كرمز للتحرير الشعبي، أما كلمات وشعارات النظام، فتستوعب ثلث الكتاب(10). ويشير روا إلى أن اليونسكو شاركت بنسبة الثلث في تكاليف الدعاية للحملة! (والغريب المستهجن أن اليونسكو لاتقدم شيئا لملايين الافغان المهاجرين وكأنهم لاوجود لهم ــ الهدى).

بالنسبة لموقف السكان، كان أكثر تعقيدا من مسألة «الاصلاح الزراعي». **لم يكن هناك رفض للمعرفة**، فالمعلمون يحظون بالاحترام في البوادي ما لم يصطدموا بعاداتهم. والاصل أن الجهود بدأت منذ عهد ظاهر شاه، وكانت نسبة الاطفال المتمدرسين آخذة في الازدياد، وبناء المدارس كان يتم بمشاركة السكان القرويين مقابل تكفل الحكومة بأجور المعلمين، إلا أن أسلوب «خلق» كان نقيض هذا الاسلوب التدريجي، ففرق محو الامية يجب أن تذهب إلى كل مكان، وفورا، دون تلقي أي تكوين، فالعدد غير كاف، ويتكون أساسا من تلاميذ مستوى الثانوي والطلبة المتعاطفين مع النظام...

اعتراف سوفياتي

إن فشل «الاصلاح الزراعي» وبرنامج «محو الامية» بالشكل والاهداف التي أرادها النظام الصوري في كابل، يمثل حقيقة واضحة لم تستطع أجهزة الدعاية السوفياتية إلا أن تعترف بها ــ في صراحة نادرة ــ كما عبر عن ذلك المعلق السوفياتي أولشانسكي بقوله: «.. لقد اصطدمت الرغبة في التطوير **السريع** للبلاد بمقاومة العادات والتقاليد العريقة، وهذه **العجلة ولدت الاخطاء: إن الاصلاح في مجال الأرض والمياه، بلا دراسة عميقة، قد أبعد الكثير من الفلاحين عن الثورة. وخلق التأكيد على العلمانية والتطرف إزاء الدين خصما قويا تمثل في أوساط رجال الدين الاسلامي المؤثرة. وإن تحرر النساء عن طريق اصدار المراسيم قد تعارض بصراحة مع الشريعة، ولم يتمكن من ايجاد الدعم له في بلد اسلامي ومتدين بعمق مثل أفغانستان...**» (مجلة دراسات اشتراكية ــ السنة 17 ــ يونيو 1987 ــ ص 66) وهذا الاعتراف، لا يحتاج الى اي تعليق.

المعارضة لم تنصب على مبدأ محو الامية، ولكن للطريقة التي تمت بها الامور، فهناك السلوك الاستبدادي والارعن «للمعلمين»، خاصة إذا كانوا من مناطق غير مناطقهم، وهو ما يصدم مجتمعا تعود على احترام تقاليد السن ودماثة الخلق (وهو أمر مشهور للافغان فعلا). لقد كان الشيوخ يشعرون بإهانات عميقة عندما كانوا يجبرون على الحضور دون تمييز، وكان اجبار الفتيات على الحضور بتلك الطريقة الجماعية هو الذي يثير الثورة في غالب الحالات، علما بأن مبدأ تعليم الفتيات ليس موضع رفض لدى السكان القرويين، ولكنهم جميعا يرفضون فكرة تعليم مختلط. وبسبب قلة عدد المعلمات فإن الدروس كانت تعطى من طرف رجل جاء ــ وهذا عامل يدعو عندهم للحذر ــ من المدينة، التي ينظر إليها على أنها مصدر اللا أخلاقيات. هذا هو

أحد مقرات تنظيم «خلق» والشعار واللافتات كلها باللون الاحمر القاني ا كما في الصورة الأصلية



ماكانوا يرفضونه، وليس مبدأ محو الامية هو الذي أثار الرفض في أوساط الشعب. وبمجيء شتاء عام 80/79 كانت الحملة قد توقفت نهائيا في كل القرى، وانحصرت في الأوساط الحضرية التي لاتستطيع الافلات من قبضة النظام[11]..

إن «الاصلاحات» لم تقدم بطريقة تقنية، ولكن بلكنة ايديولوجية ماركسية واضحة، تصطدم بعمق مع المعتقدات الدينية للسكان ــ وأخيرا فإن التدخل العنيف والدموي والذي لم يسبق له مثيل في افغانستان لجهاز الدولة في كافة المجالات، وعلى جميع المستويات، سيجعل من اندلاع الثورة أمرا حتميا.

القمع

تجمع كل المصادر على أن الثمانية عشر شهرا التي حكم فيها طراقي وأمين تميزت بحملات دموية انتقائية وجماعية بشعة.

لقد سبق أن قال طراقي حرفيا عن علماء الدين وغيرهم من المعتقلين المسلمين، في الاستجواب الذي أجراه معه فهمي هويدي (مجلة العربي : يوليو 1978) عندما سأله هذا الأخير عن مصيرهم خاصة وأنهم معتقلون منذ عهد داود (1978/73) «**سندرس حالاتهم، الذين نسب إليهم شيء سيحاسبون عليه أمام القضاء والباقون سيفرج عنهم**..» إنها العبارة التقليدية للدكتاتورية بجميع صنوفها.

وهكذا في فبراير 1980 أعلنت حكومة بابراك كارمال بلاغا رسميا اعترف فيه بمقتل 12.000 معتقلا في سجن بولي شرخي في كابل فقط[12].

من بينهم **800 طفل** كما ورد في برقيات منظمة العفو الدولية إلى نظام كابل مستفسرة عن مصيرهم بعد المهمة التي قامت بها في عين المكان في شهر أكتوبر 1978 وإلى كارمل من بعد دون أن يكون هناك جواب أبدا. (انظر فصل : منظمة العفو الدولية وحقوق الانسان في افغانستان)..

ومن نماذج القمع الانتقائي في هذه المرحلة، كما أوردها روا، لوحظ تركيز النظام في تلك المرحلة على فئة علماء الدين مباشرة، وهم الذين كانوا يحظون بالاحترام العميق في جميع أوساط الشعب الافغاني على اختلاف أصولهم واعراقهم، فالافغان كانوا معروفين على مدى تاريخهم بالتحامهم الشديد مع العلماء، الذين كانوا دائما يديرون المجتمع الافغاني ومصالحه وهم أصل كل تغيير حدث فيها.

والحملة ضد العلماء، بدأت في خريف 1978 إضافة إلى ماكان موجودا في السجون منذ عهد داود كما اعترف بذلك طراقي نفسه، وبجانبهم المثقفون المسلمون بصفة عامة وخاصة المنتمون للحركة الاسلامية في أفغانستان الذين كانوا مستهدفين قبل غيرهم (وقد تم تحديدهم **كأعداء** صراحة من طرف أجهزة الدعاية السوفياتية نفسها كما رأينا سلفا). ولم يسلم رجل الشارع العادي الذي كان يذهب ضحية حملات الاعتقال العشوائية وعددهم ضخم. ويقول روا أنه لاتوجد في كابل عائلة لم تسلم من هذا القمع واسع النطاق، ويلاحظ أن الملفت للانتباه، هو العدد الكبير من العلماء الذين تمت تصفيتهم بأشكال مختلفة، حيث كانوا يؤخذون من طرف «مجموعات الامن» دون مقاومة، مما يدل على عدم قيامهم بأية أعمال مناهضة للحكومة لعدم توقعهم مايستوجب اعتقالهم، وبعد ذلك لايعلم أحد عنهم شيئا، ومن هؤلاء العلماء الشهداء :

- المدرس مولوي علاء الدين، كبير علماء ميمنة، قتل في صيف 1979 مع عدد من الطلبة، وعشرات من التلاميذ.
- مولوي فضل أحمد وخليفة نور محمد في غليم (ولاية غور)
- في قندهار، عبد الوهاب أخندزاده ومولوي نور محمد أخندزاده
- وفي يناير 1979، ألقي القبض على كل عائلة مجددي الشهيرة وهي عائلة علماء وصوفيين كبار، ممن قادوا الجهاد ضد البريطانيين، وأعدم جميع الذكور الذين تراوحت أعمارهم من الرضيع إلى الشيخ الكبير، وذلك ضمن اللائحة المعترف بها رسميا المشار إليها أعلاه.
- بيرحاجي بهاء الدين جان من العلماء والصوفيين المشهورين في أفغانستان، قتل مع اثنين من أبنائه (ولاية فرح).
- سيد واعظ، من علماء الشيعة، صاحب «المدرسة المحمدية» اختفى



ــ صورة من الجو لسجن بولي شرخي الرهيب وهو يبعد حوالي 20 كلم من كابل، وهو من «هدايا» السوفييت للشعب الافغاني!!

ومعه أغلب المدرسين في فبراير 1979 ولم يعثر لهم على أثر، ومن علماء الشيعة أيضا الذين تمت تصفيتهم، شريفي، وأحمدي، وفقيهي.

وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

أما بالنسبة للمنتمين إلى الحركة الاسلامية الافغانية، فقد شنت ضدهم حملة ذهب ضحيتها عدد كبير من الافراد والاسر، ومنها اعدام عدة مئات منهم سبق أن اعتقلوا في عهد داود، في ليلة واحدة من شهر يونيو 1979[13].

أما أسلوب الابادة الجماعية، فقد تمثل في قمع الانتفاضات الشعبية في هرات (فبراير ومارس 1979) وقبلها في نورستان منذ سبتمبر 1978، وبدخشان في ابريل 1979، وبنجشير منذ يوليو 1978، إضافة إلى الانتفاضات العفوية في دولة يار وخشخران ومزار شريف، وديشبان إلخ...

مرحلة الانتفاضات

إن الجو العام الذي ساد أفغانستان نتيجة انقلاب أبريل، فضلا عن شروع «الخلقيين» في الدفع بآلة الدولة بكل قوتها لاحداث **تغيير سريع ومباشر يصدم البنية الاجتماعية/الاقتصادية للمجتمع والمعتقدات الدينية للشعب الافغاني**، وإحلال مفاهيم جديدة محلها (الدعوة إلى وحدة البوليتاريا والفلاحين الفقراء والمثقفين المتنورين بهدف قلب الاقطاع، التضامن مع البلدان الاشتراكية ضد الامبريالية...). توج كل ذلك بحملات قمع فردية وجماعية واسعة، أدت إلى حدوث ردود فعل ثورية منها العفوية ومنها المنظمة، وقف النظام «الخلقي» أمامها عاجزا حتى شارف على الانهيار عند اندلاع ثورة 1979/78، التي شملت كثيرا من مناطق أفغانستان.

هذه الأوضاع هي التي دفعت القيادة السوفياتية إلى اتخاذ قرارها الاستعجالي باحتلال البلاد قبل أن ينهار النظام نهائيا وتؤول السلطة إلى أعدائها. ولم يكن أحد آنذاك يستطيع التكهن بالنتائج التي كانت ستترتب في افغانستان وعموم منطقة آسيا الوسطى، بل والشرق الاوسط أيضا، في حالة قيام حكومة إسلامية في كابل.

لقد كان السوفيات يستمتعون بنفوذ قوي في افغانستان على عهد داود الذي ساعده «خلق» و«برتشام» على الاستيلاء على السلطة في 1973. أما بعد انقلاب ابريل 1978، فقد أصبحوا يديرون الأوضاع بحرية تامة وتضخم وجودهم العسكري والسياسي بشكل مثير، ومن المؤشرات على ذلك إقامة شخصيات سياسية وعسكرية رفيعة المستوى كما سبقت الاشارة — في أعلى أجهزة الدولة السوفياتية، لفترات طويلة في أفغانستان.

انتفاضة هرات

في 27 فبراير 1979، وفي قرية سليمى المحاذية لمدينة هرات (في سهل هاري الجنوبي) احتج عدد كبير من سكان القرية على ارغام بناتهم على حضور دروس «محو الامية» بشكل استفزازي، حيث خرجوا لمواجهة الجنود الحامين لبعثات محو الامية يتقدمهم اربعة من كبار علماء القرية وعلى رأسهم الملا حيدر. فقتل العالم حيدر واشتد القمع في القرية الى درجة ان عمت الانتفاضة جميع المنطقة، وكونت «لجنة»[15] انتخب على رأسها المترعمون للانتفاضة ابلت البلاء الحسن (استشهد الثلاثة الاول من رؤسائها و37 عضوا من مكتبها ما بين 1979 و1982، وهو عدد كبير قياسا بحجم القرية وسكانها)، واستعمل النظام العميل اساليب خبيثة وخشنة وحشية وقمعية لمواجهة الاحتجاج حيث تم ادخال قوات حكومية الى المدينة بعد رفع المصاحف من بعيد وكانت مجرد خدعة قبيحة. وفي هذا الوقت، كانت حامية المدينة قد تمردت وأعلنت وقوفها إلى جانب السكان المدنيين في هرات، والقرويين في المناطق المحيطة بها ورفضت تنفيذ أوامر الحكومة بقمع الانتفاضة، واعتبر الوضع، من طرف الضباط الافغان الذين أعلنوا عصيانهم بانه جهاد إسلامي ضد أعداء ماركسيين وملحدين يرهنون وطنهم لقوى خارجية، ووقوفوا إلى جانب الشعب في ثورته. وفي 16 مارس، كانت هرات والمناطق المحيطة بها قد عمتها الثورة، وكرد فعل لموجة الاعتقالات والاعدامات الجماعية التي باشرها النظام منذ استيلاءه على السلطة، في صفوف السكان، وخاصة في صفوف (جمعية اسلامي أفغانستان) التي يرأسها العالم المجاهد برهان الدين رباني (دكتوراه من جامعة الأزهر في العلوم الاسلامية) حيث أعدم النظام مجموعة من أفضل القيادات في الجمعية الاسلامية مثل الدكتور غلام محمد نيازي، والدكتور محمد عمر والمهندس حبيب الرحمن الأمين العام للحركة الاسلامية، ومولوي حبيب الرحمن من كبار العلماء، وسيف الدين نصرت يار، ورباني عطيش، وعبد القادر توانة وخواجه محفوظ، وغيرهم كثير... وبحكم أن هرات كانت من أقوى المعاقل التي تتوفر عليها الجمعية في ذلك الوقت، فقد تمت تصفية عدد من أطر الحزب الشيوعي الافغاني، وقتل عشرات من المستشارين السوفييت، بينما بقي أصحاب الجنسيات الأخرى في المدينة دون أذى، لأن ما فعله طراقي وأمين في الشعب الافغاني ونائبه بابراك كارمال (وهذا قبل أن يبدأ حمام الدم بين خلق برشام) وأمين، المسؤول عن أجهزة المخابرات، وبشراكة سوفياتية على أعلى المستويات، سيعطي أشنع أنواع الأدلة على أنهم مستعدون لابادة عشرات الالوف من الناس في سبيل الحفاظ على نظامهم لما فيه من مصالح جمة لأولياءهم السوفيات.

وبعد أسبوع على اندلاع الثورة في هرات والمناطق المحيطة بها، تمكنت القوات الحكومية من الدخول إلى المدينة بعد أن تصور الضباط المتمردون أنه مع هذه القوات الاضافية، وبحكم وقوع انتفاضات أخرى سابقة خاصة في بنجشير بقيادة مسعود (أحمد شاه)، سيندلع العصيان ليشمل البلاد كلها، خاصة وأن كابل كانت تشهد هي الأخرى انتفاضات مختلفة (يوليو 1979، التمرد العسكري في قاعدة بلا حصار في غشت) وكذلك في ولاية فرح المجاورة لولاية هرات فقبل أيام قليلة (13 مارس) اندلعت فيها الثورة وسيطرت المقاومة الشعبية على عدة مدن وقرى (انردراه، جوليستان، باساباند، برشمان..) إلا أن القافلة العسكرية الخادعة دخلت المدينة وبدأت في ضرب المدينة، واندلعت الاشتباكات العنيفة بين المقاومة الشعبية والقوات العسكرية الموالية للحكومة، وكان من البديهي أن تنتصر المدينة وضواحيها على قافلة مدرعة، إلا أن السوفيات كانوا يتوقعون هذا، ولذلك سارعوا إلى دفع الطيران الافغاني، كما شاركت طائرات سوفياتية انطلقت من قواعد داخل الاراضي السوفياتية للاغارة على المدينة...[16].

الخسائر كانت جسيمة في صفوف المدنيين[17]، فقد دمرت أحياء بكاملها، وتفرق المقاومون في جبال الولاية، وكان على رأسهم الضباط اسماعيل خان، وعلاء الدين خان، وعبد الواحد، الذين يعتبرون الآن من أعظم قادة الجهاد في ولاية هرات، وكانت وحدات عدة من الجيش المقيم في المدينة، انضمت إلى المقاومين منذ اللحظات الأولى لاندلاع الثورة التي قادها العالمان جل محمد التيزاني ومحمد صالح، وشن المقاومون، منذ ذلك الوقت، حربا شعبية حتى دخول الجيوش السوفياتية.

وإذا كانت ثورة هرات، من أكبر الانتفاضات التي عرفتها افغانستان منذ وقت طويل، فإن الانتفاضات الأخرى التي اندلعت في ولايات أخرى، مثل بدخشان، في أقصى الشمال الشرقي، ووادي بنجشير وبلاد الايماك (دولة يار وشخشران) ومُيمنة ومزار شريف وباكا ولانج في وسط الهازارا الشيعية وفي ديشبان (ولاية زابل) وغيرها من المناطق، وضعت القيادة السوفياتية أمام خيارين لاثالث لهما، إما الاحتلال العسكري الفوري، أو التفرج على الانهيار السريع للنظام العميل في كابل، وصعود نظام اسلامي يحظى بشعبية ساحقة.

الهوامش

1 — انظر على سبيل المثال، المقالات العديدة والمطولة في شهرية لوموند دبلوماتيك Le Monde diplomatique منذ سنة 1980، أو الأوراق والمداخلات المقدمة في «المؤتمر الدولي لبدائل القضية الافغانية» المشار إليه في فصل «لماذا حتل السوفيات افغانستان» وجميعها تقريبا، ركزت على الاوضاع في افغانستان بعد الاجتياح، وليس قبله !

2 — حسب المعلومات التي أوردها فهمي هويدي في استجوابه مع نور محمد طراقي (العربي يوليو 1978) فإن الشيوعيين الافغان كانوا يخططون للاستيلاء على السلطة والاطاحة بداود بعد سنتين من وقوع الانقلاب، إلا أن تربص هذا الأخير بهم هو الذي عجل به.

3 — عن نشرة دعائية حكومية استقاها أوليفي روا Olivier Roy من مكتبة ليستال (Bibliotheca Afganica) وأوردها في كتابه : L'Afganistan : Islam et modernité politique — Seuil — 1985 — p 114.

4 — السابق، نفس الصفحة.

5 — A. Dastarac — M. Levent : Afganistan : l'éveil des nationalités — Le Monde diplomatique — 6/2/80, p. 6,7

6 — المرجع السابق

7 — Mirovaja Economika — Moscou Avril 1979 عن المرجع السابق.

8 — بخصوص الاصلاح الزراعي ومحو الامية وتوقيت الانتفاضات الشعبية خلال حكم طراقي وأمين، اعتمدنا على دراسة الباحث الفرنسي Olivier Roy المشار إليها في الهامش 3 (ص 123.115)، وهو من ألمع الخبراء الفرنسيين في القضية الافغانية، وهو مبرز في الفلسفة وقدم اطروحة دكتوراه حول «الدولة والمجتمع في افغانستان» التي تطلبت منه القيام بخمس زيارات ميدانية طويلة في أغلب مناطق افغانستان مابين 1980 و1984 درس فيها كافة مظاهر الحياة، وتتميز دراساته حول القضية الافغانية باطلاع عميق لانجد له نظيرا بين المسلمين أنفسهم، وبقي باستمرار، على اتصال بأوضاع الجهاد سواء في داخل افغانستان أو في باكستان.

9 — السابق ص 122

10 — السابق ص 123

11 — السابق ص 124

12 — السابق ص 126، انظر كذلك تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1980 التي أوردت التفاصيل الخاصة بمذابح بولي شرخي المعلن عنها رسميا (انظر فصل منظمة العفو الدولية وحقوق الانسان في افغانستان»).

13 — روا، السابق ص 127.

14 — بالنسبة لثورة هرات في مارس 1978 اعتمدنا على عدة مصادر، ويمكن الرجوع إلى التفاصيل الدقيقة في مجلة «الجهاد» التي يصدرها الدكتور عبد الله عزام (وهو عالم فلسطيني معروف جاهد ضد الاسرائيليين ثم انتقل إلى افغانستان وعايش المجاهدين لسنوات ولايزال) — انظر أعداد يناير — فبراير — مارس — ابريل 1987 — بشاور — انظر كذلك الروبورتاجات المصورة عن التدمير الذي لحق أحياء المدينة الواردة في أكثر من عدد من مجلة «المجاهدون» الصادرة عن جمعية افغانستان الاسلامية وكذلك من مجلة «البنيان المرصوص» الصادرة عن التنظيم التابع لعبد رب الرسول سياف وكلاهما يصدر في بشاور — انظر كذلك التفاصيل التي أوردها روا في كتابه السالف الذكر ص 143 — 147.

15 — وهي البنية التحتية للمجاهدين الافغان منذ ذلك التاريخ، و«اللجان» تتكون من أعداد متفاوتة في كل منطقة، وحسب مستوى الارتباط بتنظيم تابع لأحد الاحزاب العاملة في كافة مناطق افغانستان... وسيأتي تفصيل هذا في الفصل الخاص بالجهاد الافغاني

16 — بالنسبة لمشاركة الطيران السوفياتي في قصف المدنية أجمعت عليها كل مصادر المجاهدين، إضافة إلى جريدة لوموند (1986/5/6) وكذلك روا ص 146، وتجدر الاشارة إلى أن هرات تقع قريبا من قاعدة تخرا بازار في تركانستان، كما يجب ألا ننسى أن افغانستان كلها دمرها الطيران السوفياتي طوال سنوات الحرب...

17 — تقدّر مصادر المجاهدين عدد الضحايا بـ 25 ألفا عن المصادر المذكورة، روا يقدرها مابين 5 آلاف و25 ألفا، ص 146، أما جريدة لوموند فقد قدرتها بـ 30 ألفا (العدد المذكور بالهامش السابق).



الإحتلال ونتائجه العامة

«إن الاشتراكية ترفض الحروب رفضا باتاً، كوسيلة لحل التناقضات السياسية والاقتصادية بين الدول، وكذلك الخلافات الايديولوجية.
إن ما هو مثالي لدينا، هو عالم خال من الأسلحة، ومن العنف، عالم يتمكن فيه كل شعب، من الاختيار الحر لطريق تنميته، وأسلوب حياته...» !!

ميخائيل غورباتشيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي.

(عن نشرة لوكالة نوفوستي حول البرنامج السوفيتي للسلام والأمن الدوليين المقدم في المؤتمر 27 للحزب الشيوعي السوفيتي — مارس 1986).

لقد كان قصف هرات من طرف الطيران العسكري السوفياتي، وسلاح الجو الأفغاني في مارس 1978، فرصة ممتازة للسوفييت ليختبروا مستوى ردود الفعل خارجيا، وخاصة لدى الدول العربية والاسلامية التي كانت غافلة عما يجري في أفغانستان، ودون إدراك لمرامي الأحداث المتسارعة خلال عام وثمانية أشهر فقط، وبالفعل لم يبرز أي موقف سياسي أو حتى دبلوماسي تجاه تلك التحولات الخطيرة، باستثناء باكستان التي كانت جد معنية بما يجري قريبا منها في أفغانستان، ولمّا يمض على مأساة بتر بانجلاديش سوى سنوات قليلة جدا، وكانت المخططات الرامية إلى مزيد من تفتيت باكستان عبر نشر ما سمي بالقومية البلوشية غرب باكستان وجنوب شرق أفغانستان وجنوب غرب إيران ــ وهم بضعة ملايين في هذه المناطق ــ ماضية على يد السوفيات، وذلك ضمن الاستراتيجية السوفياتية تجاه باكستان (1)، خاصة وأنها كانت حليفة للصين عدوة الاتحاد السوفياتي الكبرى في آسيا.

وإذا كان صحيحا القول، بأن ما حدث في أفغانستان له شبيه بما حدث في آسيا الوسطى بعد قيام الثورة البلشفية، فمع هذا تبقى قضية أفغانستان تمثل حالة خاصة : فمن جهة، ما حدث لمسلمي آسيا الوسطى بعد ثورة 1917 هو امتداد «طبيعي» لوضعية الاستعمار الاستيطاني الروسي على عهد القياصرة، والتي ازدادت طغيانا بعد الثورة. ومن جهة أخرى، تمثل قضية أفغانستان، أول صدام عسكري مباشر ذي حجم كبير بين الاسلام والاتحاد السوفياتي، يصل الى حد احتلال بلد اسلامي عريق، بالمعنى التقليدي للاحتلال العسكري، ومن جهة ثالثة يعتبر حجم القوة العسكرية الاجمالي ونوعيات السلاح المستخدم، والأساليب العسكرية المطبقة على أرض أفغانستان من طرف السوفيات، في غاية القوة التدميرية، ويمكن القول أنها تشمل كل أنواع الأسلحة الحديثة باستثناء السلاح النووي.

وأخيرا، فإن الحرب في أفغانستان، نتجت عنها أكبر حركة هجرة قسرية على وجه الأرض، وفاق عدد القتلى من جرائها المليون وخمسمائة ألف شهيد (2) كما تجمع ذلك المصادر المحايدة والرصينة، أما عدد الجرحى والمشوهين، وما نتج عنها من تيتم وترمُّل، فلا يمكن حصره، ولا الدمار الهائل في طول البلاد وعرضها.

اعترافات ستانيسلاف والتحضير للاجتياح العسكري

قبيل الاجتياح السوفياتي، كانت العلاقة بين أمين والسوفيات، قد تدهورت إلى درجة كبيرة، فالأول كان يريدها ماركسية تسير نفسها دون التخلي عن الولاء المطلق للأخيرين، بينما كان السوفيات لايترددون في اصدار الأوامر إلى أعلى المسؤولين في أجهزة الدولة، ووصل التوتر إلى حد استدعاء وزير خارجية أمين، ولي شاه، للسفير السوفياتي بوزانوف Puzanov (عضو اللجنة المركزية المقيم في افغانستان منذ 1970) في 6 أكتوبر 1979، ووضعه موضع الاتهام أمام سفراء 11 دولة اشتراكية في كابل، **بسبب هيمنة «المستشارين» السوفيات على كل كبيرة وصغيرة في الدولة**[3]. وفي نفس الوقت كانت ضربات المجاهدين في كابل، قوية ومؤثرة، ولم تسلم منها السفارة السوفياتية ومقرات المستشارين الروس.

ويصف العقيد ستانيسلاف ليفشنكو الكسندروفتش Stanislav Levchenco Alexandrovitch ـ الذي عمل لمدة 15 عاما في أجهزة ك ج ب، وقضى السنوات الخمس الأخيرة منها في طوكيو، ثم لجأ إلى الغرب، وأحدثت أعترافاته ضجة واسعة فيه، وهو من أب مسيحي وأم يهودية ـ كيف اتخذ القرار باحتلال افغانستان، من طرف المكتب السياسي في اجتماع بقصر الكرملين في خريف 1979. فبعد مناقشة أبعاد الوضع المتدهور في كابل، بناء على التقارير المفصلة التي قدمها يوري أندروبوف (الذي عمل طويلا في رئاسة ك ج ب)، وفي ختام الجلسة، كان الاتفاق قد تم على التخلص من أمين وتعيين ببرك كارمال مكانه، وقاموا بتكليف ميخائيل طالبوف باغتيال أمين بالسم، لكنه فشل في ذلك لاحتياطات أمين الشديدة، ثم تقرر تكليف العقيد باير مانوف على رأس مجموعة كوماندو للقيام بالمهمة التي نفذها بالفعل، وقتل أمين يوم 1979/12/26 (والشائع هو يوم 1979/12/27) بعد معركة عنيفة مع القوات المدافعة عنه في قصر «دار الامان» !...[4].

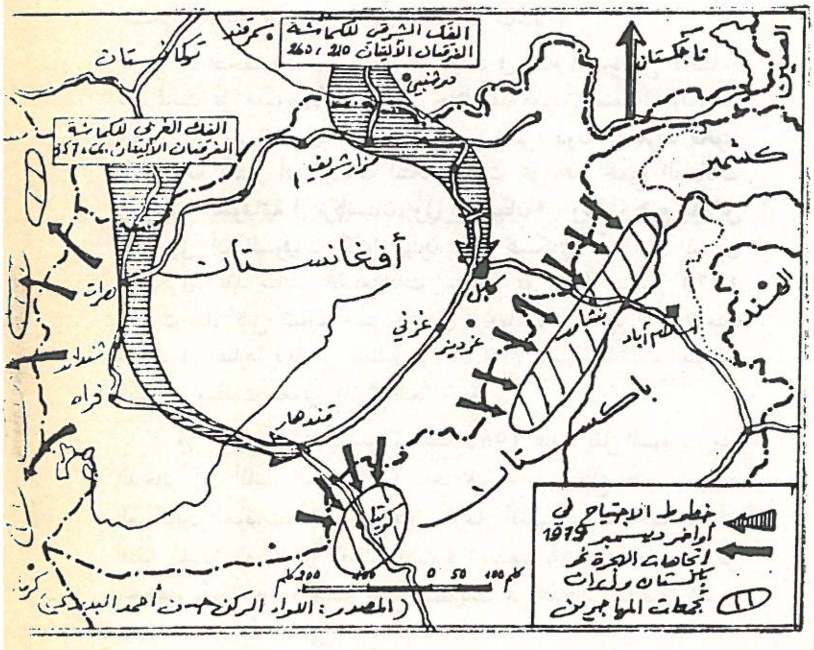
وتولى عملية التحضير للغزو العسكري، كل من الجنرال ايفان بافلوفسكي Ivan Pavlovski القائد الأعلى للجيوش البرية، والجنرال ألكسندر ابيشيف A. Epichev رئيس الادارة السياسية في الجيش الأحمر السوفياتي (وقد لعبا دورا هاما في التحضير للغزو العسكري السوفياتي في تشيكو سلوفاكيا في 1968) اللذان مكثا مدة طويلة في أفغانستان لاعداد تقرير عن الأوضاع في البلاد[5].

وفي نهاية شهر أكتوبر وبداية شهر نوفمبر، سجل الامريكيون نشاطا عسكريا في المطارات السوفياتية القريبة من أفغانستان. وفي نهاية نوفمبر، تم تدعيم الفرق العسكرية في تركانستان باستدعاء الاحتياطي.

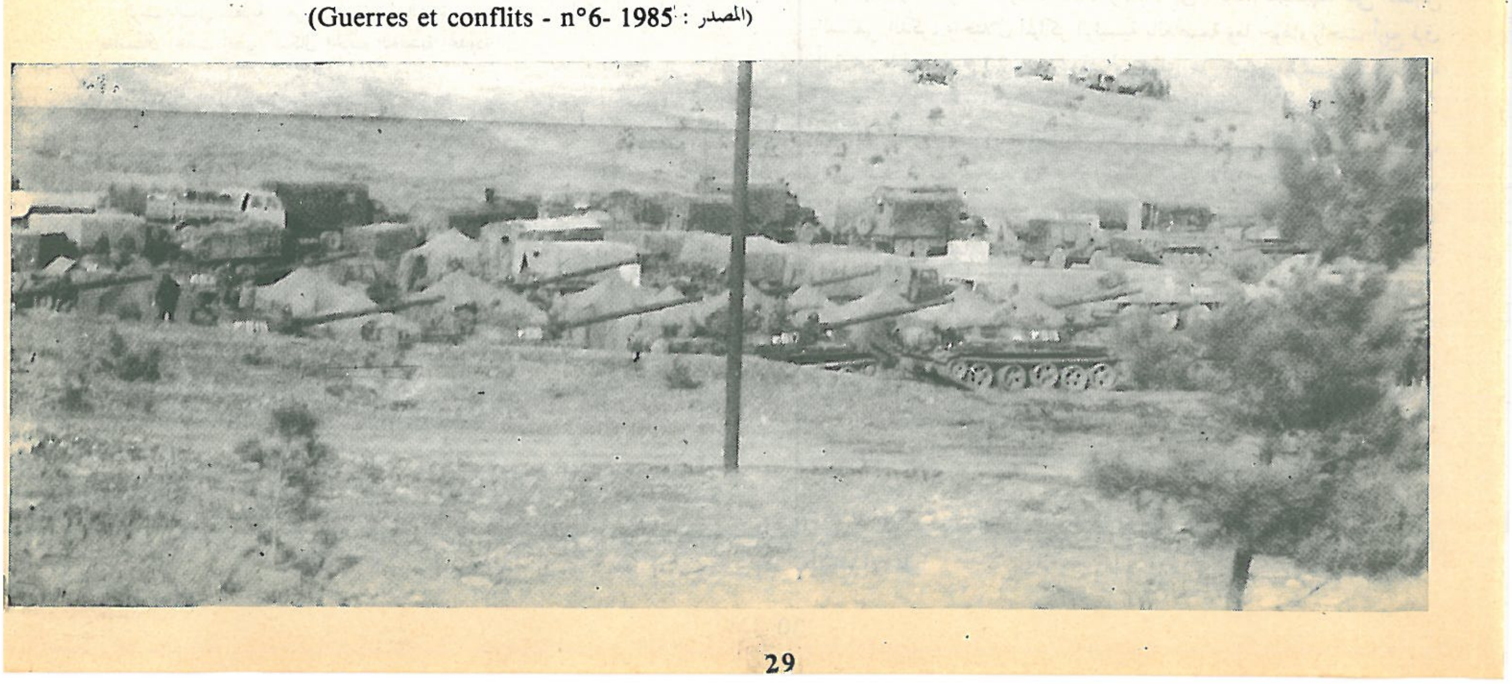
وفي 8 و9 ديسمبر، تمركزت فرقة محمولة جوا في قاعدة باغرام، وهي حاليا من أهم القواعد الجوية السوفياتية في افغانستان وتقع شمال كابل، ثم تحركت هذه الوحدات شمالا لاحتلال ممر سالنغ الشهير، بهدف تأمين خط المواصلات بين كابل، والحدود السوفياتية.[6]

ولابد من التذكير بأن العمليات العسكرية ضد المناطق الثائرة لم تبدأ بعد الغزو العسكري، بل **بدأت منذ اندلاع أولى الانتفاضات** في وادي وايغال (ولاية نورستان) في يوليو 1978 ثم سرعان ما انتشرت في باشغال ورمغال (ولاية لغمان)... حيث باشرت السلطة الحاكمة في كابل، بتوجيه سوفياتي، قصف المناطق الثائرة بطريقة منهجية، استهدفت، بشكل مباشر، تدمير وحرق البنيات الزراعية والمحاصيل بهدف احداث مجاعة في تلك المناطق، املين أن يؤدي ذلك إلى انفضاض الشعب عن المجاهدين وتحميلهم مسؤولية الخسائر في نهاية المطاف (انظر تواريخ الانتفاضات الشعبية في الفصل السابق).

خريطة احتياج الجيش الاربعين السوفييتي لافغانستان في نهاية ديسمبر 1979



(المصدر : Guerres et conflits - n°6- 1985)





قافلة تتكون من مئات الشاحنات والآليات كما ترى في عمق الصورة في منطقة بنجشير

وهكذا ظهر جليا، منذ غشت 1979، أن النتائج كانت مروعة في المجال الزراعي، فقد وصل العجز إلى 1،5 مليون طن، أي ما يوازي 5 مرات معدل مستوردات افغانستان، واعترف أمين بنفسه، أنه لجأ إلى هذا الاسلوب الهمجي بناء على «نصائح» الرفاق السوفيات مباشرة(7).

أما التحضيرات التي قام بها السوفيات في الأيام الأخيرة قبل الاجتياح، فقد تمثلت على مستويين، السياسي من خلال لقاء دوبرنين السفير السوفياتي في واشنطن مع وزير الخارجية الامريكي سايروس فانس، **دون أن يعرف فحوى اللقاء، مع اعتبار أن الولايات المتحدة كانت على علم بجميع التحركات العسكرية السوفياتية في تركمانستان، وفي أفغانستان(8)، وكانت جميع الدلائل تشير إلى أن السوفيات كانوا يهيئون لغزو عسكري.** أما على المستوى العسكري، فقد سارت الاستعدادات بسرعة : ففي 24 ديسمبر 1979 شهدت سماء كابل أضخم جسر جوي في تاريخها، الذي استمر إلى 26 منه، وأنزلت في مطارها فرقة من المظليين (10.000) بواسطة طائرات انطونوف الضخمة وتطلبت العملية 200 طلعة جوية.

وكما حدث في تشيكوسلوفاكيا سنة 1968 عندما نقل السوفيات منها الذخائر إلى ألمانيا الشرقية قبل احتلالهم لها، استطاع «المستشارون» العسكريون السوفيات، أن يجردوا فرقتين مدرعتين أفغانيتين من سلاحهما بعد أن اقنعوا القيادة العسكرية الافغانية بضرورة تزويدهم بقائمة الذخائر وأماكن وجودها، وأعطوا «توجيهاتهم» بنزع البطاريات من الدبابات بدعوى تحسين وقايتها من الجليد...(9) واقنعوا أمين، وهو الذي كان يحتاط منهم كثيرا، بأن يقيم في قصر «دار الامان» في ضاحية العاصمة، حتى يتسنى لهم «حمايته»

في هذه الاجواء، كانت المعارضة الشعبية المسلحة قد أصبحت على درجة كبيرة من الخطورة، ووصلت ضربات المجاهدين إلى كابل، بما في ذلك تصفية الروس، واندلاع المظاهرات وغيرها من مظاهر الرفض الشعبي للنظام الانقلابي الموالي للسوفيات.

الاجتياح وأساليب ادارة الحرب

بعد استكمال الاعداد والترتيبات، وبعد تصفية أمين وأتباعه، في 1979/12/26 على يد وحدات كومندو سوفياتية، اندفع **الجيش الاربعون** السوفياتي بعد السيطرة على طريق ترمذ (بلاد الامام المحدث الترمذي وتقع مباشرة وراء الحدود في تاجيكستان) كابل المارة عبر كندز وممر سالانغ الشهير...

ويلخص اللواء الركن أحمد حسن البدري، وهو من القادة البارزين في حرب رمضان 1973، عملية الاحتلال باللغة العسكرية كما يلي : «اقتحمت الفرقتان 103 و104 جويا من 24 ديسمبر إلى 26 منه، الحدود واحتلتا قاعدتي باغرام وباغمان، وبينما كانت طائرات ميج 21 و23 تؤمنان لها الحماية الجوية في سماء مسرح العمليات من قاعدتي كارشي وكراكي داخل حدود الاتحاد السوفياتي، إضافة إلى طائرات سلاح الجو الافغاني التي انحاز كثيرون منهم إلى جانب السوفيات.

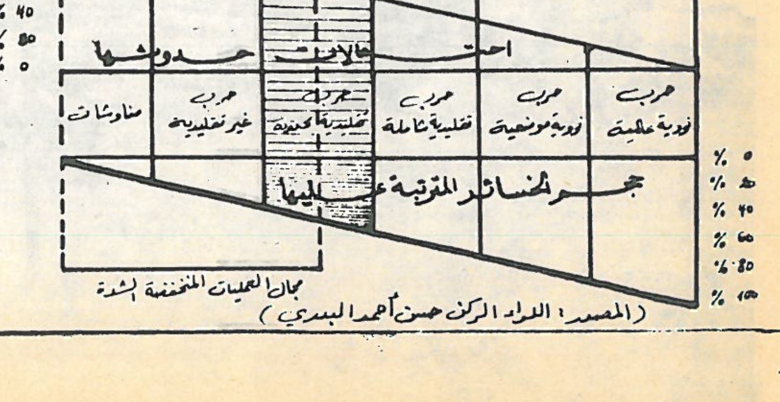
وبينما انصرفت الفرقتان 103 و104 إلى احكام قبضتيهما على المطارين السالفي الذكر، واحتلال المراكز الرئيسية بالعاصمة وما حولها، راحت أربع فرق آلية تعبر الحدود يوم 27 عند ترمذ، ثم تنطلق على محورين رئيسيين لشن حركة كماشة كبرى، اندفع فكها الشرقي المشكل من الفرقتين الآليتين 210 و360 في اتجاه مزار شريف (بلخ القديمة) فكابل عبر مضيق سالانغ ليحقق الاتصال البري السريع مع عناصر فرقتي الاقتحام الجوي الرأسي. بينا اتجه فكها الغربي المشكل من الفرقتين الآليتين 66 و357 من كوشكا نحو مدينة هرات، فشنداد حتى قندهار مرورا بفرح، ليصل بحركة الكماشة هذه إلى غايتها جنوبا، في عمق اقليم الهندكوش قرب الحدود الباكستانية.

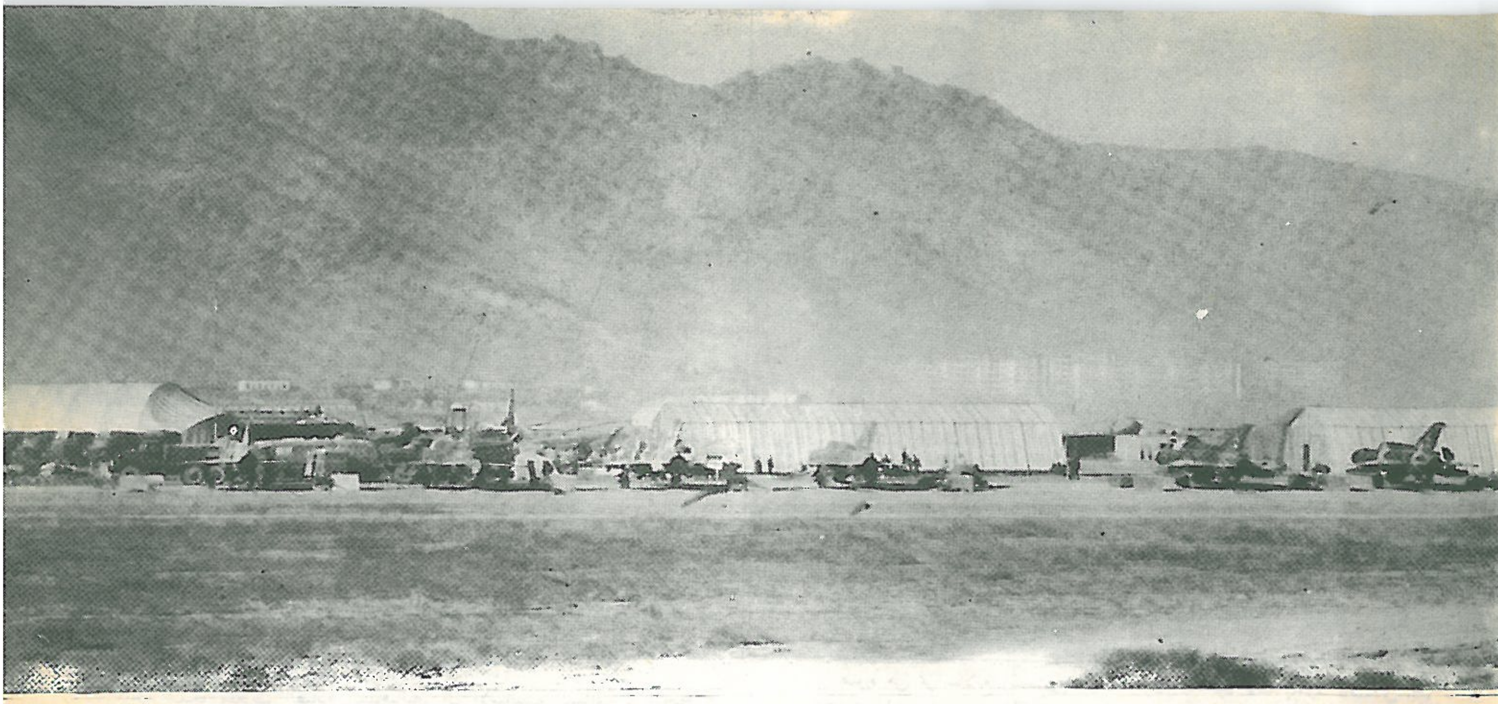
وتبعا لنظرية **«العمليات المنخفضة الشدة»**، يحلل هذا القائد العسكري البارز، الحرب في افغانستان، من وجهة النظر العسكرية الصرفة.

وحسب هذه النظرية، كما يقول اللواء الركن أحمد حسن البدري، فإن نجاح هذا النوع من العمليات يعتمد بالدرجة الأولى على العوامل الستة التالية :

1 — تهيئة أفضل الظروف المحلية والدولية للانفراد بالدولة المزمع الاعتداء عليها.

الرسم البياني لنظرية الحرب المنخفضة الشدة، ويستفاد من الحقائق أن الحرب في افغانستان اتخذت أقصى أشكال الحرب التقليدية المحدودة.





مطار كابل، تلاحظ عدة طائرات ميج 21 وعليها النجمة الحمراء



صورة لنصف صاروخ يزيد طوله عن 2،5 م وينفث عددا كبيرا من الألغام المضادة للأفراد.

المصدر : مجلة الجهاد يناير 1986

2 ــ استغلال العملاء وذوي الضمائر من الحكام لتبرير هذا العدوان وإضفاء الصفة الشرعية عليه.

3 ــ منع سائر الأطراف الأخرى من استغلال الموقف أو التأثير فيه بما يعود على الضحية بالفائدة أيا كان نوعه.

4 ــ استخدام قوات الحكومة العميلة وقدراتها لانجاز أشق المهام وأخطرها مع اكتفاء القوات المعتدية بالقبض على المراكز الحسابية والهيئات الحاكمة التي توفر لها السيطرة التامة على الدولة الضحية.

5 ــ شن الحرب النفسية والاقتصادية العارمة بغرض إشعال جذوة العداوات الأثنية وبث الفرقة بين طوائف الشعب وفئاته الاجتماعية وحرمان الجماهير المناوئة من فرص العيش أو مواصلة الحياة الطبيعية داخل بلادهم.

6 ــ غزو الشعب ــ الضحية فكريا وعقائديا طبقا لخطة طويلة الأمد تهدف ــ آخر المطاف ــ الى طمس هويته وتقاليده الموروثة والتشكيك في عقيدته الدينية ليتبدل بها المذهب الذي تفرضه السلطة الغاصبة.

ويمكن تلخيص النظرية ــ التي تزايد اهتمام الدولتين العظميتين بها وما يلزمها من أساليب قتال متميزة، وأسلحة وتدريبات خاصة ــ في ست كلمات : الانقضاض، فالعزل، فالقمع، فالاحتواء، فالتصفية، فتعزيز المكاسب.

المرحلة الأولى : الانقضاض

وهي الهجمة الخاطفة التي استخدمت فيها قيادة الجيش 40 السوفياتي قواتها في معارك قتالية ضد المجاهدين، إلا أن اندفاع قوات كبيرة من المجاهدين ضعيفة التسليح والانضباط للتصدي للغزاة، أدى إلى وقوع خسائر جسيمة في الطرفين، وأدى إلى جنوح القوات الحكومية إلى الهروب، واتباع اسلوب الكمائن الكثيرة، ومهاجمة المخافر الامامية للقوات المعادية.

ويعطي أوليفيي روا بدوره الخطوط العريضة لهذه المرحلة، وهي تتفق تماما مع تحليلات اللواء الركن حسن احمد البدري، وذلك فيما يتعلق بالتغطية الجغرافية لسير العمليات العسكرية : فقد قام الروس بعمليات ضخمة متعددة، تركزت على محاولة السيطرة على الطرق والمحاور الكبرى من جهة، وعلى المناطق المجاورة للقواعد العسكرية السوفياتية من جهة أخرى. وتسجل في هذا الاطار العمليات الكبرى التالية : كونر (فبراير) باكتيا (مارس) طريق وسط الهازاراجات (يوليو ــ غشت) ولوجر، وخاصة طريق كابل قندهار، وهوجمت المناطق المحيطة بغازني حيث يتوفر السوفيات على قاعدة جوية، كما تم القيام بالهجومين الكبيرين على بنجشير (أبريل وأكتوبر ضد معاقل المجاهدين بقيادة البطل أحمد شاه). وفي نوفمبر هوجمت المناطق المحيطة بننجرهار، أما منطقة سرخد فقد دمرت. وفي يوليو بدأ السوفيات في اسقاط كثيف لقنابل صغيرة الحجم مضادة للأفراد من البلاستيك في شكل لعب وأشياء مختلفة في المسالك المؤدية إلى باكستان، وكان الضحايا الأكثر سقوطا، هم الاطفال والبهائم، (روا، ص 263 ــ 264).

المرحلة الثانية : العزل

وفيها طرأ تغيير جذري على الاسلوب السوفياتي مع بداية عام 1981، وذلك بزيادة اعتماده على القوات الحكومية (وهذا ما يفسر ظاهرة التجنيد بالقوة التي مارسها النظام الصوري في كابل)، وتسريب شبكات عميلة للتسلل إلى صفوف المجاهدين، مع اشتداد الحرب النفسية عليهم. كما بادرت القيادة السوفياتية إلى الشروع في شن عمليات الاقتحام الجوي الرأسي على نطاق واسع بواسطة جنود المظلات المتخصصين في الحرب غير التقليدية وتعرف بوحدات السبتناز وتشكل من عناصر **استطلاع**، وإغارات، وأمن



صورة من ممر سالانغ (بنجشير) حيث أحرق المجاهدون قافلة روسية كاملة في ابريل 1984 (المصدر : روا، Guerres et conflits) ولم تكن المرة الأولى ولا الأخيرة.

داخلي، ومهام سرية وخبراء في المتفجرات، والكمائن. كما أطلقت المفارز البرية لعزل المجاهدين وحصارهم داخل مناطق نائية. (اللواء الركن حسن أحمد البدري).

وفي الاطار الجغرافي دائما، شهد شتاء 1982/81 تكثيفا للقصف، مقرونا بتطويق المناطق المستهدفة من قبل الوحدات المُمَكْنَنَة بهدف تحجيم المقاومة. واتبع هذا التكتيك في قندهار، هرات والشمالي، وكانت الخسائر المدنية فادحة. وشهدت هذه السنة هجومين جديدين ضد بنجشير (ماي وغشت وسبتمبر) حيث استعملت لأول مرة وحدات مجوقلة (محمولة جوا) يتم اسقاطها فوق رؤوس الجبال في بضع ساعات، أما المدرعات فلم تحتل الوادي إلا فيما بعد، وبأعداد أقل من الهجومات السابقة. وفشل هذان الهجومات كسابقيهما وانسحب الروس من الوادي في ديسمبر، (وأصبح هذا هو النموذج الذي تكرر فيما بعد في بنجشير) ومركزوا في مدخله في رخا. ومنذ فصل الربيع من تلك السنة كانت المقاومة قد استرجعت زمام المبادرة في أهم الجبهات. (روا ص 264).

المرحلة الثالثة : القمع

عندما شعرت القيادة السوفياتية، أن الاساليب السابقة لم تنجح في القضاء على حركات الجهاد، وما ترتب على ذلك الفشل من عرقلة خطط حسم الصراع، بادرت إلى ادخال تغييرات تكتيكية وتعبوية على أساليب إدارة عملياتها، وذلك على شكل ضربات جوية وأرضية مركزة بنيران الطائرات والمدافع التي انصبت بغزارة شديدة، وخاصة على مدينة قندهار التي تحولت ثلث أحيائها إلى ركام وانقاض، (وبقيت المدينة فعلا تشهد معارك مستمرة طوال سنوات الحرب) وكذلك في «الشمالي»، أما العمليات الخاصة بـ «تطهير» المناطق المحيطة بالقواعد السوفياتية، فقد شملت ولايات لوجر (يناير) هرات (ابريل) وغازني (يونيو). وإذا كانت هذه المرحلة (خلال سنة 1983) لم تشهد عمليات عسكرية كبيرة، إلا أن استخدام الاسلحة الكيماوية، (غاز الاعصاب، المطر الاصفر...) وتكثيف قوة النيران، نتج عنهما دمار واسع وضحايا بالآلاف في صفوف المدنيين، ودون أن يتوقف سيل الهجرة إلى باكستان وإيران بحثا عن الامان، ولاشك أن هذا كان أحد أهداف القيادة السوفياتية.

طائرة مي 24

وتميزت هذه السنة بحدثين مهمين : الاتفاق على الهدنة بين السوفيات (بناء على طلبهم) وأحمد شاه، الذي كان في أمس الحاجة إلى فرصة يعيد فيها تنظيم قواته واستخلاص الدروس من الهجومات الاربعة السابقة.. ثم حصار مدينتي خوست وأورجون منذ نهاية يوليو في ولاية باكتيا من طرف المجاهدين بقيادة العالم جلال الدين حقاني الذي لايزال يقود الجهاد في هذه الولاية الحدودية التي يركز عليها السوفيات باستمرار منذ بداية الحرب ـ (البدري، روا) (وفيها تقع مدينة خوست التي «انتبهت» إليها وسائل الاعلام الغربية والسوفياتية بعد تسع سنوات من الحصار) ! !.



المرحلة الرابعة : الاحتواء

لقد تزامنت عملية الاختراق الايديولوجي لأكبر عدد ممكن من السكان، وخاصة بالنسبة للأطفال والشباب، في الأوساط الحضرية بالدرجة الأولى، مع تطور الحرب على الشاكلة السابق توضيحها على المستوى العسكري. وهنا لابد من التنبيه إلى أن مراحل تطور الحرب ليست محصورة بدقة من الناحية الزمنية، ولكنها تتداخل فيما بينها باستمرار كما أن من المراحل ما يستمر العمل به إلى الآن، كالعزل على المستوى الاعلامي والسياسي. ومن المعروف أن السوفيات قد دفعوا بأعداد كبيرة من الاطفال والشباب الافغان إلى المعاهد والمؤسسات السوفياتية والأوروبية الشرقية بهدف غسل دماغها، وتهيئتها للعمل وفق مخططاتهم، ولكن الثابت أن نسبة كبيرة منهم واعية باللعبة الخبيثة وكثير منهم انضموا مباشرة للمجاهدين أو عملوا لصالحهم في أجهزة الدولة وفي الجيش بعد عودتهم إلى البلاد.

أما من الناحية العسكرية، فقد تميزت سنة 1984 بعودة السوفيات إلى الرؤية العسكرية المحضة للحرب، ولكن هذه المرة، بجيش أكثر استعدادا وبأعداد أكبر من السابق، وبإرادة للقمع لم يسبق لها فيل في أفغانستان، وخاصة بواسطة هجومهم الضخم على وادي بنيجشير منذ شهر أبريل (روا، ص 265).

أما اللواء الركن أحمد حسن البدري، فيعطي تفصيلات دقيقة عن آلة الحرب السوفياتية التي زج بها السوفيات في افغانستان خلال تلك السنة، وأساليبهم القتالية : فبعد أن أتمت القيادة الميدانية للجيش 40 بالتعاون مع القوات الحكومية العميلة إحكام قبضتها على المدن الرئيسية والمحاور الرئيسية، تحول الكرملين إلى دفع قوات اضافية بلغ عددها 20.000 مقاتل، كما وفرت لها دعما جويا لشن حملة إبادة استهدفت هذه المرة استئصال شأفة المجاهدين بعد أن لاحت بوادر اتقانهم أعمال الكر والفر الرفيعة المستوى، وراحت تفرض نفسها على مسرح العمليات العسكرية، وأوقعوا خسائر جسيمة في صفوف العدو المحتل، ومن أعظم انتصاراتهم خلال هذه السنة معركتا خوست وغرديز حيث قضوا في هذه الأخيرة على 800 جندي حكومي وسوفياتي من لواء الكومندو رقم 38.

وشد انتباه المراسلين الحربيين ـ يقول اللواء الركن احمد حسن البدري ـ ذلك الشبه الكبير بين تكتيكات القيادة بمسرح فييتنام وتكتيكات السوفيات في افغانستان في مرحلة ذروة المعارك هذه، وخاصة فيما يلي :

1 ـ زيادة الاعتمادات على الحوامات في تنفيذ مهام القتال والاسناد الاداري والطبي.

2 ـ انتهاج اسلوب **البحث والتفتيش الدقيق قبل شن مناورات التدمير**، وبمجرد أن تنجح الوحدات المحمولة جوا في إجبار المجاهدين على الدخول في معركة خاسرة، وقفل كافة طرق الارتداد في وجههم.

3 ـ استخدام كافة القاذفات الاستراتيجية على نحو ما فعل الامريكيون في فيتنام لادارة عملية قصف جوى هائلة لقفل محاور تسرب المجاهدين عبر الحدود المشتركة مع باكستان.

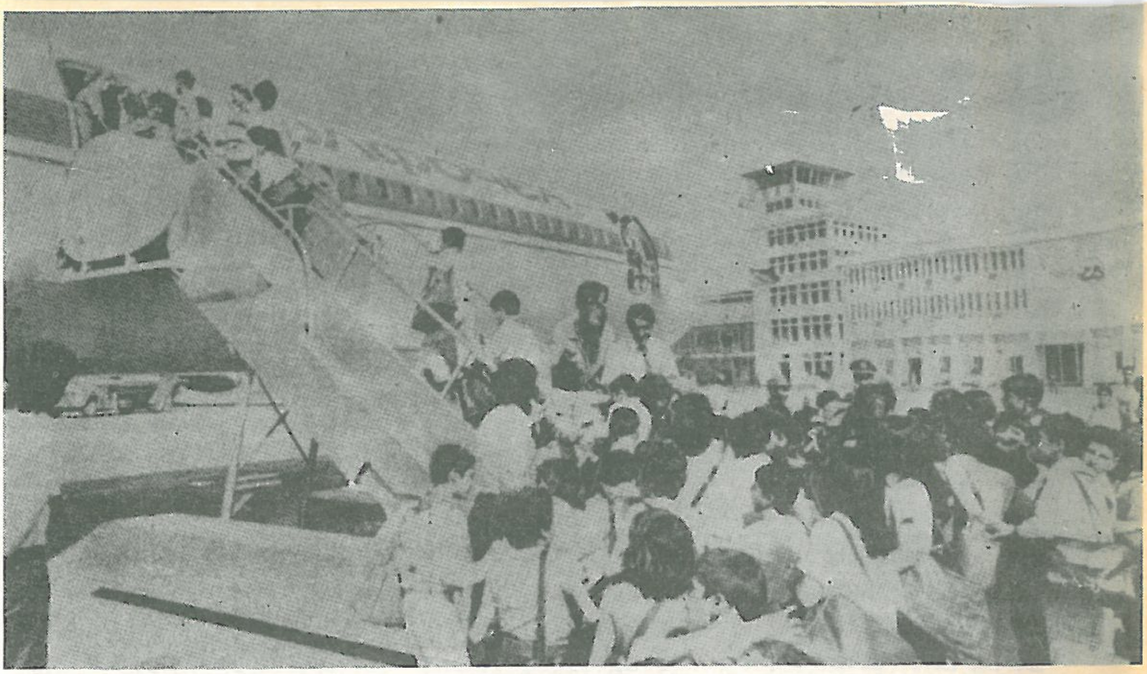
والملاحظ أن الحملة السوفياتية على أفغانستان تميزت خلال هذه المرحلة الحرجة بثلاث ظواهر استراتيجية بارزة هي : قفل ميدان المعركة جوا، وقصف أهم الهيئات الحاكمة (الادارات المحلية) على محاور تحرك المجاهدين ثانيا، ثم قيام القاذفات والحوامات بصب أغزر النيران المدمرة على ارتالهم ومناطق إيوائهم فور اكتشافها بين شعاب الجبال الشاهقة، أو ثنايا الخيران العميقة.

وقد اشتركت في هذه العمليات الضخمة التي تجاوز معدلها اليومي 800 غارة جوية كل من القاذفات توبوليف Tupolev 16 وسوخوي Sukhoy24، وخاصة في المرحلة الافتتاحية من عملية الهجوم الكاسح على وادي بنجشير، والميج بأنواعها المتطورة والسوخوي Su 25 التي دخلت الخدمة العامة للمرة الأولى في هذه العمليات الضخمة وكذلك الحوامات المسلحة بالمدافع والصواريخ والرشاشات، (والمقصود بها النوع الشهير مي 24 Mi Hind التي زودت بأجهزة الاشعة تحت الحمراء للرؤية الليلية وأجهزة





وحدات سبتناز وهي تتهيأ لاحدى العمليات



مجموعة من الاطفال في مطار كابل في طريقهم الى الاتحاد السوفيتي حيث يتعرض عشرات الالاف منهم الى غسيل المخ بهدف مسخ فطرتهم وتجنيدهم لتخريب وطنهم...! — المصدر : مجلة «المجاهدون» نقلا عن وكالة «تاس» السوفيتية.

تصويب النيران بالليزر(10)) التي تخصصت في القيام بمهام جوية مستقلة ضد عناصر المجاهدين في العراء.

وفي مطلع عام 1984 بدأت عمليات الاقتحام الجوي الرأسي في مطاردة جموع المجاهدين في طول البلاد وعرضها، بعد تدعيمها بعربات قتال المشاة المدرعة المحمولة جوا بغرض دعم قوة الصدمة والتمدرة على المناورة الواسعة لهذه العمليات التي أثبتت فاعليتها في مباغتة المجاهدين وإلحاق الخسائر الشديدة بهم.

وعندما بلغ حال المجاهدين ذروة الخطر، أمكنهم الحصول على بعض قواذف الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات من طراز سام 7 التي اجبرت الطائرات والحوامات السوفياتية إلى اتخاذ المزيد من الحذر في أعمالها بعد أن كانت تمرح في سماء افغانستان كيف تشاء، فقد اضطرت إلى العمل من ارتفاع أكثر علوا رغم ما يترتب على ذلك من تدهور دقة إحكام نيرانها بالاضافة إلى التوسع في استخدام التدابير المضادة لتوقي أخطار ما يطلقه المجاهدون من صواريخ سام التي غنموها من الاعداء (وهذا ما دعا السوفيات إلى سحب الفيلق الجوي في 1986 واستبداله بقوات أخرى).

المرحلة الخامسة : التصفية

تهيئت الظروف المناسبة في منتصف عام 1984 لنقل أعمال العدوان خارج حدود البلاد، ومطاردة المهاجرين سواء في معسكراتهم الجديدة حول بشاور وكويتا في باكستان، أو أثناء تحركهم صوب هذه الحدود، أو عودتهم منها بغرض تصفيتهم تماما. وقد شنت القوات السوفياتية نحوا من 50 غارة جوية و20 اغارة برية فيما بقي من عام 1984 سقط خلالها أكثر من ألف شهيد وأضعاف ذلك من الجرحى، كما أصبحت الوضعية المعيشية لدى المجاهدين خطيرة (وقد عكستها بياناتهم آنذاك) ويعود ذلك إلى نزوح السكان واضطرار أعداد كبيرة من المجاهدين للعمل في الزراعة لسد بعض النقص بإنتاج كميات قليلة من القمح، خاصة وأن السوفيات كانوا قد شرعوا منذ بداية الاحتلال في تدمير البنيات الزراعية وإبادة المواشي لتجويع السكان والمجاهدين، كما أن امداداتهم من الاسلحة والذخائر انخفضت إلى درجة تنذر بالخطر حتى صار 80% مما يحصلون عليه يأتي من القوات الحكومية العملية أو مما يتم الاستيلاء عليه من السوفيات كغنائم... (البدري).

وتميز الهجوم السابع على بنجيشير، الذي بدأ في 21 ابريل 1984، بكونه الاضخم من نوعه منذ بداية الاحتلال، فقد شارك فيه جيش قوامه 20.000 مقاتل، ومن 5000 إلى 6000 من القوات الحكومية، وكانت الوسائل والامكانيات التي وضعت للخدمة خلال هذا الهجوم تشير إلى أنه تقرر القيام به على أعلى المستويات في الكرملين. وكانت مجموعة كومندو تابعة لجهاز «خاد» قد فشلت في اغتيال أحمد شاه (مسعود) قائد منطقة بنجشير في أوائل ابريل. (روا ص 267) (11).



جنود روس وهم يحاولون الاختباء بعد تعرض قافلتهم لهجوم من طرف المجاهدين قرب ممر سالانغ في بنجشير.

بدأ الهجوم بإنزال مجموعات متخصصة ضد حرب العصابات ، بواسطة طائرات مروحية، في نفس الوقت الذي كانت قافلة مدرعة تخترق أودية اندراب وبنجشير، كما تم انزال قوات أخرى في عمق وادي بنجشير، وتمكنت من الوصول إلى أستانا في أندراب دون صعوبات. لكن أحمد شاه، الذي استفاد من دروس الهجومات الأربعة السابقة، فهم جيدا الخطة التي وضعتها القيادة الميدانية بقيادة الجنرال سوروكين الذي يوجد مقر قيادته في باغرام (وتجدر الاشارة إلى أن القيادة السوفياتية سبق لها أن عهدت إلى الجنرال ترتياك Tret'yak قائد الجيوش السوفياتية في الشرق الأقصى، بمراجعة وضعية جيش الاحتلال على ضوء المراحل الأولى من الهجوم في عام 1980، وإدخال التغييرات اللازمة في آلة الحرب وفي التخطيط للعمليات العسكرية، بينا كلف الجنرال يازوف Yazov الذي كان على رأس القيادة العسكرية في آسيا الوسطى بالتنفيذ، والجميع كان تحت امره «القيادة العليا السامية الخاصة» Haut Commandement suprême special التي يرأسها المرشال سوكولوف Sokolov(12)). لقد أدرك مسعود أن السوفيات كانوا مصممين على استئصال شأفة الجهاد بأي ثمن، إذ لم يكن مقبولا أن تفشل القيادة العليا في المرات الأربع السابقة في تصفية أحمد شاه وسحق المجاهدين لتأمين أخطر وأهم خطوط المواصلات (كابل/الحدود عبر وادي بنجشير) التي يعتمد عليها السوفيات في دخول وخروج القوات والاسلحة الثقيلة والذخائر وكافة مواد التموين.

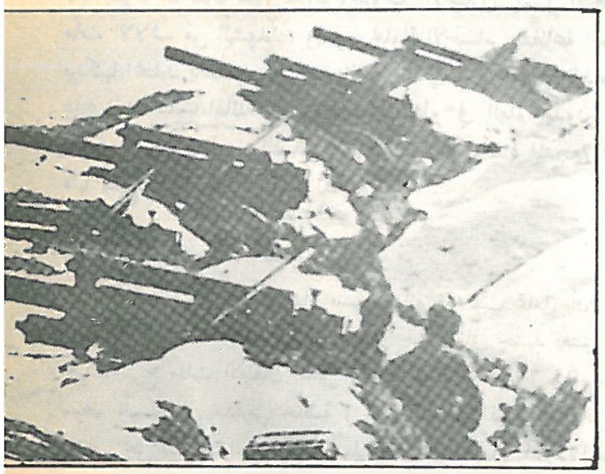
وإذا كان السوفيات قد عزموا في هذه الخطة، على تفريغ الوادي من سكانه، (ويبلغ طوله حوالي 100 كلم ابتداء من شمالي كابل)، وبجانب قيام السوفيات بعمليات عسكرية ذات تخطيط رفيع وقوة نيران بالغة الضراوة ضد المجاهدين والقرى الآمنة، فإن أحمد شاه استطاع أن يقنع غالبية سكان الوادي بضرورة اخلائه قبل بدأ المعارك، وقد بقي فيه حوالي 30 ألفا من أصل 100 ألف بداية الحرب، فخرج من بقي فيه، ووزع أحمد شاه قواته على الأودية المجاورة للوادي الرئيسي على جوانبه.

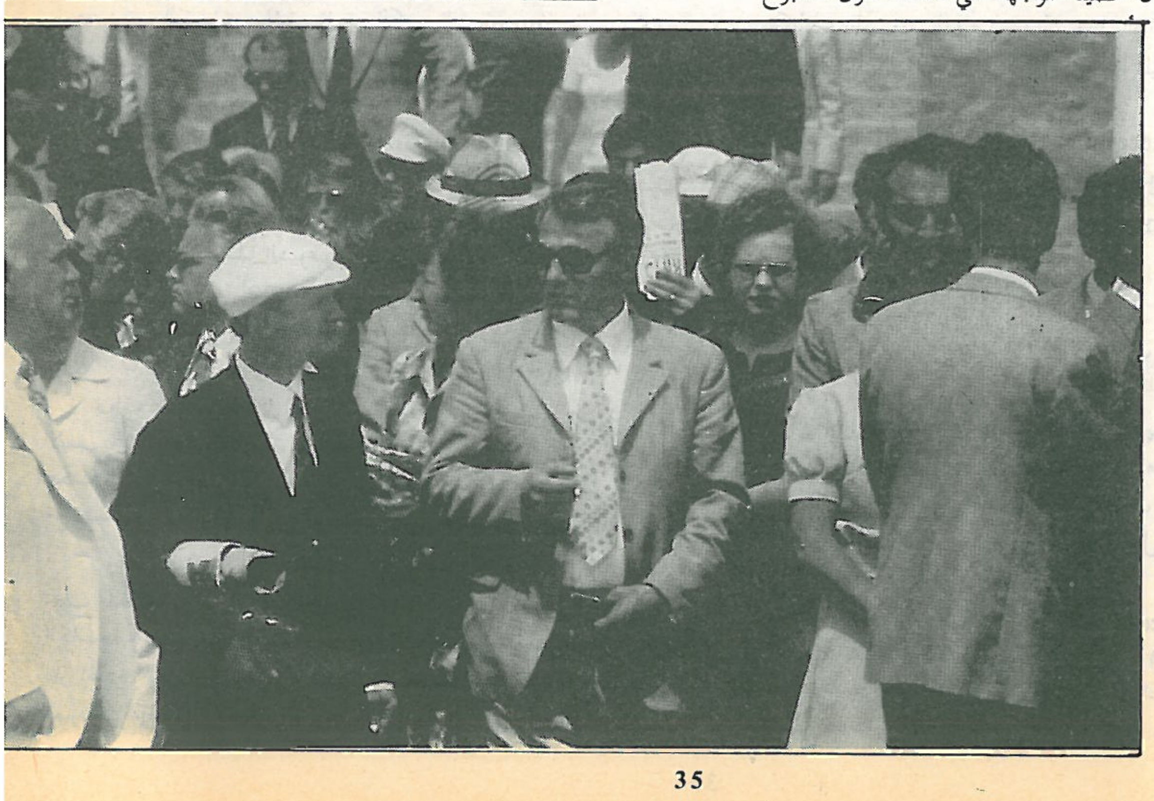
وعلى الرغم من أن القيادة السوفياتية سبق لها أن خططت لاحتلال عدد كبير من النقط والانطلاق منها لتصفية المجاهدين بمجموعات تتكون من 500 مقاتل في كل مجموعة، إلا أن حصيلة المواجهة التي امتدت طوال الاسبوع الاخير من شهر ابريل وحتى أواخر شهر ديسمبر، كانت فشلا ذريعا مرة أخرى، وبقي أحمد شاه وأهم قواته أحياء يرزقون. وكانت قوات الاحتلال تعمد إلى قطع طرق الاتصال، ثم خطوط الرجعة، بعدها يتم الهجوم على القوات الرئيسية للمجاهدين، بهدف مطاردتهم في الأودية لاجبارهم إما على القتال في عين المكان، أو التعرض لنيران الاسلحة الثقيلة الموجودة في الأودية وفي عموم المنطقة، في حالة تراجعهم.

كيف تمكن أحمد شاه من تجنب الفخ ؟ لقد كان يعرف الخطوط العريضة والتاريخ التقريبي للهجوم السوفياتي ولذلك كانت خطته واضحة : تفريغ الوادي مما تبقى من سكانه ومغادرة بنجشير، واعتماد اسلوب حرب العصابات في الربع الشمالي الشرقي من البلاد (ولايات بروان وبغلان وكندز وتخار وبدخشان وكبيسا) مع تجنب معارك المواجهة، ووضع ثقله على خطوط المواصلات السوفياتية، أي خط كابل ترمذ.

لقد كان أحمد شاه واعيا دائما أن وادي بنجشير يمكن أن يتحول إلى فخ خطير، وأن ليس هناك أي معنى للدفاع عن هذا المعقل، فحرب العصابات

مدفعية ثقيلة من عيار 122 ملم ضمن الاحزمة التي تحيط بالعاصمة.





مجموعة من «المستشارين» الروس في أسواق كابل

ليست حرب مواقع، والسيطرة على الأرض لا تفيد إلا قليلا. لهذا شرع في إخلاء السكان، وفي شهر فبراير، سحب قواته وترك ستارا من المجاهدين في مواجهة قاعدة أناوا التي يتوفر عليها السوفيات في مدخل الوادي. وفي 20 أبريل، أي يوما واحدا قبل بدء الهجوم الضخم، دمر المجاهدون قافلة كاملة قرب ممر سالانغ، وانتظر أحمد شاه أن يوزع السوفيات قواتهم قبل أن يبدأ هجومه المضاد، وكانت هذه القوات قد فوجئت بأن الوادي خال من السكان والمقاومين ولم تجد أحدا تقاتله.

ونتيجة لهجومات المجاهدين على القوات المحتلة تكبد هؤلاء خسائر كبيرة في الافراد، ولم تنجح وحدات السبتناز الشهيرة في دفع الهزائم عنها في جبال أفغانستان، بينما اكتسب المجاهدون تجارب في غاية الأهمية، كما غنموا أسلحة كثيرة من بينها البندقية الهجومية AK74 التي لاتتوفر عليها سوى القوات السوفياتية، والتي يمكن رؤية المجاهدين المسلحين بها في المجلات الصادرة عنهم. لقد كانت النتيجة بالنسبة للقيادة السوفاتية، هي العودة بالضبط إلى الوضعية السابقة مع خسائر بشرية وسلاحية ومعنوية منحطة. (روا 265، 269)

إن ما سبق قوله عن معارك بنجشير كنموذج ليس إلا وصفا باردا، لأنه بدون أن نقرن سير المعارك وظروف الاحتلال، بسيل الهجرة وأشلاء مآت الآلاف من الشهداء، وبدون محاولة الاحساس بفظاعة الجرائم والتي يرتكبها المحتلون باستمرار، والصبر العظيم الذي يواجه به هذا الشعب المسلم هذه التضحيات الهائلة التي لايوجد لها نظير في العالم، بدون هذا كله، لايمكن الوصول إلى ادراك صحيح لأبعاد هذه المأساة المفجعة التي يعاني منها شعب أفغانستان المجاهد المصابر.

المرحلة السادسة : التعزيز

يؤكد المجاهد أحمد شاه مسعود، أنه قد تبث تماما، أن الممارسات السوفياتية تستهدف بالدرجة الأولى تنشئة جيل أفغاني جديد يعتنق الشيوعية، حيث انتزع مئات الاطفال الذين تتراوح سنهم ما بين 7 و9 سنوات من أسرهم وأرسلوا إلى مدارس خاصة في آسيا الوسطى ليدرسوا الفكر الماركسي اللينيني نحو عشر سنوات. وتخضع عملية تعليم الاطفال في المدارس الحكومية إلى توجيه الخبراء السوفيات مباشرة، وتفرض الكتب التي تهدف إلى غرس مبادىء الشيوعية، كما يجبرون على تعلم اللغة الروسية، وهو أسلوب دأب على استعماله الاستعمار الغربي في البلدان الاسلامية خلال الحقبة الاستعمارية ولايزال.

وفي المدة الواقعة بين يوليو 1980 وديسمبر 1984، أجبرت سلطات الاحتلال زهاء 50 ألف أفغاني على الذهاب إلى الاتحاد السوفياتي وألمانيا الشرقية وبلغاريا وكوبا لتثقيفهم ايديولوجيا لمدة تتراوح بين سنتين وخمس سنوات ولتحقيق هذه الغاية أنشأ الشيوعيون منظمة الشباب الديموقراطي على شاكلة الكومسومول السوفياتية Comsomol، ومنظمة الرواد للاطفال من سن 10 إلى 15 لتثقيفهم ماركسيا، وبذلك زاد عدد المنتسبين للحزب الحاكم من 5000 في 1978 إلى 120 ألفا في عام 1986 (البدري).

واستنتج اللواء البدري مما سبق استنتاجا متشائما حيث يرى أن الزمن لايقف مع المجاهدين الافغان، بل مع المحتل الدخيل وحكومة كابل العميلة، فكلما انفسح أمامهما الوقت، زاد في فرص تعزيز المكاسب في تناسب عكسي مع اضمحلال فرص القدرة على مواصلة الرفض والصمود من جانب المواطنين.

وبغض النظر عن هذا الاستنتاج الذي هو موضع نقد، (إذ أن دعوة نجيب الصريحة والعلنية للمجاهدين بالمشاركة في الحكومة، وانتصاراتهم الكاسحة والمتوالية على المستوى العسكري والرصيد الضخم من المجاهدين في دار الهجرة، وغيرها من العوامل، تبدد تماما هذه النظرة المتشائمة) فإن حرص السوفيات على تعزيز الاحتلال بتقوية أجهزة النظام الصوري، استمر العمل به، وهي آخر مرحلة وصل إليها السوفيات إلى الآن دون أن يتخلوا للحظة واحدة عن أساليب الابادة والتدمير ومحاولة اشعال نار الفتن في البنية القبلية في بعض المناطق.

وبقدر تصعيد السوفيات لأساليب الحرب كما وكيفا، واستمرارها، بكل ما أوتوا من أسلحة جديدة يجربونها في شعب أفغانستان، فإن حركة الجهاد العامة، لاتزداد إلا رسوخا وتمرسا وانتصارا، ليس بسبب سلاح كثير ومتطور يملكه المجاهدون، **ولكن بسبب تمكن فكرة الجهاد في أرواحهم، وتطور تجاربهم وخبراتهم القتالية خلال تسع سنوات، وهي مدة لم يكن يتصور فراعنة الكرملين أو غيرهم أن يستمر فيها الجهاد ويقوى وينتشر انتشار النار في الهشيم.**

بنية جيش الاحتلال

من المهم جدا معرفة البنية التنظيمة لقوات الاحتلال وعددها وكذا نوعية الاسلحة المستخدمة ونظم الاتصال، وأساليب القتال المتبعة من طرف هذه القوات، أو ما يعرف بالبنية التحتية لآلة الحرب السوفياتية في افغانستان، وأهمية هذا الاستعراض تكمن في **تجلية مستوى الصراع الذي يخوضه الاتحاد السوفياتي ضد الاسلام مباشرة في افغانستان.**

تجمع العديد من المصادر على وجود حجم عسكري ضخم فوق التراب الافغاني (انظر خريطة القواعد العسكرية السوفياتية في افغانستان)، ومن بينها ما أورده اللواء الركن الأحمد حسن البدري في دراسته حول تطور مراحل الاحتلال الروسي لأفغانستان من الناحية العسكرية كما يلي :

حجم القوات المسلحة السوفياتية بمسرح افغانستان

يقدر الحجم الاجمالي للقوات السوفياتية التي تعمل في مسرح افغانستان بنحو 115 الف مقاتل يعززهم زهاء 35 ألفا آخرون يتمركزون داخل جمهوريات آسيا الوسطى عن كثب مع الحدود المشتركة، إضافة إلى ما معدله 40 ألفا من القوات الحكومية، حيث يعاني النظام دائما من مشكلة الهروب والاستسلامات الجماعية للمجاهدين.

وتخضع قيادة الجيش السوفياتي في أفغانستان إلى قيادة المارشال سوكولوف نائب وزير الدفاع السوفياتي، ويمثل القيادة السوفياتية العليا في داخل أفغانستان الجنرال سوروكين، ويتكون تنظيمها الميداني كالتالي :

القوات البرية

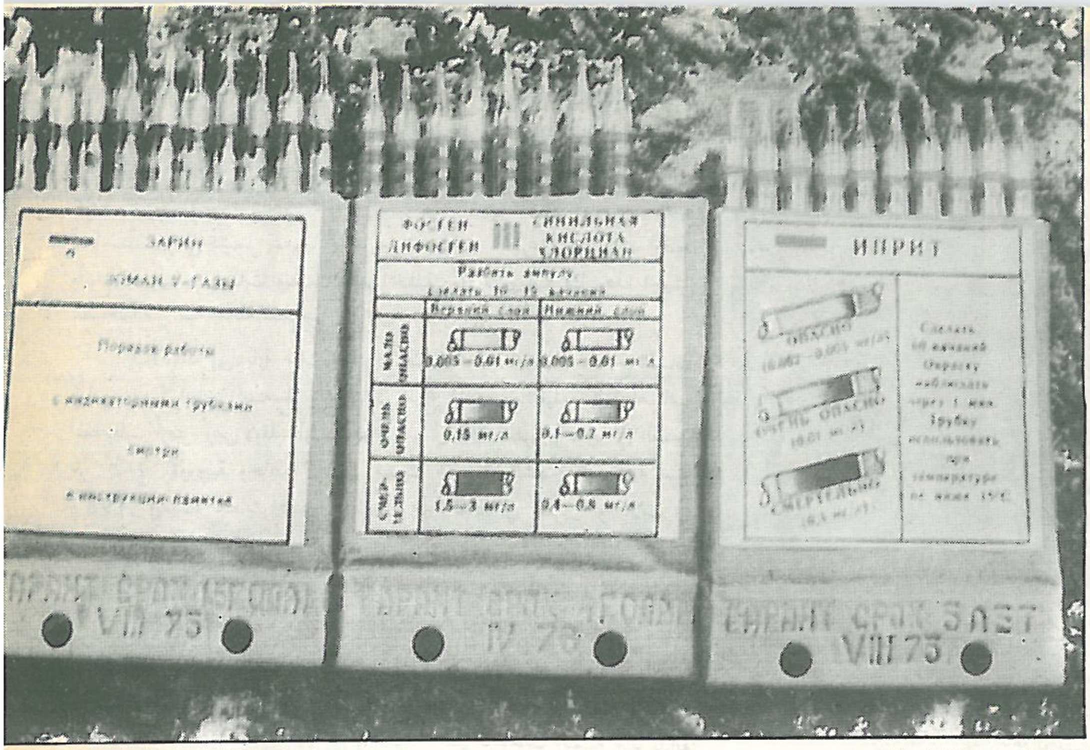
المقاتلة
- 3 فرق آلية Division mécaniseé
- فرقة محمولة Division héliportée
- لواء اقتحام جوي Commandos

القوات الجوية

المقاتلة
- فرقتان جويتان
- أربعة أفواج طائرات قتال (180 طائرة)
- ستة أفواج حوامات مقاتلة (270 طائرة)[13]

وتعمل هذه القوات الجوية من القواعد الجوية والمطارات التالية : باغرام — كابل الدولي، مزار شريف — جلال أباد — هرات — شنداد — فرح — لاشكارجاه — اسكراغ — قندهار — وجميعها ذات ممرات اقلاع وهبوط طويلة كما أنها كاملة التجهيزات، وهذه القوات في الأصل، **كانت معدة للقتال في أوربا ضد جيوش حلف الاطلسي.**

وأوردت مجلة Guerres et conflits d'aujourd'hui المتخصصة في الشؤون العسكرية، عددا خاصا عن الحرب في أفغانستان، أوردت فيه معلومات مفصلة عن كافة مظاهر الحرب ومكوناتها بما في ذلك آلة الحرب السوفياتية العاملة هناك. إلا أن أهم المصادر الموثقة بالصور والمعلومات الدقيقة



عينات من الأسلحة الكيماوية التي استعملها السوفييت في أفغنستان : عن يمين، عبوات من غاز الفوسجن، وفي الوسط غاز الايبريت مع بيان المقادير : وهي كالتالي بالنسبة للنوع الأول : من 0،002 الى 0،003 ملغ/ل = خطير — 0،01 ملغ/ل = خطير جدا — 0،3 ملغ/ل = قاتل...

هي تلك الواردة في المجلات الصادرة عن التنظيمات الجهادية(14).

القوات الجوية : فبالنسبة للقوة الجوية، وجد السوفيات افغانستان فرصة فريدة لتجربة بعض انواع الطائرات ونظم القتال الجوية، لكن في ظروف بالغة الصعوبة، بسبب طبيعة البلاد الجبلية، وتكيف المجاهدين التام مع تضاريس بلادهم. وسجل إدخال تعديلات تقنية على نظم القتال الجوي حيث تم تزويد الطائرات وخاصة الحوامات بأجهزة ووسائل مختلفة لتحسين كفاءتها القتالية، وتحسين قدرة مقاومتها لوسائل الدفاع المضادة للطائرات التي يتوفر عليها المجاهدون، ولأخذ فكرة عن هذه التحسينات، تم تزويد حوامات قتال، بكشافات قوية تصل إلى 1500 متر للقتال الليلي، مع استعمال نظم الاضاءة الليلية بواسطة طائرات أنطونوف 12 (تسقط قنابل مضيئة تشكل بمجموعها شكلا هرميا معكوسا في الجو يبلغ علوه 200 متر وعرضه عند القاعدة 100، ويعطي اطاءة قوية جدا لمدة 10 دقائق) وذلك بمساندة طائرات مقنبلة تصلح لمهمات القتال ضد حروب العصابات، وتستعمل في هذا الاطار طائرات يبج 21 وسوخري 25 (المعروفة بـ Frogfoot في الغرب) ويتم توجيه نيران وصواريخ وقنابل هذه الطائرات بواسطة الليزر قائس المسافات Laser de télémetrie الذي زودت به أنواع من الحوامات (مي 8 Mi وخاصة فى Mi 17 وهي نسخة مطورة من مي 8 وأكثر تدريعا وقوة نيران).

وبالاضافة إلى هذا كله هناك الدور الخاص الذي تقوم به طائرات مى 24 هند Mi 24 Hind وهي من أحدث طائرات القتال المروحية وأكثرها كفاءة في العالم دقة في التصويب وفي قوة النيران (تحمل أنواعا مختلفة من الذخائر، صواريخ موجهة، روكيت، رشاشات ثقيلة...) وأجهزة التصويب بالليزر وأجهزة الرؤية الليلية، كما تقوم هذه الحوامات بعمليات انزال الوحدات عالية التدريب والكفاءة.

إن طائرتان من نوع هند هاته، أو حتى من نوع مى 8، تستطيعان فرش مساحة تبلغ من 400 إلى 500 متر عرضا، وبطول 2 إلى 3 كلم بالالغام المضادة للأفراد تنفثها الحوامة من خزانين في جانبيها، واستخدم هذا النوع من السلاح في الممرات المؤدية إلى باكستان على طول الحدود معها مستهدفا إرهاب المهاجرين في طريقهم إلى باكستان وردعهم عن التفكير في العودة إلى ديارهم، وكذلك في مناطق أخرى داخل البلاد. ولابد من الاشارة هنا إلى أن السوفيات كثيرا ما يستعملون مطاراتهم القريبة من الحدود مع أفغانستان للقيام بعمليات القصف والترويع، خاصة في الولايات الشمالية والشمالية الشرقية، إضافة إلى القواعد التي يتوفرون عليها داخل أفغانستان.



طفلة أفغانية مصابة بسلاح كيماوي

أما الطائرات المقنبلة المساندة، والطائرات المقاتلة، فهي من أنواع مختلفة، مرورا بأنواع الميج بما فيها المتطورة (23 و25) وقاذفات توبوليف والسوخوي، كما يتوفر السوفيات على طائرات الاستطلاع التي تتعدى تحليقاتها الاستكشافية حدود أفغانستان إلى البلدان المجاورة، إضافة إلى طائرات النقل الضخمة من أنواع مختلفة. ويستعمل السوفيات كافة أنواع القنابل، بما فيها التي تزن 1000 كيلوغرام ضد المخابىء الجبلية والكهوف التي يأوي إليها المجاهدون، والقنابل الارتجاجية (القنابل الموجية كما يسميها المجاهدون) وقنابل النابالم والقنابل الفوسفورية كما استعملوا نوعا جديدا من الصواريخ التي تنفث مئات القنابل المضادة للأفراد في منطقة بنجشير وربما في مناطق أخرى أيضا

أما بالنسبة للتكتيكات التي يستعملها سلاح الجو السوفياتي في افغانستان، فيعتمد أساسا على التنسيق المستمربين الحوامات والقاذفات في عمليات مشتركة إضافة إلى عمليات الانزال الجوي الرأسي من جهة والتمهيد لهجومات القوات البرية ثم مساندتها أثناء سير المعارك، وهذا هو الاسلوب التي استمر عليه السوفيات منذ سنة 1980، فيما يتعلق باستعمال سلاح الجو(15).

القوات البرية : لم تتوفر معلومات مدققة عن عدد الآليات العسكرية التي زج بها الاتحاد السوفياتي في حربه المجنونة على الشعب الافغاني، ولكن المعروف، أن بنية الجيوش البرية في حلف وارسو أكثر عددا وتسليحا من مثيلتها في حلف الاطلسي فوق الاراضي الأوروبية.

وإذا تصورنا طول مدة الحرب (أطول من الحرب العالمية الأولى أو الثانية وأطول من حرب فيتنام) مع ابقاء جيش ضخم يفوق 100 ألف مقاتل في حالة قتالية مستمرة في بلد شاسع ذي طبيعة جبلية، نستطيع أن ندرك، بشكل عام، حجم الاسلحة البرية التي يتوفر عليها السوفيات في مواجهة شعب أفغانستان. وهي تشمل عموما أنواعا من الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود وأنواع المدفعية والراجمات ونظم التلغيم المختلفة وما يحتاج إليه مثل هذا الجيش الضخم من بنية هائلة للمواصلات البرية والجوية.

فبالاضافة إلى دبابة ت.62 التي شكلت العمود الفقري لسلاح المشاة، ومادونها من أنواع، استعمل السوفيات أنواع المدفعية الثقيلة وكافة أصناف المقذوفات أرض أرض (وقد ظهرت أنواع منها في أفلام تلفزية اخبارية في العديد من البرامج الأوروبية وخاصة خلال معارك خوست الشهيرة في نهاية سنة 1987، ونقلت لقطات قصيرة منها على غير العادة في نشرتين أو ثلاث في تلفزتنا المغربية آنذاك).

والواقع، أن هناك كمية هائلة من الصور، وأشرطة الفيديو عن **جميع انحاء افغانستان**، لبقايا الدبابات والمدرعات والآليات العسكرية المختلفة، وعددا كبيرا من هياكل الطائرات النفاثة والمروحية من أنواع مختلفة، ومن الامثلة الشهيرة لتدمير عدد كبير من الآليات العسكرية في المعركة الواحدة، امتلاء وادي بنجشير ــ (100 كلم) الذي شهد ثمانية هجومات رئيسية منذ بداية الاحتلال ــ بالدبابات الممزقة في قيعان الوديان وعلى مشارف القرى المدمرة، وخاصة في ممر سالانغ الشهير، وكذلك في ولايات بدخشان وتخار وكونر ولغمان وبروان وبغلان وكندز وسمنجان وبلخ وجوزجان وفرياب وبدغيس.

ولايزال طريق غرديز ــ خوست مكتظا بهياكل المآت من الدبابات والآليات المحترقة، وهذا في ولاية باكتيا، وكذلك في الولايات الجنوبية والغربية مثل قندهار وفراة وخاصة هرات، وتجد نفس المناظر في الولايات الوسطى مثل كابل وغزني زننجرهار ووردك وأوروزجان وغور وباميان ولوجر...

وبالاضافة إلى الدبابات، استخدم الروس ناقلات الجنود المدرعة بأنواعها التقليدية كالعربة المدرعة BMD و BMP 1 أو الحديثة مثل BTR 60 و BTR 152 ونظم المواصلات اللاسلكية المتطورة...

ومن الضروري لفت الانتباه إلى أن هذه الكميات الهائلة من العتاد الحربي الروسي المدمر في أفغانستان، بقدر ما تعكس هول الحرب واتساع مسارح المعارك فيها، فإنها تترجم في نفس الوقت، شجاعة المجاهدين وتضحيات الشعب الافغاني، التي واجهت آلة الطحن العسكرية البشعة، وألحقت بها الهزيمة، وكانت الاسلحة التي استعملها المجاهدون ــ ولا يزالون ــ أسلحة روسية خفيفة ومتوسطة أغلبها غنائم، هذا في الوقت الذي لم يدخر فيه الروس شيئا من وسائل الدمار والابادة، إلا واستعملوها، وهنا بالضبط تطرح مسألة استخدام الروس للأسلحة الفتاكة «الممنوعة».

لغم مضاد للافراد ويطلق عليه اسم «الفراشة القاتلة» زرع منها السوفييت، ومن غيرها الملايين وذهب ضحيتها الاف الاشخاص من كل الاعمار...





مجاهدان مصابان بأسلحة كيماوية



استعمال الاسلحة المحرمة دوليا (16)

استعمل السوفيات أنواعا مختلفة من الاسلحة المحرمة بمقتضى المعاهدات الدولية :

1 ــ الاسلحة الكيماوية : إذا كان السوفيات يلتزمون الصمت المطلق ــ كما هي عادتهم ــ حول استعمالهم للأسلحة الكيماوية، فإن المصابين بها في المستشفيات الحدودية في باكستان وفي داخل أفغانستان ــ وهذا أمر موثق بالصور العديدة ــ تصرخ اجسادهم المحترقة والممزقة في وجه العالم.

فبالاضافة إلى النوع المعروف بـ «المطر الاصفر» (الذي سبق أن استعملته الولايات المتحدة في حربها في فيتنام) الذي يصيب الجسم بقروح شديدة واختناقات ويسبب بصاق الدم ويمكن أن ينتهي بالمصاب إلى الموت

بسهولة أو إصابة عقلية وجسمية خطيرة، يستعمل السوفيات كذلك أنواعا قديمة من الاسلحة الكيماوية الفتاكة ومنها غاز الايبيريت Ypérite ويتكون من حامض الايثيل، وحسب التعليمات المكتوبة بالروسية الملصقة على هذا النوع الذي وقعت بأيدي المجاهدين نماذج منه، فإن نسبة 0،002 ملغ/ل من الماء ورشه على «الاهداف» تجعل منه سلاحا «خطيرا» أما 0،01 ملغ/ل فتجعله «خطيرا جدا» ويصبح «قاتلا» بمقدار 0،3 ملغ/ل، وهي كمية بسيطة جدا.

وهناك نوع يستخدمونه وهو قديم بدوره (من استعمالات الحرب العالمية الأولى) وهو غاز الفوسجن Phosgène ويتكون من اتحاد الكلور وأكسيد الكربون، وهو سام جدا، ومقادير استعماله كالنوع السابق.

2 ـ **القنابل الفوسفورية** : وهي قنابل شديدة الحرق، ويمكنها أن تحرق أي شيء، وهي أنواع، وتتميز بدخانها الابيض الناصع.

3 ـ **النابالم** : وقد سبق أن استعملته اسرائيل في عدوانها عام 1967 على البلدان العربية، كما تستعمله جنوب افريقيا ضد دول المواجهة الافريقية معها. ويدخل في تركيبها زيت جوز الهند شديد الاحتراق، وتلتصق شظايا القنبلة باللحم البشري، وخاصة الوجه والصدر واليدين، حيث يحاول الانسان أن ينزع الشظايا من وجهه فتلتصق باليدين وتأكلهما أيضا.

لقد نوقشت مسألة استعمال السوفيات لاسلحة كيماوية في أفغانستان على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة في أبريل 1982 التي تجاوزت اعتراضات الكتلة السوفياتية، وصوتت بأغلبية 86 ضد 20 وامتناع 34 عن التصويت، على استمرار مجموعة من الخبراء بالتحقيق في الاتهامات القائلة أن أسلحة كيميائية من صنع سوفياتي يجري استعمالها في أفغانستان وجنوب شرق آسيا.

لكن الغريب الذي يثير أعمق التساؤلات عن مستوى نزاهة الهيئة الاممية **هو الصمت التام عن محتوى التقارير المرفوعة من قبل الخبراء الدوليين الذين عينتهم بنفسها للتحقيق في هذه الجرائم البشعة** المرتكبة في حق السكان القرويين والمدنيين الافغان

ومن صور النفاق العديدة، صدور بيان من حلف وارسو دعا فيه إلى إلغاء الاسلحة الكيماوية والبيولوجية **والتهديد بعدم استعمالها**(17).



حفرة هائلة خلفتها قنبلة وتلاحظ القرية المدمرة في عمق الصورة

النتائج العامة للاحتلال

إذا اعتبرنا طول مدة الحرب في أفغانستان (الأطول في التاريخ المعاصر) ومستوى وحجم الدولة المعتدية، كقياسين لمحاولة تقييم النتائج العامة التي تمخضت عنها هذه الحرب، فنستطيع أن نكون فكرة عامة عن حجم الكوارث التي حاقت بهذا البلد بشريا واقتصاديا وبيئيا... الخ. وفي نفس الوقت، إذا اعتبرنا حجم الآلة العسكرية السوفيتية المحطمة في كافة أنحاء البلاد، وكذلك رضوخ السوفييت للجلوس على مائدة المفاوضات للتباحث مباشرة مع قيادات الحركة الجهادية الأفغانية، يمكننا ـــ من خلال هذين المؤشرين أيضا ـــ أن نقيس حجم الخسائر والهزائم العسكرية والسياسية التي لحقت بالاتحاد السوفيتي في أفغانستان، علما بأننا لانستطيع أن نعطي سوى خطوطا عريضة عن هذا وذاك، وإلا فالأمر يتطلب دراسات واسعة، ولعل فيما سنحاول عرضه من حقائق أولية، سيكون حافزا للباحثين والدارسين المسلمين على الاهتمام بهذه الجوانب من الجهاد الأفغاني وغيرها من الجوانب الأخرى.

الخسائر في أفغانستان

أ ـــ الخسائر البشرية :

لقد سبق للبروفسور ماريك سليوينسكي Marek Sliwinski من جامعة جنيف، أن قام بإجراء مسح دراسي عن «المضاعفات البشرية والاجتماعية والاقتصادية» للحرب في أفغانستان ـــ بتكليف من عدة هيئات دولية ـــ وذلك بناء على عينات شملت 1342 أسرة تضم 12592 فردا. وفيما يلي أهم ما جاء في هذا التقرير الأولي (18) الذي تجاهلته وسائل الاعلام رغم خطورته وفظاعة ما احتوى عليه :

«**منذ إقامة النظام الشيوعي، وما تلاه من التمرد الشعبي، ثم الاحتلال السوفيتي بعد ذلك بعشرين شهرا، قتل 9% من سكان أفغانستان في الحرب. وهذه النسبة هي إحدى النسب الأكثر ارتفاعا في التاريخ الحديث، وهي تتعدى حتى نسب الخسائر البشرية السوفيتية في الحرب العالمية الثانية التي وصلت الى 8،6% من العدد الاجمالي للسكان**» وبتقدير استقرائي (par extrapolation) استنتج البروفسور سليوينسكي أن عدد القتلى في أفغانستان يصل الى حوالي مليون ومائتي ألف شخص مع هامش خطأ يصل الى 15%، وهذا بلغة الاحصاء التقنية. ونشير الى أن مصادر المجاهدين تجمع على أن العدد يفوق المليون ونصف.

«لقد ارتفعت الخسائر البشرية مع اشتداد القتال ابتداء من سنة 1982، وبقي ذلك الاشتداد مستمرا حتى سنة 1987، وهي السنة التي شهدت تحسنا نوعيا لدى المقاومة. وتساهم الغارات الجوية بنسبة 46% من الخسائر البشرية، ويأتي بعدها السلاح ذي العيارات الصغيرة بنسبة 33% من الخسائر، والقصف المدفعي 12% والألغام بنسبة 3%.

وينتمي غالبية ضحايا القصف الى الفئات غير المقاتلة من السكان، أي النساء والأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة والرجال الذين تفوق أعمارهم 50 سنة وهؤلاء الأخيرون يشكلون 52% من الضحايا. وبالامكان الاستنتاج ـــ يضيف الباحث ـــ أن السكان المدنيين غير المقاتلين ـــ يشكلون 80% على الأقل من ضحايا القصف، ويبدو أن تأثير القصف الجوي على المجموعات المقاتلة محدود نسبيا، إذ يلاحظ أن شريحة أعمار المقاتلين ـــ من 20 الى 40 سنة ـــ هي الأقل إصابة، نسبيا، من بين القتلى من جراء القصف الجوي.

ويضيف الباحث أن «نسبة الجروح الخطيرة التي تنتج عنها عاهات دائمة تبلغ 3% من الضحايا، أما الجروح الخفيفة فتبلغ نسبتها 5% لدى المصابين.



أحد الأحياء في هراة التي دمرها الروس خلال قمعهم لانتفاضة مارس 1979

والولايات الاكثر تضررا هي الولايات الشمالية المتاخمة للحدود مع الاتحاد السوفيتي، وعلى رأسها ولاية كُنْدُز (حوالي 15% من مجموع سكانها) أما في ولاية كابل فتتعدى نسبة القتلى 10% من مجموع سكانها».

وتضيف هذه الدراسة أنه «منذ 1978 نزح ثلث سكان أفغانستان الى الخارج، و11% من مجموع السكان يختبأون في الداخل. ونتيجة للهجرة والقتل، انخفض عدد سكان العالم القروي من 85% الى 23% بينما ارتفعت نسبة السكان الحضريين من 15% الى 24% وتضاعفت نسبتهم ثلاث مرات في العاصمة كابل».

وبالنسبة لتأثيرات هذه النتائج على التشكيلة الاثنية «فإن البشتون الذين كانوا يشكلون أغلبية كبيرة قبل 1978 تصل الى حوالي 39% من مجموع السكان، ويليهم التاجيك بنسبة 26%، بينما الهازارا والأزابكة في المرتبة الثالثة بنسبة 10%، إلا أننا نلاحظ — كما يؤكد البروفسور سليونيسكي — أنه من بين 3،5 مليون لاجىء في باكستان، 85% منهم من البشتون».

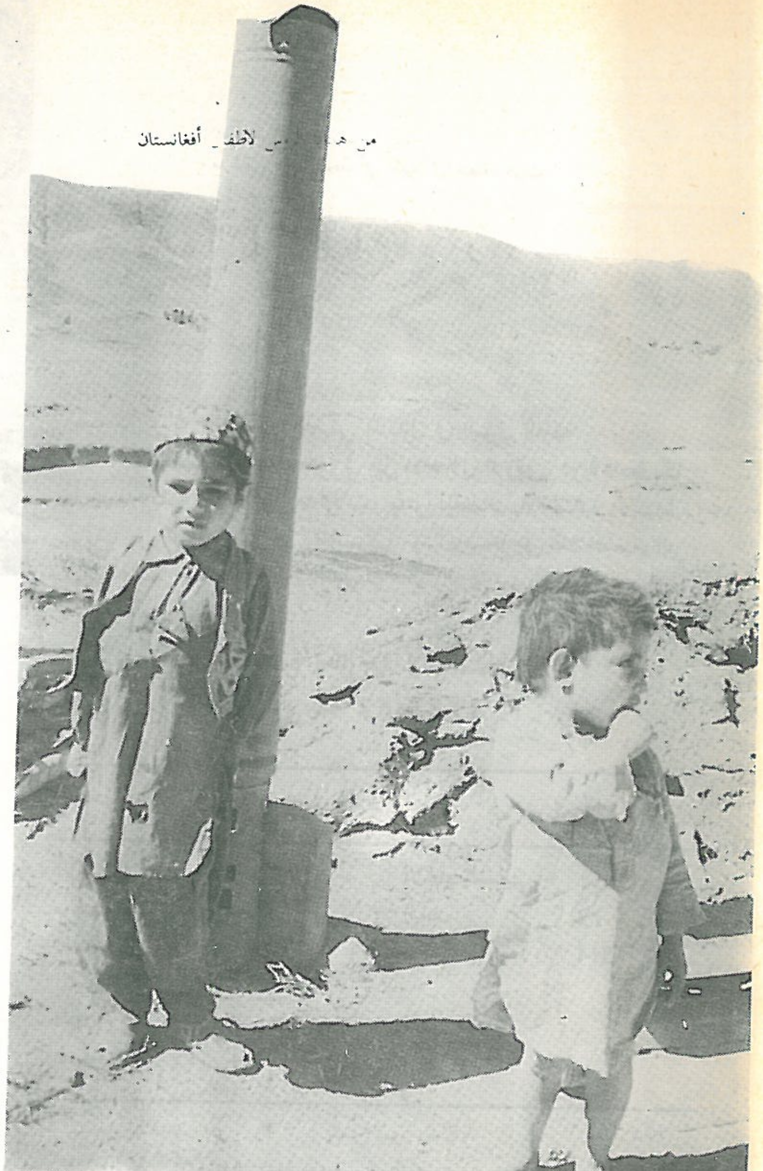
هذه بعض المعطيات الناتجة عن سياسة الأرض المحروقة التي طبقها الروس في أفغانستان، وإذا قارنا بين هذه الحقائق المرعبة التي تمر بصمت، وبين الضجة الاعلامية الصاخبة التي افتعلتها أجهزة الاعلام الغربية حول قضية المنشق اليهودي السوفيتي تشارانسكي، تحت شعار حقوق الانسان، يتبين لدينا كم هي رخيصة دماء المسلمين على مائدة السياسة الدولية...، علما بأن هذه المعطيات، ليست إلا أرقاما باردة، وهي لاتعكس بأية حال من الأحوال حقيقة المأساة وحجمها...

ب — على المستوى الاقتصادي : بالنسبة لهذا الجانب، هناك بعض المعطيات العامة، والتي هي في نفس الوقت مؤشرات على حجم الدمار الهائل الذي أصاب اقتصاديات البلاد، دون احتساب الخسائر الاقتصادية الناجمة عن أبادة وتعويق تلك الاعداد الكبيرة من أفراد الشعب الأفغاني، وهي خسائر غير قابلة للحسبان.

فإذا علمنا أن اقتصاديات أفغانستان، كباقي دول «العالم الثالث» تعتمد أساسا على الزراعة، فإن ما أصاب البنيات الزراعية من تدمير وتخريب يعتبر بحق كارثة مروعة، بحيث يتعين مرور سنوات عدة لكي تستعيد البلاد مستواها الذي كانت عليه قبل الحرب، دون احتساب نسب النمو الزراعي الافتراضية في حالة عدم وجود الحرب في البلاد خلال السنوات العشر الماضية.

طبيب متطوع من جمعية «اطباء بلا حدود» الفرنسية داخل افغانستان في «مستشفى» تحت الارض





من هـ ... س لأطفـ أفغانستان

ولقد كلفت الأمم المتحدة لجنة من الخبراء — في تخصصات مختلفة — (Operational Unit for Repatriation to Afganistan) لجمع معلومات محددة لتسهيل تنفيذ برنامج أممي لاعمار أفغانستان، ومن بين المعلومات التي جمعتها هذه اللجنة في دراستها ما يلي : [19].

1 — انخفاض الطاقة الانتاجية للمحاصيل الزراعية بنسبة تصل الى أكثر من الثلث قياسا على فترة ما قبل الحرب وهذا يعود الى الأسباب التالية :

أ — قلة عدد المزارعين والطاقة العاملة نتيجة القتل والتهجير.

ب — انخفاض نسبة الثروة الحيوانية بـ 40% بسبب قصف الطائرات والمدفعية والألغام والأمراض.

جـ — تدهور نوعية البذور وخاصة القمح.

د — الانخفاض في استعمال السماد الكيماوي لعدم توفره أصلا.

2 — تدهور نظام الري، إذ تؤكد الدراسة أن 60% من نظم الري، سواء منها المقامة فوق سطح الأرض أو تحتها، قد تهدمت نتيجة القصف الجوي والصاروخي والمدفعي، أو بسبب إهمالها لقلة الأيدي العاملة والمال.

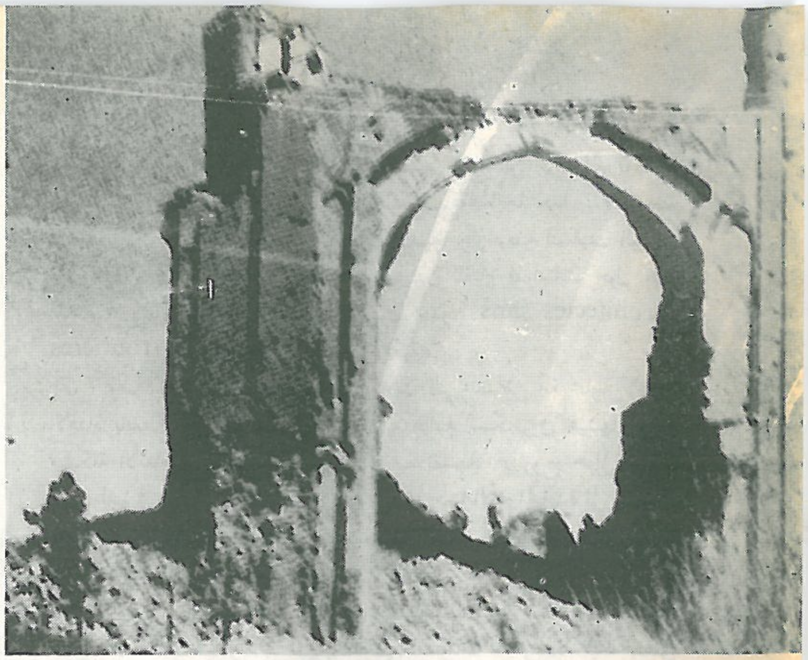
3 — بموازاة هذه الحقائق، تؤكد مصادر المجاهدين أن **حوالي 50% من القرى والبيوت قد تهدمت بفعل القصف**، وهذا ما حدا بهذه اللجنة الأممية الى أن تبحث عن بعض التقنيات البسيطة والرخيصة لتسقيف البيوت بعد انتهاء الحرب، وانتدبت لهذه الغاية هيئتين للقيام بدراسات حول هذا الموضوع وهما (مهندسون معماريون بدون حدود) Architectes sans frontières الفرنسية وفيتا Vita الأمريكية».

وهناك مشكلة من أخطر المشكلات التي تعترض أية محاولة لاعادة الاهتمام بالقطاع الزراعي الذي تعتمد عليه غالبية السكان في عيشها، وهي مشكلة الألغام : فحسب التقديرات الأممية نفسها، **تم زرع حوالي 5،5 مليون لغم في أفغانستان من طرف الروس، مما حدا بالأمم المتحدة الى تكليف خبراء دوليين لتدريب المهاجرين على تفكيك الألغام أو إبطالها.** [20]. إلا أن هذه المشكلة هي أكثر تعقيدا مما يتصور، ذلك أن أغلب هذه الألغام مصنوع من البلاستيك، بحيث لايمكن كشفها بكاشفات الألغام المعدنية.

أما مصادر المجاهدين، فتعطي معلومات أكثر دقة فيما يتعلق بتأثيرات الحرب على القطاع الزراعي : فقد ذكر **البروفسور محمد صديق نوروزي** أستاذ الاقتصاد بجامعة ألبرتا وبمركز الدراسات الشرق أوسطية بجامعة كاليفورنيا أن مساحة الأراضي المزروعة قبل 1979 بلغت — حسب إحصائيات نظام كابل نفسه — 3،8 مليون هكتار، وهبطت الى 2،9 مليون هكتار في عام 1984 (هذا إذا صدقنا هذا الرقم الأخير) وإذا كانت قيمة الانتاج الزراعي تغطي 56% من الانتاج الوطني الخام قبل بداية الحرب، فإن تقلص مساحة الأراضي المزروعة، وهجرة الفلاحين الذين يشكلون نسبة 87% من مجموع السكان وتدمير نظم الزراعة والري بفعل سياسة الأرض المحروقة، كل هذا أدى — حسب تقديرات البروفسور نوروزي — الى هجر 50% من الأراضي الصالحة للزراعة. وإذا كانت أفغانستان تعتبر من البلدان المكتفية ذاتيا من الناحية الزراعية، بل من البلدان المصدرة لعدد من المنتوجات الزراعية والفلاحية، فإن ضررا بالغا قد حاق بالقطاع الزراعي، بحيث **هبطت نسب إنتاج القمح بمعدل 80% والذرة بـ 77% والشعير والأرز بـ 74% والقطن بـ 88% وهلاك حوالي 5 ملايين رأس من المواشي، وانخفاض نسبة العمال الزراعيين بنسبة 52%** [21].

أما بالنسبة للقطاع الصناعي، فقد حرص السوفييت على إهمال هذا القطاع منذ ماقبل بداية الحرب باعتبار النفوذ الذي كانوا يتمتعون به واهتموا أساسا باستغلال المواد الخام المعدنية ومصادر الطاقة، بينما أغرقت أفغانستان بالقروض والديون الناجمة عن شراء آلات مصنعة استعملت أساسا لأغراض عسكرية، فقد استوردت أفغانستان ما قيمته 2،89 مليار دولار من الماكينات والآليات والسيارات وآلات الحفر والشاحنات والطائرات والمواد البترولية المصنعة ما بين 79 — 1984 حيث استعملت آلات الحفر والتنقيب لبناء القواعد العسكرية السوفيتية، أما السيارات والشاحنات والطائرات فقد استعملت لأغراض عسكرية ضد الشعب الأفغاني نفسه... [22] وهكذا أدى نظام كابل الصوري تكاليف ابادة الشعب بثروته الوطنية.

ونشير إلى أن السوفييت كانوا يشترون الغاز الطبيعي — الذي كان يصدر كله الى الاتحاد السوفيتي — بثمن بخس، واللافت للانتباه أن المصادر السوفيتية لاتعطي أية إحصائيات لا عن كمية الانتاج ولا عن ثمن «شراءه» بالمتر المكعب [23]، وفي هذا الاطار، أشارت جريدة كريستيان ساينس مونيتور [24] The Christian Science Monitor في تقرير خاص، أن مخزون الغاز الطبيعي في أفغانستان يقدر بحوالي 150 مليار متر مكعب وهو ما يكفي البلاد لخمسين سنة بمعدل الاستغلال سنة 1982 (سنة نشر التقرير) الذي بلغ 5 مليار متر مكعب سنويا، ولم يكن السوفييت يدفعون — حسب نفس



ما تبقى من مسجد أبي الوليد في منطقة هرات

الصحفية ــ الا خمس ثمنه الحقيقي المتداول في السوق العالمية.

لقد أصبحت أفغانستان، في ظل الاحتلال الروسي، دولة تابعة بكل ما تحمله كلمة التبعية من مدلولات، وتمثل المعطيات الأحصائية الاعتباطية التالية، حول التجارة الخارجية لافغانستان، مؤشرا واضحا على تلك التبعية، التي لانعهدها ــ عادة ــ إلا بين الدول الرأسمالية الغربية ــ والعديد من دول ما يسمى بالعالم الثالث :

التجارة الخارجية لأفغانستان
عن سنة 1983/82

الصادرات	%	الواردات	%
الاتحاد السوفيتي	50،6	الاتحاد السوفيتي	59،1
باكستان	18،0	اليابان	12
الهند	9،1	باكستان	3،4
المانيا .غ	6،7		
انجلترا	6		
السعودية	3،1		

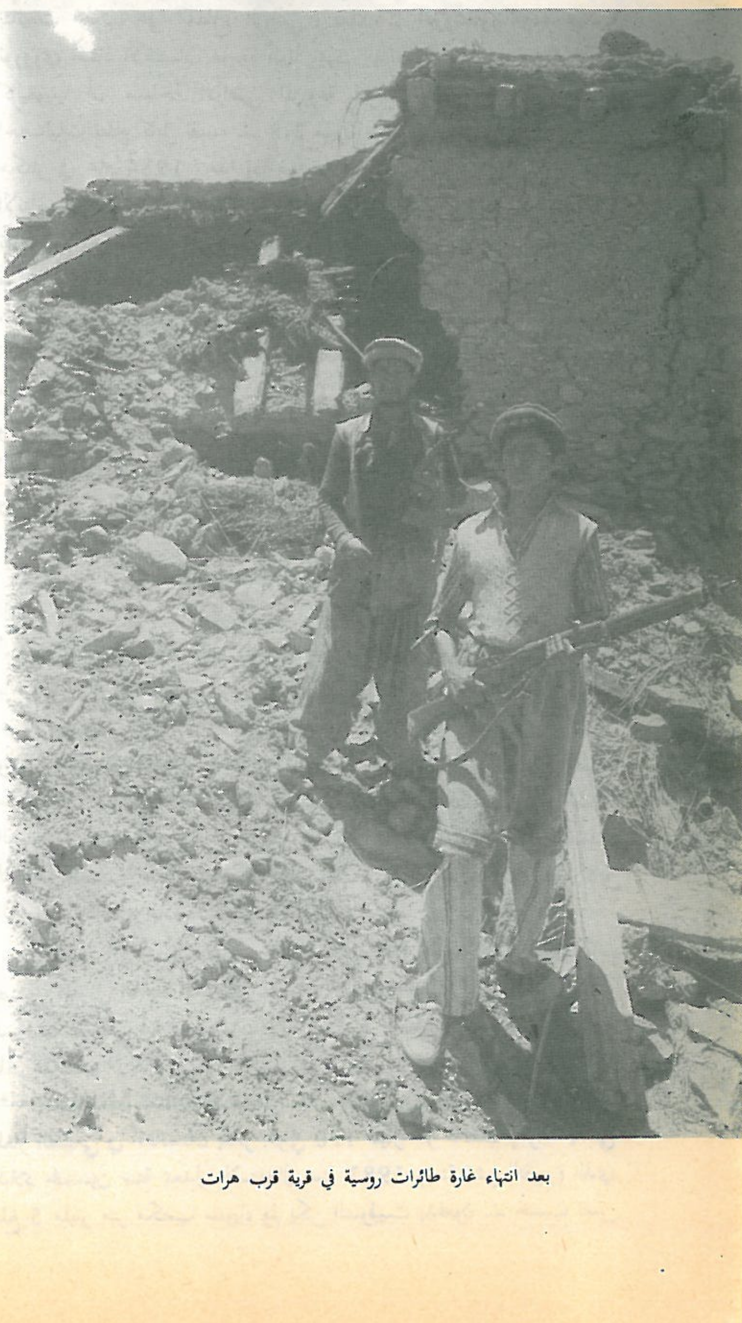
المصدر : الموسوعة السوفيتية الكبرى ــ موسكو
1984 ــ ص 202 ــ 203 (بالروسية).

حصة أفغانستان في التجارة الخارجية السوفيتية %

1980	1984	1985
0،5	0،6	0،6

المصدر : Le commerce exterieure de l'URSS — Finances et stastistiques — Moscou — 1986 — P : 15.

وفي جميع الحالات، تبقى مسألة عودة ملايين المهاجرين الى بلادهم لاعمارها من جديد مشكلة لم يسبق لها مثيل، وهذا ما حدا بأحد كبار مسؤولي المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة الى أن يصف هذه العودة بأنها «**أضخم عملية إعادة توطين في التاريخ**» (25).



بعد انتهاء غارة طائرات روسية في قرية قرب هرات



بقايا صواريخ جو/ أرض روسية وهي في طريقها الى سوق الخردة لتباع بالكيلو...

الخسائر السوفيتية

وصف كاتب ماركسي من المغرب الاحتلال الروسي لأفغانستان بأنه «مغامرة»، وعن نتائج هذا الاحتلال قال أنها «**كلفت ثمنا باهظا، في الرجال، والمال، والمعدات، وفي المكانة أمام دول العالم الثالث، خاصة البلدان العربية والاسلامية، وحتى بالنسبة للرأي العام السوفيتي، لم تكن قضية أفغانستان قط قضية شعبية**» (26).

ولا شك أن هذا الوصف يقترب من الحقيقة كثيرا، إلا أنه يبقى مبهما ولا يوضح شيئا عن ذلك «الثمن الباهظ» في العاجل والآجل.

ونظرا لطبيعة السوفييت المتكتمة، إضافة الى حساسية الموضوع من جهة أخرى، فإن المعلومات عن الخسائر السوفيتية في الحرب شحيحة، باستثناء تقديرات إجمالية نادرة. وبالنسبة لمصادر المجاهدين، فيها نوع من التفصيل، لأنهم يتوفرون على مصادر للمعلومات قد لاتتوفر لغيرهم، وخاصة من مصادر الجيش الأفغاني المتعاطفة مع المجاهدين، وكدليل على هذا، كون القائد أحمد شاه مسعود، كان يتوفر — قبل كل هجوم من الهجومات الثمانية الرئيسية التي شنها الروس على وادي بنجشير حتى سنة 1985 — على الخطوط العريضة لكل واحد منها، مما كان يساعده على اتخاذ الاجراءات المناسبة في كل حالة، وهذا يعني بطبيعة الحال، أنه يتوفر على مصادر للمعلومات من داخل قيادة الجيش الأفغاني، ونفس الشيء بالنسبة لغيره من قادة المجاهدين بأشكال أو بأخرى...

وبشكل عام، هناك مستويان اثنان لرصد خسائر السوفييت في أفغانستان : العسكري والسياسي.

1 — على المستوى العسكري : وهذا المستوى بدوره يشتمل على نوعين من الخسائر : القوات البشرية، والمعدات العسكرية، وهذه الأخيرة يمكن التفصيل فيها بحسب أنواعها ووظائفها.

فبالنسبة للخسائر البشرية السوفيتية، تعترف المصادر السوفيتية برقم 15.000 من القتلى كما ذكر إدوارد روزنتال، وهو مؤرخ ومحلل بوكالة نوفوستي السوفيتية للأنباء، ورغم وعده بإصدار إحصاءات «دقيقة» عن القتلى والجرحى في «وقت قريب» من مصادر الجيش إلا أن مثل هذه الاحصائيات لم يعلن عنها إلى حد الآن (27). ولا يوجد أي سبب للاعتقاد بصحة هذا الرقم فالاعتبارات السياسية والدعائية والنفسية تجعل من تقليل الروس من أرقام خسائرهم أمرا متوقعا .

وهناك مصادر أخرى أعطت بعض التقديرات الجزئية نذكر أهمها، فهناك مجلة علمية رصينة هي «المجلة العامة للقانون الدولي العام» الصادرة عن «المركز الوطني للأبحاث العملية» بباريس، التي قدرت العدد الاجمالي للخسائر البشرية في صفوف القوات السوفيتية في أفغانستان الى غاية 31 ديسمبر 1980 بحوالي 10.000 (عشرة آلاف) بين قتيل وجريح (28).

أما مصادر المجاهدين الموثوقة فتقدر عدد قتلى السوفييت طوال سنوات الحرب وحتى أوائل 1987 بحوالي 45.000 (خمسة وأربعون ألفا) من الضباط والجنود بمن فيهم عدد من كبار الجنرالات وأركان الحرب (29). وبالنسبة للجيش الأفغاني، حسب نفس المصادر فقد بلغ عدد قتلاه 78.000 (ثمانية وسبعون ألفا) وانضمام 90.000 (تسعين ألفا) الى المجاهدين طوال سنوات الحرب.

أما بالنسبة للعتاد الحربي، فلا توجد تقديرات معلنة باستثناء المعلومات الصادرة عن المجاهدين، ومن خلال التقارير التي يتوصلون بها من مصادرهم داخل أركان الجيش في كابل تم تدمير حوالي 9000 (تسعة آلاف) آلية ما بين دبابة ومدرعة وشاحنة منذ بداية الاحتلال للسوفييت وللقوات الحكومية منذ بداية الحرب، أما الطائرات فقد أسقط المجاهدون منها حوالي 1000 (ألف) طائرة نفاثة ومروحية إضافة الى حوالي 900 (تسعمائة) طائرة أخرى انتهت مدة طيرانها الافتراضية التي تبلغ 3000 ساعة طيران للطائرة الواحدة، أي أنها استهلكت بالاستعمال...

وأورد الدكتور عبد الله عزام أرقاما عن خسائر السوفييت في العتاد خلال سنة 1985 على سبيل المثال حيث بلغت 302 طائرة نفاثة ومروحية، و1328 دبابة و3002 ناقلة ومدرعة وتخريب 75 مدفعا. (31).

وهناك معطى آخر لابد من الاشارة إليه، ويتعلق الأمر بسلوكيات الجنود السوفييت ومعنوياتهم خلال الحرب، وهو ما عبر عنه الجندي فلاديمير ناعوموف الذي وقع أسيرا في أيدي المجاهدين وتمَّ تسليمه الى هيئة الصليب الأحمر الدولي، ثم طلب حق اللجوء السياسي الى كندا، صرح هذا الجندي أن «**المشكل الرئيسي لدى السوفييت في أفغانستان هو انحطاط المعنويات لدى الجنود**. وكثيرا ما يصابون بانهيارات عصبية، وهذا هو سر تعاطيهم للمخدرات، ولقد رأيت حالات كثيرة أقدم فيها جنود على محاولة الانتحار إذا منعوا من تعاطي المخدرات... والأخطر من ذلك، أن الجنود يكرهون ضباطهم، وخاصة المسؤولين منهم عن التكوين الايديولوجي والسياسي، بل هناك حالات عديدة تم فيها الاجهاز على ضباط من طرف جنودهم ثم يعلل هؤلاء اختفاءهم — أمام القيادة — بسقوطهم من ارتفاعات شاهقة أو ما شابه ذلك» (31).





2 ــ على المستوى السياسي :

من الصعب رصد كل النتائج السياسية للحرب نظرا لكون الأحداث لاتزال تتواصل على الساحتين العسكرية والسياسية، ولأن الآثار السياسية ــ بطبيعتها ــ تأخذ وقتا قد يطول أو يقصر تبعا لحجم الأحداث...

ومع ذلك، يمكننا أن نرصد بوادر المضاعفات السياسية لهذه الحرب العدوانية على المستويين الداخلي والخارجي.

أ ــ على المستوى الداخلي : إذا كان السوفييت قد شنوا الحرب على شعب أفغانستان لمحاولة استئصال الحركة الاسلامية وإخماد الثورة الشعبية التي اندلعت ضد النظام الصوري في كابل ــ وذلك خوفا من امتداد ألسنة اللهيب الى «تركستانهم» ــ **فإن استمرار الحرب وصمود المجاهدين الأفغان في وجه العُتُوّ السوفيتي، أدى الى حدوث ما كان يخاف منه الروس بالضبط،** إذ أصبح مؤكدا أن مسلمي آسيا الوسطى ــ الذين طال استسلامهم للسلطة السوفيتية ــ تفاعلوا مع حركة الجهاد ايجابيا، ومن مؤشرات هذا التفاعل، هو تخفيض القيادة السوفيتية لنسبة الجنود المنحدرين من مسلمي آسيا الوسطى بنسبة كبيرة في السنوات الثلاث الأولى من عمر الاحتلال بعد أن تبين لها بعض مظاهر تعاطف هؤلاء الجنود مع إخوانهم الأفغان (شراء المصاحف بكثرة ــ اللجوء الى المجاهدين ــ الامتناع عن تنفيذ الأوامر العسكرية...) وهذا ما أشارت إليه العديد من المصادر إضافة الى مصادر المجاهدين [32]، وتؤكد هذه الأخيرة أن العديد من الجنود المسلمين السوفييت تلقوا تكوينا ثقافيا وسياسيا على أيدي المجاهدين، كما تم تبادل الاتصالات والعلاقات بينهم وبين المسلمين في داخل آسيا الوسطى... [33] ومن المحتمل جدا أن يخبأ المستقبل مفاجآت فيما يتعلق بهذه الجوانب، وما أحداث تركستان وأذربيجان ببعيدة [34].

وعلى المستوى الداخلي أيضا، لايفوتنا أن نلاحظ كيف **تزامن التحرك القومي في جمهوريات البلطيق (ليتيوانيا و وأستونيا) وفي أرمينيا بعد ما تأكدت مظاهر الهزيمة العسكرية للسوفييت في أفغانستان، ولانعتقد أن المسألة خاضعة للصدفة المحضة، إذ يبدو أن تلك الشعوب قد تشجعت على تحدي القيادة الروسية المسيطرة على مقاليد الأمور في الاتحاد السوفيتي بعد أن لاحظت كيف استطاع شعب صغير و«متخلف» أن يصمد أمام قوة عظمى في مرحلة، ثم يلحق بها هزيمة مدوية في مرحلة تالية.**

ب ــ على المستوى الخارجي : لقد بدأت تظهر إرهاصات عدة على خسارة السوفييت للكثير من هيبتهم السياسية أمام الرأي العام الدولي، ومن مؤشراتها سلسلة التنازلات المذلة التي قدموها للمجاهدين ــ بدون أية نتيجة (المصالحة الوطنية ــ الدعوة للمشاركة في السلطة السياسية...) **ووصلت ذروتها بجلوس مسؤولين سوفييت على مائدة المفاوضات مع المجاهدين الأفغان، وطلبُ غورباتشيف رسميا، ومن على منبر الأمم المتحدة في دورتها الحالية (نهاية 1988) وقف إطلاق النار...** وإذا كانت الهزيمة العسكرية والسياسية للسوفييت قد أثرت وستؤثر بشكل عميق على مكانة الاتحاد السوفيتي دوليا، فإن وعي الرأي العام العالمي المتزايد بحجم الجرائم التي ارتكبها في حق شعب أفغانستان ستؤثر بشكل سلبي أيضا على سمعته أخلاقيا إن كانت له أخلاق أصلا... والعديد من المراقبين، يتوقعون أن تكون لهزيمة السوفييت في أفغانستان، مضاعفات مذهلة على مصيره كامبراطورية عالمية تحكمت في جزء كبير من مقاليد السياسة الدولية خلال الخمسين عاما الأخيرة... [35].



الهوامش

1 — حول تفاصيل المخططات السوفياتية تجاه باكستان، انظر : Le Monde diplomatique — sep 1983 — ص 14، 15

2 — أورد جان كلود بومونتي رقم المليون في صحيفة : Le Monde (dossiers et documents — n° 138 — Nov 1986) (انظر نتائج الخبراء الدوليين في فصل : النتائج العامة للاحتلال).

3 — Pierre Metge : « 24 décembre, l'intervention » Le Monde (dossiers et documents) السابق.

4 — «المخابرات الروسية ولعبة المخابرات في أفغانستان»، مجلة البنيان المرصوص، عدد 10 — يناير 1987.

5 — السابق

6 — Henri Paris : Les soviétiques envahissent l'Afganistan — in : Guerres et conflits d'aujourd'hui — n° 6 — 1985 ص 5، 6

7 — عن نشرة سرية لجماعة «خلق» بعد تنصيب السوفيات لكارمال، أوردها M. Levent — A. Dastarac : Afganistan. l'éveil des nationalistes Le Monde diplomatique — 6/2/1980 — ص 6، 7.

وأورد الكاتبان (هامش 9) اعتراف أمين بهذه الحقيقة كما يلي : «في جواب لأمين عن تقرير حول هذا العجز قدمه له أحد كبار المسؤولين : «لقد نصحنا الرفاق السوفيات بهذه السياسة لتجويع المتمردين، وهذا التكتيك أظهر نتائجا، لقد أكدوا لنا اختفاء القمح في كابل، والذين علموا بها ميكرا، سارعوا إلى شراء كميات كبيرة منه كما لم يتردد بعض التجار في تخزين القمح لأغراض المضاربة، فاتخذت الحكومة اجراءات صارمة، وأكدت أن السوفيات قد أعطوا 700.000 طن من القمح...».

8 — أوليفيي روا : أفغانستان : الاسلام والحداثة السياسية — Seuil 1985 ص 260.

9 — «المراحل الست للعدوان السوفياتي على أفغانستان — مجلة كلية الملك خالد العسكرية — عدد 13 — السنة 4 — شعبان 1406.

10 — Jean-Claude Trichet : Les armements — Le couple avion-hélicoptères — in : Gueres et conflits d'aujourd'hui — 1985 — n° 6 — Le piège Afgan ص 49.

11 — تفاصيل المعركة وردت في تقرير بعنوان «الوضع الحالي في بنبحشير وما حوله» حرره المهندس محمد اسحق — ترجمة ونشر : اللجنة الثقافية للجمعية الاسلامية الافغانية في الكويت — أكتوبر 1985.

12 — Pierre Metge المشار إليه أعلاه.

13 — انظر Henri Paris : Les soviétiques changent de stratégie : in : Guerres et conflits — ص 32.

14 — مثل مجلة «الجهاد» و«البنيان المرصوص»، و«المجاهدون» وغيرها...

15 — انظر مجلة Guerres et conflits في العدد المشار إليه سابقا، فصل : Le couple avions - helicoptères fait ces preuves en Afganistan

16 — نشرت مجلة «العالم» ملفا كاملا حول استعمال الروس للاسلحة الكيماوية في أفغانستان، عدد 171 — 23 ماي 1987.

17 — إذاعة الجزائر نشرة 10،30 ليلا بتاريخ 24 مارس 1987

18 — هذا التقرير الأولي نشرته جريدة لوموند بتاريخ 1988/1/1.

19 — من تقرير المهندس فاضل محمد مدير هيئة الاغاثة الانسانية العالمية في بشاور — مجلة الجهاد — عدد 47 — سبتمبر أكتوبر 1988.

20 — القبس الدولي 1988/9/2.

21 — الأطماع الاقتصادية للروس في أفغانستان : الحلقة الثانية — مجلة البنيان المرصوص — عدد 20 — رمضان 1408 — ص. 30 — 32.

22 — المرجع السابق.

23 — الموسوعة السوفيتية الكبرى — موسكو — 1984 ص 202 — 203 (بالروسية).

24 — Special Report : 22/12/1982

25 — مجلة الاكسبرس الفرنسية — 13 ماي 1988 — ص 25.

26 — Nadir Yaata : Les chouans de l'Islam — in lamalif — Mars 1988.

27 — القبس الدولي 1988/5/20.

28 — مجلد 85 — 1/1981 — ص 100 — 101.

29 — من تقرير للرائد موسى خان نشر بمجلة «البنيان المرصوص» فبراير 1987.

30 — المرجع السابق.

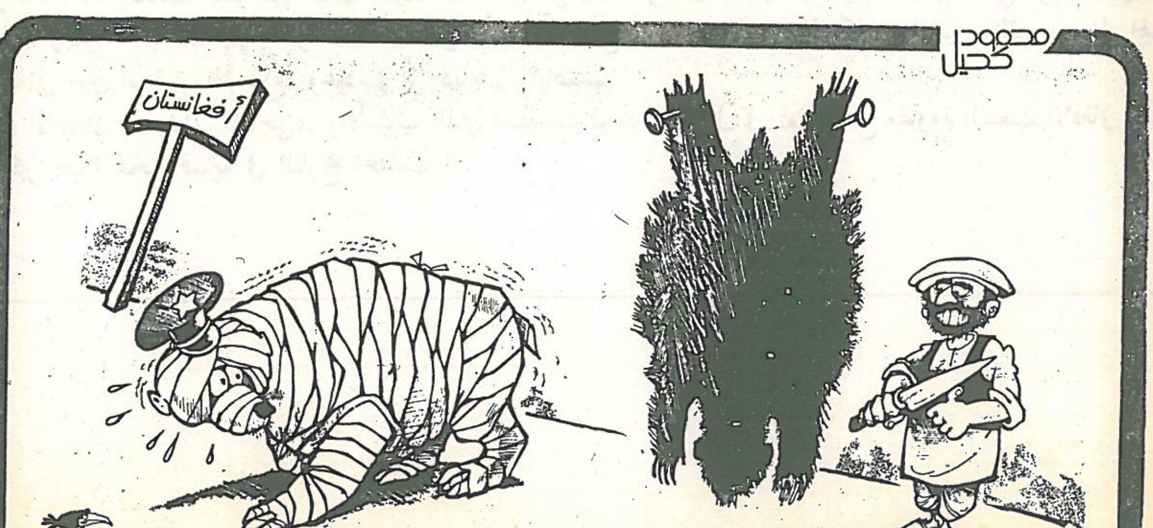
31 — مجلة Jeune Afrique : 2/3/1988 p : 49

32 — انظر على سبيل المثال الاستجواب الذي أجرته مجلة الاكسبرس الفرنسية مع الخبير الكسندر بنيغسن المشار إليه بهوامش الفصل الثاني، كذلك المقال الأول لأوليفيي روا في مجلة Guerres et conflits المشار إليها سلفا...

33 — انظر مقال : أثر الجهاد الأفغاني — مجلة المجاهدون — عدد 13 شوال — ذو القعدة — 1408 ص 42.

34 — فيما يتعلق بأذربيجان، ذكرت إذاعة ميدي 1 في أواخر شهر نوفمبر (لاأذكر التاريخ بالضبط) أن المتظاهرين خرجوا الى الشوارع وهم يحملون صور الخميني.

35 — حول حساسية المسألة القومية في الاتحاد السوفيتي، سبقت الاشارة الى عدة مراجع في هوامش الفصل الثاني.



عن جريدة «المسلمون»

المهاجرون

"مهاجرستان"

إذا كانت ظاهرة اللاجئين، ظاهرة مرتبطة بالحروب في العصر الحديث، فإن التاريخ لم يشهد قط مشكلة بحجم وخطورة مشكلة اللاجئين الأفغان.

والواقع أن هذا الوصف، ليست فيه أية مبالغة : فمن خلال المعطيات الاحصائية الصادرة عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين Haut Commissariat des Refugiés التي يوجد مقرها بجنيف، يتبين أن ضخامة المشكلة تفوق أية وضعية للاجئين في أية منطقة من العالم، حتى تلك المناطق التي شهدت ظواهر مماثلة مثل كمبوديا، وارتيريا وأوغادين...

إن الهجرة الجماعية للأفغان، لم تبدأ مع الاحتلال العسكري السوفياتي فقط، وإنما ترجع أصولها الى عهد محمد طراقي، أي بعد انقلاب أبريل 1978، وكذلك أثناء فترة حكم حفيظ الله أمين من بعده، وذلك بسبب الأساليب الدموية التي مورست في حق الشعب الأفغاني، والتي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء، مما دفع أعدادا هائلة من السكان، المدنيين والقرويين، الى الهرب أملا في النجاة الى حين استقرار الأوضاع، وعودتهم الى ديارهم وأراضيهم.

غير أن الاحتلال السوفياتي المفاجىء، والأسلوب الذي استعملته قوات الاحتلال في تعاملها مع مقاومة الشعب الأفغاني، أدى الى حدوث أكبر حركة هجرة قسرية في التاريخ الحديث.

الظروف العامة للهجرة

في شهر مارس 1979، ونتيجة للانتفاضة الشعبية الكبيرة في مدينة هرات احتجاجا على الاساليب القمعية، وعلى السياسة الموالية للسوفيات، التي ترهن استقلال البلد لقوى خارجية، **شنت قوات نظامية، بأوامر حكومية،** (أثناء حكم نور محمد طراقي)، **هجوما عاما على المدينة، باشتراك سلاح الجو، ذهب ضحيتها ما لايقل عن 30.000 (ثلاثين ألفا) من الشهداء من سكان المدينة**(1)، **التي تم تدمير أحياء منها تدميرا كاملا.**

ونتيجة للهجومات المتكررة، التي شنتها قوات الاحتلال السوفياتي ضد المجاهدين في وادي بنجشير، **انخفض عدد سكان الوادي من حوالي 100.000 (مائة ألف) إلى 30.000 (ثلاثين ألفا) فقط** عند بداية الهجوم في شهر فبراير 1984، وقد كان السابع من نوعه منذ بداية الاحتلال، والذي سبقه ورافقه قصف مكثف بالمدفعية والطائرات المروحية والنفاثة، لعدة أسابيع قبل اجتياح الوادي بمآت المدرعات والدبابات(2).

وبتاريخ 16 نوفمبر 1979، أعلن **متحدث رسمي في كابل،** عن قائمة المعتقلين في سجن «بولي مشرخي» بالعاصمة، **الذين أعدموا أو اعتبروا في عداد «المفقودين»، وقد بلغ عددهم 12.000 (اثنا عشر ألفا)، وذلك بالنسبة لمنطقة كابل وحدها، وهذا قبل الاجتياح السوفياتي**(3).

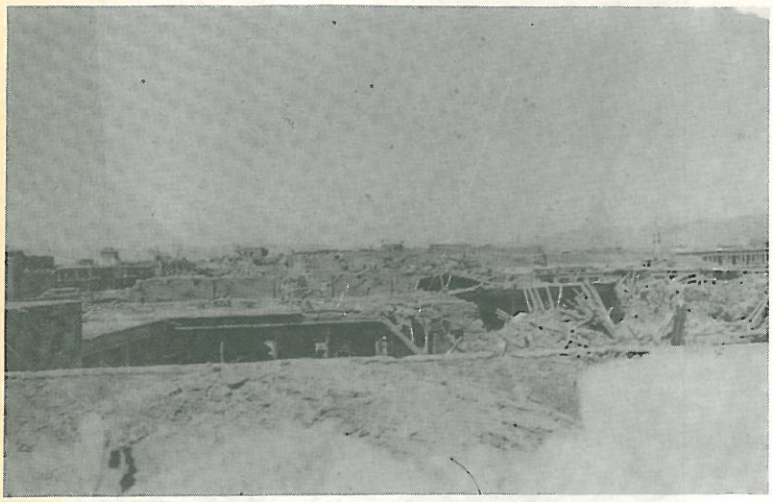
وبتاريخ 30 يونيو 1983، أعدمت القوات السوفياتية 23 قرويا عزلا من السلاح في قرية روزدا بولاية غازني دون أن تكون لهم أية علاقة بالقتال الذي كان دائرا هناك(4).

وتم استعمال الاسلحة الكيماوية، ليس فقط ضد المقاتلين الافغان، ولكن أيضا ضد أولئك الذين يسكنون القرى في مناطق مختلفة، وقد ثبت ذلك من خلال معاينة المصابين في المراكز الطبية والمستشفيات الحدودية والاستماع إلى شهاداتهم، ومقارنتها مع نتائج التحليلات التي أجريت على نباتات في المناطق المصابة بالمواد الكيماوية(5).

وفي 22 أبريل 1979، بمدينة كيرالا الصغيرة، **أبيد 1700 (ألف وسبعمائة) رجل وشاب،** أي أغلب الذكور، **مما أدى إلى هروب حوالي 5000 (خمسة آلاف) شخص، لم ينج فيهم من المذبحة إلا 500 رجل، أما الباقي فكلهم من النساء والاطفال والمسنين،** حيث وصلوا إلى الحدود الدولية مع باكستان في 26 أبريل(6).

في مثل هذا النوع من الظروف إذا، والتي هي مجرد أمثلة فقط، **تمت** هجرة المدنيين والقرويين، ويبدو أن ايقاع الهجرة صار بطيئا بالنظر إلى ماكان عليه الأمر خلال السنوات الست الأولى من الحرب، **نتيجة لقدرة المجاهدين المتزايدة على إدارة شؤون المناطق المحررة أو التي لاتخضع لسيطرة قوات الاحتلال، ولوعي السكان المتزايد بضرورة الالتصاق بالأرض والصمود** في وجه عتو الاحتلال رغم التضحيات الرهيبة.

ولابد هنا من التنبيه إلى خلفية سياسة الأرض المحروقة، التي يمارسها السوفيات فوق أرض أفغانستان : إن خبرة السوفيات الطويلة مع كثير من حركات التحرر الوطنية في العديد من دول العالم الثالث، أكدت لهم صحة مقولة ماوتسي تونغ : «**إن جنود العصابات يتحركون بين السكان، كما تتحرك السمكة في الماء**»، وقد علق كلود مالوري C. Malhuret رئيس جمعية «أطباء بلا حدود» (Medecins sans frontières) المشهورة على هذه النقطة قائلا : «**لقد فهموا (أي السوفيات) شيئا واحدا، هو أن الحروب الغربية الموجهة ضد العصابات، قد فشلت جميعها، لأنهم كانوا يفصلون في حربهم بين العصابات والأهالي... لقد فهم السوفيات أنهم إذا كانوا يريدون التخلص من حرب العصابات، فعليهم أن يفرغوا البرك من الماء، حتى لايكون هناك ماء يعوم فيه السمك، وهذا ما يقوم به الفيتناميون في كامبوديا منذ عام 1979 والاثيوبيون في أوغادين وإيرتريا، وهذا ما يحاول** السوفييت **القيام به الآن وبالذات في افغانستان. وليس من الضروري أن نسترسل في التفاصيل: قصف عديد من الاودية بالقنابل، تدمير أجزاء كبيرة من قندهار وهرات، الالغام التي تلقي حيثما اتفق، اللعب المصممة لتقطع أوصال الاطفال، المحاصيل التي تحرق وغير ذلك كثير.**» (7).

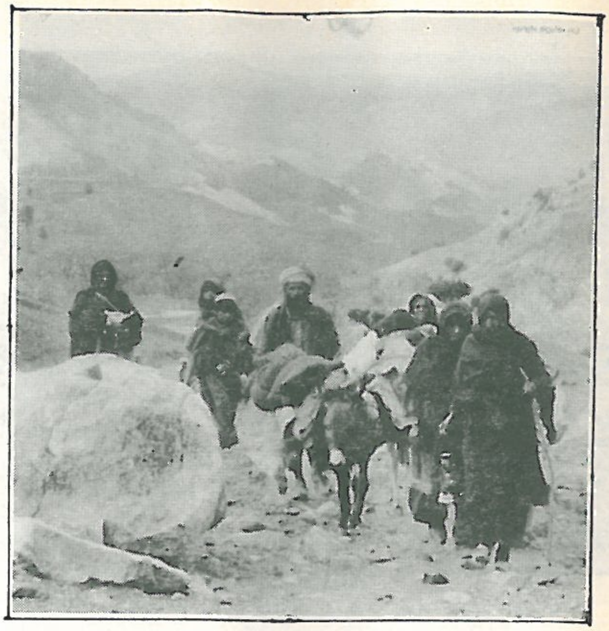


انجيل (ولاية هرات) تكاد تكون مدمرة عن اخرها بسبب قصف العدو.

ففي مقال لأحد كبار الجغرافيين الفرنسيين وهو ميشيل فوشي M. Foucher بجريدة «لوموند دبلوماتيك» تحدث عما سماه بـ «تفويض البنيات الاجتماعية السياسية التقليدية » في أفغانستان، انطلاقا من تجربة الروس الطويلة مع مسلمي آسيا الوسطى، وأوضح كيف يستخدم الاعلام المقروء باللهجات الاوزبكية والتركمانية والبلوشية لمحاولة حفر الفروقات الاثنية بين مختلف القوميات المكونة للشعب الافغاني، الذي توحده عقيدة الاسلام، وكيف تم التركيز على قبائل البشتون (حوالي 40% من مجموع السكان) الذين لعبوا الدور الاساسي في التاريخ السياسي الحديث لأفغانستان منذ القرن الثامن عشر، من أجل اضعافهم بالتهجير والتصنيف، ويذكر هذا الباحث أن 90% من المهاجرين ينتمون إلى قبائل البشتون.(8)

ومن جهة أخرى، أدت العمليات الحربية الواسعة النطاق التي تشنها القوات السوفياتية باستمرار على المجاهدين والسكان، المدنيين والقرويين، إلى حدوث **هجرة داخلية** مفاجأة وعلى نطاق واسع، وكمؤشر على ذلك، ارتفع عدد سكان كابل بوتائر عالية في السنوات الأولى للحرب، إذ قفز عدد سكانها من حوالي 700.000 أو 800.000، إلى أكثر من 1.500.000 شخص في أواخر 1983(9)، أي أن نسبة الزيادة تفوق 70%، مع ما تثيره ظاهرة الهجرة نحو المدن، في دول العالم الثالث، من انتشار ما يسمى **بأحزمة البؤس،** أي الاحياء الفقيرة المهمشة.

والواقع أن الهجرة الداخلية نحو المدن في افغانستان، مثلها مثل الهجرة إلى الخارج، **مقصودة لذاتها من طرف الاستراتيجية الروسية ـ السوفياتية : فبالاضافة إلى مساهمتها الفعالة في إخلاء المناطق القروية من السكان، الذين يشكلون عنصر دعم حاسم بالنسبة للمجاهدين، والذين تتكون غالبيتهم الساحقة من الفلاحين، فإنها ـ أي الهجرة الداخلية ـ تمكن قوات الاحتلال،** من ضبط الحجم الاكبر من السكان في المراكز الحضرية، التي تسيطر عليها هذه القوات، إذ من المعروف أن الاحتلال السوفياتي، يكاد ينحصر في المدن والمحاور الكبرى للطرق.



أسرة مهاجرة نحو باكستان

أما بالنسبة لهجرة الافغان إلى خارج بلادهم، فعلى الرغم من وجود معطيات إحصائية رسمية صادرة عن المفوضية السامية للاجئين التابعة للأمم المتحدة، وعلى الرغم من الحجم المرعب لهذه الظاهرة المأساوية، **إلا أن الرأي العام، في البلدان العربية والاسلامية بشكل خاص، وفي** الغرب، **أيضا**، وبالبداهة في باقي دول العالم الثالث، **لايزال بعيدا عن ادراك خطورة هذه القضية**، كما أن هذه المعطيات الاحصائية لاتجد أبدا طريقها إلى وسائل الاعلام العربية الرسمية والخاصة التي تكرس يوميا، مساحات رئيسية لأخبار تافهة.

ومن المعروف أن التوزيع الجغرافي للمهاجرين يشمل عدة دول، فبالاضافة إلى باكستان وإيران، يوجدون بأعداد مهمة في الهند ودول شبه الجزيرة العربية طلبا للعمل.

المهاجرون في باكستان

بدأت الهجرة إلى باكستان في وقت مبكر قبل الاجتياح السوفياتي، وبالضبط منذ انقلاب طراقي في أبريل، وخاصة بعد الاصطدامات المتكررة بين الاهالي والسلطة إن نتيجة لتحرك بعض التنظيمات الاسلامية في إطار المعارضة السياسية (التي ظهرت بشكل واضح في عهد الجنرال محمد داود بعد انقلابه على ابن عمه الملك ظاهر شاه) أو نتيجة للانتفاضات العفوية[10] التي ترتبت عن اعمال الاستقرار التي كانت تقوم بها عناصر السلطة خلال محاولات الحزب الحاكم تنفيذ مخطط «الاصلاح الزراعي» الذي فشل فشلا ذريعا وأدى إلى مقاومة عنيفة من طرف الفلاحين. (تراجع مسألة «الاصلاح الزراعي في الفصل الخاص بأسباب الاحتلال السوفياتي في هذا البحث).

أما بعد الاجتياح العسكري السوفياتي، **فقد تدفقت الهجرة بوتائر سريعة جدا، وبأعداد هائلة** وفقا لما تفيده المعطيات الاحصائية التالية : **ففي 7 نوفمبر 1980** (أي بعد أقل من سنة على الغزو) **اعلنت المندوبية السامية للاجئين، أنه، إلى حدود [15 أكتوبر] من نفس السنة، بلغ عدد اللاجئين الافغان إلى باكستان [1.165.000 شخصا]، بينما وصل العدد في [31 ديسمبر] من نفس السنة أي بعد شهرين ونصف فقط، إلى [1.400.000 شخص]**[11].

وفي [20 يونيو 1981]، أعلنت المفوضية أن عدد اللاجئين، قد وصل إلى [2.083.688 شخصا][12].

وفي [21 أبريل 1982] أعلنت هذه الهيئة الدولية أن عدد اللاجئين الاجمالي وصل إلى حوالي [3.000.000 (ثلاثة ملايين)، منهم حوالي 2.700.000 في باكستان][13].

وفي أواخر سنة 1984، كان العدد قد تجاوز ثلاثة ملايين في باكستان وحدها[14]. **ووصل الرقم إلى [أربعة ملايين] في بداية سنة 1986**[15].

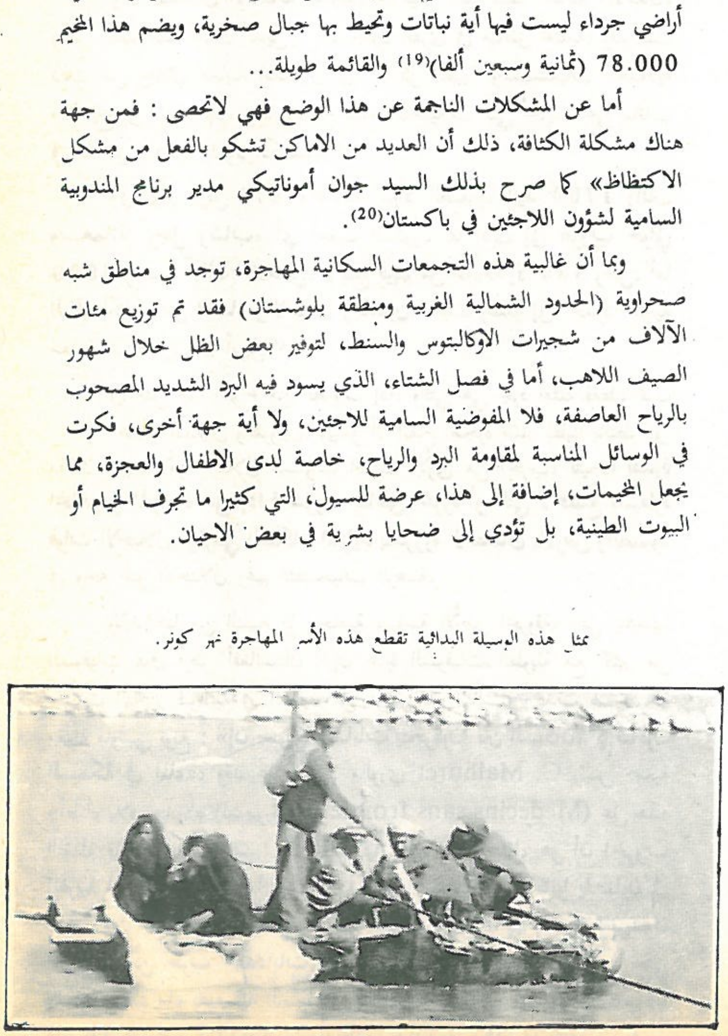
وإجمالا، فإن غالبية المهاجرين، وفدوا إلى باكستان مابين سنتي 1980 و1984. وذكر السيد باري ريكبي ممثل المندوبية السامة للاجئين التابعة للأمم المتحدة في بشاور «أن حوالي مائة ألف من اللاجئين الجدد كانوا يفدون على المنطقة خلال عامي 1984 و1985»[16]. وهذا يعتبر معدلا سنويا منخفضا بالنسبة للسنوات الأربع الأولى من الحرب.

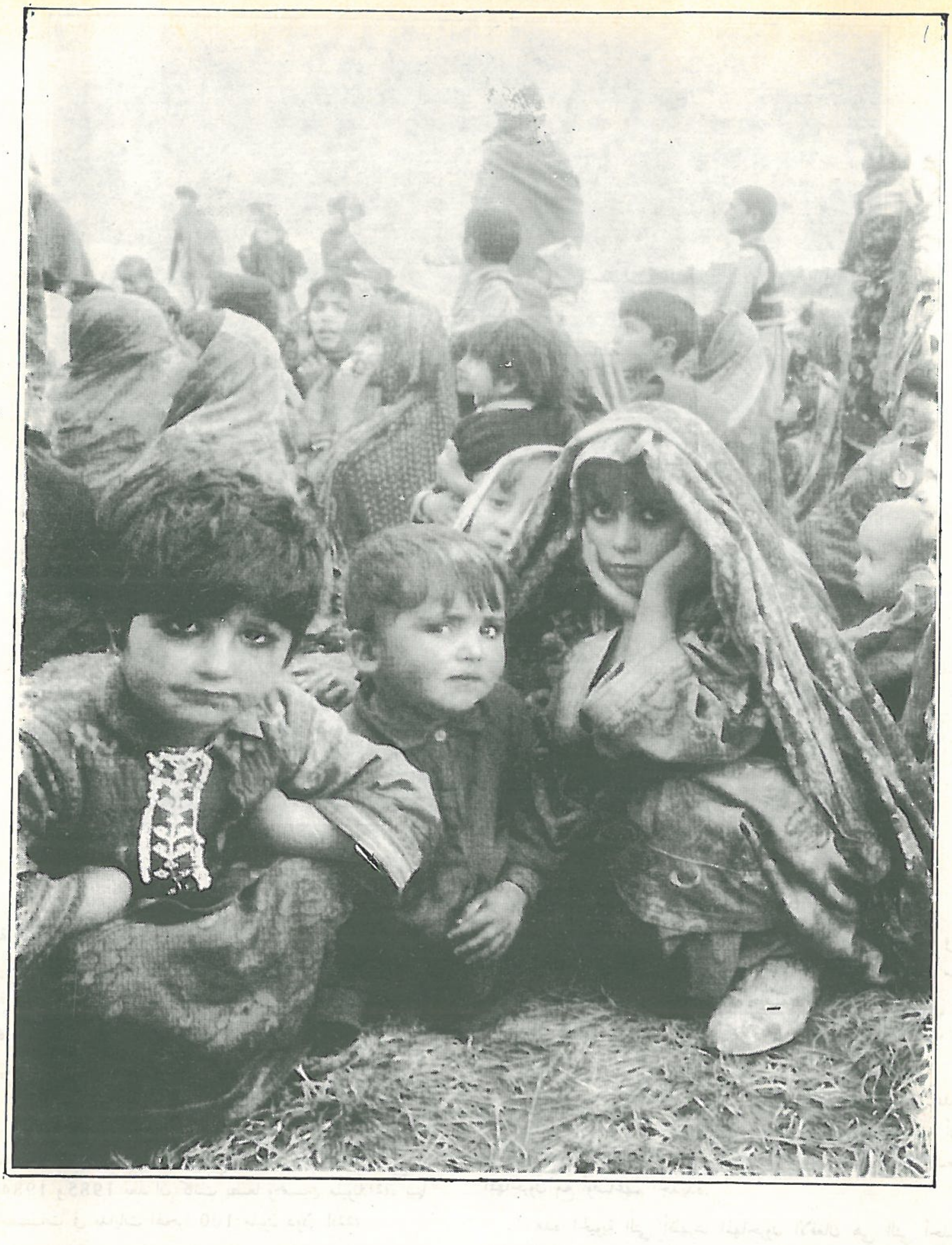
أما عن التوزيع الجغرافي للمهاجرين، فإن 370 (ثلاثمائة وسبعين) «قرية» خاصة بالمهاجرين تنتشر على طول الحدود الباكستانية مع افغانستان، ويتركز حوالي نصف مليون مهاجر في منطقة بلوشستان التي يبلغ عدد سكانها من الباكستانيين ثلاثة ملايين. ومن أكبر المخيمات، مخيم سرخاب، الذي يبلغ طول ضلعه حوالي 15 كيلومترا، ويعيش فيه حوالي نصف مليون مهاجر،[17] وفي مخيم «كرام» يعيش فيه 350.000 (ثلاثمائة وخمسون ألفا من المهاجرين)[18]. وعلى بعد 80 كيلومترا من جنوب غرب كويتا، أكبر مدن بلوشستان الباكستانية يمتد مخيم «محمد خيل» على عدة كيلومترات فوق أراضي جرداء ليست فيها أية نباتات وتحيط بها جبال صخرية، ويضم هذا المخيم 78.000 (ثمانية وسبعين ألفا)[19] والقائمة طويلة...

أما عن المشكلات الناجمة عن هذا الوضع فهي لاتحصى : فمن جهة هناك مشكلة الكثافة، ذلك أن العديد من الاماكن تشكو بالفعل من مشكل الاكتظاظ» كما صرح بذلك السيد جوان أموناتيكي مدير برنامج المندوبية السامية لشؤون اللاجئين في باكستان[20].

وبما أن غالبية هذه التجمعات السكانية المهاجرة، توجد في مناطق شبه صحراوية (الحدود الشمالية الغربية ومنطقة بلوشستان) فقد تم توزيع مئات الآلاف من شجيرات الاوكالبتوس والسنط، لتوفير بعض الظل خلال شهور الصيف اللاهب، أما في فصل الشتاء، الذي يسود فيه البرد الشديد المصحوب بالرياح العاصفة، فلا المفوضية السامية للاجئين، ولا أية جهة أخرى، فكرت في الوسائل المناسبة لمقاومة البرد والرياح، خاصة لدى الاطفال والعجزة، مما يجعل المخيمات، إضافة إلى هذا، عرضة للسيول، التي كثيرا ما تجرف الخيام أو البيوت الطينية، بل تؤدي إلى ضحايا بشرية في بعض الاحيان.

تمثل هذه الوسيلة البدائية تقطع هذه الأسر المهاجرة نهر كونر.

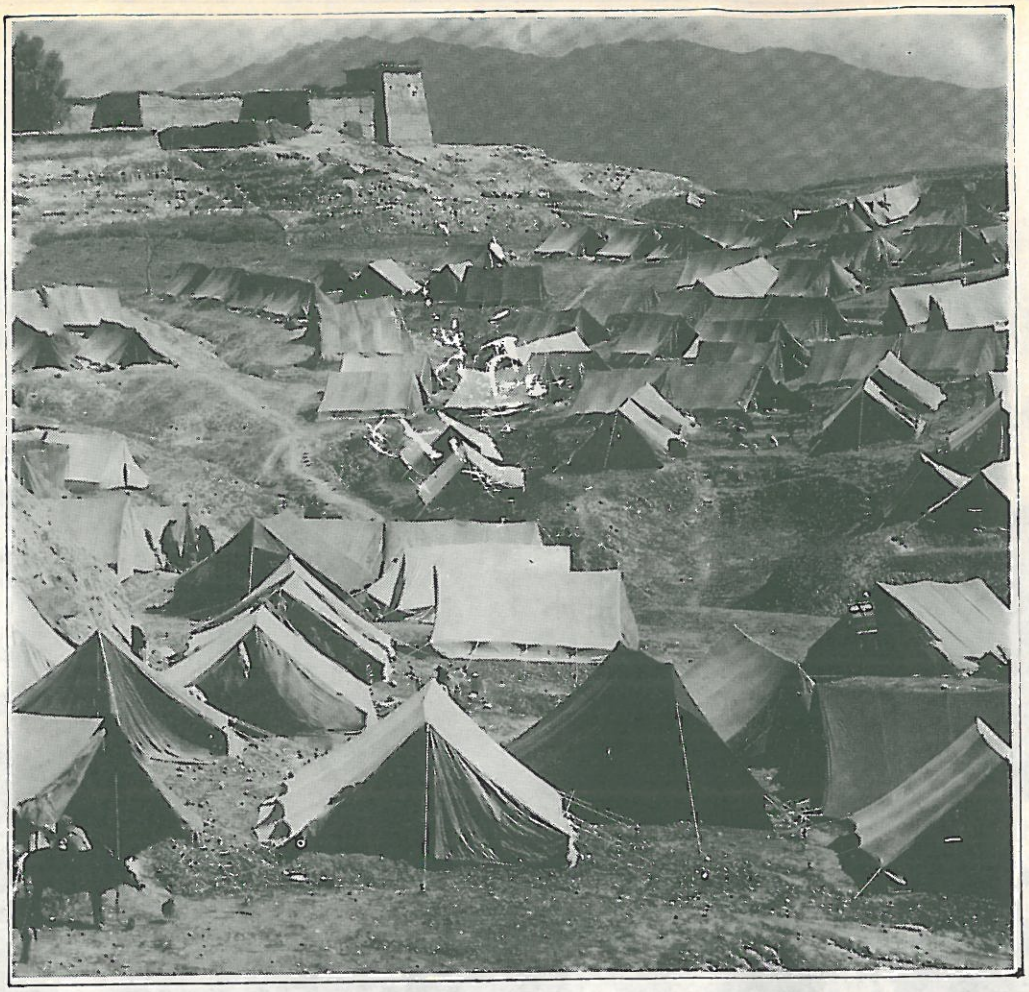




الوضع الاقتصادي الاجتماعي

أمام هذه الوضعية التي يمكن أن تبعث على اليأس، ولاشك أن هذا كان أحد أهداف القيادة الروسية/السوفياتية، وذلك بسبب ضخامة حجم المشكلة، وجد المهاجرون أنفسهم ملزمين بالتكيف مع الوضع الجديد، خاصة فيما يتعلق بتوفير الضروريات الأولية، بحيث لم تغط المساعدات التي تقدمها المفوضية السامية للاجئين، أو «الاعانات» الوافدة من بعض الجهات، سوى جزءا بسيطا جدا من احتياجات هذا العدد الهائل من المهاجرين.

دور المنظمات الدولية : والحديث عن دور المنظمات الدولية المختصة تجاه مأساة المهاجرين الافغان التي لم يشهد العالم لها مثيلا إن في الماضي أو الحاضر يدعو إلى التساؤل والارتياب على أقل تقدير : فمن جهة، **لم تنشأ جمعية الأمم المتحدة أية هيئة متخصصة لمعالجة وضعية المهاجرين الافغان على غرار وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونوروا)، على الرغم من أن عدد المهاجرين الافغان يفوق بكثير عدد أفراد الشعب الفلسطيني نفسه، سواء منهم الذي يعيشون داخل فلسطين المحتلة، أو الذين يعيشون خارجها مع الأخذ بعين الاعتبار نسبة النمو الديموغرافي لجميع الفلسطينيين منذ اغتصاب الارض المقدسة رسميا سنة 1948 ! ورغم مرور ثماني سنوات على انفجار الأزمة الافغانية ونزوح تلك الاعداد الهائلة من المهاجرين، إلا أن المجتمع الدولي**



مخيم للمهاجرين يذكر بالمخيمات الفلسطينية في هضاب عمان

لايزال في حالة صمم تامة تجاه أوضاعهم اللا إنسانية، بينما تحظى قضايا أقل أهمية بكثير وأقل خطورة، بدعاية عالمية ودعم مادي مهم، كالضجة التي أحدثت لفائدة جياع اثيوبيا ـ مثلا ـ والتي كانت حصيلتها مآت الملايين من الدولارات وجهت لفائدة النظام العسكري...

وحسب مصادر المفوضية السامية لشؤون اللاجئين نفسها، **لوحظ تقلص شديد في حجم المساعدات التي تقدمها لفائدة المهاجرين بنسبة 50% بشكل مطرد عكسيا مع تضخم حجم المهاجرين،** فقد نزلت مخصصات المفوضية للاجئين الافغان إلى بضع وأربعين مليونا من الدولارات خلال عامي 1984 و1985 بعد أن كانت بضعا وخمسين مليونا[21]، بينما بلغت تلك المخصصات في بدايات الهجرة 100 مليون دولار ![22]

وفي جميع الحالات تبقى تلك المخصصات مساهمة تافهة بالنسبة للمتطلبات الضرورية التي لاغنى لأي انسان عنها، ونعني بها متطلبات التغذية والصحة والتعليم.

لقد تظافر عاملان ايجابيان، ساعدا المهاجرين كثيرا على تحمل الوضع المأساوي الذي وجدوا أنفسهم فيه فجأة، ويتعلق الأمر من جهة، بروح الكرم العالية التي استقبل بها الباكستانيون اخوانهم في الدين، اللاجئين إليهم، إذ في استطاعة الافغاني أن يتنقل بحرية تامة في جميع أنحاء باكستان للعمل وغيره، وهناك عدد كبير من الشاحنات التي يملكها أفغانيون، تجوب هذا البلد الاسلامي المضيف، دون أية قيود أو ضرائب، كما أصبح بإمكان الافغاني أن يمارس أي عمل كأي مواطن باكستاني.

ومن جهة أخرى، **يتحلى الافغان، عموما بروح انضباطية وأخلاقية عالية،** ولهم عزة في النفس تجعلهم يأنفون عادة من مد اليد، ولذلك سرعان ما حركوا مهاراتهم الحرفية (صناعة الزرابي خاصة) أو باعوا ماشيتهم التي جلبوها، من أجل تعاطي التجارة أو أنواع أخرى من النشاط الحرفي، كما أن الكثيرين منهم سافروا إلى دول شبه الجزيرة العربية قصد العمل مؤقتا...

وإذا علمنا أن غالبية الافغان يعملون في الزراعة، وبسبب عدم وجود أراض زراعية فائضة في المناطق التي يوجد فيها المهاجرون، نستطيع أن ندرك مقدار الصعوبات والتعقيدات الناجمة عن محاولة التكيف التي يسعى إليها المهاجرون مع أوضاعهم الجديدة.

هذه الحيوية التي أظهرها المهاجرون الافغان هي التي أحلت على المفوضية السامية للاجئين، أن تخصص 17% من نفقات الميزانية المخصصة للاجئين الافغان، إلى أنشطة تؤدي إلى أدرار الدخل، كالتدريب، واكتساب المهارات، أو توزيع بعض المساعدات إلى بنائين، أو صانعي أحذية، نجارين، عمال ميكانيكا... ومع ذلك أشارت مصادر المفوضية إلى أن جهودها في ميدان التشغيل «لايمثل إلا قدرا ضئيلا من النشاط الاقتصادي واسع النطاق الذي يلاحظ لدى اللاجئين في كل مكان».

ولكن المسألة لاتتعلق بمجرد كسب العيش مع الرضى والاستسلام للواقع فقط، **بل إن حرص المهاجرين على دعم الحركات الجهادية، بل والمساهمة فيها، تمثل قناعة راسخة في صفوفهم، وهناك أعداد لاتحصى من الاشخاص الذين ابتاعوا قطعة سلاح وعادوا إلى داخل أفغانستان لمحاربة**

المحتلين بعد أن تركوا لعائلاتهم بعض المال، ثم يعودون إلى باكستان للعمل مرة أخرى، وهكذا دواليك.

ولاعطاء صورة نموذجية عن الوضعية الاجتماعية والنفسية لهؤلاء المهاجرين، هناك مثال مدينة كيرالا التي أبيد 75/ من رجالها العزل من السلاح في مجزرة واحدة كما وردت في تقرير نشر بمجلة «اللاجئون» التابعة للمفوضية السامية للاجئين :

. «... يعيش في المخيم (وهذا في بداية سنة 1985 ـ الهدى) 8246 شخصا في بيوت من طين، وكل 3 أو 4 أشخاص في بيت، يشرف عليه رجل من الاقرباء. والقرارات لاتتخذ إلا بعد استشارة النساء، لأنهن يشكلن أغلبية، رغم وجود «مجلس الشيوخ». ورغم وجود عدد من الأرامل اللائي تزوجن مرة أخرى، إلا أن أغلب النساء يرفضن الزواج... إذ لايزال الحزن يخيم عليهن، ويلبسن السواد ويرفضن التحدث إلى أي شخص... وتقول المسؤولة الطبية. إن عددا كبيرا من النساء يعانين من اضطرابات نفسية نتيجة للكارثة التي حلت بهن. ويوم 22 أبريل من كل عام (وفي هذه القرية التي أطلقوا عليها نفس اسم مدينتهن الصغيرة في افغانستان) هو يوم حداد في كيرالا، يجتمع فيه الرجال في المسجد لاقامة الصلاة، ويتحدث الابناء على الانتقام. أما النساء المتشحات بالسواد، فيجتمعن في أحد المنازل لاسترجاع الذكريات، فهي تساعد على التغلب على ما يعانينه من كرب»...(23).

الوضع الصحي

انتهت مختلف الدراسات التي أجريت عن الوضعية الصحية في مخيمات المهاجرين الافغان، إلى نتائج مهولة ليس لها مثيل في العام أجمع، فمثلا «من بين كل ألف طفل يولد في مخيمات اللاجئين الافغان في باكستان، يموت 156 طفلا خلال العام الأول من الحياة، بينما يموت 69 آخرون قبل بلوغ سن الخامسة (أي أن نسبة وفيات الاطفال قبل سن الخامسة تبلغ حوالي 22 / ـ الهدى) وهذا من أعلى المعدلات في العالم أجمع، وعلاوة على ذلك، تحدث وفيات الامهات لأسباب تتعلق بالولادة بمعدل مرتفع نسبيا عن المستوى العالمي، إذ تموت، في المتوسط، 1176 أما في كل مائة ألف حالة ولادة.

... وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية في يونيو 1984 أن الدرن (السل الرئوي) قد بلغ درجة خطيرة في مخيمات اللاجئين الافغان في الشهور القليلة الأخيرة، ولاسيما بين الاطفال، إذ يعاني 25 إلى 23 / من مجموع الاطفال اللاجئين من الدرن، مقابل 13 / بين الاطفال الباكستانيين.

ويذكر الباحثون في «مراكز مكافحة الامراض» أن هناك أربعة أمراض رئيسية يرجع أنها مسؤولة عن ارتفاع معدل وفيات الاطفال : فمن بين 77 وفيات الاطفال التي تمكن الباحثون من تحديد أسبابها، كانت الامراض الأربعة الآتية حسب أهميتها : الاسهال 64% الملاريا 13% الجدري 13% والتيتانوس، خاصة بين حديثي الولادة 10%

... ويرى خبراء «مراكز مكافحة الأمراض» أن وفيات كثير من الرضع وصغار الاطفال، يمكن تفاديها بسهولة، فحياة الاطفال الذين يعانون من الاسهال بوجه خاص، يمكن انقاذها لو أعطي الاطفال أملاح الارواء في وقت مناسب...»(24).

وذكر التقرير أن المفوضية، تتوخى تخصيص مبلغ 6،6 مليون دولار (في عام 1985) لتنفيذ برامجها الصحية في أوساط المهاجرين في باكستان، أي أقل من دولارين للفرد الواحد في السنة ! (ونعيد الإشارة إلى التقليص الكبير الذي عرفته مخصصات المفوظية للمهاجرين كما سلف !) بينما



يمكن ملاحظة أن عددا من هاته الطفلات هن حافيات... أين هي أموال المسلحين الضخمة...؟ !

تتكدس عشرات الملايير من الدولارات من أموال الشعوب الاسلامية في أبناك الغرب، تمد اقتصاده بأسباب القوة والنمو، ولاشك أن مواقف الاهمال التي تقفها الحكومات في البلدان الاسلامية تجاه المشكلات الانسانية للمهاجرين الافغان هي مسؤولية حقيقية بالمقاييس الشرعية الاسلامية، بينما يتلهف اللاجئون الافغان في سؤالهم لكل عربي يلقونه، عن فلسطين والقدس،(25) ويبدون استعدادهم الفوري للذهاب لقتال العدو الصهيوني متى سمح لهم بذلك.

وهنا لابد من الاشارة إلى «المساعدات» الطبية الآتية من عدد من الدول الغربية والتي تشرف عليها مؤسسات مختلفة (من السويد، وألمانية وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية... وهي «مساعدات» ذات وزن نسبيا، غير أن أوساط المهاجرين، والمسؤولين في الحركات الجهادية الافغانية، يشيرون صراحة بأصبع الاتهام، إلى الأدوار التبشيرية المشبوهة التي تمارسها هذه المؤسسات في أوساط المهاجرين بل يتهمون صراحة منظمة الصليب الأحمر الدولية باجراءها لعمليات بتر أطراف المجاهدين دون أية ضرورة طبية(26)، وقد بلغ عدد المجاهدين الذي قطعت أرجلهم في سنة واحدة 3500 مجاهدا حسب احصائيات نفس المنظمة، وسبق للأمين العام لجمعيات الهلال الأحمر العربية أن استنكر هذه الشناعة وأعلم الجهات الطبية المسؤولة لدى المجاهدين. أن الأحوال التى تنفقها منظمة الصليب الأحمر تجمع أصلا باسمهم وبحجة العناية بهم، فإذا بها تنفق منها لجعل الكثيرين منهم معوقين عن الجهاد(27).

والحقيقة، أننا لانستطيع أن نستثني من هذه المؤسسات الغربية، سوى هيئة فرنسية واحدة مشهورة، وهي جمعية «أطباء بلا حدود» Médecins sans frontières التي يتطوع أعضاؤها للعمل داخل أفغانستان (وغيرها من البلدان، إذ سبق أن عملت لصالح عدد من حركات التحرير الشعبية وفي عدة مناطق منكوبة في العالم) وذلك لتقديم خدمات طبية للمهاجرين والمجاهدين على السواء، معرضين حياتهم للخطر، وجدير بالذكر أن بعضا منهم اعتنقوا الاسلام بعد أن عاينوا أحوال الجهاد في افغانستان.

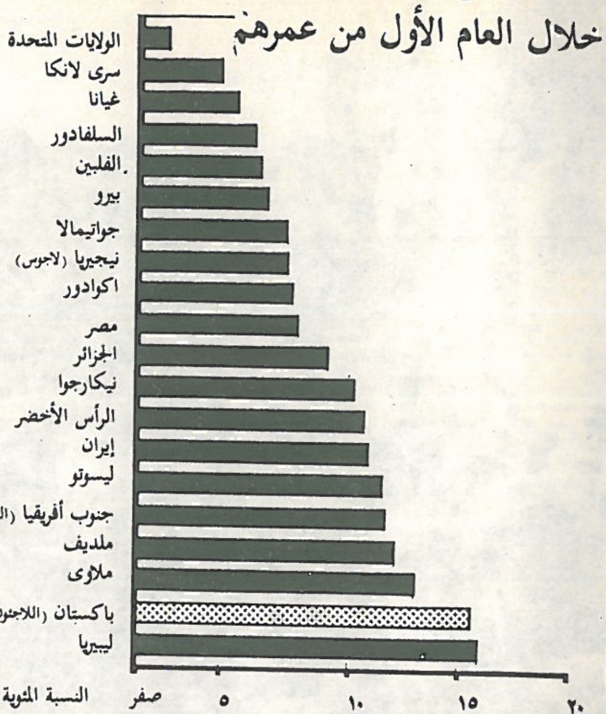
وإذا كانت بعض الهيئات الاجنبية تقدم مساعدات طبية لأسباب انسانية، فما هي مساهمة الدول العربية الاسلامية في هذا المجال، باعتبار أنها أقرب إلى الافغان من غيرهم، بحكم عوامل مشتركة عدة أهمها وحدة الدين الذي لاداعي للتأكيد على بديهياته فيما له علاقة بنصرة المستضعفين والتعاون على البر والقيام بواجبات الأخوة ؟



بعد انتهاء غارة الطيران الروسي على القرية .. بعد الحفر، وجد هؤلاء الأطفال في نفس الاختباء الأول .. على اليمين ، طفلة لا يزال جسمها مدفونا تحت الركام ... وبقيت أجسادهم شاهدة على .. أشياء كثيرة ... صورة التقطها الدكتور برنار كوشنر مؤسس جمعية "أطباء العالم" "Medecins du Monde" ونشرتها

مجلة باري ماتش 1-1-1988

النسبة المئوية لوفيات الأطفال خلال العام الأول من عمرهم



نتائج مسح قامت به «مراكز مكافحة الأمراض»
في يونيه/حزيران ١٩٨٣ المصدر: الكتاب السنوي الديموغرافي للأمم المتحدة (١٩٨٣)

بساطة، وحسب المعلومات المتوفرة، لاتوجد أية مساعدة حكومية رسمية في مجال الخدمات الطبية والانسانية، من أية دولة عربية اسلامية (باستثناء البلد المضيف)، أي باكستان، وذلك راجع إلى «حسابات سياسية» مصلحية وإلى غياب القيم والقناعات الاسلامية الضرورية في مثل هذه الحالات، وبذلك يساهم الخذلان الرسمي ـ حتى في مجال الخدمات الانسانية ـ وبشكل مباشر، في تشجيع ارتكاب جرائم لاحصر لها في حق الشعب الافغاني المجاهد، وهذا أسوأ أنواع الامثلة لما يجب أن تكون عليه علاقات الاخوة بين المسلمين، مقابل كرم خرافي في مجالات التنعم الشخصي، أو اسناد رموز أو مؤسسات أو أجهزة بالأموال الطائلة دون أن تكون لها علاقة بالاسلام او مصالح المسلمين ! ! !

دور المؤسسات الاسلامية الدعوية : وعلى العكس من ذلك، يلاحظ أن هناك هيئات إسلامية لاعلاقة لها بالحكومات تساهم بأنشطة محدودة طبعا، إلا أنها مثال نموذجي لما يمكن أن يكون عليه التعاون بين المسلمين، مع الأخذ بعين الاعتبار امكانياتها المحدودة بالقياس إلى طاقات الحكومات الضخمة، هذا بالاضافة إلى الحالات التطوعية الفردية، كما هو الشأن بالنسبة لبعض الاطباء من مصر، بل هناك حالات تطوعية لمسلمين انجليز، ومن أبرزهم الجهود المنظمة التي يبذلها يوسف اسلام (كات ستيفنس) من خلال منظمة «العون الاسلامي» Aid Muslim التي أنشأها خصيصا لدعم حالات الاستعجال التي يعاني منها المسلمون في مختلف المناطق، وتركز نشاطها خصوصا على الافغان والفلسطينيين، كما يمكن رصد متطوعين من بلدان أخرى، ونسجل هنا حالة مسلمة اسبانية تعيش باستمرار مع المهاجرين لخدمتهم.

ولتكوين فكرة عن نشاطات هذه الهيئات الاسلامية في تضامنها وقيامها بالواجب الذي يفرضه الاسلام، يوجد في بشاور فرع للوكالة الاسلامية الافريقية للاغاثة (من أجهزة الدعم التابعة للحركة الاسلامية في السودان)، وهي وإن كانت متخصصة في العمل في الدول الافريقية، إلا أنها خصصت جزءا من طاقاتها لخدمة المهاجرين الافغان، وفي حوار مع رئيس الفرع، الدكتور عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن حول طبيعة نشاط فرع الوكالة في بشاور قال :

«إنه عبارة عن خدمات طبية، وخدمات اغاثية وخدمات اجتماعية، ولاينقص إلا مجال الخدمات التعليمية، وهذا سيكون في القريب إن شاء الله (أجري الحوار في أوائل 1986). فبالنسبة للخدمات الطبية هناك سبع عيادات، اثنتان منها متخصصتان في الأمراض النفسية والعصبية، وثالثة للأمراض الجلدية وأربعة للنساء والاطفال، وعيادتان عموميتان، والسابعة عيادة متنقلة في سيارة وفيها فريق كامل من الاطباء. ويتم تقديم خدمات تطعيم للاطفال وعلاج للمرضى من المهاجرين، وكذا المجاهدين الجرحى، ضد أمراض التيتانوس. وتم انشاء دورات مياه عمومية في العام الماضي، وتوزيع مواد غذائية والصابون في المخيمات، وإعطاء دروس دينية وصحية للتوعية والارشاد».

وحول الخدمات الاجتماعية، ذكر الدكتور عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن أن «لدى الوكالة، مشروع لكفالة الايتام، وله مكتب خاص، وعدد الاطفال المسجلين لديهم 2000 (ألفا) طفل، وهؤلاء يكفلهم المشروع للوصول إلى أمهاتهم، ويتم تقديم 500 روبية لكل أم شهريا. كما يوجد لدى الوكالة باحثات اجتماعيات يقمن بالبحث عن الامهات داخل البيوت والمخيمات، ودراسة أوضاعهن وأحوالهن وتقديم بعض الخدمات وتلبية احتياجاتهن».

المرجع : مجلة «اللاجئون» الصادرة عن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ـ العدد الاول 1985 ـ جنيف ـ





فصل في «مدرسة» في الهواء الطلق، وهي نموذج من مئات المدارس التي أقامها مجاهدون في كافة أنحاء أفغانستان

وعن العاملين بالوكالة، ذكر المسؤول أنه «يتم اختيار نماذج معينة، يشترط فيها التدين والقدرة على العطاء بما ينسجم مع اسم الوكالة»(28).

ومن الامثلة الممتازة أيضا، على مساهمة أبناء الحركة الاسلامية في تنظيم الجهود بهدف دعم الاخوة الافغان، ما تقوم به «لجنة الدعوة الاسلامية» في الكويت (وهي جهاز تابع لجمعية الاصلاح الاجتماعي) التي تأسست رسميا بتاريخ 1984/1/1 بعد زيارة ميدانية قام بها أعضاء اللجنة إلى المناطق الحدودية بتاريخ 7/1 من نفس السنة، وهي على درجة ممتازة من التنظيم والتخطيط حسب برامجها المعلنة، حيث تعتمد، من جملة ما تعتمده على حوسبة l'informatisation أنشطتها ومشاريعها، فإضافة إلى سلسلة من مراكز الاسعاف الحدودية لاستقبال المهاجرين وجرحى المجاهدين والتي بلغت ستة مراكز إلى حدود شهر أبريل 1986 (حيث يفترض أن تكون اللجنة قد أقامت مراكز اسعافية حدودية أخرى حسب برامجها) مجهزة بخمس عشرة سيارة اسعاف مجهزة تجهيزا خاصة يتلاءم وقسوة اقليم بلوشستان، نفذت لجنة الدعوة الاسلامية عددا من المشاريع في الحقلين الصحي والاجتماعي، وتتعلق بإنشاء مستشفى الفوزان (مساهمة عائلة كويتية) الذي افتتح في نوفمبر 1985 ويشتمل على 60 سريرا (40 للجراحات و20 للأمراض الباطنية) وهو مجهز بشكل جيد، ومعهد التمريض والاسعاف (ديسمبر 1985) في بشاور وطاقته تخريج 30 مسعفا بعد ستة أشهر من التكوين، و20 ممرضا بعد سنة ونصف من التكوين، إضافة إلى مشاريع أخرى قيد التنفيذ، أما في الحقل الاجتماعي، فقد تم بناء مشروع «قرية الأمل» الخاصة بالايتام والأرامل، ويضم 16 وحدة سكنية لـ 500 يتيم، ومدرستان (للبنين والبنات) ووحدة صحية أولية ومسجد يتسع لألف مصل، ومدرجات زراعية، وحفر بئر ماء ارتوازي بعمق 380 مترا، و4 أوراش انتاجية للأرامل.

وهناك مشروع المعهد الحرفي للتأهيل المهني ويضم 200 طالب، ومدة التكوين فيه من 6 أشهر إلى سنة حسب التخصص. أما أنشطة اللجنة في مجال التعليم فسيأتي ذكرها لاحقا عند الحديث عن الوضع التعليمي للمهاجرين.

وفي جميع الحالات، لايمكن أن يغفل الدارس لأوضاع المهاجرين، الصحية وغيرها، جهود الجماعة الاسلامية في باكستان التي تمثل أبرز مظاهر الدعم غير الرسمي الذي ليس له وجود أصلا، باستثناء الدولة المضيفة، وذلك ضمن جهود الهيئات الاسلامية : ففي المجال الصحي مثلا، تتوفر الجماعة الاسلامية على مستشفيين في بشاور، الاول كبير ودقيق، وبه أطباء ذوو مستوى جيد ومن المفروض أن تؤدي اضافات به إلى رفع طاقته الاستيعابية إلى 80 سريرا وإدارته من أفضل الادارات في مستشفيات بشاور. وهناك مستشفى النساء والولادة والاطفال، وهو متواضع في امكانياته ويحتوي على خمسين سريرا، إلا أنه لاتوجد به أسرة للأطفال، كما أنه يشهد ضغطا كبيرا.

أما الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان، فيتوفر على 3 مستشفيات فقط : مستشفى محمد عمر وهو خاص تقريبا بإصابات الحرب ويضم خمسين سريرا كما أن امكانياته متواضعة جدا، ومستشفى الشهيد عبد الشكور، وطاقته حوالي 120 سريرا، للجراحة والأمراض الباطنية بما فيها السل، إلا أن بناياته غير صالحة ومستوى تأطيره متدن لدى الممرضين، والأخير للنساء الاطفال.

وتبقى الكلمة الأخيرة للأطباء الافغان : يقول الدكتور عبد اللطيف مدير هذا المستشفى الأخير وهو الوحيد الذي يتوفر عليه الاتحاد والمتخصص في النساء والاطفال، والمسؤول عن المراكز الصحية الحدودية في مقابلة



نموذج «المدرسة» في دار الهجرة في باكستان

صحفية : «لاشك آن المسلمين ـ جزاهم الله خيرا ـ يقدمون التبرعات والمساعدات، والالتفات إلى شعب يعاني المحنة على أشدها... وأود أن أقول : إن الجهاد في افغانستان، ليس جهادا اقليمي أو قوميا أو عنصريا، إنه جهاد اسلامي، فلذلك يتحمل التبعة كل من انتسب أو نسب نفسه إلى الاسلام، ومن هنا أقول. لابد من الشعور بالمسؤولية الجماعية تجاه هذه القضية، ومديد العون أكثر مما هي عليه الحال للأخوة المجاهدين، وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرا»(29).

ولابد من الاشارة إلى أن هذا المستشفى الوحيد الخاص بالنساء والاطفال يشغل مكانا مستأجرا، ولايتسع لأكثر من 75 سريرا : 60 منها للنساء و15 للأطفال، بينا تستقبل عيادة هذا المستشفى فقط ما معدله 300 حالة يوميا في الصيف، و250 مريضة في الشتاء.

وبما أنه لايتوفر على ممرضات مؤهلات، فقد اضطر المسؤولون عن المستشفى إلى اعطاء دورات تدريبية مستعجلة لمدة شهرين لعدد من الفتيات الافغانيات الحاصلات على الثانوية العامة لهذا الغرض، وهو أمر له انعكاساته على مستوى الخدمات.

ولمزيد من الايضاح نشير إلى أن مركز ميران شاه الصحي وحده الذي لايبعد أكثر من 20 كلم عن الحدود القريبة من منطقة جاجي التي تشهد معارك شبه مستمرة بين المجاهدين، وبما أن غالبية الجرحى هم ضحايا الألغام المضادة للأفراد، فإن فقدان الاطراف، هي الحالة الأكثر شيوعا، كما يمكن تماما، معاينة المحروقين بقنابل النابالم المحرمة دوليا، والتي سبق أن استعملتها اسرائيل بكثافة أثناء عدوانها سنة 1967.(30)

الوضع التعليمي

في نهاية عام 1984، بلغ عدد الاطفال ـ حسب احصائيات المفوضية السامية للاجئين ـ اللاجئين مع ذويهم إلى باكستان الذي هم في سن التمدرس 610.000 (ستمائة وعشرة الاف) طفل، بينما بلغ عدد الذين «تابعوا» تعليمهم منهم خلال نفس السنة 88.000(31)، وبعبارة أخرى، هناك أكثر من نصف مليون طفل افغاني في المهجر هم في سن التمدرس، لم يتمكنوا من العثور على «مقعد» في «المدارس»، ويجب التنبيه إلى أن المدارس، هي عبارة عن خيام لا غير، يجلس فيها الاطفال على الأرض ليتعلموا التاريخ والدين والحساب.

وإذا أخذنا ظروف تعليم اللاجئات الصغيرات كمؤشر، فقد وصل عددهن (وهذا حسب احصائيات المفوضية لسنة 1984) إلى 6.000 (ستة آلاف) بعد أن كان الآباء يقتصرون على ارسال بناتهم إلى المدارس القرآنية فقط، فظروف الهجرة، أدت إلى نمو وعي متزايد لدى الآباء بخصوص تعليم فتياتهم. وتشرف على هذا العدد من التلميذات 1560 معلمة ثلثاهن أفغانيات والباقي باكستانيات. وهناك أعداد متزايدة من الافغانيات اللاتي يتابعن تعليمهن ليصبحن بدورهن معلمات، إذ يتطور تعليم الفتيات الافغانيات اللاجئات على نحو سريع للغاية.(32)

وترى إحدى المعلمات الافغانيات ـ حسب تقرير صادر عن المفوضية ـ في أول تجربة تعليمية لها، وقد تلقت أول صدمة بفقد زوجها في يناير 1980، ثم بترت ساقها في نفس العام، «أن تدريس هؤلاء الاطفال يساعدني على تحمل حياتي كلاجئة»، وهذه المعلمة هي إحدى مدرسات «مدرسة» ناصرباغ التي تضم 260 تلميذة في المرحلتين الابتدائية والثانوية، وهي واحدة من 20 «مدرسة» للفتيات في مخيمات اللاجئين الافغان.

وإنه لذو دلالة أن يعلم المرء. أن ميزانية التعليم المخصصة من طرف المفوضية السامية للاجئين، لسنة 1984 مثلا، (وهذا مثال نموذجي) تبلغ 3 ملايين دولار ! ! ومثل هذا المبلغ لايمكن أن يفي إلا بجزء بسيط للغاية من حاجة المهاجرين وأبناءهم إلى إرواء عطشهم من التعليم (بينما تهدر الحكومة في البلدان الاسلامية مئات ومئات من ملايين الدولارات في أغراض عديمة القيمة) بل هناك معلومات خطيرة عن دور المفوضية المباشر في تعقيد وضعية تعليم

أبناء اللاجئين : فقد سبق لباكستان ـ التي كان لها ولايزال مواقف مشرفة بخصوص القضية الافغانية ـ أن أنشأت 550 مدرسة لتعليم أبناء اللاجئين، أغلبها ابتدائية وهي تابعة للادارة المركزية في بشاور، وتقوم تنظيم دورات تدريب للمعلمين بمعدل 120 معلما في كل دورة سنوية ابتداء من 1984، وكانت المنظمة تساهم بدور في تمويل وإدارة هذه المدارس، إلا أنها أوقفت دعمها لتبحث هذه المدارس عن مصدر جديد للتمويل ! !...(33)

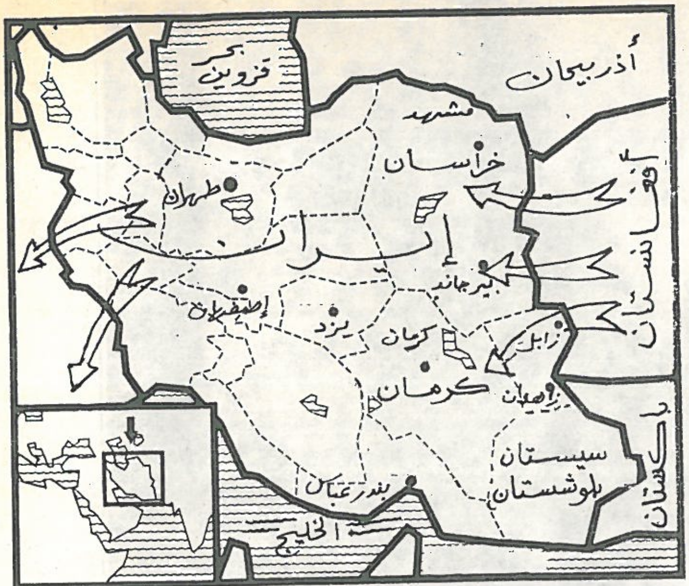
ولم يقتصر الأمر على المفوضية السامية للاجئين، بل أيضا منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة هي الاخرى، التي أوقفت دعمها لـ 130 مدرسة دينية خاصة بأبناء المهاجرين، تضم حوالي 7600 تلميذ في الوقت الذي تشكل فيه البنية التعليمية لدى المهاجرين في باكستان ـ كما وكيفا ـ مجرد مهدئات ومسكنات بالقياس إلى العدد الضخم لأطفال المهاجرين(34)، بل إن اليونسكو وقفت موقفا آخر أكثر خزيا، ويدعو إلى التساؤل عما إذا كانت تعتبر نفسها مناهضة لملايين المهاجرين وللشعب الافغاني في الداخل، وبالتالي ضد حركته الجهادية المصابرة، فقد نشرت جريدة «نيوتايمز كابل» بتاريخ 11 سبتمبر 1986 خبرا مفاده أن منظمة اليونسكو في باريس، منحت الحكومة العميلة جائزة التعلم بسبب جهودها «لتطوير» التعليم في افغانستان(35)، والغريب أن هذه المنظمة الدولية ذائعة الصيت، تجاهلت بشكل تام جميع القرارات الصادرة عن الامم المتحدة، التي تنبثق عنها هذه المنظمة، الداعية إلى انسحاب قوات الاحتلال السوفياتي، وبالتالي لايمكن فهم تزكية اليونسكو لحكومة عميلة تحت الاحتلال العسكري ـ والتي يجمع الكل على صوريتها المحضة ـ سوى على أنها مساهمة من المنظمة في محاولة لتضليل الرأي العام الدولي، وهذا ليس بمستغرب مادامت اليونسكو تخضع باستمرار لضغوط وتوجيهات بعض البلدان الغربية المعروفة بعداءها للاسلام والمسلمين.

هذه المواقف ـ من طرف المفوضية واليونسكو ـ التي تدخل في إطار الحرب الخفية، بجانب الحرب المعلنة على الشعب الافغاني، أدت إلى حرمان آلاف الاطفال من حق التعليم، وتعرض مئات المعلمين الافغان للبطالة (أكثر من 200 معلم في بشاور وحدها)(36) مما أدى إلى تهافت عدد من الهيئات والمؤسسات الصليبية وغيرها، لمحاولة «دعم» هذه المدارس التي تخلت عنها اليونسكو، وهو ما قوبل بالرفض إلى الآن من طرف قيادات المجاهدين مفضلين مواجهة المشكلة بإمكانياتهم القليلة على أن يتركوا أبناءهم لقمة سائغة لمناهج التبشير والتغريب الماكرة. ولكن، إلى أي حد تستطيع هذه القيادات تحمل هذه الاعباء الاضافية زيادة على مسؤولياتها الضخمة المعهودة في مختلف المجالات، دون دعم من المسلمين لبرامج التعليم في أوساط المهاجرين ؟

الحركة الجهادية والمشكلة العليمية :

«حاول المجاهدون الافغان، بعد أن انقدحت شرارة الجهاد أن يحلوا مشكلة التعليم بالنسبة لملايين المهاجرين في باكستان وإيران، وبالنسبة للتعليم في داخل افغانستان، غير أن ضعف الوسائل وقلة الامكانيات، أدت إلى تجميد كثير من المدارس في الداخل، ولم يبق إلا القليل منها مع بعض دور التعليم القرآن، ولكن الجهد الايجابي الذي استطاع المجاهدون أن يقدموه لمدارس الداخل طباعة بعض كتب المناهج وتوزيعها على تلك المدارس في الاراضي التي توجد تحت سيطرة المجاهدين.

أما في خارج افغانستان فتحت يد المجاهدين ما يزيد عن 500 مدرسة يدرس فيها مايزيد عن 50.000 طالب، إلا أن أغلبها مدارس ابتدائية، كما قام المجاهدون بافتتاح جامعة حدودية قريبة من بشاور، وهي جامعة الدعوة والجهاد، (وهي الآن قاربت انهاء عامها الثالث) وتحتوي على كلية للشريعة وأخرى لأصول الدين، وأكثر مدرسيها هم من المدرسين السابقين في كلية الشريعة بكابل (التي لم يكن يزيد عدد طلابها عن 300) وبعضهم من خريجي البلدان العربية... ولايفوتنا أن نشير إلى الجهد المبذول في انشاء دور الايتام ورعاية أبناء الشهداء حيث يتلقى اليتيم قدرا من التعليم ثم يتلقى تدريبا حرفيا... وبالنسبة



اتجاهات الهجرة نحو ايران و دول الخليج

للداخل يدير المجاهدون مئات «المدارس» في مختلف الجهات الخاضعة لسيطرتهم، ويشكل الجدول التالي أمثلة مختارة لاتغني عن المسح الشامل (مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات الخاصة بوضعية تلك «المدارس» كما يلي في الجدول) :

الولاية	عدد المدارس	عدد المدرسين	عدد التلاميذ	نوع المدرسة
بدخشان	32	78	1957	ابتدائية
بدخشان	22	108	1844	دينية
كندز	4	17	180	//
هرات	77	91	2881	//
غزني	24	28	1900	//
بكتيا	4	23	1500	//
وردك	9	20	1880	//

(حسب احصائيات قسم الدراسات ـ مجلة الجهاد ـ يناير 1986)

ملاحظات :

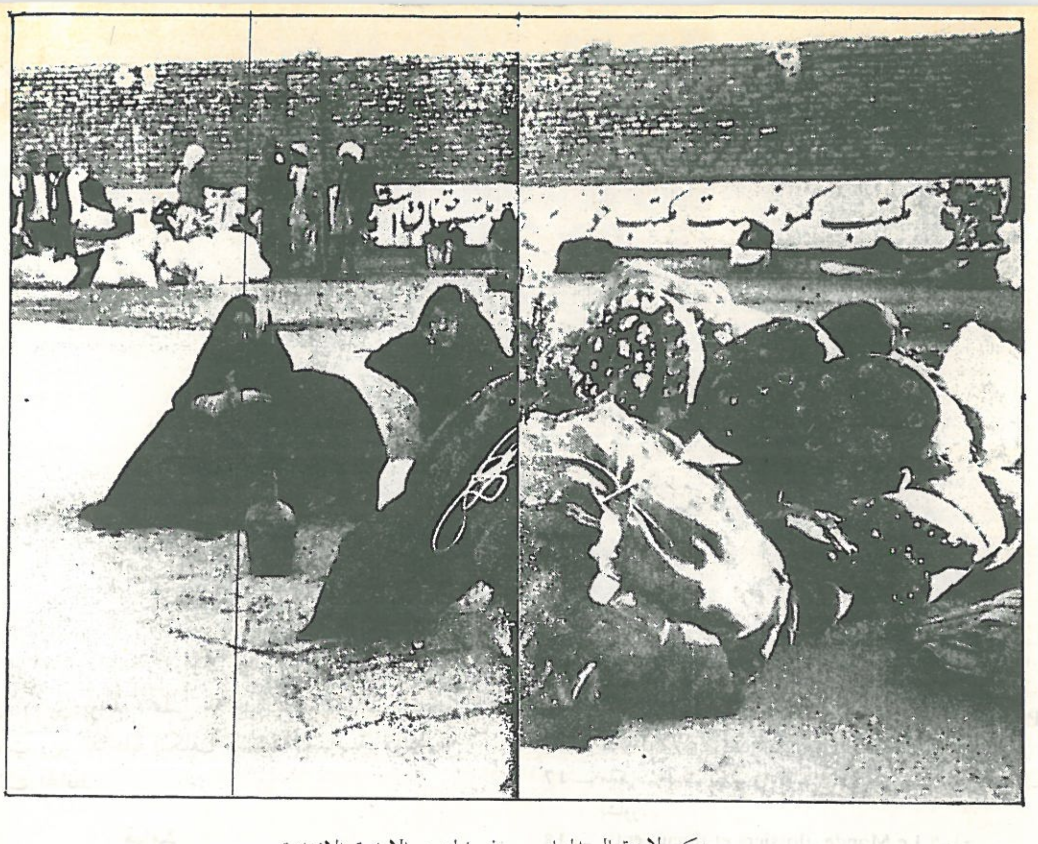
ـ كل مدرسة تحتوي على ما معدله 70 تلميذا في كل مدرسة، ومدرس واحد لكل 35 طفلا.

ـ المراحل المتيسرة هي المرحلة الابتدائية فقط.

ـ أماكن التدريس هي المسجد غالبا أو بعض الغرف الضيقة، وكثيرا ما تتم الدراسة في العراء ليتمكن الاطفال من الفرار إلى مأمن إذا أغارت الطائرات.

ـ كثير من التلاميذ لايمتلكون الكتاب الدراسي، بل يأتون إلى المدرسة حفاة، فمن أين يأتون بالقرطاس والقلم ؟

ـ بعض المدرسين أئمة وبعضهم ذوو ثقافة محدودة، وكثيرون منهم لايتلقون أجرا ماديا على عملهم، بل وكثير من هذه المدارس المتواضعة توقفت الدراسة فيها بسبب اضطرار مدرسيها للتفرغ للعمل بالزراعة أو تربية المواشي لتأمين قوت عيالهم».(37)



مركز لاستقبال المهاجرين في الحدود الايرانية الافغانية

جهود موازية :

في مجال الخدمات التعليمية، تسجل جهود لجنة الدعوة الاسلامية التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت، التي تكاد تنفرد بالجهد الخاص في هذا المجال، فقد انشأت، في ديسمبر 1984، معهد المعلمين العالي الشرعي، ويستوعب 200 طالب، والهدف منه اعداد أطر علمية لمحاولة ملأ بعض الفراغ الناشىء عن استشهاد كثير من العلماء والدعاة والمعلمين، ومدة الدراسة به سنتان ونصف وبه قسم داخلي ومكتبة،ويدرس الطلبة العلوم الشرعية وعلوم الدعوة والثقافة الاسلامية والسيرة، واللغة العربية بفروعها واللغة الانجليزية، والاجتماعيات والعلوم التربوية وعلم النفس وطرق التدريس ثم التربية الروحية والبدنية والجهادية والاسعاف، وتتبنى لجنة الدعوة الاسلامية جميع خريجي المعهد لتفرغهم للعمل في مخيمات المهاجرين وبين صفوف المجاهدين داخل افغانستان.

ومن جهة أخرى، يفترض أن تكون اللجنة قد أسست مدرسة متوسطة ثانوية مدنية كويتا في ولاية بلوشستان تضم 600 طالب مع إقامة داخلية لهم جميعا، والدراسة فيه تؤهلهم للدخول إلى المعهد الشرعي.

المهاجرون في ايران

يقدر عدد المهاجرين الافغان في ايران، حسب المعطيات الاحصائية للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين، ما بين 1،5 مليون و1،8 مليون مهاجر، وتعود عدم الدقة في الأرقام إلى كون عدد كبير منهم لم يسجلوا في مراكز الاستقبال التي يبلغ عددها 20 مركزا على طول الحدود الايرانية الافغانية، عشرة منها في ولاية خراسان وحدها(38).

ويتوزع المهاجرون الافغان في ايران على النحو التالي : 600.000 (ستمائة ألف) في ولاية خراسان، 120.000 (مائة وعشرون ألفا) في ولاية سيستان ــ بلوشستان، 150.000 (مائة وخمسون ألفا) في ولاية اصفهان، وحوالي 150.000 أيضا في ولاية كرمان، ونفس العدد في طهران وقم، وأيضا نفس العدد تقريبا في ولايتي يزد وفارس(39).

ولتكوين فكرة عن حجم المهاجرين، توجد أحياء ضخمة بكاملها في كثير من المدن الايرانية يقطنها مهاجرون أفغان، وعلى سبيل المثال، من أصل 1200 000 (مليون ومائتي ألف نسمة)هم عدد سكان مدينة مشهد يوجد منَ بينهم أكثر من ربع مليون مهاجر أفغاني(40).

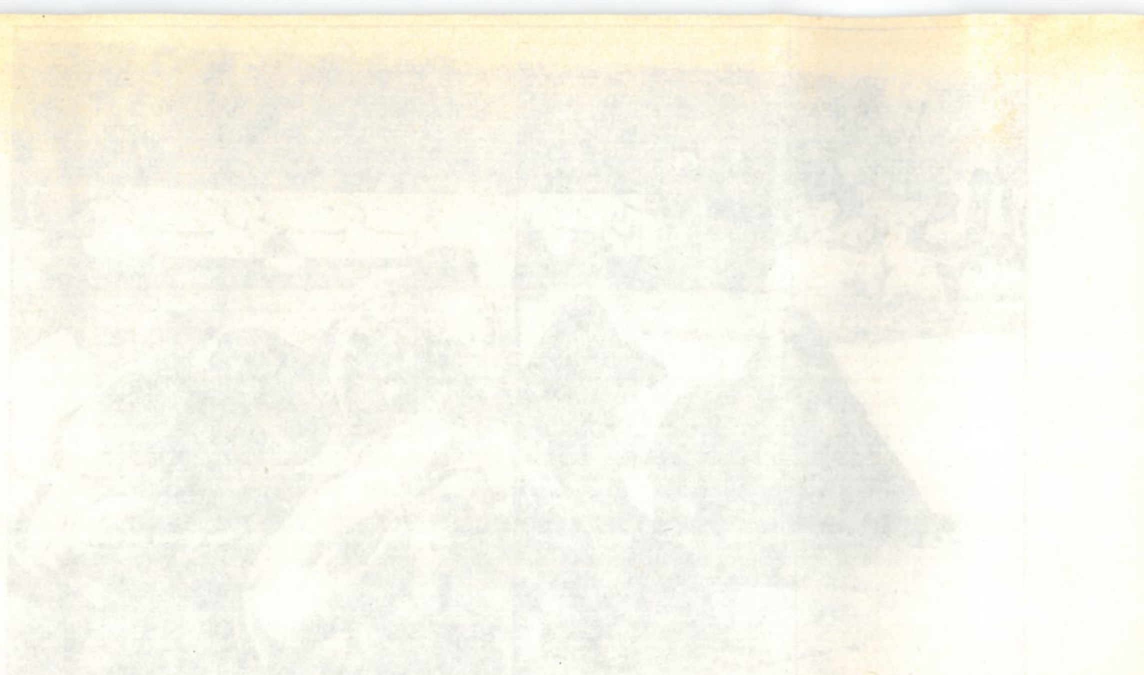
الأوضاع العامة للمهاجرين في إيران

حول الأوضاع الصحية للمهاجرين الافغان في إيران، سجلت المفوضية السامية للاجئين وجود أمراض في صفوفهم كالملاريا، الكوليرا، السل الرئوي والبرص. غير أنه لاتتوفر معطيات احصائية دقيقة عن الاوضاع الصحية لهؤلاء المهاجرين، الذين يجدون، بشكل عام، العناية الطبية اللازمة من طرف المصالح الطبية الخاصة، إضافة إلى إقامة مناطق عازلة أربعينية في نقاط الاستقبال على الحدود مع افغانستان.

وبالنسبة لأوضاعهم الاقتصادية، لاحظت المفوضية ــ كما هو الشأن في باكستان ــ أن المهاجرين يتدبرون أمورهم لاعالة أسرهم دون انتظار معونة من أحد، وقد ساعدت السلطات الايرانية على ذلك بتزويدهم ببطاقة اللاجئين، التي تخول لهم حق العمل والتعلم أسوة بباقي المواطنين، وبنفس الاجر.

وغالبية المهاجرين النشيطين(41) يمارسون أعمال البناء والزراعة، والتجارة الصغيرة، والمهارات اليدوية، وتفكر السلطات الايرانية (وهذا حسب التقرير المنشور في أواخر 1985 المشار إليه في الهامش) في عدة مشاريع للادماج القروي، من خلال مشروعات زراعية، خاصة في منطقة بام جنوب البلاد.

أما بالنسبة للتعليم، فلا تتوفر معطيات احصائية عن الأوضاع التعليمية للمهاجرين الافغان في إيران، وتوفر لهم السلطات الايرانية المدارس في المخيمات، كما تخول لهم الحق في الالتحاق بالمدارس الحكومية الابتدائية والثانوية، أما الجامعات، ففرص الالتحاق بها محدودة بحسب المقاعد المخصصة للتعليم الجامعي.



وعلى المستوى الاداري يوجد «مجلس اللاجئين الافغان» الذي يدخل ضمن صلاحيات نائب وزير الداخلية المكلف بالشؤون السياسية، ويمثله على مستوى الولايات، نائب المحافظ.

الهوامش

1 — Le Monde (dossiers et documents) : Huit années de « révolution » — (Chroniques) — nov. 1986.

2 — Olivier Roy : in « Guerres et conflits d'aujourd'hui » fev. 1985 — pp. 43-45.

3 — تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1980 : — Amnesty international 1980 — Ed. Mazarin — Paris 1980 — p 216.

4 — تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1984 : — Amnesty international Rapport 1984, Ed. EFAI Paris 1984 — p. 240.

5 — انظر مقال Jean Kiled في مجلة : Guerres et conflits d'aujourd'hui السابق ذكرها.

ونشير إلى أن الجمعية العامة للامم المتحدة سبق لها أن شكلت لجنة من الخبراء لدراسة استعمال السوفيات لاسلحة كيماوية في افغانستان، وعلى الرغم من اثبات اللجنة لذلك بعد البحث، إلا أن التقرير لاقى تعتيما تاما.

6 — انظر مجلة «اللاجئون» الصادرة عن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ـ العدد الأول لسنة 1985 ـ جنيف ـ (الطبعة العربية).

7 — انظر تدخل مالوري أثناء ندوة «بدائل القضية الافغانية» بمعهد مونتري Monterey بكاليفورنيا ـ نوفمبر 1983 ـ الترجمة العربية لاعمال الندوة ـ ترجمة صليب بطرس ورفائيل مسيحة ـ مكتبة الوعي العربي ـ القاهرة ـ ص 145 — 152.

8 — عدد سبتمبر 1984

9 — هذا الرقم أورده كلود ملوري رئيس جمعية «أطباء بلا حدود» في الندوة المشار إليها أعلاه، ص 147.

10 — سبقت الاشارة إلى مصادر مختلفة حول هذه الانتفاضات في فصل : ما قبل الاجتياح.

11 — Charles Rousseau : Chroniques des faits internationaux — Revue Générale de Droit International Public — Tome 85 — 1er trim. 1981 — Pub. C.N.R.S. Paris — pp 100. 101

12 — المرجع السابق ـ المجلد 85 ـ الفصل الثالث ـ 1982 ص 529، 530.

13 — المرجع السابق ـ المجلد 86 ـ الفصل الرابع ـ 1982 ـ ص 718، 719.

14 — الندوة الصحفية التي عقدها الرئيس الباكستاني ضياء الحق بتاريخ 1984/11/7.

15 — مجلة «البنيان المرصوص» تصدر عن «الاتحاد الاسلامي لمجاهدي افغانستان» ـ عدد 6 ـ ماي 1986 ـ بشاور.

16 — Jean-Claude Pomonti : Quatre million de réfugiés afgans — Le Monde, dossiers et documents. nov. 1986.

17 — مذكرات طبيب مسلم في افغانستان ـ مجلة الجهاد ـ العدد 24 ـ نوفمبر 1986 ـ بشاور.

18 — Le Monde, dossiers et documents السابق.

19 — المرجع السابق.

20 — المرجع السابق.

21 — تقرير خاص عن المهاجرين في باكستان، مجلة «اللاجئون» المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ـ العدد 1 ـ الطبعة العربية ـ ص 29، 30 ـ جنيف ـ 1985.

22 — السابق Le Monde, dossiers et documents

23 — المرجع السابق ص 29، 30

24 — المرجع السابق ص 31

25 — مذكرات طبيب مسلم في افغانستان ـ مجلة الجهاد ـ عدد 24 ـ نوفمبر 1986 ـ بشاور أنظر كذلك خطاب ممثل الحركات الجهادية الافغانية أمام مؤتمر القمة الاسلامية في الكويت في أكتوبر 1986.

26 — الجهاد ـ عدد 15 ـ 11 يناير 1986 ـ ص 46 ـ بشاور.

27 — المرجع السابق، نفس الصفحة.

28 — الحوار نشرته مجلة «منار الاسلام» ـ عدد 7 ـ السنة 11 ـ 1986 ـ الامارات العربية المتحدة.

29 — المرجع السابق.

30 — تقرير عن الوضع الصحي ـ مجلة البنيان المرصوص ـ عدد 7 و 8 ـ غشت 1986 ـ بشاور.

31 — تقرير عن التعليم في أوساط اللاجئين الافغان ـ مجلة «اللاجئون» المشار إليها أعلاه، ص 34.

32 — المرجع السابق.

33 — «ملف التعليم في افغانستان ـ من ملفات الحرب الخفية» الحلقة الثانية ـ مجلة «الجهاد» ـ قسم الدراسات ـ عدد 16 ـ فبراير 1986.

34 — المرجع السابق.

35 — عن مجلة «المجاهدون» الناطقة باسم «جمعية اسلامي افغانستان» التي يقودها العالم المجاهد ذ برهان الدين رباني ـ عدد 2 ـ ديسمبر 1986 ـ بشاور.

36 — «ملف التعليم في افغانستان» المشار إليه أعلاه، ص 31.

37 — المرجع السابق.

38 — مجلة : « Réfugiés » : «ملف حول اللاجئين الافغان في إيران» المفوضية السامية للاجئين التابعة للأمم المتحدة ـ ص 27 ـ نوفمبر 1985 ـ جنيف.

39 — حول التوزيع الجغرافي للمهاجرين في إيران، أنظر الخريطة في المرجع السابق.

40 — المرجع السابق، ص 19.

41 — السكان النشطون Population active مصطلح في علم السكان يعني الافراد الذين بلغوا سن العمل ويزاولون عملا أو مهنة ما.

قَاتِلُوهُمْ
يُعَذِّبْهُمُ اللهُ
بِأَيْدِيكُمْ



وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ





منظمة العفو الدولية وحقوق الانسان في أفغانستان

كثيرا ما يحلو لأجهزة الدعاية السوفياتية رفع شعار «السلام» كواجهة رئيسية ضمن الاستراتيجية الاعلامية للاتحاد السوفياتي، خاصة وأن الرعب النووي يهدد مصير البشرية ، فعلا ، نتيجة لجنون سباق التسلح الذي تمارسه الدول الكبرى، والذي تنفق فيه أموال خيالية، يكفي جزء منها لمحو آثار الجوع والمرض والجهل في العالم كله. (1).

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستعمل شعار حقوق الانسان كورقة ضغط سياسية وإعلامية متى توافق ذلك مع مصلحتها، ودون أن تجرؤ على الحديث مثلا عن هدر حقوق الانسان الفلسطيني بسبب الاعتداءات المنهجية التي تمارسها الدولة اليهودية ضد الفلسطينيين، إذا كان ذلك كذلك، فإن شعار «السلام» الذي ما يفتأ الاتحاد السوفياتي يرفعه، ليس في الحقيقة سوى لافتة يحاول أن يغطي بها جرائمه بانتهاكه لحقوق الانسان في أفغانستان، وفي مناطق أخرى، بما فيها آسيا الوسطى ذات التاريخ الاسلامي العريق، وكذلك بالنسبة لرموز النظام الصوري الذي أقامه في أفغانستان، والتي يغيرها متى لم تعد قادرة على القيام بالدور المرسوم لها....

وكما يذكر التاريخ انتهاك الولايات المتحدة لحقوق الانسان في هيروشيما وناكازاكي وكوريا وفييتنام وغرينادا على سبيل المثال لا الحصر، يذكر أيضا انتهاكات مماثلة قام بها الاتحاد السوفياتي عند اجتياح قواته المجر سنة 1956، أو تشيكوسلوفاكيا سنة 1968، وكذلك دعمه الهائل للنظام الاثيوبي الاستعماري ضد شعب ارتيريا المسلم منذ أواسط السبعينات.

غير أن النموذج الأفغاني يبقى نموذجا لامثيل له، ليس فقط بسبب ما حاق بهذا الشعب الصابر من مآس وفظائع لاحصر لها، بل أيضا بسبب صمت العالم من حوله ! ولعدم الاكتراث الذي يقابل به الاهدار البشع لحقوق الانسان الأفغاني، في وطنه، وبمعاناته في الهجرة، على الرغم من أن الكثير من الجرائم المرعبة التي لحقت بالأفغان، ثابت ومؤكد وموثق، سواء من خلال مئات الصور عن ضحايا وحشية القوات السوفياتية المحتلة وعملائهم المحليين (ويمكن معاينة آلاف الأشخاص، من الجنسين، ومن كل الأعمار، ممن كانوا هدفا لهذه الوحشية، في مستشفيات بشاور ونقاط الاسعاف الحدودية الباكستانية الأفغانية) أو من خلال الوثائق الصادرة عن منظمة العفو الدولية في جميع تقاريرها السنوية الصادرة منذ عام 1979، وكذلك تقاريرها الخاصة بالتعذيب و«المفقودين».

تأسست منظمة العفو الدولية (وسنشير إليها برمز م ع د) سنة 1961 على إثر مقال نشره المحامي البريطاني بيتر بننسون في صحيفة الاوبرزفر في 28 من نفس السنة حث فيه الناس في كل مكان على البدء في العمل بطريقة سلمية بعيدة عن التحيز من أجل الافراج عن سجناء الرأي، حيث تقدم أكثر من ألف. شخص من دول مختلفة، بعد صدور المقال، برغباتهم في التعاون العملي وأبدوا استعدادهم للاشتراك في جمع المعلومات الخاصة بحالات السجناء والدعاية عنهم والاتصال بالحكومات المعنية.(2) ويضم مقر السكرتارية بلندن 150 موظفا من جنسيات مختلفة (30 جنسية تقريبا) وينتظم أعضاء المنظمة في مجموعات عمل بلغ عددها سنة 1985 أكثر من 3000 مجموعة في قارات افريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا والشرق الأوسط، ومن خصائص عملها أن كل مجموعة تعمل لصالح السجناء المعتقلين في دول غير التي تنتمي إليها تأكيدا لمبدأ دولية حقوق الانسان. ول م ع د **ثلاثة أهداف رئيسية هي :**

— العمل على الافراج عن سجناء الرأي، وهم أولئك الذين اعتقلوا بسبب عقائدهم أو لونهم أو جنسهم أو أصلهم العرقي أو لغتهم أو ديانتهم دون أن يلجأوا إلى استخدام العنف أو يدعوا إلى استخدامه.

— تعمل على اتاحة محاكمة عادلة وعاجلة لكل السجناء السياسيين ومن أجل الافراد الذين اعتقلوا بدون اتهام أو محاكمة.

— تعارض فرض عقوبة الاعدام أو استخدام التعذيب أو العقوبات القاسية التي تتنافى والكرامة البشرية بالنسبة لجميع السجناء بدون تحفظ.

أما مصادر المعلومات، فتستقيها من المواطن العادي في أية مهنة وفي أي مكان، بل إنها تتلقى في بعض الاحيان رسائل من وزراء أو ضباط رسميين في دول أشرفوا بأنفسهم على انتهاك حرية الانسان فيها وتعذيبه في حالات استيقاظ الضمير... وبالنسبة للتمويل فإن م ع د تعتمد على التبرعات التي يقدمها أعضاؤها ومؤيدوها، وسبق لها أن رفضت — حسب تصريح مديرها —(3) أن رفضت تبرعات سخية حفاظا على استقلاليتها.

وتأتي أهمية م ع د وشهاداتها لكونها من أكبر المنظمات المهتمة بقضايا حقوق الانسان ولكونها لاترتبط بأية جهة رسمية باستثناء تنسيقها المستمر مع لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة.

بقي أن نشير، قبل عرض مقتطفات من تقاريرها، إلى أن الحالات التي تتبناها م ع د فيما يتعلق بحالة افغانستان (وغيرها كما هو مثبت في مبادئها) إنما تتعلق بسجناء الرأي، وبالتالي، فإن مساحات واسعة من حالات هدر حقوق الانسان الافغاني لاتجد لها طريقا إلى اهتمامات م ع د لكونها تتعلق بالاحتلال العسكري السوفياتي وهذا مستوى يتجاوز اختصاصاتها التي حددتها لنفسها.

الاوضاع العامة لحقوق الانسان في أفغانستان

بالاستناد إلى التقارير الصادرة عن م ع د، تتبين مجموعة من الحقائق الرهيبة التي تبنتها المنظمة وأثبتتها ضمن القضايا التي تدافع عنها. ومن خلال هذه الوثائق، التي سنعرض لها تباعا حسب تسلسلها التاريخي، يمكن استخلاص «الانواع» التالية من «انتهاكات» حقوق الانسان في افغانستان، وهي كالتالي :

1 — **الاعدامات الجماعية للاشخاص البالغين :** فقد أوردت م ع د، تقارير مختلفة عن حالات اعدام جماعية في العاصمة كابل، وفي أنحاء متفرقة من افغانستان، بلغ عدد حالة واحدة منها فقط 12.000 (اثنا عشر ألفا) من الاشخاص الذين أعدموا في سجن بولي شرخي المرعب في كابل، كما اعترف بذلك رسميا في 16 نوفمبر 1979، ونشير إلى أن سجن بولي شرخي، بناه السوفيات في كابل قبل الاجتياح، مما يدل بشكل قاطع، على أنهم كانوا يتبنون أسلوب القمع والارهاب ضد الحركة الاسلامية في افغانستان كطريقة منهجية مع سبق الاصرار والترصد كما يقول رجال القانون.

2 — **الاعدامات الجماعية للنساء والاطفال :** فبالاضافة إلى ازهاق أرواح أشخاص بالغين، ثبت أن **مآت الاطفال قد أعدموا مع ذويهم في سجن بولي شرخي،** وذلك ضمن حملة الارهاب والتخويف التي مارسها السوفيات تسحق أية محاولة لاظهار أدنى معارضة شعبية للاحتلال العسكري، **وقد وردت أسماء أكثر من 800 (ثمانمائة) طفل أعدموا مع أمهاتهم،** وفي أحيان كثيرة أعدمت عائلات بأكملها بواسطة جهاز المخابرات الافغاني «خاد» الذي أداره، ولايزال، المجرم نجيب الله الموجود حاليا في رأس السلطة، وهو جهاز يخضع مباشرة لتوجيهات ك. جي. بي، وأوردت م ع د، حول هذه الجرائم البشعة، تصريحات صادرة عن مسؤولين أفغان، اعترفوا فيها بحدوث هذه المجازر، كما تبين من هذه التصريحات الرسمية، أن الاعدامات الجماعية طالت مختلف الفئات المهنية والاجتماعية كما سنرى في وثائق المنظمة بعد عرض هذه الملاحظات الاولية.

3 — **الاعتقالات الجماعية :** يتضح كذلك، من خلال المصادر الافغانية، أن حالات اعتقال جماعية، **تشمل عادة عدة آلاف من الاشخاص مرة واحدة،** اعترف بها على أساس تقديم «وعود» للمنظمة، بإجراء «محاكمات» للمعتقلين، الذين «يثبت» قيامهم بأعمال «مخالفة للقانون».

4 — **مداهمة البيوت :** وتمثل نمطا ثابتا في أنماط القمع والترويع، ويغطي بدوره مجموع أفغانستان، وذلك بدعوى التفتيش عن العناصر «المخربة» أو «المناهضة للثورة».

5 — إطلاق النار على المتظاهرين : فقد أوردت م ع د حالات تم فيها اطلاق النار على متظاهرين كانوا يحتجون فيها على وجود القوات السوفياتية فوق أرض وطنهم، قتل فيها عدد كبير من الاشخاص من بينهم نساء وفتيات وأحداث من الطلبة والتلاميذ.

6 — **ممارسة التعذيب :** سواء في تقاريرها العامة السنوية، أو في تقاريرها الخاصة عن التعذيب، أوردت م ع د معلومات مفصلة عن استعمال أساليب التعذيب بشكل منهجي ومتواصل، سواء بالنسبة للرجال أو النساء أو الاطفال،

« Le climat de violations flagrantes et systématiques de cett
période a été confirmé par l'administration elle-même, le 16 no
vembre 1979, le ministère de l'intérieur avait apparemment entar
la publication d'une liste portant jusqu'à 12000 noms de priso
niers, la plupart politiques, qui, selon le gouvernement, étai
morts dans les prisons de Kaboul depuis avril 1978. Il entrait
les intentions du ministère de publier ultérieurement les
d'autres prisonniers morts en province. Selon la presse, il y
parmi les personnes décédées « des professeurs, des enseignan
étudiants, des fonctionnaires, des mollahs, des marchands, de
merçants et des « contre-révolutionnaires ». Dans une lettre
sée le 23 novembre au président Amin, Amnesty Internat
disait choquée d'apprendre la publication de ces listes, ell
l'attention sur le fait que 800 des « disparus » nommés é
enfants, et demandait que ces listes accompagnées de to
concernant les 12000 noms lui soient communiquées
Aucune réponse ne fut donnée à cette demande, ni à a
adressée au président Taraki ou, plus tard, au prési
après la mission d'Amnesty International en octobre 19

كما أوردت معلومات محددة عن حالات كثيرة قتل فيها أشخاص نتيجة للتعذيب أو تحت التعذيب، وأكدت أن **التعذيب يمارس بتوجيه وإشراف مباشرين من طرف السوفيات في السجون**.

7 ـ **الحرمان من الحقوق القانونية للمعتقلين** : تؤكد م ع د أن أعدادا كبيرة من الاشخاص، قدموا لـ «محاكمات» سرية، وصدرت بحقهم أحكام بالاعدام أو بالسجن لمدد متفاوتة بناء على «اعترافات» ملفقة أو نتيجة للتعذيب، أمام «محاكم ثورية» لاعلاقة لها بالشروط القانونية المتعارف عليها من حيث تركيبتها، **ولا تدوم هذه المحاكمات عادة سوى بضع دقائق**، ودون أن تتاح للمعتقلين أية فرصة لتوكيل محامين للدفاع عنهم. كما أكدت المنظمة أن منع زيارة ذوي المعتقلين لأقاربهم في السجون، أو عدم الاخبار عن مصائرهم أصلا، هو أمر شائع، بل هو الأصل في التعامل مع المعتقلين وعائلاتهم.

8 ـ **قمع الحريات العامة** : سجلت م ع د انتهاكات مستمرة، للحقوق المدنية للمواطنين، وخاصة السياسية منها لمجرد عدم اقتناعهم بأعمال ومواقف «الحكومة»، أو لقيامهم بنشاطات سياسية بحتة، وذلك بمصادرة حرية إبداء الرأي ومواجهة أية محاولة من هذا القبيل، بأقسى درجات القمع والعنف.

وجدير بالاشارة، إلى أن قمع الحريات العامة في افغانستان وصل إلى حد كبت معارضين ينتمون إلى نفس التوجهات الايديولوجية لنظام كابل، والذي ما فتأت رموزه يأكل بعضها بعضا : وهكذا تسجل المنظمة حالات قمعية للاتجاه الماوي ذي الطابع السياسي المحض وكذلك بالنسبة لعدد من المثقفين اليساريين، غير أن المعارضة الشعبية الاسلامية تبقى المستهدف الأول في مسلسل هدر حقوق الانسان بكافة أشكاله، بسبب تجذر الروح الاسلامية في الشعب الافغاني كما هو معروف لدى الجميع...

9 ـ **ظاهرة «المفقودين»** : كثيرا ما تقترن هذه الظاهرة المريعة، المعروفة جيدا لدى الرأي العام العالمي، بالانظمة الفاشية والدكتاتورية عموما، خاصة في أمريكا الجنوبية، كما هو الشأن مثلا لدى النظام العسكري في شيلي أو كما حدث في الارجنتين ونيكاراغوا في عهد سوموزا، أو كما يحدث في السالفادور، وغيرها، ولكن «النموذج» الافغاني يبقى متميزا، فهو كما وصفته م ع د **«الوحيد من نوعه»** فيما يتعلق بحالات «المفقودين»، وستأتي تفاصيل هذا التفرد لاحقا في هذا البحث.

تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1980[4]

«في سبتمبر 1979، نشرت منظمة العفو الدولية على العموم أدلة على انتهاكات منهجية وصارخة لحقوق الانسان في افغانستان، وفي فبراير 1980 زار وفد من المنظمة افغانستان، أي شهرين بعد تسلم بابراك كارمال للسلطة. (أي بعد شهرين من الاحتلال العسكري السوفياتي ـ الهدى). **وقد أتاحت هذه الزيارة للمنظمة الحصول في عين المكان تأكيدات على انتهاكات حقوق الانسان التي تم فضحها سابقا. وقد أكدت الحكومة الجديدة أنها لن تتسامح إزاء انتهاكات حقوق الانسان مستقبلا. بعد ذلك، قدمت المنظمة لحكومة الرئيس بابراك كارمال مذكرة تتضمن مطالب حول حماية هذه الحقوق، وحرصها على ضرورة اتخاذ كل الاجراءات الضرورية، من أجل التطبيق الحرفي والعملي للضمانات المحصل عليها** (من طرف الحكومة)...»[5].

هذا هو النص الحرفي لمقدمة تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1980. وسنقتصر على إيراد مقتطفات من كل تقرير كما وردت حرفيا :

«... هناك تقدير بأن آلاف السجناء السياسيين، تم اعتقالهم بدون محاكمة ـ حوالي 12.000 في سجن بولي شرقي وحده في كابل ـ وأحيانا، أسر بأكملها، بما فيها النساء والاطفال، تم اعتقالهم في نفس الوقت مع الاظناء السياسيين... وحسب التقرير (الذي صدر في 19 شتمبر 1979) استمرت الحكومة في اعتقال كل شخص أو عضو في أي تجمع سياسي اعتبر

avaient été tués alors qu'ils étaient aux mains des forces de sécurité. Le ministère de l'intérieur révéla qu'il possédait une liste de 4854 personnes tuées dont les noms n'avaient pas été publiés ; la liste était loin d'être complète. On avait reçu de

من تقرير المنظمة لسنة 1980

معارضا، واقعا أو محتملا... في أغلب الحالات، كانوا محرومين من أي اتصال مع عائلاتهم أو مع العالم الخارجي.

هناك سجناء تم اعدامهم بسرعة وبدون محاكمة، وكثيرون آخرون «اختفوا»، ببساطة، بعد اعتقالهم.

... استنتجنا أن استعمال التعذيب كان شائعا، ومن بين أساليبه. التعذيب بالكهرباء، السياط، اللكم، وقلع الاظافر»...[6]

«... وفي يوم اعلان التقرير، ناشدت منظمة العفو [illegible] الوقت، الرئيس أمين، بالاطلاق الفوري لسراح كل المعتقلين السياسيين الذين لم تتم محاكمتهم، ووقف كل الاعدامات، وحماية السلامة الجسدية لكل المعتقلين»[7]، وتجدر الاشارة إلى أن حفيظ الله أمين هذا، هو الذي ادعى السوفيات مرارا وتكرارا أنه استدعاهم «لحماية البلاد» من «الخطر الخارجي»، والذي قتلوه بمجرد دخولهم لكابل يوم اجتياحهم لافغانستان في 27 ديسمبر 1979.[8]

«... إن جو الانتهاكات الصارخة والمنهجية لهذه الفترة، وقع تأكيدها من طرف الادارة الحكومية نفسها، ففي 16 نوفمبر 1979، بدأت وزارة الداخلية في نشر لائحة تتضمن 12.000 إسما، لسجناء، أغلبهم معتقلون سياسيون، والذين ـ حسب الحكومة ـ قتلوا كلهم في سجون كابل منذ أبريل 1978 (أي منذ انقلاب نور محمد طراقي الذي كان السوفيات أول من اعترف به في حينه ـ الهدى) **وكان في نية الحكومة، أن تنشر لاحقا، أسماء سجناء سياسيين آخرين قتلوا في إقليم كابل. وحسب الصحافة** (أي الصحافة المحلية) **كان من بين الاشخاص المقتولين أساتذة جامعيون، ومدرسون، وطلبة، وموظفون، وعلماء الدين، وتجار، و«مناهضين للثورة». وفي رسالة موجهة إلى الرئيس أمين بتاريخ 23 نوفمبر** (أي من سنة 1979) **عبرت منظمة العفو الدولية عن صدمتها عندما علمت بنشر هذه اللائحة، وأثارت انتباهه إلى أن 800 من هؤلاء «المفقودين» الواردة أسماؤهم في اللائحة، هم من الاطفال، وطلبت تزويدها بكافة التفاصيل الواجب إرفاقها بهذه اللائحة. غير أن المنظمة لم تتوصل بأي جواب عن هذه الرسالة ولاعن رسائل سابقة وجهت للرئيس طراقي، ولا لأخرى لاحقة وجهت إلى الرئيس أمين، وذلك إثر المهمة التي قامت بها المنظمة في عين المكان في أكتوبر 1978»**[9].

«... **وفي أول تصريح سياسي في 1 يناير 1980، نشر في جريدة كابل تايمز، أعلن الرئيس كارمال** (أي بعد سبعة أيام فقط من دخوله إلى أفغانستان مع قوات الاحتلال السوفياتي وزرعه على رأس السلطة في كابل من طرف المحتلين ـ الهدى) **بأن الحكومة الجديدة، تعتبر أن من واجبها المستعجل أن «تعلن عن اطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين، ووضع حد للاعدامات إذا كانت الظروف مناسبة...»**[10].

وأورد التقرير عدة ملاحظات تتعلق بتناقضات تم تسجيلها بخصوص تصريحات رسمية عن أعداد المعتقلين الذين «أفرج عنهم»، وبالاضافة إلى هذا أخبرت وزارة الداخلية مسؤولي المنظمة **«أنها تتوفر على لائحة تضم 4854 شخصا قتلوا، ولم يعلن عنهم من قبل، لكن اللائحة كانت ناقصة بالتأكيد. لقد تلقينا طلبات بحث عديدة تتعلق بمصير 9000 شخص «اختفوا» في منطقة كابل بعد اعتقالهم. وأعلنت الحكومة أن المعتقلين السياسيين الذي لم يطلق سراحهم بموجب العفو العام (؟!) في 28 ديسمبر 1979** (أي في

ent également aux prisonniers arrêtés depuis, y compris les
sonnes appréhendées lors des troubles de Kaboul des 22 et 2
rier 1980, donc postérieurs à sa mission, au cours desquels plu
urs centaines de personnes avaient trouvé la mort. L'organisati
emandait au gouvernement de lui donner des détails au sujet
arrestations, et insistait pour que les personnes arrêtées so
immédiatement remises en liberté si on ne pouvait prouver
implication dans des actes de violence. Les observateurs étra
ont estimé à 2000 au moins le nombre des arrestations opéré
cours des jours suivants.

عن تقرير منظمة العفو لسنة 1980

اليوم التالي للاحتلال العسكري السوفياتي مباشرة) **يعتبرون في عداد القتلى قبل هذا التاريخ**»[11].

وواضح ان الادعاء السخيف بالعفو العام، يهدف من وراءه الى محاولة المحتلين وعملائهم التنصل من هذه الجرائم المروعة بدعوى مسؤولية النظام السابق (طراقي وأمين) في نفس الوقت الذي ما تفتأ أدبيات الدعاية السوفيانية حول أفغانستان تمجد عهدهما باعتبار أن المسألة تتعلق «بثورة ديموقراطية» ! ؟

وعلى الرغم من التأكيدات العديدة التي تلقتها المنظمة من «الحكومة بأنها تمنع التعذيب منعا مطلقا حتى ولو تعلق الأمر بـ «تهديد خارجي لأمن البلاد» إلا أن م ع د «**علمت من مصادر مؤكدة بأن عددا من الاشخاص المتورطين سابقا في أعمال وحشية، يستمرون في مزاولتهم لوظائف رسمية**»[12].

وعلى الرغم من المذكرات العديدة التي وجهتها م ع د إلى المسؤولين الافغان تتعلق بضرورة «**حماية الحقوق الاساسية لمواطنيهم حتى في حالة وجود صراع مسلح أو وجود قوات أجنبية في البلد، وذلك طبقا لمقتضيات القانون الدولي**»، إلا أن م ع د لم تتلق، أي رد على تلك المذكرات.

وفي رسالة وجهتها المنظمة إلى بابراك كارمال، أكدت أن مطالبها الواردة في مذكرات سابقة تتعلق أيضا بالمعتقلين الذين ألقي عليهم القبض **خلال مظاهرات 23 و24 فبراير 1980** (ضد الوجود العسكري السوفياتي) أي بعد مهمتها التي قامت بها في كابل «**والتي ذهب ضحيتها مئات القتلى**» كما وجهت المنظمة برقية لكارمال بتاريخ 28 فبراير 1980 بخصوص «**اعدام عدد من القيادات الاسلامية في سجون كابل**»[13].

تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1982[14]

«**في يوم 26 ابريل 1980، قام متظاهرون، غالبيتهم من التلاميذ والطلبة الجامعيين، بالاحتجاج في العاصمة كابل ضد وجود القوات السوفياتية في بلادهم : 60 طالبا، من بينهم 6 طالبات قتلوا أثناء هذه المظاهرات.**

وفي 12 ماي 1980، أعلن راديو كابل أن 620 شخصا اعتقلوا بسبب هذه المظاهرات، أحيل 96 منهم إلى المحاكمة»[15].

من البديهي، أن الارقام الرسمية لايمكن إلا أن تكون كاذبة . وبخصوص هذه المظاهرات، لم تكن الوحيدة من نوعها، فهي عديدة ونتج عنها استشهاد المآت من الاشخاص كما ورد في تقرير 1980 المذكور آنفا، وقد علمت بهم المنظمة بمرور الوقت، **وفي نفس الوقت، يجب التنبيه إلى أن قوات سوفياتية وعملية مشتركة، كانت تتصدى لجميع الانتفاضات الشعبية، كان الشوفيات يطلقون النار مباشرة على المدنيين العزل، لأنهم كانوا هم المعنيين بالذات بهذه المظاهرات، كما أن التعذيب مورس (ولايزال) تحت الاشراف** **والتوجيه المباشر لعناصر سوفياتية تشرف بنفسها على جهاز «خاد» المخابرات في أفغانستان، كما سيتبين لاحقا من أحد تقارير م ع د.**

وبمرور الوقت، يتضح الكذب، بل التزوير الذي يصدر عن «الحكومة» الافغانية بخصوص ضحايا القمع والتقتيل الذين راح ضحيتهما عشرات الآلاف من الابرياء، وذلك من خلال التناقضات في «الاحصاءات» الصادرة عن «المسؤولين» الافغان :

«**ففي 23 أكتوبر 1980، صرح رئيس الوفد الافغاني لدى الأمم المتحدة لمنظمة العفو الدولية، أن 6000 إلى 7000 شخصا اعتقلوا خلال اضطرابات فبراير 1980**»[16]: بينا زعموا أن عدد المعتقلين هو 620 كما أعلن راديو كابل في 12 ماي 1980 !

«**في 8 يوليوز 1980 أخبرت صحيفة Kabul New Times** أن المحكمة الثورية الخاصة قد تابعت مجموعة من الاشخاص المعتقلين من أجل تهم تتراوح بين تخريب مكتسبات الثورة، إلى النيل من استقلال وسيادة البلاد»[17] وصدرت أحكام تتراوح بين الاعدام والسجن لهؤلاء «المتابعين». وهكذا يتوالى التنكيل والابادة دون أن يجرؤ الجلادون على اعطاء المعلومات الكافية عن ضحاياهم. وواضح أيضا أن الاعداد الحقيقية لهؤلاء الضحايا لايعلمها إلا الله، وهي أكبر بكثير من تلك التي تعلن عنها الحكومة من حين لآخر، تحت ضغط الرأي العام المحلي والدولي.

وهكذا أعلنت الصحيفة عن **إعدام كل من الشهيدين شير محمد، وقربان علي بتهمة المشاركة في المظاهرات، والحكم على آخرين وهم : بارات علي جعفري، علي جعفر، عين علي، حاجي علي، سيد محمد بشير، محمد داود بختياري، داد محمد، خان محمد، ومحمد موسى، بأحكام تتراوح بين 5 و16 سنة سجنا**. وقد احتجت المنظمة في برقية بتاريخ 1 غشت 1980 بأن المحكوم عليهم لم يقدموا أمام القضاء العادي، كما لم يكن لهم حق في استئناف الاحكام الصادرة في حقهم حسب مقتضيات الفصل 14 من الاتفاقية الدولية المتعلقة بالحقوق المدنية والسياسية.

«**وفي 8 فبراير 1981 أعلن راديو كابل أن 3 أغضاء الجماعة المعارضة «حزبي اسلامي» قد حكم عليهم بالاعدام من طرف محكمة ثورية. وفي 21 فبراير أعلن أن 4 أعضاء من المقاومة الاسلامية حكم عليهم بالاعدام**»[18].

ومن خلال «الاحصائيات» الرسمية، يتبين كذلك تهافت الدعاية السوفياتية والعميلة، عندما تدعي أن هناك تدخلا خارجيا في أفغانستان، ويتضح جليا، من خلال ما تعترف به الاجهزة الرسمية فقط، أن الأمر يتعلق بمقاومة شعبية واسعة النطاق، تشمل جميع انحاء أفغانستان، ضد التوجهات الماركسية اللينينية التي يتبناها الشيوعيون في افغانستان، بتوجيه من الاتحاد السوفياتي، وضد احتلال هذا الأخير لهذا البلد الاسلامي العريق :

«**حسب الاحصائيات المنشورة في جريدة كابل نيوتايمز Kabul New Times** بين 16 مارس و8 ديسمبر 1980، أعلن عن اطلاق سراح 4231 على الاقل من السجناء الذين وصفوا بأنهم «معتقلون سياسيون» أو «أفراد مخدوعون من طرف العدو». ومن بين المعتقلين السياسيين خلال الصيف الأخير طلبة من جامعة كابل لانتاءهم إلى جماعة الاخوان المسلمون المحظورة. وفي ديسمبر 1980 اعتقل عدد من كبار الموظفين السابقين، وأساتذة في الجامعة، وفي فبراير/مارس 1981، اعتقل عدد من الاشخاص المشتبه في انتائهم إلى المقاومة الاسلامية وكذلك أفراد منشقون عن الحكومة».

وفي 13 غشت 1980 أعلنت السلطات أنها أطلقت سراح عدة مئات من المعتقلين، منهم 140 معتقلا لم يقدموا إلى المحاكمة أطلق سراحهم في رمضان، 240 معتقلا من سجن هرات في شهر سبتمبر، و136 معتقلا سياسيا من سجن قندهار في نهاية نوفمبر 1980، و86 آخرون «بتهم

...es 14 et 15 novembre 1979, un fonctionnaire du ministe... l'Intérieur de Kaboul a commencé à donner lecture des ...oms d'au moins 12 000 détenus vivants ou morts, tous arrê-...és dans les dix-huit mois écoulés, depuis le coup d'État d'avril 1978 qui a porté au pouvoir le parti démocratique populaire (PDP). C'étaient presque tous des prisonniers politiques, et presque tous étaient déclarés décédés. Il ne s'agissait pas de personnes ayant trouvé la mort dans une résistance armée contre le gouvernement du PDP. Les listes ne concernaient que des prisonniers de Kaboul, le gouvernement prévoyant, semble-t-il, de faire lire des listes similaires de prisonniers dans les provinces. Cela n'a jamais été fait. Selon certains rapports, au bout de deux jours, le gouvernement du président Amin a fait interrompre les énumérations, car les réactions des familles apprenant la mort de leur parent après avoir longuement espéré causaient un désordre indescriptible. Contrairement à ce qu'avait annoncé la presse, le gouvernement n'a jamais publié la liste des 12 000 noms, et plusieurs tentatives faites pour obtenir des exemplaires de ces listes ont échoué.

Le fait qu'un gouvernement ait explicitement reconnu que des milliers de personnes étaient mortes dans ses prisons et décidé de donner lecture de leurs noms est pour le moins inhabituel, sinon unique, dans l'histoire des « disparitions »
...ation la plus crédible avancée à ce jour est ...
...min, en ordonnant cette ...

من تقرير المنظمة عن ظاهرة الاختطاف في افغانستان لسنة 1981

سياسية» أطلقوا في 27 ديسمبر 1980، و706 معتقلا سياسيا أطلقوا في 27 أبريل 1981. «بمناسبة الذكرى الثالثة للثورة»(19).

وقد طلبت منظمة العفو الدولية نشر أسماء هؤلاء المعتقلين الذين زعم نظام كارمال أنه اطلق سراحهم، وكذلك معلومات عن أصنافهم ووظائفهم، غير أن المنظمة لم تتوصل بأي جواب، كما أنها لم تتوصل بأية معلومات فردية عن هؤلاء المعتقلين السياسيين والتي من شأنها أن تؤكد الزعم بإطلاق سراحهم.

«وحسب مهمة قامت بها المنظمة الدولية للصليب الأحمر، تم احصاء 385 معتقلا في سجن بولي شرخي الى غاية 12 ابريل بتهم أمنية. وهذا الرقم ارتفع بعد هذا التاريخ، ولكن لم يسمح لأية منظمة دولية بزيارة السجن بعد ذلك. وقامت منظمة العفو الدولية بتحريات تفيد أن هؤلاء المعتقلين تعرضوا للتعذيب أثناء استنطاقهم. وعلمت المنظمة أنه يوجد معتقلون سياسيون في سجون، جلال آباد، هرات، أيبه في ولاية شمنجان، قندز، قندهار، نانجرهار، بغلان، بدغيس، مزار شريف، وجوزجان، دون أن تتمكن من الحصول على أية معلومات مفصلة ومدققة عن هؤلاء المعتقلين»(20).

وحول ظاهرة المفقودين، يستمر تقرير 1982 قائلا :

«وبتاريخ 30 ماي 1980، أعطت منظمة العفو الدولية مزيدا من التفاصيل عن أوضاع حقوق الانسان في افغانستان. واستنتجت المنظمة أن الحكومة لم تقم ببحث متعمق من أجل معرفة مصير الاشخاص «المفقودين» والاماكن التي كانوا يوجدون بها. وقد أعطت المنظمة لائحة تتضمن 450 شخصا اعتقلوا قبل 27—12—1979، من بينهم 100 على الاقل يوجدون من بين «المفقودين» ولم تتوصل بمعلومات من الحكومة عن هؤلاء.

وناشدت المنظمة الحكومة كذلك، أن تحدد المسؤوليات عن التعذيب و«المفقودين» وتقديم الجناة أمام المحاكم.

إن منظمة العفو الدولية تشعر بالقلق لعدم قيام الحكومة بأي بحث حول انتهاكات حقوق الانسان الفائتة، كما علمت من مصادر جديرة بالثقة أن موظفين سابقين مسؤولين عن هذه الانتهاكات لايزالون يمارسون مهام رسمية.

وفي تقرير للمنظمة الدولية للصليب الأحمر، فقد سمحت الحكومة لها وللهلال الأحمر الافغاني بإنشاء وكالة خاصة «للبحث عن الاشخاص المفقودين»، إلا أن السلطات منعت بعد ذلك انشاء هذه الوكالة منعا نهائيا.

وفي 19 ديسمبر 1980 قدمت منظمة العفو الدولية معلومات إضافية للجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة، حول موضوع حقوق الانسان في افغانستان، معبرة من جديد عن قلقها العميق لعدم استجابة الحكومة لمطالبها بخصوص آلاف المفقودين، حيث تعيش عائلاتهم في قلق مستمر على مصائرهم، وحيث لايزال بعضها يعتقد بوجودهم أحياء في سجن بولي شرقي في كابل أو في أماكن أخرى»(21).

يجب ألا يغيب عن ذهن القارىء لحظة واحدة، أن هذه الجرائم المرعبة ترتكب تحت الاحتلال العسكري السوفياتي لافغانستان وبمشاركة منه وباشرافه.

تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1984(22)

«تستمر الحكومة الافغانية في منع المنظمات الانسانية والغالبية الكبرى من الصحافة العالمية من الدخول إلى البلد... وبحسب المعلومات التي تتوفر عليها، أن هناك آلاف المعتقلين في منطقة كابل وحدها... كما تعرب عن قلقها لاعتقال عدة أساتذة من جامعة كابل الذين تم الاعلان عنه في تقريرها لسنة 1983، إلا أن ثلاثة منهم على الأقل حوكموا محاكمة سرية بتهمة «ارتكاب أعمال مناهضة للثورة» وهم الاساتذة حسن كاكار والدكتور عثمان روستار وشكر الله قوهغداي.

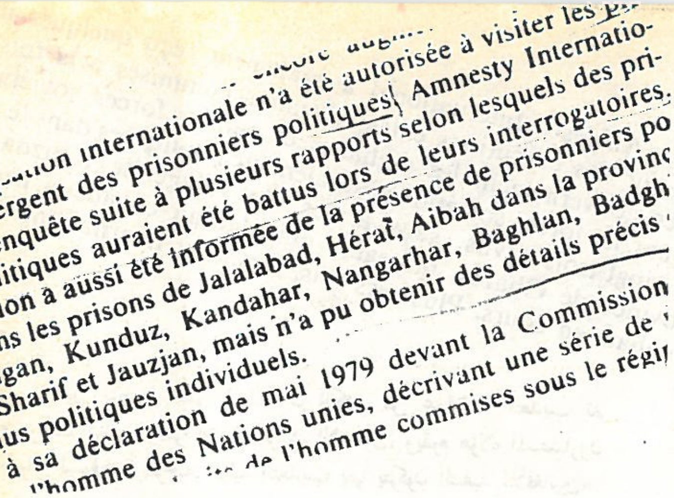
وينتمي هؤلاء الثلاثة إلى مجموعة بحث في جامعة كابل، استهدفت البحث عن حلول سلمية لهذه الحرب التي استمرت منذ تنصيب حكومة بابراك كارمال في 1979/12/27 وتدخل القوات السوفياتية... وقد حكم على الدكتور روستار بعشر سنوات سجنا، وعلى البروفسور حسن كاكار بثماني سنوات وعلى قوهغداي بسبع سنوات، ولم يسمح لأي متهم باستئناف الحكم، وتم تبنى الثلاثة من طرف منظمة العفو الدولية بصفتهم من سجناء الرأي»(23).

ويتعلق الأمر، في هذه الحالة بمجموعة «أفغان ملة» ذات التوجه اليساري (24) التي ينتمي إليها هؤلاء الاساتذة الثلاثة. وهي على الرغم من أنها لاتتوفر على أي رصيد شعبي، وعلى الرغم من أن هؤلاء يعبرون عن آراءهم السياسية فقط، إلا أن القمع طالهم أيضا لمجرد ابدائهم الرأي.

«إن الاغلبية الساحقة من الاشخاص المعتقلين في أفغانستان، لم توجه لهم أية تهمة ولم يقدموا لأية محاكمة. والمحاكمات القليلة التي جرت، كانت سرية وبدون حضور محامين للدفاع عن المتهمين. وخلال مدة الاعتقال، التي تستمر أحيانا سنتين، تمنع زيارة الاهالي منعا باتا، وفي حالات أخرى لايخبر المتهمون بالتهم المنسوبة إليهم قبل المثول أمام المحكمة»(25).

«... طوال سنة 1983، كانت منظمة العفو الدولية منشغلة جديا بالمعلومات المنتظمة، المتعلقة بالتعذيب والمعاملة السيئة التي يتعرض لها الاشخاص المعتقلون من طرف جهاز (خاد) بوليس الامن (خدمتي اطلاعت دولتي). فالاعتقالات تم ليلا، بدون تصريح بالاعتقال، وفي أغلب

...s par Amnesty International en février 1980. Le gouverneme... ...lement fait exécuter Abdul Majid Khalakhani, chef de maq... ...s de gauche, connu pour son opposition à la présence ... ...pes soviétiques en Afghanistan. Le 10 juillet 1980, Amnesty ...tional a manifesté au président Karmal ...



الاحيان، دون أن يكشف ضباط المخابرات عن هوياتهم. وفي أغلب الحالات، لاتخبر عائلات المعتقلين عن أماكن اعتقالهم. ويتعرض المعتقلون للضرب، والحرمان من النوم، ويخضعون للتعذيب بالصعق الكهربائي بواسطة ادوات موصولة بالهاتف. وحسب تصريحات معتقلين قدماء استجوبوا من طرف المنظمة، والتي تتطابق مع معلومات توصلت بها المنظمة، فإن استعمال هذه التقنيات في التعذيب أثناء الاستنطاق، هو شيء منهجي في 8 مراكز للاستنطاق في كابل. كما أن الاغلبية الساحقة من المعتقلين السابقين، اشتكوا من الانعدام الكلي للعناية الطبية»[26].

«... والمعتقلون المعذبون، ليسوا كلهم متهمون بالتمرد المسلح، إذ نجد أيضا موظفين، أطباء، أساتذة، وطلبة، وكذلك أشخاص آخرون لمجرد الشك في كونهم معارضين دون عنف مسلح...

وفي عدد من الحالات، فإن التعذيب والمعاملة السيئة، تركا نتائج خطيرة، جسدية وعقلية. وتعرفت منظمة العفو الدولية على حالات توفي فيها معتقلون نتيجة للتعذيب. ومن جهة أخرى، توصلت المنظمة في نهاية سنة 1983 بمعلومات عن وفاة غلام شاه شرشري شومالي تحت التعذيب، وهو شاعر ومدير سابق لجريدة «أنيس»[27].

وهناك حالة سجلتها المنظمة حول مجزرة ارتكبتها القوات السوفياتية :

في 30 يونيو (أي من سنة 1983) تورطت القوات السوفياتية في مجزرة قتلت فيها 23 قرويا عزلا من السلاح في قرية روزده في مقاطعة غازني، وهي مجزرة لم تكن لها أية علاقة بالمعارك الدائرة»[28].

لقد نسيت منظمة العفو الدولية أن تذكر حقيقة صارخة، وهي أن الاحتلال العسكري السوفياتي لافغانستان نفسه، ليس إلا مجزرة هائلة بكل المقاييس، شملت أرواح السكان من الجنسين، ومن جميع الاعمار، ومن جميع المهن، وفي جميع أنحاء وطنهم النازف باستمرار إن صرامة الشكليات القانونية التي تتقيد بها منظمة العفو الدولية، تجعل شهادتها ذات قيمة جزئية فقط، بالنسبة لحجم الجرائم التي يرتكبها السوفيات وعملاؤهم في افغانستان.

ومن غرائب الأمور، أن توقع «الحكومة الافغانية» في 1983/1/24 على الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية والاتفاقية المتعلقة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ! !

تقرير منظمة العفو الدولية لسنة 1985[29]

«... في 20 دجنبر، أعلنت الصحيفة الرسمية Kabul New Times، أن الحكومة الافغانية قد تعهدت بالالتزام بالمعاهدة الخاصة بتحريم التعذيب والمعاملات اللا إنسانية... وعلى الرغم من هذا التعهد، لازالت منظمة العفو الدولية تتوصل بتقارير عن التعذيب الذي يمارسه جهاز (خاد) في حق المعتقلين السياسيين ومعتقلي المقاومة المسلحة، بل حتى المعارضة غير المسلحة التي كانت تعمل على توزيع بيانات أو رسائل ليلية»[30]...

«... وفي 29 ماي تعهدت الحكومة الافغانية، بضغط من الامم المتحدة، بالتخفيف من حدة الاعدامات... إلا أن إذاعة كابل أعلنت في 14 غشت عن اعدام عبد القدوس كال و14 شخصا آخرين بتهمة «تورطهم في نشاطات ضد الحكومة»، كما أن المنظمة سجلت، من خلال الاعلام الرسمي، محاكمة 77 شخصا، تم اعدام معظمهم، وقارنت بين عدد الاعدامات المعلن عنها في سنة 1983 (12 حالة اعدام) و68 حالة اعدام معلن عنها خلال سنة 1984[31].

وهكذا تتكرر نفس المعلومات، عن الاعتقالات والمحاكمات والتعذيب والاعدام، سنة عن سنة. مع العلم أن هذه المقتطفات، أو حتى تقارير منظمة العفو الدولية بكاملها، لاتتضمن سوى الحالات المعلن عنها، أو التي تسربت إلى علم المنظمة، وهي لاتمثل، في نهاية المطاف، سوى جزءا بسيطا من الحقائق...

الأوضاع خلال سنة 1986[32]

في تقريرها عن سنة 1986، لم تأت منظمة العفو الدولية بجديد، ويمكن اعتبار تقاريرها السابقة كـ «نماذج» تتكرر كل سنة.

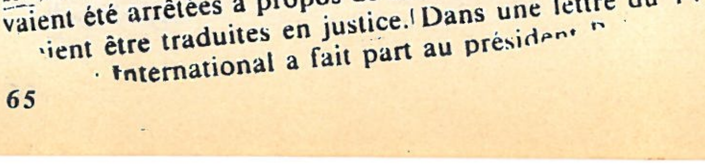
«إن النفاق الحكومي الافغاني واضح جدا، لاسيما وأن الحكومة وقعت على الميثاق الدولي الذي يحظر التعذيب، ومع ذلك فهي تمارسه وتحت اشراف مستشارين سوفيات ضد خصومها السياسيين وضد الطلاب والمعلمين والتجار، إلى الدرجة التي أصبح معها التعذيب أسلوبا مقبولا* وممارسة «ثورية» عادية.

«واجرت منظمة العفو الدولية مقابلات واسعة النطاق مع العديد من ضحايا النظام الذين لجأوا، ولاسيما إلى باكستان. والصورة التي يرسمها هؤلاء لاتختلف في شيء تقريبا عن تلك الصورة التي سادت افغانستان في عهد الرعب الذي اتهم كارمال والسوفيات به عهد حفيظ الله أمين.

ويقول تقرير المنظمة «أن الناس يختفون من الشوارع، كما أن البيوت تتعرض للغارات المستعمرة لاسيما في الليل... كما يتعرض الابرياء للاعتقال والتعذيب، ثم يطلق سراحهم بدعوى الخطأ في التعرف عليهم، وتهددهم المخابرات بمزيد من الاعتقال والتعذيب إن هم تحدثوا عن تجربتهم المريرة.

والذي يحدث عادة، هو ألا توجه أية تهمة إلى المعتقلين، والمخابرات لها القول الفصل... وعندما يمثل بعض الاشخاص أمام المحاكم الثورية، فذلك نتيجة لاعترافات ضرورة انتزعت منهم تحت التعذيب.

أما القضاة، فهم من الحزب الشيوعي، وبشكل خاص من الرسميين فيه، والذين ليست لهم أية صفة قانونية اطلاقا، أو أية معرفة قضائية ولاتدوم الاجراءات سوى بضع دقائق...



Amnesty International a également reçu quelques informa[...]
s sur des exécutions extrajudiciaires commises à la fois par les
ces gouvernementales afghanes et par les forces soviétiques. Le
juin, les forces soviétiques auraient été impliquées dans le massacre
vingt-trois civils, sans armes, du village de Rauzda, dans la
ovince de Ghazni, massacre qui n'aurait eu aucun lien avec les
ombats en cours. Plusieurs fois, Amnesty International a pressé l[...]

وتقول منظمة العفو الدولية أن الكثير من عمليات التعذيب تتم بحضور المستشارين السوفيات في مراكز الاعتقال، ويقوم هؤلاء المستشارون والخبراء السوفيات بتوجيه عملية التعذيب بينما يتركون التنفيذ للأفغانيين».

تقرير خاص عن التعذيب :(33)

يتحدث هذا التقرير عن خاصية التعذيب التي أصبحت أسلوبا منهجيا يتميز به جهاز (خاد) الذي يشرف عليه جهاز المخابرات السوفياتية (كا.جي.بي) بواسطة مجموعة من «المستشارين» و«الخبراء»، وكذلك بتوجيه من مسؤولين عسكريين سوفيات، ليس فقط بعد الاحتلال، بل حتى قبله، إذ ثبتت أن الوجود السوفياتي العسكري والامني والسياسي بدأ يتكثف منذ انقلاب طراقي في 27 ابريل 1979.

وسواء في تقريرها العام عن أوضاع حقوق الانسان في افغانستان الصادر سنة 1984، أو في تقريرها الخاص عن التعذيب، أحصت المنظمة 8 مراكز يمارس فيها التعذيب بانتظام في كابل وحدها :

«في بيان موجه للصحافة الدولية أذيع في 2 نوفمبر إضافة إلى وثيقة نشرت في نفس اليوم، أشارت منظمة العفو الدولية الى وجود 8 مراكز للاستنطاق في كابل :

- «المكتب رقم خمسة» التابع لـ (خاد)
- المركز العام لـ (خاد) في حي شاشداراك
- عمارة وزارة الداخلية
- المكتب المركزي للتحقيقات، المسمى، سدارات
- مكتب الفرع العسكري لـ (خاد) المسمى (خادي نظامي)
- منزلان خصوصيان قرب عمارة سدارات : فيلا أحمد شاه خان، وفيلا وزير أكبر خان
- مكتب (خاد) في حي هوزاي بريكات»(34).

ومن الحقائق ذات الدلالة القصوى، أن ما ارتكب من جرائم في أفغانستان، لم يكن من فعل أو مسؤولية الاشخاص الذي تعاقبوا على السلطة فقط، بل يمثل مخططا مدروسا بشكل مسبق، يستهدف اجتثاث مقاومة الشعب الافغاني بأفظع الوسائل وأكثرها دموية.

ففي مذكرة بعثتها منظمة العفو الدولية إلى الحكومة الافغانية في مارس **1980، اي بعد ستة اشهر من الاجتياح السوفياتي لافغانستان، عبرت م.ع.د عن قلقها «لكون العديد من الاشخاص المتورطين في جرائم التعذيب خلال حكم نور محمد طراقي، وحفيظ الله أمين، لايزالون يحتلون مناصب رسمية. كما طالبت المنظمة بفتح تحقيق شامل حول التعذيب و«الاختفاءات»، والعمل على تقديم كل من ثبت تورطه في هذه الجرائم إلى المحاكمة وتوقيع القصاص العادل عليه، كما طالبت بوضع المعتقلين في سجون عادية وليس في مراكز التحقيق»**(35).

ومن الأمثلة العديدة التي أوردها التقرير، ما حدث في ابريل 1980 على إثر المظاهرات والاضراب العام الذي شهدته كابل احتجاجا على الاحتلال العسكري السوفياتي، فمن بين المعتقلين الذين ينتمون الى مختلف الفئات الاجتماعية، «**مئات الطلبة بل والتلاميذ الذين لم يكن تتجاوز أعمار بعضهم 12 سنة، واقتيد الطلبة والتلاميذ إلى البناية رقم 2 في سجن بولي شرقي** للاعتقال الانفرادي (**incommunicado**)(36) **مع حرمانهم من النوم والأكل لمدة 3 أو 4 أيام، مع تعرضهم للضرب بشكل منهجي، وفي أغلب الأحيان بمواد معدنية مشحونة بالكهرباء، بينما سبق طلبة آخرون ممن اتهموا بقيادة المظاهرات إلى مركز (خاد) حيث تعرضوا إلى اشكال أخرى من التعذيب أكثر وحشية، من بينها قلع أظافر أثنين منهم على الاقل»**(37).

ولم يقف الحقد المجنون ضد مقاومة الشعب الافغاني المسلم عند حدود، بل وصل إلى أقصى درجات الاجرام والحيوانية، على الرغم من الخصائص المشتركة التي تجمع بين سوموزا وبينوتشي وجنرالات الارجنتين وجمهوريات الموز في امريكا الجنوبية، وبين الدمى التي تعاقبت على السلطة في افغانستان، إلا أن هؤلاء الاخرين فاقوا أقرانهم في اضطهاد شعوبهم والتنكيل بها، والمثال التالي الذي أوردته المنظمة في تقريرها يؤكد ذلك :

في ديسمبر 1982، توصلت المنظمة بشهادة مفصلة من الطالبة فريدة أحمدي، بكلية الطب، عمرها 22 سنة، بقيت رهن الاعتقال لمدة 6 أشهر. وأكدت أنها كانت رهن التحقيق طوال مدة الاعتقال، وحرمت من النوم طوال اسبوع كامل، كما عذبت بالكهرباء. وأفادت أنها رأت معتقلين آخرين يعذبون.

وصرح معتقلون آخرون سابقون، أنهم مروا بنفس التجارب، وأن من بين ضحايا التعذيب فتيات في السادسة عشرة من اعمارهن وشيوخ في الستينات(38).

ومن البديهي أن تكون لهذه الاساليب ـ التي تستعملها الدولة الصهيونية هي الأخرى، آثارا مدمرة على الضحايا : «**إن الاعتداءات الشنيعة التي تعرض لها المعتقلون، قد تركت مضاعفات خطيرة، نفسية وجسدية** (وفي تقرير سابق استعملت م ع د كلمة : عقلية mentale) **خاصة الصمم، وفقدان النطق**(39) **كما علمت المنظمة أن عددا من المعتقلين ماتوا أثناء أو بعد التعذيب»**(40).

International a appris que des prisonniers étaient morts des suites de la torture.

En décembre 1982, Amnesty International a reçu le témoignage détaillé de Farida Ahmadi, une étudiante en médecine de vingt-deux ans incarcérée six mois, en 1981, dans un centre de détention de la *Khad* à Kaboul. Elle a affirmé qu'elle avait été continuellement interrogée pendant sa détention, privée de sommeil toute une semaine et torturée à l'électricité. Elle a également rapporté qu'elle avait vu torturer d'autres prisonniers politiques. D'autres anciens détenus interrogés par Amnesty International ont fait état d'expériences analogues. Parmi les victimes de la torture se trouvaient aussi bien des jeunes filles de seize ans que des personnes d'une soixantaine d'années.

عن تقرير المنظمة عن التعذيب في افغانستان لسنة 1984.

وعندما أدانت اللجنة الاممية لحقوق الانسان التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة «انتهاكات» النظام الدامية في أفغانستان بأغلبية 79 صوتا مقابل 23 وامتناع 36 عن التصويت، وذلك في نهاية شهر نوفمبر 1986، عندما أعربت عن «قلقها» الخطير «إزاء الوسائل التي يجري استخدامها في الحرب في افغانستان، ونتائج القصف العشوائي والعمليات العسكرية ضد القرى»....

... وكل عام ونحن على موعد مع قرار جديد، والدم المسلم يفور ثرا بدون انقطاع ليتحقق وعد الله، ولكن أكثر الناس لايعلمون.

الهوامش

1 ـــ في تقرير للوكالة الامريكية للرقابة على الاسلحة ونزع السلاح، مجمل النفقات العسكرية في العالم بلغت سنة 1985 ما قيمته 800 مليار دولار، مقابل 900 مليار عن سنة 1986، أو ما معدله 1،7 مليون دولار في الدقيقة، أو 6% من الانتاج الاجمالي العالمي : وتأتي الولايات المتحدة في الترتيب الأول بما قيمته 268 مليار دولار والاتحاد السوفياتي بما قيمته 237 مليار دولار خلال سنة 1985 (أي أكثر من 62% من الانفاق العسكري الاجمالي في العالم بالنسبة لهما معا) ـ القبس الدولية 1986/11/25.

2 ـــ انظر الاستجواب مع ديفيد لوليخت مدير منظمة العفو الدولية الذي أجرته جريدة القبس (الطبعة الدولية) الصادية بتاريخ 1985/9/5.

3 ـــ المرجع السابق.

4 ـــ تقرير م ع د : ,Amnesty International : Rapport 1980 — pp 214 222 — Ed. Mazarine — Paris.

وتجدر الاشارة إلى أن تقارير م ع د يتعلق بالنتائج المحصل عليها عن السنة السابقة لتاريخ إصدار التقرير. فتقرير 1980 مثلا، يتعلق بأحداث سنة 1979، وهكذا دواليك...

5 ـــ تقرير م ع د السابق، ص 214، 215

6 ـــ السابق ص 215

7 ـــ السابق ص 216

8 ـــ انظر على سبيل المثال تصريح بريجنيف، بهذا المعنى لجريدة البرافدا بتاريخ 1980/1/13 أي بعد اسبوعين تقريبا من الاحتلال السوفياتي لافغانستان.

9 ـــ التقرير السابق ص 216

10 ـــ السابق ص 217

11 ـــ السابق ص 218 و219

12 ـــ السابق ص 220

13 ـــ السابق ص 222

14 ـــ Amnesty International : Rapport 1982 — pp 224, 230 — Ed. Mazarine — Paris.

15 ـــ تقرير 1982، ص 225.

16 ـــ السابق ص 226

17 ـــ السابق نفس الصفحة

18 ـــ السابق ص 228

19 ـــ السابق ص 228، 229

20 ـــ السابق ص 229

21 ـــ السابق ص 229، 230

22 ـــ تقرير سنة 1984 : Amnesty International : Rapport 1984 — Ed. E.F.A.I. — pp 237 — 240 — Paris — 1984.

23 ـــ تقرير 1984 ص 237، 238

24 ـــ وهي جماعة سرية هامشية تطلق على نفسها اسم (الحزب الاجتماعي الديموقراطي الافغاني).

25 ـــ تقرير 1984 ص 238

26 ـــ السابق ص 239

27 ـــ السابق ص 239، 240

28 ـــ السابق ص 240

29 ـــ Amnesty International : Report 1985 — A.I. Pub. pp 195, 198 — London — 1985.

30 ـــ تقرير 1985 ص 196

31 ـــ السابق ص 197

32 ـــ بالنسبة لتقرير سنة 1986، استقينا مقتطفات مركزة منه نقلا عن صحيفة الشرق الأوسط 1986/11/30 التي نقلته بدورها عن الصحيفة البريطانية The Independent.

33 ـــ Amnesty International : « La torture. instrument du pouvoir. fléau à combattre », Ed. Seuil — Collec. Points — pp 229 — 232 — Paris — 1984.

34 ـــ التقرير السنوي لسنة 1984، ص 239

35 ـــ التقرير الخاص بالتعذيب المشار إليه أعلاه، ص 229.

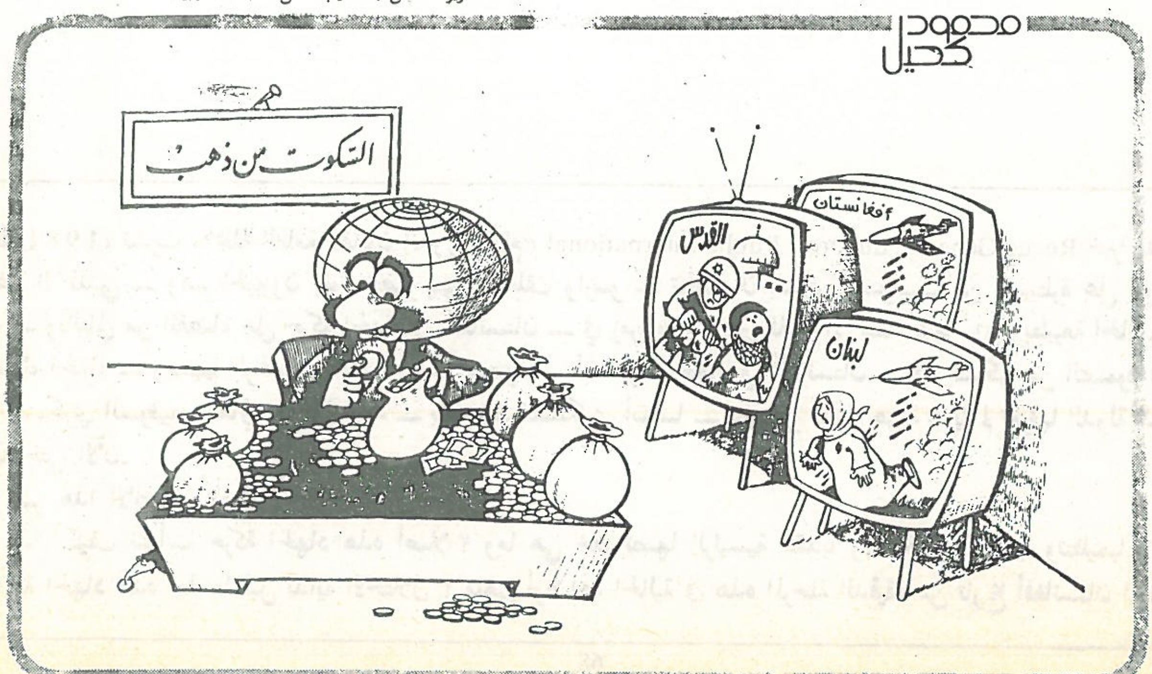
36 ـــ الاعتقال الانفرادي، هي الحالة التي لايمكن معها حدوث أي اتصال من أي نوع مع أي كان، وكثيرا ما تكون الجدران عازلة للصورت، وهو أحد أشكال التعذيب النفسي، لأن الاتصال بالآخرين يعطي عادة احساسا بالتضامن وقدرة أكثر على تحمل ظروف الاعتقال نفسيا.

37 ـــ التقرير الخاص بالتعذيب ص 230.

38 ـــ السابق ص 231.

39 ـــ بالنسبة لفقدان النطق، استعمل التقرير كلمة Aphasie، وهي تعني فقدان الجهاز الصوتي القدرة على النطق Apraxie أو فقدان ملكة فهم الكلام المنطوق Agnosie.

40 ـــ التقرير الخاص بالتعذيب، ص 230، 231.



المجاهـــــدون

في سنة 1981، نشرت «المجلة العامة للقانون الدولي العام» Revue Generale du Droit Public International خبرا مفاده أن خبراء حلف الأطلسي ــ وهم الخبيرون بقوة خصومهم في حلف وارسو ــ توقعوا أن يتمكن السوفييت من السيطرة على الوضع في أفغانستان ــ وبالتالي من القضاء على حركة الجهاد في أفغانستان ــ في زمن يتراوح بين ثلاثة الى ستة أشهر (1). وبطبيعة الحال، لم يدر في خلد هؤلاء الخبراء ــ ومعهم المراقبون والمحللون الاستراتيجيون ــ أن حركة الجهاد في أفغانستان، سوف تتمكن من الصمود في وجه الاحتلال العسكري السوفييتي العاتي، بل وإرغامه ــ بالضغط العسكري أساسا ــ على جر أذيال هزيمة مخزية لم تعرفها الدولة السوفيتية منذ قيامها حتى الآن.

ما هو سر هذا الانتصار العظيم ؟

وقبل هذا، كيف نشأت حركة الجهاد هذه أصلا ؟ وما هي خصائصها الرئيسية عقديا وعسكريا وسياسيا وتنظيميا ؟ وكيف تطورت حركة الجهاد هذه منذ ما قبل بداية الاحتلال ؟ ماهي أوضاعه الحالية في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أفغانستان المعاصر ؟

مقارنات

لكي تتضح أهمية حركة الجهاد في أفغانستان، سواء في تصور المتعاطفين معها أو بالنسبة لخصومها، من المفيد إجراء مقارنات سريعة بينها وبين بعض حركات التحرر المعروفة، من حيث الحجم، أو دور الدعم الخارجي، العسكري والسياسي والاعلامي...

واللافت للانتباه أولا، أن الحرب في أفغانستان، هي الأطول — زمنيا — من جميع الحروب الكبرى التي شهدها القرن العشرون، فهي أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأطول من حربي كوريا وفييتنام، وأطول من الحرب العراقية الايرانية...

وبالنسبة لفييتنام مثلا، وهي الأشهر، تمتع الشعب الفيتنامي بالدعم العسكري والسياسي والاعلامي للكتلة الاشتراكية العملاقة (الصين — الاتحاد السوفيتي — أروبا الشرقية) وكذلك الدعم السياسي والاعلامي لدول العالم الثالث، بل حتى من طرف أروبا الغربية، ولعل العامل الحاسم في انتصار الشعب الفيبتنامي — الى جانب مقاومته المسلحة — هو الثقل الهائل للرأي العام الأمريكي المعارض للحرب... وكانت أغلب إذاعات العالم تغطي يوميا أخبار المعارك، ولعل القارىء يذكر أحد المذيعين في تلفزتنا المغربية الذي أطلق عليه الناس اسم «فييتنام» لكثرة الأخبار التي يذيعها عن التفاصيل اليومية للحرب الفييتنامية الأمريكية.

وبالنسبة لكوبا، التي أريد لها — في وقت ما — أن تكون نموذجا ثوريا رومانسيا للكثير من حركات التحرر الوطنية، لم تتعد ثورتها مقاومة مسلحة محدودة لديكتاتورية محلية في جزيرة صغيرة، ولا يمكن أبدا مقارنتها بما حدث في أفغانستان، التي يقاوم شعبها، احتلال عسكريا أجنبيا من طرف «دولة عظمى».

ويمكن الاسترسال في عقد مقارنات من هذا النوع، مع نيكاراغوا مثلا، أو مع بعض حركات التحرر الوطني الافريقية... إلا أن المهم في هذا المقام، هو التشديد على أن الحرب في أفغانستان، إنما تدور بين قوة عظمى وبلد ضعيف، و«متخلف» لم يحظ بعشر معشار ما حظيت به الحركات السالفة الذكر من دعم، ناهيك عن التضحيات الهائلة التي قدمها شعب أفغانستان المجاهد والتي لايوجد لها مثيل كما اتضح ذلك سالفا. (النتائج العامة للاحتلال).

الخصائص العامة لحركة الجهاد في أفغانستان

تمتاز حركة الجهاد في أفغانستان، بجملة من الخصائص تجعلها **تتميز جذريا** عن كافة حركات التحرر الوطني، وإن كانت تشترك مع هذه الاخيرات في شيء من القواسم، التي تطبع عادة نضال الشعوب ضد القوى الاستعمارية...

ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي :

العقدية

ربما يكون من نافلة القول، محاولة التأكيد على المنطلقات العقدية الاسلامية لحركة الجهاد في أفغانستان، فهذا أمر اعترفت به مؤخرا حتى وسائل الاعلام السوفيتية نفسها فجأة بعد أن سكتت عن هذه الحقيقة سكوتا مطلقا طوال سنوات الحرب الابادية [2] بل حتى نجيب نفسه وصف المجاهدين الأفغان بأنهم «ينتمون لمنظمات **إسلامية**» [3] وأحيانا أخرى تميز بين **الأصوليين والمعتدلين** بعد أن كانت وسائل الاعلام السوفيتية تصفهم بأنهم مجرد «عملاء للمخابرات الأمريكية» [4]، ومع ذلك تبقى الشهادات المدلى بها من أطراف أخرى غير مصادر المجاهدين لها قيمة خاصة، **وتأتي أهمية هذه الشهادات لتؤكد تلك الحقيقة الراسخة التي تميزت بها جميع الحركات الجهادية التحررية، ألا وهي طابعها الاسلامي العميق**، (محمد بن عبد الكريم الخطابي — الأمير عبد القادر الجزائري — عمر المختار — عز الدين القسام...) مما يحتم النظر الى حركة الجهاد في أفغانستان ضمن هذا السياق التاريخي وليس ضمن أية رؤية أخرى، وبهذا تتشكل هذه الخاصية الرئيسية الأولى التي تمتاز بها هذه الحركة الأصيلة [5].



وهناك شهادة نادرة، أوردها أوليفيي روا، حول تجذر الرؤية الاسلامية في المجتمع القروي الافغاني، الذي بقي باستمرار، الرافد الأساسي للحركة الجهادية، وهذه الشهادة هي نتيجة دراسة ميدانية أجراها هذا الخبير ما بين سنتي 1980 — 1984، نستعرضها سريعا وبتصرف :

«**إن الدين يهيكل المكان والزمن** structure l'espace et le temps». فمجال القرية يتركز **حول المسجد**، وكذلك مجالات الناس، بدوائرها المختلفة التي تشتمل عليها **الأمة**... (العبارات للمؤلف والتشديد من عندنا) وتيرة اليوم تواكب **الصلوات الخمس**... و وتيرة السنة مع الأعياد ورمضان القمة. أما وتيرة الكلام فهي مصحوبة بالادعية والعبارات المؤدبة التي تقترن **باسم الله** (جل جلاله) كلما ذكر، ومقطوعة هي العلاقة مع كل من يريد التحلل في حديثه أو في سلوكه من أية علاقة بالله.



جانب من حشود المجاهدين والمهاجرين وهم يستمعون الى كلمات قادتهم.

والملا (أي فقيه القرية) **ينتمي الى القرية**، وليس إلى بنية هرمية دينية... وهو فقير في الغالب، و«مهنته» يرافقها عادة عمل زراعي... إذ ليس هناك وقف (صودرت أملاك الوقف والأحباس لصالح الدولة في عهد أمان الله خان الذي أدخل «إصلاحات» هيكلية على مستوى الادارة والجبايات والجيش بمقتضى قوانين 1920 ودستور 1923 — (الهدى[6]) ويتقاضى راتبه من الانتاج الزراعي العيني، ومن الزكوات والأعشار...

والملا يعرف القراءة والكتابة (وقليل منهم أميون) كما يعرفون شيئا من العربية، ويتوفرون على رصيد من المتون في علوم الدين والقانون من الأدب القديم، ويقومون بتعليم الأطفال وختنهم وغير هذا من الأنشطة...» [7].

ويعترف المؤرخ السوفيتي فيكتور كورغون **Victor Korgoune** أن المرحلة الحديثة من التاريخ السياسي لأفغانستان كانت مرتبطة تمام الارتباط بموقف الحكومات المتعاقبة في أفغانستان من القوانين الاسلامية التي كانت سائدة في البلد، ويستشهد على ذلك باندلاع الثورة ضد أمان الله — بسبب إصداره لقوانين علمانية مخالفة للشريعة السلامية — التي قادها (أي الثورة) كل من العالمين شوربزار مجددي والقاضي عبد الرحمن، اللذين أعلنا في بيان عن مطالب الثوار : تغيير نظام الحكم في البلاد، وإبعاد الموظفين الذين أساؤوا استغلال مناصبهم وأصدروا قوانين منافية للشريعة، كما جاء في نفس البيان، أن المناطق التي يسيطر عليها الثوار، تتم إدارتها حسب مقتضيات الشرع الحنيف، وأن العلماء هم حكامها الحقيقيون [8] (ألا يعيد التاريخ نفسه هنا بشكل ما !؟).

إن الملاحظة الرئيسية التي يمكن استخلاصها من هاتين الشهادتين — ويمكن الاتيان بالعديد من أمثالهما — هي أن حركة الجهاد في أفغانستان، ليست حركة نخبوية تقودها الصفوة المثقفة في الحركة الاسلامية فقط في هذا البلد، كما يحاول الكثير من وسائل الاعلام الايحاء بهذا الزعم، وإنما هي — رغم صحة هذا الادعاء جزئيا — حركة عامة تنتظم فيها كل القوى الشعبية — في جميع أنحاء أفغانستان — على اختلاف أصولها الأثنية والمذهبية (سنة وشيعة)، ويكفي أن نتذكر ردود الفعل الشعبية الواسعة المنظمة منها والعفوية التي اندلعت في أغلب مناطق البلاد بعد انقلاب أبريل 1978 الأحمر. وأخيرا (إبراز الأهداف النهائية للحركة الجهادية).

هذه الحقيقة، تفضي بنا الى الخاصية الرئيسية الثانية التي يتميز بها الشعب الأفغاني في حركته الجهادية الرائعة.

الشعبية

إذا عدنا الى توقيت الانتفاضات الشعبية قبيل الاحتلال التي شملت غالبية مناطق البلاد (فصل الأوضاع العامة قبل الاحتلال)، يتضح بجلاء أن حركة الجهاد، اتخذت منذ بدايتها طابعا شعبيا عاما، وهذه الحقيقة أكدتها «منظمة العفو الدولية» بشكل غير مباشر — بناء على لوائح تسلمتها المنظمة **رسميا** من وزارة الداخلية في كابل، لآلاف الأشخاص الذين اعتبروا معتقلين سياسيين — في منطقة كابل وحدها — والذين **اعدموا** كلهم في سجن بولي شرخي الرهيب، حيث ذكر تقرير المنظمة لسنة **1980** أن من بين هؤلاء الأشخاص المقتولين «**أساتذة جامعيون، ومدرسون، وطلبة، وموظفون، وعلماء الدين وتجار** و«**مناهضون للثورة**»» على حد تعبير وزارة الداخلية، بل الأبشع من هذا أن المنظمة توفرت على أسماء **800 طفل** من بين هؤلاء الالاف من المقتولين، الذين أعدموا مع أمهاتهم وعائلاتهم (انظر فصل : منظمة العفو الدولية وحقوق الانسان في أفغانستان).

ولعل من أكبر الشواهد، على الطابع الشعبي العام لحركة الجهاد، هو هذا العدد الضخم من المهاجرين الذين دمرت قراهم وأراضيهم وممتلكاتهم، وهم يمثلون أكبر حركة هجرة جماعية قسرية في التاريخ حيث بلغ عددهم حوالي الستة ملايين شخص حسب **الاحصائيات الرسمية** للمندوبية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (**H.C.R**).

لقد زعم نجيب أن «**سكان ثلاثة آلاف قرية انضموا بشكل سلمي الى الحكومة (!)... كما انتقل أربعون ألفا الى الحياة السلمية بعد أن كانوا يقاتلون ضد الحكومة**» [9] (!) وبغض النظر عن هذه المغالطة التي لايصدقها أحد، ألا يحق للمرء أن يتساءل عن السبب الذي دفع هذا العدد الضخم من القرى الى التمرد العسكري ضد «الحكومة» (وكأنه ليس هناك احتلال بالمرة) وكذلك عن الأسباب التي حدت **بعشرات الآلاف** من المقاتلين للحكومة لكي يرفعوا السلاح في وجهها، ألا يدل هذا الزعم على أن حركة الجهاد هي حركة شعبية بأوسع معاني الكلمة ؟ وإذا كان هذا العدد الهائل من القرى قد «انضم» الى «الحكومة»، فكم هو عدد القرى والمقاتلين الذين لم «ينضموا» الى «الحكومة» بعد الفشل الذريع لسياسة «المصالحة الوطنية» التي هندس لها السوفييت، بعناية كبيرة دون أية جدوى...

إن القول بنخبوية الحركة الجهادية هو زعم يصادم الحقائق الواقعية، فهو جهاد عام لدفع عدوان وحشي لايوجد له نظير على الساحة الدولية، وليس مجرد حركة تمرد مسندة من الخارج لفائدة جهة ما كما زعم المحتلون في بادىء الأمر، ليعترفوا — في نهاية المطاف — وبصريح العبارة — أن الأمر يتعلق بـ «**المعارضة المسلحة**» وتارة بـ «**المجاهدين**» وثالثة بـ «**المجموعات السياسية**» ورابعة بـ «**المتطرفين**» واختفت نهائيا العبارات التقليدية مثل : عملاء الامبريالية... الخ من قاموس الدعاية السوفييتية.

الاستقلالية

لقد أثير لغط كثير حول طبيعة الحركة الجهادية في أفغانستان، وعلاقاتها الخارجية، ودرجة ارتباطها بالقوى الاقليمية والدولية...

وبالنسبة لوسائل الدعاية الموالية للسوفييت في البلدان العربية، يمكن للدارس — على الأقل بالنسبة للمغرب — أن يلاحظ أن ثمة اختلافا واضحا بين الموقف من حركة الجهاد في أفغانستان طوال سنوات الحرب وحتى بدايات 1988، وبين التحليلات والمواقف المطروحة من طرف تلك الوسائل في النصف الثاني من نفس السنة.

وإذا كان الأسلوب المتبع — بشكل عام — من طرف وسائل الدعاية الموالية للسوفييت يرتكز على أساس سياسة الصمت والتجاهل التام للأحداث المروعة التي شهدتها أفغانستان منذ بداية الاحتلال، إلا أن

الموقف من حركة الجهاد، في الحالات القليلة، بل النادرة التي تعرضت فيها تلك الأجهزة الدعائية للقضية الأفغانية، بقي مطبوعا بقوة، بذلك الطابع العدائي والتشويهي التقليدي الذي كانت تقفه دائما من عموم الحركات الاسلامية.

ويمكن تفسير سياسة الصمت المحببة الى وسائل الدعاية اليسارية العربية ــ رسمية وحزبية ــ فيما يتعلق بالموقف من حركة الجهاد في أفغانستان، بالارتباك والحرج الشديدين اللذين أحست بهما الدوائر اليسارية العربية تجاه **جوهر المشكلة المتمثل في قيام «اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية» باحتلال بلد صغير بالقوة العسكرية ــ وبكل ما تعنيه كلمة الاحتلال العسكري من أبادة وتدمير وتهجير ــ وشجب الرأي العام الدولي، ممثلا في الجمعية العامة للأمم المتحدة، لهذا الاحتلال مطالبا بانسحاب قوات الاحتلال الأجنبية من أفغانستان فورا وبدون أي قيد أو شرط، مع إقرار حق الشعب الأفغاني في اختيار النظام الاجتماعي الذي يرتضيه لنفسه، وبأغلبية ساحقة في كل دورة تعقدها الجمعية العامة،** حيث وصل هذا الموقف الى درجة الاجماع في دورة نوفمبر 1988.

ومع هذا الحرج والارتباك، فإن الحالات القليلة، بل النادرة التي تعرضت فيها أجهزة الدعاية، اليسارية العربية، للقضية الافغانية، لم تخرج إذا عن تلك «الكليشهات» المستنسخة عن وسائل الدعاية السوفييتية، **والتي لاتحمل أدنى قدر من الجدية والموضوعية** في تناولها لهذه القضية الخطيرة والمعقدة. والحقيقة أن أسلوب دفن الرؤوس في الرمال الذي انتهجته الصحف والمجلات اليسارية العربية تجاه قضية أفغانستان وحركة الجهاد فيها، عاد عليها بالضرر الكبير، حيث اضطر البعض منها للقيام بمراجعة مؤلمة لمواقفه السابقة، واستدار 90 درجة ليتراجع عن مواقفه السابقة، وليعترف ــ بطريقة غير مباشرة ــ ولكن بوضوح كبير ــ **بأصالة** حركة الجهاد في أفغانستان واستقلاليته...

لنتفحص إذا، عبر النماذج الدعائية التالية، هذه الاعترافات **التي جاءت متأخرة عشر سنوات** وكيف تطورت المواقف بشكل درامي.

فقد سبق أن نشرت جريدة «أنوال» اليسارية المغربية مقالا مطولا في اربع حلقات تحت عنوان «افغانستان : الصراع سياسي امر ديني» (الاعداد 275 و277 و288 و279 بتاريخ 25ــ9ــ86 و2ــ9ــ16 ــ 10ــ86) بعد صمت امتد سنوات، زعمت فيه **من جملة ما زعمت أن اسرائيل تدرب المجاهدين الأفغان (!) إضافة الى «خبراء» من الولايات المتحدة وباكستان ومصر والصين... وفيما يتعلق بحركة الجهاد، صورت، في هذا المقال، على أنها حركة رجعية وعملية... الخ.**

وبتاريخ 22 يناير 1987، نشرت نفس الصحيفة مقالا نادرا آخر بعنوان : من يخاف السلام في أفغانستان ؟ كررت فيه نفس الاتهام مع حذف وزيادة بعض «الأطراف»، فأشارت الى الولايات المتحدة واسرائيل وإيران و«أطراف» أخرى... ومما جاء في المقال : «إن «هجوم السلام» الذي تخوضه قوى التحرر والتقدم في هذه المنطقة، والذي تشكل المبادرة **الأفغانية ــ السوفييتية** (كذا)... نتيجته المباشرة، **أنه كشف هوية هذه القوى التي طالما أدعت زورا وبهتانا أنها تذود عن حياض الاسلام وتجاهد في سبيل الله، وفضحت ارتباطها المشبوه بالدوائر الامبريالية والرجعية».**

«وأسفر الصبح»

إلا أن هذه الصحيفة نفسها، عادت لتنشر في 17 مارس 1988 مقالا بدون عنوان، واقتصر على كتابة «ملف أفغاستان» تناول فيه صاحبه (محمد المتصدق) القضية الافغانية بقدر غير قليل من الموضوعية. وعندما يقارن المرء بين هذا المقال الأخير (رغم أن مقدمة المقال وعد فيها بنشر مقالات لاحقة لم تظهر الى هذا الوقت) وبين المقالات الأخرى السابق ذكرها ــ على ندرتها





الشديدة ــ سيجد فرقا هائلا بينها، بحيث تتبدى المقالات الأولى مجرد دعاية سمجة لاحظ فيها للطرح العلمي الموضوعي، المهم هو أن المقال جاء خاليا **من تلك النعوت الظالمة المكررة**، بل انتقد بسخرية **النظام الماركسي** في كابل (بينما نفى المقال الأول المشار إليه أن يكون للحزب «الحاكم» في كابل أي طابع شيوعي !! كما أن نجيب نفسه نفى بشكل قاطع أن يكون الحزب شيوعيا أو أنه وجد في وقت ما حزب شيوعي في أفغانستان (11)!!) واتهمه **بانعدام الرؤية الواقعية للمجتمع الأفغاني**، كما انتقد بشدة **انقلاب 1978 (ولم يسمه ثورة كالعادة) لطبيعته الدموية فاضحا موجات التصفية المتبادلة بين جناحي الحزب** (خلق وبرشام) كما أقر المقال بوجود **ملايين اللاجئين** (ولكن دون أن يتحدث عن أسباب هذه الهجرة القسرية الهائلة) **كما أقر، وهذا هو المهم، بالطبيعة الاسلامية الخالصة لحركة الجهاد ولم يتحدث مطلقا عن أي اتهام بالعمالة لأمريكا** أو ما شاكل هذا من التعبيرات التي أصبحت ممجوجة ولا يصدقها أحد حتى أصحابها في قرارة أنفسهم.

ولعل «القشة التي قصمت ظهر البعير» كما يقولون، **هو المقال الفريد** الغريب من نوعه، الذي كتبه أحد كبار رموز اليسار وهو نذير يعته [12] ونشرته مجلة «لامليف» Lamalif (مارس 1988 ــ بالفرنسية). إن القارىء ليصاب بالذهول حقا لذلك السيل من **الاعترافات ومن بينها إقرار صريح لالبس فيه ولا غموض بأصالة حركة الجهاد في أفغانستان واستقلاليتها وعدم وجود أية تبعية كانت تجاه الأمريكان** كما كانت تردد وسائل الدعاية اليسارية من قبل، و«الحق ما شهدته به الاعداء» : فبعد أن تحدث الكاتب ــ هو أيضا ــ عن **«حسابات برجنيف الخاطئة»** تطرق الى **«الانحراف المغامر للماركسيين الأفغان»** بأسلوب يقطر سخرية، وفي معرض حديثه عن حركة الجهاد ــ مع غض النظر عن التشويش والتضارب فيما يتعلق بمعلومات الكاتب حول الحركات الجهادية الأفغانية ــ **وفيما يتعلق بعلاقة حركة الجهاد بالغرب** ــ قال الكاتب بعد أن تحدث عن حكاية صواريخ ستينغر التي حصل المجاهدون على إعداد محدودة جدا منها (سيأتي ذكر



مجاهد في منطقة قندهار وهو يحمل صاروخا من نوع سام 7

حقيقة «المساعدات الامريكية» لاحقا في هذا الفصل) : ولكن هذا **لايضمن أي انحياز للمجاهدين الى المواقع الأمريكية**... (لاحظ استعمال مصطلح المجاهدين) **ليست هناك أية علاقة مشابهة مع حالة السوموزيين في نيكاراغوا أو المنظمات التي تحركها بريطوريا وواشنطن، في أنغولا أو الموزمبيق».** وبعد أن يؤكد فشل السوفييت (echec) في حربهم ضد الشعب الأفغاني «**التي لايمكن تقدير أبعادها الان**» يقول مرة ثانية : «**هذا المشكل الثقيل (lourd probléme) بالنسبة للاتحاد السوفييتي يمكن أن يتحول بسهولة كبيرة الى بؤرة للمشاكل بالنسبة للأمريكيين**» ويضيف الكاتب بوضوح مذهل بعد أن يستعرض مسألة قيام «نظام اسلامي اورثوذوكسي» ــ على حد تعبيره ــ في أفغانستان، يؤكد مرة ثالثة أن «**أفغانستان، ستبقى، بالتأكيد، معادية للسوفييت، ولكنها لن تكون أبدا موالية لأمريكا. ماهي مصلحة واشنطن ــ حينذاك ــ في منطقة تعاني فيها (أي واشنطن) مسبقا من التعصب الايراني الذي سبب لها صداعا حادا**» لاشك أن القارئ سيصاب بالتعجب الشديد لهذه الصراحة المتناهية، والسر ــ في تقديرنا ــ لايعود الى «صحوة» في الضمير، ولا إلى «اكتشاف» للحقيقة، لأن كل هذه الحقائق وغيرها مما جاء في هذا المقال ــ الوثيقة، أو في غيره مما أشرنا إليه أعلاه، كان معروفاً عندهم وعند كل من يتتبع مجريات القضية الافغانية، ولكن يعود الى وعي السوفييت ــ وهذا ما انعكس على وسائل إعلامهم (13) ــ بأن قاعدة «اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس» لم تعد تجدي نفعا، بل كادوا ــ ومعهم أتباعهم ــ أن يصدقوا هم أنفسهم كذبهم، **وأن الأجدى، هو مواجهة الحقائق كما هي على الأرض والتحضير لمواجهتها بضراوة أشد ومكر أعظم،**



وبخاصة حتى لاتصاب «الانتلجنسيا» اليسارية ــ في البلدان العربية ــ بمفاجآت غير متوقعة ذات آثار سلبية تزيد الطين بلة بالنسبة لسمعة الاتحاد السوفييتي المتدهورة.....

وإمعانا في التأكيد على أصالة الجهاد واستقلاليته نسوق المزيد من البراهين التالية بشكل مقتضب :

كتب الأستاذ الحبيب الفرقاني، عضو اللجنة الادارية لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ملخصا رؤيته لطبيعة الحركات الاسلامية ــ التي تعتبر حركة الجهاد في أفغانستان أبرزها وكذا طبيعة رؤية هذه الحركات للغرب كحضارة وواقع سياسي واقتصادي وثقافي، ما يلي :

«**إن هذا التيار (أي التيار الاسلامي) هو المجموعة السياسية الوحيدة التي تواجه حاليا، بعنف وعداء وشدة، الغرب الامبريالي وتحدياته الاقتصادية والسياسية والثقافية دون مداورة، ترفضها بقوة وعداء، وتراها مصدر بلاء وإفلاس على الاسلام والمسلمين، وتثور على ما تحمله وتمثله من البنيات الثقافية والقيمية... (وهي) تحمل في أحشائها بذور التغيير الثوري والتحرر من سيطرة هذا الغرب والحكام الموالين له ومن مجموع الوضعية المتفسخة السائدة...**» (14).

وبالنسبة للدكتور سعد الدين ابراهيم، عضو قيادة حزب التجمع الوحدوي (مصر ــ يساري) وكبير منظري الحزب، يوافق على أن «**القوى الجديدة، تجاهد ضد الاستبداد الداخلي والهيمنة الأجنبية، وهي القوى التي تجسم ما يطلق عليه، الصحوة الاسلامية..**» (15).

وبالنسبة للخبير الفرنسي أوليفي روا فقد أفرد الفصل الأخير من كتابه (أفغانستان : الاسلام والحداثة السياسية) للعلاقات بين حركة الجهاد والعالم الخارجي، على المستويات الاقليمية والدولية، لم يشر إطلاقا الى أية معلومات كانت ــ إذ تتميز دراساته بدرجة عالية من التوثيق والدقة ــ عن وجود أية «علاقات مشبوهة» مع الغرب، بل على العكس، **يسجل لامبالاة الغرب، عمليا، تجاه المأساة الافغانية**، ويؤكد بدوره على أن «**المقاومة الأفغانية» تدخل، كما أوضحنا، في حركة الإحياء mouvement de revivalisme السياسي التي تعصف بالعالم الاسلامي، والتي هي أبعد ما تكون عن كونها مجرد امتداد للتعصب**» (16).

وأخيرا، فإن المعلق التلفزيوني البريطاني المعروف ساندي غول الذي قام بزيارة استطلاعية للمناطق الشمالية والشمالية الشرقية من أفغانستان ــ رفقة معاقل البطل أحمد شاه مسعود ــ امتدت ثلاثة أشهر، قال أنه **لم يلاحظ ــ طوال رحلته ــ وجود أي مرتزقة أو عناصر أجنبية في صفوف المجاهدين الأفغان** (17).

وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد سبق ل «**الاممية الثالثة**» 3ème internationale، التنظيم الشيوعي الدولي الذي كان يوجد مقره بموسكو، أن وصف **المجاهد الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي** رحمه الله تارة بأنه **عميل فرنسي** وأخرى بأنه **عميل بريطاني** (!!)، وهذا الموقف الكريه أورده الباحث الماركسي عبد الله ساعف في بحثه المعنون بـ «كتابات ماركسية حول المغرب» (1987) Ecrits marxistes sur le Maroc واللافت للانتباه أنه أورد هذه الترهات في هوامش الفصل المتعلق بموقف الاممية الثالثة من حرب الريف وليس في صلب الفصل كما هو مفروض.

«ائتلاف الاختلاف»

لقد راهن أعداء الجهاد الافغاني، بمن فيهم السوفييت وأولياؤهم بطبيعة الحال، كثيرا، دون أية جدوى، على «الخلافات» و «الاختلافات» بين أحزاب المجاهدين، آملين أن تؤدي مؤامراتهم، مع تعدد المنظمات الجهادية ــ الى الصدام فيما بينها، ومن تمت تآكلها وانتهاؤها...

وهكذا كتب المحرر الصحفي الفرنسي بيير ميتج **Pierre Metge** بشهرية لوموند ديبلوماتيك بثقة زائدة ــ بعد أن أعطى أسوأ صورة ممكنة عن «الصراعات» بين أحزاب المجاهدين ــ مانصه : «**وهكذا، تنتظر أحزاب المقاومة بلهفة تسوية دولية** لتكون **طرفا مستفيدا منها، ويتعين أن تكون هذه التسوية عاجلة قبل أن يأفل نجمها ويصبح باهتا جدا**» (18) وبطبيعة الحال، لم يتصور هذا المحرر أن ما حصل فعلا، سيكون مناقضا تماما لتوقعاته المشؤومة هذه...

والحقيقة أن العلاقات بين أحزاب المجاهدين، لم تكن على ما يرام في المراحل الأولى من الجهاد، ولقد عانى هذا الجهاد من مشكلات صعبة فعلا، ولكن، لنر طبيعة وأسباب هذه المشكلات **هل كانت نتيجة تناقضات إيديولوجية كما هو الحال بالنسبة لبعض حركات التحرير الوطني؟ أم بسبب ولاءات خارجية انعكست بظلها على المنظمات الجهادية؟ أم أن الخلاف يعود الى اختلافات في تصور الاساليب والوسائل؟**

فبالرجوع الى مذكرات **الدكتور سيد محمد موسى توانا،** (19) **وهو من الاعضاء المؤسسين للحركة الاسلامية الافغانية، ومن كبار مسؤولي «جمعية اسلامي افغانستان» كبرى المنظمات الجهادية، يتضح أن المشكلات التي عرفتها الحركة الجهادية في مراحلها الأولى (منذ ما قبل الاحتلال السوفيتي). إنما تعود بالدرجة الأولى الى الجوانب التنظيمية** التي كانت تختلف فيها الاراء كثيرا، ويتضح أيضا من خلال هذه المذكرات، أن سوء تقدير بعض القيادات لبعض القضايا، كان سببا اخر أيضا في احتدام الخلافات في تلك المراحل الأولى، وإذا كانت الروح الجهادية متأصلة ــ كما هو معروف ــ في الشعب الافغاني، فإن مسألة **تأصيل وترسيخ تقاليد تنظيمية وإدارية خاصة بالعمل الجهادي،** في مستوى مواجهة نظام عات مسند من قوة عظمى توجد على مرمى حجر، كان من اللازم والطبيعي لها ان تأخذ الوقت والتجربة الكافيين، حتى تتأصل تلك التقاليد التي لايمكن بدونها أن تقف الامور على أرجلها وتسير سيرا طبيعيا (ترسيخ مبدأ الشورى ــ إسناد الأمور الى أهل الاختصاص ــ تكوين الاجهزة المختلفة للسير ــ انتشار الوعي السياسي في صفوف المجاهدين...)

ولا يمكن لأي أحد أن ينكر أن الخلافات قد وصلت في بعض الاحيان الى درجة كان يضع فيها المخلصون للجهاد الافغاني أيديهم على قلوبهم خوفا عليه، **ولكن عناية الله جل جلاله، ورعايته لهذا الجهاد المبارك، ثم** ضغط الواقع الرهيب، متمثلا في عتو الاحتلال، وتوالي الماسي الهائلة على عموم الشعب، وأخيرا، ضغط كبريات الحركات الاسلامية العالمية (الجماعة الاسلامية في باكستان وحركة الاخوان المسلمين وغيرهما..)، كل هذا أدى الى ازدياد اللحمة بين أحزاب المجاهدين الى أن تم تكوين **الاتحاد الاسلامي لمجاهدي افغانستان،** الذي يعتبر صيغة فريدة من صيغ العمل الجماعي الاسلامي المعاصر.

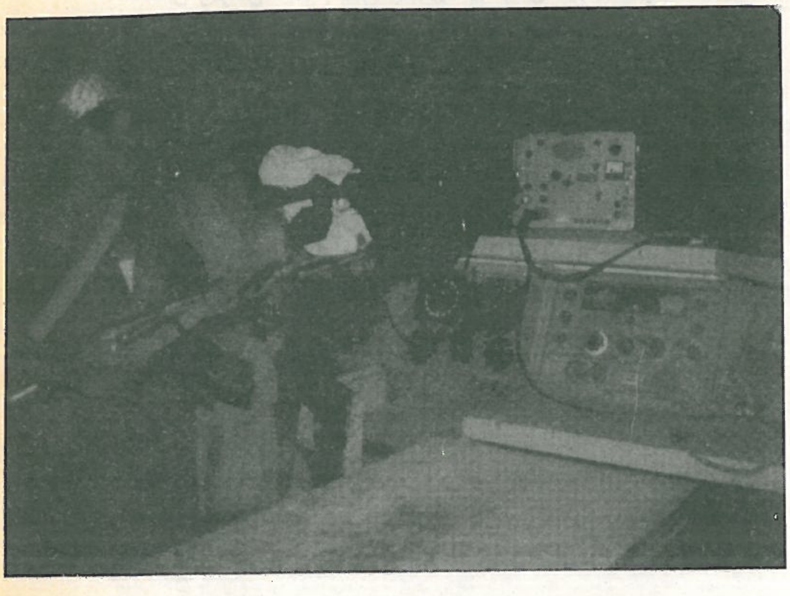
وفيما يتعلق بدور الحركات الاسلامية الكبرى في نشأة الاتحاد، لا بد من الاشارة الى دور **الشهيد كمال السنانيري** الذي قضى في سجون عبد الناصر قرابة العشرين عاما من 1954 الى 1973 حيث لعب دورا مهما في التقريب بين وجهات نظر القيادات الجهادية، وقد استشهد تحت التعذيب عند عودته الى مصر دون أن يبوح بأي شيء، وكانت التهمة الموجهة اليه هو **العمل على توحيد صفوف المجاهدين الافغان** على حد تعبير أحد مصادر المجاهدين (20)

والواقع أن عوامل الائتلاف عديدة، وتتعدى كثيرا عوامل الاختلاف، ولاشك أن أهم عوامل الوحدة تكمن في العناصر التالية :

1 ــ وحدة التصور العقدي وهذا أقواها اطلاقا،

2 ــ وحدة الموقف من العدو

3 ــ وحدة اسلوب التعامل مع العدو المحتل المتمثل في اعتماد



في ماي 1983 قام 80 مجاهدا بالسيطرة على مطار مزار شريف وغنموا في هذه العمليات دبابة سليمة ومدرعات وأسلحة خفيفة



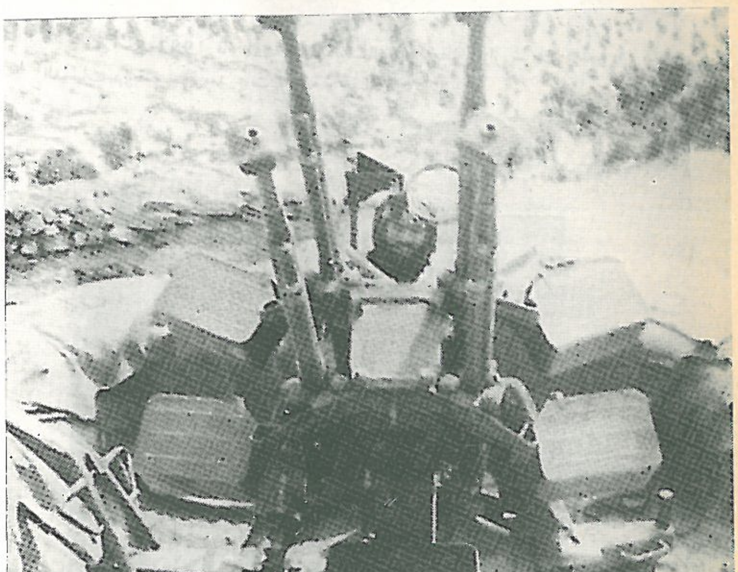
رشاشات من نوع RPK - M30 سوفيتية الصنع عند مجاهدين في منطقة هرات عام 1982
(المصدر روا Guerres et conflits)

الجهاد المسلح كأسلوب وحيد لطرد المحتل وتطهير البلاد من رجسه.

4 — وحدة الاهداف المتمثلة في إقامة الدولة الاسلامية بواسطة المجاهدين والرفض القاطع لكل أشكال التدخل في شوون السيادة.

ومن باب المقارنة مع وضعية عدد من المنظمات الفلسطينية — للأسف الشديد — نجد أن البون شاسع جدا وأن لامجال للمقارنة: فمن جهة، يتجاوز عدد المنظمات الفلسطينية عدد احزاب المجاهدين بكثير، كما أن الخلافات الأيديولوجية تمثل خاصية رئيسية فيها، بل حتى الموقف من العدو الصهيوني متفاوت أيضا، وهناك أيضا اختلافات واضحة فيما يتعلق بأسلوب التعامل مع الكيان الغاصب ومكوناته السياسيّة والبشرية... كما أن مواقف بعض المنظمات من بعضها الاخر يصل في بعض الاحيان الى درجة مؤلمة للغاية... فأين هذا من وضعية المنظمات الجهادية الافغانية؟ وعلى الرغم من التأثيرات السلبية لعدد من الانظمة العربية والاطراف الدولية على عدد من المنظمات الفلسطينية، **فلا أحد يتهم منظمة التحرير بالعمالة أو ما شابه ذلك من نعوت،** بل استطاعت — الى حد ما — أن تحتفظ بنوع من الاستقلالية في القرار...

وإجمالا، فإن درجة التنسيق بين أحزاب المجاهدين ما فتئت تتطور — ببطء شديد في السنوات الأولى — لتأخذ وتيرة متسارعة خلال سنتين 87 و 1988 خاصة على المستويين السياسي والعسكري:



مدفع مضاد للطائرات رباعي الفوهات سوفييتي الصنع نوع Degtariev عيار 12،7 مم نموذج 1936 / 1946 (المصدر الجهاد — مارس 1986)



قاذف صاروخي من نوع 12 BM سوفيتي الصنع

على المستوى السياسي:

لقد كان توحيد المواقف — الى درجة الاجماع — فيما يتعلق «بالمبادرات» السياسية التي طرحها السوفييت بهدف تحريك الاوضاع في افغانستان سياسيا لصالحهم، بعد فشلهم العسكري المدوي، مثالا رائعا على تقوية الوحدة بين صفوف المجاهدين، ورغم الضغوط الهائلة التي تعرض لها المجاهدون، بعد طرح السوفييت لفكرة «المصالحة الوطنية» (التي انتهت رسميا بحل النظام الصوري للجان «المصالحة» نهائيا (21) أو بمحاولة تمرير مؤامرة جنيف الدولية، فإن موقف المجاهدين الافغان الصلب الموحد في تلك الظروف الخطيرة كاف للتدليل على تطور مستوى التنسيق السياسي لديهم.

ولا شك أن تجربة **الحكومة الانتقالية** التي رد بها المجاهدون على مؤامرة جنيف، وفي الوقت المناسب، كذلك، خير رد على أولئك الذين كانو يأملون في شق صفوفهم وبعثرتها، بل تبعثرت آمالهم هم...

على المستوى العسكري

بحلول عام 1987، بدأ المجاهدون يرفعون من مستويات التنسيق العسكري فيما بينهم بشكل أفضل: وهناك عدة أمثلة يمكن سوقها، نقتصر على بعض منها لضيق المقام:

أ — عملية كلفغان: لقد أذهلت هذه العملية المراقبين (التي صور المجاهدون جميع مراحلها بالفيديو من التحضير الى التنفيذ، وعرضتها عدد من التلفزات الاوروبية، بينما اقتصرت تلفزتنا المغربية على إشارة منها لا تتعدى بضع ثوان ودون أن يعرف النظارة أي شيء عنها طبعا لانعدام مجرد الاخبار بهذه العملية الرائعة) والمهم في هذه العملية أنه **شاركت فيها فصائل عدة ومن محافظات مختلفة** (بنجشير — خوست التابعة لولاية بغلان — بدخشان — مزار شريف — بغمان — كلفغان) وسيأتي ذكر بعض تفاصيلها لاحقا.

ب — معارك خوست: من المعروف أن العالم المجاهد جلال الدين حقاني هو الذي يقود الجهاد في ولاية باكتيا الحدودية والتي تقع فيها مدينة خوست الشهيرة التي يحاصرها المجاهدون منذ بداية الاحتلال الى الان، وهذا العالم لا ينتمي الى اي من أحزاب المجاهدين.

وقبل اندلاع المعارك الضارية في 15—12—1987 بعث المهندس أحمد شاه مسعود برسالة الى الشيخ جلال الدين يحذره فيها من أن يؤخذ على حين غرة، وأعلمه في هذه الرسالة أن الروس سحبوا قطعات مقاتلة من كندز وتخار وبغلان وبنجشير ووجهوها نحو خوست، كما أن جميع فصائل المجاهدين شاركت في تلك المعارك الضخمة التي غطتها أنذاك وسائل الاعلام العالمية.

وقامت قوات أحمد شاه مسعود — من جهتها — بعمليات عدة في وادي بنجشير — أثناء معارك خوست — لتخفيف الضغط على قوات المجاهدين التي كانت تخوض قتالا شرسا مع القوات المشتركة الروسية الحكومية. ومن المعلوم ان ذلك الهجوم الذي حاول من خلاله الروس ان يفكوا الحصار عن المدينة — التي لم تكن تتصل بالعالم الخارجي الا عن طريق مطار يعقوبي — بقوات قدرتها مصادر جريدة لوموند آنذاك بحوالي عشرين الف مقاتل — قد فشل فشلا ذريعا، وسرعان ما عاد المجاهدون — بسبب التعاون الذي حصل بينهم — الى إحكام الحصار على المدينة مرة أخرى الى حد الساعة بعد أن تكبد الروس والحكوميون خسائر كبيرة في الرجال والعتاد والطائرات... (22)

ج — مؤتمر الوحدة: بتاريخ 11 يوليو 1987، شهدت خنادق مدينة ساغر بولاية غور، (جنوب غرب افغانستان) **أكبر تجمع عسكري عقده القادة العسكريون الميدانيون منذ بدء الجهاد المسلح، حيث حضر هذا الاجتماع حوالي 1200 (ألف ومائتي) قائد من مختلف المحافظات والجبهات والاحزاب** (23).

ولقد عقد هذا الاجتماع التاريخي بدعوة من **القائد محمد اسماعيل**، قائد الحوزة الجنوبية الغربية (من جمعية اسلامي التابعة للبروفسور برهان الدين رباني) وقائد المجاهدين في هراة. واستمرت المباحثات أحد عشر يوما نوقشت فيها مختلف الموضوعات العسكرية والسياسية والادارية والاجتماعية التي تهم الجهاد، وجدد فيها القادة وممثلو الجهاد تصميمهم على مواصلة الجهاد المسلح حتى إخراج اخر جندي روسي من أرض افغانستان وإقامة النظام الاسلامي...

ولقد صدر البيان الختامي لهذا الاجتماع متضمنا مجموعة من القرارات البالغة الاهمية.

د ــ **رحلة الوحدة** : أوردت مجلة «المجاهدون» تفاصيل الرحلة التي قام بها القائدان **برهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف** الى مشارف كابل بهدف التخطيط والتنسيق... وهذه أول رحلة يقوم بها القائدان معا الى داخل افغانستان، وعلق رباني على هذه الرحلة قائلا «**لقد حققت هذه الرحلة بفضل الله كثيرا من النتائج، وما أستطيع قوله الان، هو انها أذابت كثيرا من الفوارق النفسية التي يمكن ان تكون قد تواجدت في نفوس المجاهدين في الفترة الماضية، كما أنها رفعت كثيرا من معنوياتهم، وجعلتنا نقف على كثير من الامور التي لا يمكن الوقوف عليها الا بزيارات مشتركة ودائمة لهذه المواقع من أجل توحيد صفوف المجاهدين... وخاصة في المرحلة التي يمر بها جهادنا الان**». أما سياف فقد علق للمراسل على رحلة الوحدة هذه قائلا : «**لقد رأيت بنفسك مدى الفرحة والسعادة التي كانت بادية على نفوس المجاهدين حينما رأوني والاستاذ رباني سويا في زيارتهم، وهذا لاشك، له أثره في قيام المجاهدين بالتنسيق فيما بينهم في عملياتهم الجهادية وسعيهم لتوحيد صفوفهم حينما يروننا معا، كما أننا أوصيناهم بذلك، ونسأل الله أن ييسر هذا الامر مع باقي الاخوة في المنظمات الأخرى حتى نكون على قلب رجل واحد...**» (24) **ومن المفيد الاشارة الى أن هذه الوحدة قد انعكست على المجلتين الناطقتين باسمهما (المجاهدون والبنيان المرصوص) وهذا ما لم يكن يلاحظ من قبل ولله الحمد أولا وأخيرا.**

هـ ــ **«كلية الامام علي» الحربية** : أنسست أصلا برعاية برهان الدين رباني منذ سنة 1980 (25)، ويطلق عليها البعض «جامعة الدعوة والجهاد»، ويقول **الرائد كفاية الله** رئيس الاركان بالجامعة «إن الضباط الذين يتخرجون لايقتصر دورهم على قيادة مجاهدي الجمعية الاسلامية فقط، **بل إن كثيرا منهم يتولون قيادة المجاهدين من منظمات اخرى، فالتحزب ليس له مكان في نفوس هؤلاء الخريجين ونحن ننشأهم على ذلك**».

و ــ ونشير أخيرا، الى انه **من مظاهر التفاهم والائتلاف**، وقطعا للطريق على أية خلافات قد تعصف بالصف، تبنت قيادات المجاهدين ــ فيما يتعلق بتشكيل الحكومة الانتقالية ــ **مبدأ التمثيل المتساوي**، أي عضوان لكل حزب، وليس مبدأ التمثيل النسبي.







مجموعة من مجاهدي بنجشير وهم يحملون صواريخ أرض أرض روسية من الغنائم (المصدر : مجلة الجهاد يناير 1986).

حركة الجهاد : نشأتها وتطورها

من المذهل حقا، بالنسبة للباحث أو الدارس لمسألة الجهاد الافغاني، ألا يجد أية دراسة شمولية في المكتبة الاسلامية أو حتى جزئية ــ في حدود ما نعلم ــ لهذه الظاهرة الفريدة في التاريخ. وإذا استثنينا دراسة الدكتور محمد على البار المشار اليه انفا، والتي ركز فيها اساسا على التاريخ الاسلامي لافغانستان، مقتصرا ــ فيما يتعلق بحركة الجهاد ــ على ذكر معلومات جد مقتضبة عن نشأة الحركة الاسلامية في افغانستان وتعريفا موجزا عن كل تنظيم وعن قائده... فإننا لا نجد في المكتبة الاسلامية سوى منشورات صحفية يغلب عليها الطابع العاطفي بشكل عام. هذا في حين يجد الباحث دراسات وابحاث كثيرة، تتميز بالشمول والعمق، قام بها باحثون أو دارسون غربيون عن ظاهرة الجهاد الافغاني.

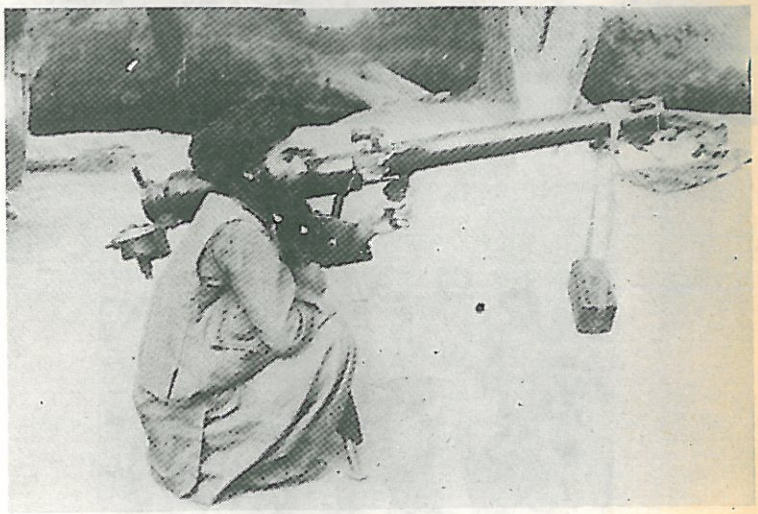
نشأة الحركة الاسلامية في افغانستان

أ ــ الأصول التاريخية :

قبل الاشارة الى نشأة الحركة الاسلامية في الظروف التي لابستها وطبيعتها... الخ، لا بد من التأكيد على البعد التاريخي لهذه الحركة.



الشهيد قاضي عبد الرحيم يركب مدرعة سليمة غنمها من العدو (هرات)



مدفع عديم الارتداد من نوع بي 10

فمن المعروف أن أفغانستان ساهمت بدور مباشر في صياغة التاريخ السياسي لقرون عدة، داخل شبه القارة الهندية (بما في ذلك باكستان طبعا قبل استقلالها) من خلال عدد من الاسر الحاكمة التي ساست الهند ــ في ظل الحضارة الاسلامية ــ كما أن عددا من العلماء الكبار الذين عاشوا في الهند مارسوا تأثيرات ثقافية وسياسية عميقة على افغانستان في فترات مختلفة من التاريخ، وخاصة منذ القرن السادس عشر. وهكذا يسجل دور العالم الكبير أحمد السرهندي الفاروقي (ولد في سرهند سنة 1564 وقد اعتمدنا على مرجع أجنبي لم يثبت إلا التاريخ الميلادي) وكان صوفيا نَقْشبنديا، وأطلق عليه لقب «مجدد الالف الثاني» نظرا لتأثيره الكبير بصفته عالما ضليعا ركز دعوته التجديدية على ضرورة العودة الى الاسلام الصحيح بعيدا عن التأثيرات الهندوسية، مواجها بذلك الامبراطور أكبر الذي حاول إحداث بدع في الدين بما في ذلك العقيدة الاسلامية. وعلى الرغم من تصوف هذا العالم الكبير، إلا أنه انتقد بشدة تخرصات ابن عربي، كما انتقد أيضا الشكلية النصية لدى بعض علماء زمانه. وهذا الاتجاه التجديدي، سيصبح الطابع العام لكل حركات التجديد الاسلامي التي شهدتها شبه القارة الهندية منذ ذلك الوقت، والجدير بالاشارة، أن فرعا من أسرة هذا العالم المجدد انتقلت الى افغانستان لتعيش في كابل في القرن الماضي، وهي الاسرة المعروفة حاليا بأسرة المجددي التي ينتمي اليها العالم المجاهد صبغة الله المجددي، (26) وهي الاسرة التي مارست دورا بارزا في التاريخ السياسي والثقافي الحديث لأفغانستان كما تشير الى ذلك المصادر الاكاديمية السوفيتية كما سلف القول في الفصل الاول.

أما العالم شاه ولي الله (1703ـــ1762) الذي أعلن أنه يسير على خطى العالم أحمد السرهندي، فقد ألح بشكل خاص، على ضرور **إعادة فتح باب الاجتهاد** «كما بدأ يطرح قضايا الاسلام بمصطلحات **سياسية واجتماعية**. لم يكن يعترف بشرعية حكم الاباطرة المغول وطالب بالعودة الى نظرية **الخليفة** حيث لقي صدى واسعا في شبه القارة الهندية. كما اعتبر نفسه محاميا من أجل عدالة اجتماعية أكبر... وأطلق صيحة **الجهاد** ودعا ملك **أفغانستان** أحمد شاه الدراني للقتال في الهند فكان الانتصار الكبير في موقعة بانيبات في 1761 ومنذ ذلك الوقت، **أصبح الجهاد لازمة أصيلة في التجديد الاسلامي في تلك المنطقة**» (27).

وقد أصدر ابنه عبد العزيز من بعده، **فتوى** تعلن أن الهند أصبحت **دار حرب** وأن طاعة المستعمرين الانجليز **حرام** (1803) ومن هنا أيضا، أصبحت مسألة مقاتلة الكفار قضية مركزية لدى كل حركات التجديد والجهاد فيما بعد في الهند وافغانستان وكذلك مسألة إعادة **أسلمة** المجتمع كطريقة وحيدة لتجاوز التخلف الحضاري للمسلمين (28).

أما بالنسبة لـ «حركة المجاهدين» التاريخية (1826 ــ 1831) التي قادها العالم المجاهد الشهيد سيد احمد بارلفي (1786 ــ 1831) الذي تتلمذ على يد عبد العزيز، فقد كان «**أول من تصور ضرورة ايجاد حركة دينية وعسكرية وسياسية في آن واحد...**» (29).

وفي سنة 1876 أسس عدد من كبار علماء الهند المسلمين، مدرسة ديوبند الشهيرة قرب دلهي التي سيتخرج منها فيما بعد **أغلب أكابر علماء افغانستان..**

وبعد استقلال باكستان، أصبحت **بشاور** المركز الرئيسي لتكوين علماء الدين الافغان. ونشير الى أن بخارى ــ قبل قيام النظام الشيوعي في روسيا ــ كانت هي أيضا مركز التكوين بالنسبة للمناطق الشمالية من أفغانستان ذات الامتداد الطبيعي والبشري لاسيا الوسطى.

إذا، فحركة الجهاد الافغاني ضد الاستعمار البريطاني في أواخر القرن الماضي وأوائل الحالي، ثم ضد الاستعمار السوفيتي، امتداد تاريخي أصيل لحركات الجهاد والتجديد في شبه القارة الهندية إضافة الى الرصيد الجهادي التاريخي الخاص بافغانستان نفسها.

ب ــ من النشأة الى بداية الاحتلال

بالرجوع الى مذكرات العالم المجاهد الدكتور سيد محمد موسى توانا حول «النهضة الاسلامية الافغانية» نجده يتحدث عن بذور أولى لقيام حركة اسلامية معاصرة على غرار ما حدث في اغلب بلدان العالم الاسلامي، بواسطة مجموعة من الطلبة ، وكان كاتب المذكرات أحد خمستهم.

ويوضح الدكتور سيد محمد، أن المشكلة التي كان يعاني منها هؤلاء الطلبة الغيورون على دينهم، فيما يتعلق بمواجهة الدعاية والاستقطاب اللذين كانت تقوم بهما آنذاك العناصر الماركسية النشيطة في الاوساط الطلابية خاصة إضافة الى الجيش الذي تدرب الالاف منه في الاتحاد السوفياتي كما رأينا في الفصل الأول) هو عجز العلماء والصوفية عن التصدي لهذا الخطر المتعاظم، بل لم يكونوا، بشكل عام، يحسون به أصلا، إذ «**لم يكن علماء الدين من جهتهم يفهمون معاني الديالكتيك والطاقة والمادة، وتطور الحياة على الأرض بشكل يؤدي الى عدم احتياج الوجود الى خالق... وكان فهمنا للواقع المر آنذاك، أن مشائخ البلد من العلماء والصوفية ممن درسوا الدين في المدارس غير الرسمية طبقا للمناهج القديمة، بعيدون كل البعد عن هؤلاء المتزعمين للشيوعية، وحتى مواقع أعمالهم، كانت لا تسمح لهم بالالتقاء بهؤلاء الا نادرا، بخلاف أمثالنا، فإننا كنا نلتقي معهم في ساحات الجامعة والاعمال الرسمية ليلا ونهارا...**» (30)

هكذا كان وضع الصراع الفكري في افغانستان سنة 1958. ووعيا من هؤلاء الطلبة المسلمين بضرورة التحرك لمواجهة هذا التحدي وضعوا لأنفسهم «خطة عمل» من ثلاثة بنود :

1 ــ جمع اعتراضات الخصوم ومناقشتها للرد عليها اسبوعيا، واستعانوا على ذلك بمؤلفات كتاب مسلمين معاصرين آنذاك كمؤلفات فريد وجدي

وجواهر التفسير للطنطاوي «ثم بدأنا نزيد علمنا بالدين كشرط أول للدفاع عنه».

2 ــ كتابة وترجمة مقالات دينية ونشرها في الصحف والمجلات لاظهار تفوق الاسلام على ما عداه.

3 ــ دراسة الشيوعية وفهمها رغم صعوبة الحصول على أدبياتها بسبب قلتها واحتياطات الخصوم، وأيضا لعدم توفر المال اللازم لذلك، وكان أول كتابين حول الشيوعية توفر عليهما الشباب آنذاك، أحدهما عن لودفيك فيورباخ (31) والثاني كتاب ستالين حول نهاية الفلسفة الكلاسيكية.

ويقول الدكتور سيد محمد «ولقد تعبنا أشد التعب في فهم هذين الكتابين، لأننا واجهنا نوعا جديدا من التعابير والمصطلحات، ولكي نفهم الشيوعية على حقيقتها بدأنا بدراسة تاريخ أوروبا الوسيط والحديث، وكنا نحاول الى جانب ذلك الحصول على كتب الاسلاميين المعاصرين النادرة الوجود في أفغانستان آنذاك، والعمل باحتياط لجذب العناصر الطيبة الى صفنا الصغير...».

هذه المحاولة الجنينية تزامنت مع عودة **الشهيد الدكتور محمد غلام نيازي** من مصر (دكتوراه في العلوم الاسلامية من الأزهر) سنة 1958، فعمل عميدا لكلية الشريعة، وشرع في تنظيم المجموعات الأولى للحركة الاسلامية الافغانية المعاصرة، على غرار نفس الاسلوب الذي كانت تسير عليه جماعة «الاخوان المسلمون» التي كان على صلة وثيقة بها (32) استشهد الدكتور محمد غلام نيازي فيما بعد (1975) تحت التعذيب في السجن (33) وكانت المجموعة الأولى تضم 16 فردا والمسؤول عنها كان هو العالم المجاهد عبد رب الرسول سياف (34) (تخرج من الازهر وعمل استاذا بكلية الشريعة الى جانب محمد غلام ينازي وسيد محمد توانا) ويشير هذا الاخير في مذكراته، الى أن النهضة الاسلامية في افغانستان، **لم تكن حكرا على هذه المجموعة**، بل ساهم فيها بفعالية أيضا كل **من العالم المجاهد صبغة الله المجددي** بواسطة «حركة خدام الفرقان» التي اسستها أسرته، إضافة الى «جمعية العلماء المحمدية» التي أسسها بنفسه، وهو الذي يقود حاليا «الجبهة الوطنية لانقاذ افغانستان» وكذلك الدور الكبير الذي قام به **الشهيد منهاج الدين** (اغتاله الشيوعيون سنة 1972) بواسطة صحيفة «جهيز» أي (السَّحَر) وهؤلاء كانو على أوثق الصلات بقيادات الحركة الاسلامية الافغانية دون أن ينضموا اليها رسميا (35). ويشير (رْوا) الى ان الحركة الاسلامية الافغانية، رغم تأثرها الواضح بحركة «الاخوان المسلمون»، الا أنها **لم تكن على صلة عضوية أو تنظيمية بهذه الاخيرة**، بل حتى بالجماعة الاسلامية التي قادها أبو الاعلى المدودي رحمة الله (36) لقد أصبحت أنذاك الجمعية الاسلامية (جمعيتي إسلامي) جسما دعويا واضح المعالم وأخذ دورها يتعاظم شيئا فشيئا...

وبالاضافة الى «الاساتذة» (نيازي، رباني، توانا..) ضمت الحركة الاسلامية قطاع الطلبة الذي كان نشطا جدا، والواقع أن السنوات الأولى من عمر الحركة كان منصبا أساسا على القطاع الطلابي مع التركيز على العمل الثقافي، إضافة الى وجود بعض العلماء في صفوفها...



وتمت ترجمة الكتاب الاول للشهيد سيد قطب رحمه الله حوالي سنة 1960 من طرف م. رشاد وأ. سطار وهو كتاب «العدالة الاجتماعية في الاسلام» ونشره مولوي يونس خالص الذي وصفه (رْوا) بأنه على علاقة شخصية ممتازة مع رباني ويتوافق معه في رؤاه السياسية.

أما رباني (الذي عاش في مصر من 1966 الى 1968) فقد ترجم كتاب «**معالم في الطريق**» وشرع في ترجمة «**في ظلال القرآن**» ولكن دون أن يتمكن من تتمته بسبب توالي الأحداث الخطرة في أفغانستان.

وبالنسبة للطلبة المسلمين ــ في مرحلة ما قبل انقلاب داود أي 65 ــ **1972 فقد تظاهروا ضد الصهيونية عشية حرب الستة أيام، وضد السياسة الامريكية في فييتنام، وكذلك محمد ظاهر شاه،وابن عمه داود، الذي أصبحت المواجهة معه دموية فيما بعد، وكانوا يرفضون الوطنية البشتونية وفضحوا الطابع المشبوه لمحاولات تكوين دولة باشتونستان، كما أدانوا تقسيم باكستان في حربها مع الهند سنة 1972.** كما كانوا يحتجون ضد النفوذ الاجنبي **في افغانستان، سواء كان سوفياتيا أو غربيا، وضد المضاربين خلال مجاعة 1972 مطالبين بتحديد الثروات... لقد امتد تأثير الطلبة الاسلاميين خلال هذه المرحلة، حيث تمكنوا من إحراز الاغلبية في الانتخابات الطلابية لسنة 1970 (37)**

وبسبب التضييق الشديد الذي كان يتعرض له الشهيد محمد غلام ينازي، أسندت رئاسة الجمعية الى رباني (1972) وكان مساعده هو سياف الذين تخرجا من كلية الشريعة وأصبحا مدرسين بها قبل استكمال دراستهما العليا بالازهر.

وابتداء من سنة 1970، بدأت الحركة الاسلامية تنظر بقلق متزايد الى تسرب العناصر الماركسية الى اجهزة الدولة. وفي سنة 1972، اتخذ القرار بالشروع في استقطاب عدد من ضباط الجيش، وكان الشهيد **المهندس حبيب الرحمان** هو المسؤول عن هذا القطاع واختار احمد شاه مسعود ــ بطل الولايات الشمالية حاليا ــ مساعدا له في هذه المهمة، الا أن الوقت كان متأخرا، إذ سرعان ما قام محمد داود في 17 يوليو 1973 بانقلاب على محمد ظاهر شاه بمساعدة عناصر برشام ــ أحد جناحي الحزب الشيوعي ــ وتولى أحد عناصرهم، وهو فايز محمد، وزارة الداخلية، فشرع فورا، في حملة اعتقالات واسعة النطاق في صفوف الاسلاميين (ولم تكن الأولى اذ سبق أن شن داود حملة ضدهم في نهاية الخمسينات في عهد ظاهر شاه). وتسارعت الاحداث في الاتجاه المضاد للحركة الاسلامية، ورغم محاولة رباني ونيازي اقناع داود بالتخلي عن الشيوعيين مقابل مساندة الحركة الاسلامية له، الا أن ذلك لم يؤد الى أية نتيجة، حيث التجأ رباني وعدد من القيادات الى باكستان.

واشتدت حركة القمع، حيث استشهد عدد من خيرة القيادات الاسلامية، نذكر من بينهم المهندس حبيب الرحمان، ومولوي حبيب الرحمان والدكتور عمر، ونصرت يار وغيرهم كثير، وذلك على إثر محاولات الحركة القيام بحركة تمرد شعبية بدون نتيجة، باستثناء احمد شاه مسعود الذي نجح في القيام ببعض العمليات في بنجشير، وكان هذا سنة 1975.

لقد كان ما حدث درسا بليغا، استخلص منه الباقون عبرا، لخصها رباني كما يلي:

ــ لا مجال لنجاح أي تمرد شعبي دون تنسيق مع العلماء

ــ لا مجال لنجاحه دون اتصال مباشر مع الفلاحين

ــ ضرورة التنسيق بين ثورة في الارياف وانتفاضات حضرية وفي قطاعات الجيش (38). هذه التجربة، حاول رباني مراعاتها خلال انتفاضة هراة التاريخية في مارس 1979 (انظر فصل الاوضاع العامة قبل الاحتلال). لقد كان واضحا، بالنسبة لقيادة الحركة الاسلامية في نهاية هذه المرحلة، المليئة بالنجاحات والاخفاقات، أن التحدّي الحقيقي لا يتمثل في وجود عناصر ماركسية في الدولة والمجتمع، بل «اللعبة» أبعد من ذلك



من أسرى معارك خوست 1986 (المصدر : البنيان المرصوص، فبراير 1987)

وأخطر، وهي تتجاوز حسابات حتى هذه الفئات الاخيرة نفسها، بل يكمن التحدي في مدى قدرة الحركة الاسلامية على انقاذ البلاد من خطر زاحف محقق، وبالتالي، تعين عليهم أن يواجهوا النظام نفسه، الذي سهل بسياسته وحساباته المصلحية الضيقة ــ وصول الشيوعيين الى مراكز التأثير والنفوذ، وهذه الرؤية تلاحظ بوضوح في الادبيات السياسية للمجاهدين، بعد الاحتلال، عندما يعتبرون محمد ظاهر شاه، مسؤولا مباشرة، والى حد كبير، عن الماسي التي حاقت بافغانستان.

وفي الوقت الذي انفصل فيه حكمتيار عن الجمعية الاسلامية وأسس حزبه الاسلامي، بعد هجرته وورباني، في بشاور، دخلت الحركة الاسلامية في مرحلة التاكل، رغم أن رباني كان يبحث عن وحدة أوسع وأشمل لكل المسلمين، كيفما كانت اختياراتهم السياسية، وهذا تعكسه سلسلة التنازلات والمسايرة التي انتهجها مع الحزب الاسلامي قبل أن ينفصل عنه مولوي يونس خالص، ليؤسس حزبا اخر بنفس الاسم ــ دون أية جدوى ــ الى أن وقعت كارثة الاحتلال، لتنبه الجميع الى ضرورة التعاون والوحدة بدل السقوط في خلافات عقيمة (39).

تطور حركة الجهاد بعد الاحتلال

عندما نقول «حركة الجهاد»، فإن هذا لا يعني الحديث عن ظاهرة بسيطة، بل هي ظاهرة معقدة ومتعددة المكونات والجوانب... ولذلك، فإن رصد تطور حركة الجهاد منذ بداية الاحتلال، هي مسألة في غاية الصعوبة، وهذه الصعوبة تعود الى عدة عوامل منها:

1 ــ ندرة المعلومات حول هذا الموضوع، سواء في الادبيات السياسية للمجاهدين (40)، أو في وسائل الاعلام الغربية ــ إذا كنا نتوخى «المعلومات» بالمعنى العلمي (التوثيق ــ تعدد المصادرة الجادة...) ــ باستثناء مالدى الباحثين الاكاديميين الذين تبقى كتاباتهم ــ بحكم طبيعتها ــ حكرا على دوائرهم... وهذا ما عبرت عنه الدكتورة ايدين نابي (متخصصة في شؤون أسيا الوسطى وافغانستان وايران وتدرس بجامعة هارفارد) عندما لاحظت ان «الاعلام عن المقاومة نادر» (41).

2 ــ لا يمكن الوثوق تماما ــ في حالة توفر معلومات معينة ــ إذا كانت صادرة عن دوائر أكاديمية غربية ــ الا إذا كان هناك ما يؤيدها من شهادات صادرة عن المجاهدين انفسهم، أو تقويها شواهد أو مصادر اخرى جادة. وبالنسبة لهذه النقطة، تتميز شهادات الخبير الفرنسي أوليفيي روا (الباحث بالمركز الوطني للدراسات العلمية Centre National des recherches scientifiques بباريس والأستاذ بمدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية وبالمعهد الوطني للغات الشرقية الحية) بشموليتها ودقتها، وهذا راجع الى كونها ــ بالاضافة الى المصادر البيلوغرافية الغنية ــ ناتجة عن دراسات ميدانية استغرقت سنوات، وبالضبط من سنة 1980 الى 1984، وهو يحظى باحترام الاوساط العلمية الفرنسية والغربية عموما، وبذلك تتميز دراساته عن القضية الافغانية عن باقي الباحثين الغربيين الذين يقتصرون ــ عادة ــ على البحث النظري أساسا (42).

3 ــ رغم وجود بعض الابحاث حول القضية الافغانية صادرة عن جهات عربية، الا أنها نادرة ــ مثل بعض المقالات الصادرة في مجلة السياسة الدولية التي يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية لجريدة الاهرام ــ وتبقى سطحية نوعا ما، كما أن منها ما يتميز بسطحية مريعة وخلط في المعلومات (43) مما يجعلها ضئيلة الفائدة..

لقد سقنا هذه الملاحظات لا لشيء سوى المساهمة في حفز الباحثين والدارسين المسلمين على الاهتمام بهذه القضية الكبرى ــ فيما يتعلق بالبحث العلمي في مجال العلوم السياسية أو غيرها ــ لأنهم أحق بها كما أنهم مسؤولون دون غيرهم عنها.

وإذا كانت حركة الجهاد العامة في افغانستان تتميز ــ كما أسلفنا ــ **بالعقدية والشعبية والاستقلالية والائتلاف فإن هناك عددا من القضايا والمشكلات بقيت مطروحة ــ مشكلة نوعا من أتحدي للحركة الجهادية نفسها ــ وهي في نفس الوقت لها علاقة وثيقة بالخصائص العامة المذكورة سالفا. كما ان حركة الجهاد هذه، مر ت بامتحانات عسيرة وخطيرة، وإذا كانت قد تمكنت من تجاوز بعض منها، فإن البعض الاخر لا يزال مطروحا، ويحتاج الى جهود أكثر لتجاوزها حتى يصهر هذا الجهاد كما يصهر التبر لتنقيته من كل الشوائب... وهذا كله له علاقة مباشرة بمسألة تطور حركة الجهاد في سعيها الرائع نحو تحقيق أهدافها العليا المتمثلة في العمل «لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى»، ومنها إقامة النظام الاسلامي** في افغانستان بعد تطهيرها من الاحتلال الهجمي...

وبشكل عام يمكن رصد الخطوط العامة لتطور الحركة الجهادية في افغانستان على ثلاثة مستويات : سياسية وعسكرية، ومؤسساتية.

ومن المعروف أن افغانستان تتكون من خليط الاجناس والاقوام (بشتون ــ تاجيك ــ بلوش ــ هازارا ــ أيماك ــ تركمان ــ أوزبك ــ نورستانيين ــ بامير ــ قرغيز ــ مغول ــ بل حتى من العرب القاطنين في الشمال قرب مزار شريف قريبا من حدود أسيا الوسطى) (44). وإذا كانت القومية الافغانية لم تتشكل في يوم من الايام لاستحالة تبلورها بسبب التنوع الاثني الكبير فيها، فإن هذا التنوع نفسه، أثر في مسيرة الجهاد وطبعه بطابعه ــ وبدرجات مختلفة ــ خلال مسيرته ومنذ انطلاقته الأولى، على الرغم من ان الاسلام شكل دائما اللصاق الذي جمع كل هذه الاقوام والاجناس. كيف حدث ذلك؟ وما علاقة هذا كله بمسألة التطور السياسي لحركة الجهاد الافغانية؟.

قبل الاجابة على هذين السؤالين، نضيف معطيات أساسية أخرى ساهمت في صياغة حركة الجهاد وأثرت فيه بدورها ــ مثلما أثر التنوع الاثني ــ وهذه المعطيات، تتعلق بما يمكن أن نسميه ب«البنيات الدينية» السائدة في افغانستان ويمكن التمييز بين ثلاث بنيات في هذا الاطار:

ــ العلماء

ــ الصوفية

ــ الحركة الاسلامية المعاصرة (45) أو (الاسلامية) islamisme كما يسميها روا... (هذا بالاضافة الى وجود مسلمين شيعة).

ومن المعلوم أيضا أن لكل فئة من هاته الفئات طروحات ورؤى خاصة، فالاولى تنظر بمنظار شرعي، أي قانوني، أما الثانية، فتنظر بمنظار اخلاقي وسلوكي، اما الاخيرة فتنظر بمنظار سياسي واجتماعي ايديولوجي. وبطبيعة الحال



فرمان خدا (ج)

بمنا سبت پنجمين سال شهادت سيد قطب

الصفحة الأولى من جريدة «كهيج» التي كان يصدرها الشهيد منهاج الدين، يتصدرها عنوان عريض عن اعدام سيد قطب.

الشهيد الدكتور غلام نيازي مؤسس الحركة الاسلامية في أفغانستان



ليس هناك أي تناقض فيما بين هذه الرؤى، وهذا تقسيم منهجي لا غير، إذ هناك تداخلات بين هاته البنى ولا شك، الا كل واحدة منها تبقى لها خصائصها التي تتميز بها.

ونعود الى المسألة الاثنية، فالجهاد المسلح في افغانستان، تأثر بشكل مباشر، بمشكلة التنوع الاثني، أو مشكلة «القوم» وهذا مصطلح أفغاني يعني تجمعا بشريا معينا تطبعه خصائص مشتركة، ليست عرقية بالضرورة، ولكن، قد تكون أيضا قبلية، أو لغوية (إذ هناك تعدد في اللهجات أيضا) أو وجاهة اجتماعية، أو حتى ذات طبيعة اقتصادية (كما هو الشأن بالنسبة للبدو الرحل الذين يعتمدون على تربية المواشي مثلا)، وهذه الخصائص التي تميز تجمعا بشريا ما (العرق، القبيلة، الوجاهة، اللغة...) يسميها روا ب «مجال التضامن» espace de solidarité

والخصائص الرئيسية التي يتميز بها الجهاد الأفغاني ــ فيما له علاقة بالجانب الاجتماعي ــ العسكري ــ هي أن المجموعات المجاهدة ــ بشكل عام ــ تبقى مرهونة في نشاطاتها العسكرية بمجال «القوم» الذي تنتمي إليه، إلا في حالات قليلة... ولقد سبق للعالم الدكتور عبد الله عزام، الذي تطرق الى هذه المشكلة الدقيقة غير ما مرة في افتتاحيات مجلة «الجهاد» وخاصة حول منطقة بلوشستان الحدودية الممتدة بين باكستان وأفغانستان، وكان بعض هذه الافتتاحيات يعكس تخوفات عميقة من تأثير بعض النعرات القبلية في هذه المنطقة ــ الحساسة جدا بالنسبة للجهاد الأفغاني ــ سلبيا على مصالح هذا الجهاد، كما أشار غير ما مرة الى اشتراك مجاهدين من مناطق مختلفة (أي مجالات تضامن مختلفة) في عمليات عسكرية موحدة ضد المحتلين والحكوميين.

ولمزيد من التوضيح حلل الجغرافي الفرنسي ميشيل فوشي Michel Foucher (وهو من كبار محرري مجلة هيرودوت Herodote العلمية المعروفة) السياسة التي اتبعها الروس في محاولتهم لسفيتة أفغانستان، la soviétisation ــ مستعينين على ذلك بخبرتهم الطويلة مع مسلمي اسيا الوسطى ــ ملاحظا أن الروس خططوا لذلك، في أفغانستان، على مستويين اثنين فيما يتعلق بسياسة «القوميات».

1 ــ **إيجاد وزارة خاصة بالقبائل والقوميات منذ يونيو 1981 (دَا أقوامُ كوبالايو أو مِلّتُن وزارت) وتكلف بالشؤون القبلية الدكتور نجيب رئيس جهاز المخابرات خاد و«الرئيس» الحالي، مع إعادة كتابة تاريخ أفغانستان على أساس دور كل قومية** لاثارة النعرات فيما بينها وداخل كل واحدة منها inter et intra-éthnique. وفي هذا الاطار يلاحظ أن صحفا طبعت باللهجات المختلفة ووزعت في أفغانستان (ومصدرها آسيا الوسطى) مثل جريدة «يولديس». أي الشرارة بالأوزبكية، و«جيراش» أي النضال بالتركمانية، و«ساب» أي الثورة بالبلوشية... إضافة الى نشر مواد ثقافية مختلفة بلغات هذه القوميات (46).

2 ــ العمل على إضعاف المجموعة الاثنية الرئيسية وهم الباشتون، الذين يشكلون ــ حسب فوشي ــ 40% (د. البار ذكر من خلال مصادر أخرى أن عددهم يبلغ حوالي 60% (47)) وذلك من خلال سياسة التهجير بواسطة سياسة الأرض المحروقة ــ كهدف رئيسي للسوفييت ــ حتى وصلت نسبتهم ــ حسب فوشي دائما ــ إلى حوالي 90% من مجموع المهاجرين في مخيمات باكستان وإيران، وهو ما عبر عنه السفير الروسي السابق في كراتشي سيرنوف Smirnov بقوله : **«في كل ثورة، هناك معارضون يتعين عليهم أن يرحلوا»** (48).

والحقيقة، أن المسألة القبيلة أرخت بظلالها الكثيفة على النظام الشيوعي نفسه في كابل، فارضة نفسها على مفهوم «الأممية» النظري، وهذا ما عبر عنه أحد كبار المحررين الصحفيين اليساريين في المغرب عندما كتب : «ومن البديهي أن حزبا شيوعيا في بلد متخلف، لايمكن إلا أن يكون زاخرا بالتيارات والنزعات الماركسوية، الذين يمزجون التحليل المادي للتاريخ بالنزوعات القبلية والعرقية شعروا بذلك أو لم يشعروا. ولعل ما حدث في اليمن الجنوبي أقوى دليل على ما نقول» (49).

ونشير أيضا، الى أن نجيب، أحدث ولاية جديدة عندما اقتطع جزءا من ولاية باكتيا وآخر من ولاية غزني وسماها (پاكتيكا) لسبب بسيط، وهو أنه ينتمي

إلى قبيلة من تلك المنطقة وذلك في اطار محاولاته اللعب على اوتار المسألة القبلية [50].

هذه المعطيات كلها، ضرورية لمحاولة فهم الكيفية والاتجاه اللذين تطورت بهما حركة الجهاد في أفغانستان :

مظاهر التطور السياسي لحركة الجهاد ومشكلاته

لقد كانت نشأة الأحزاب في أوساط المجاهدين، نقلة نوعية مهمة جدا، خاصة بالنسبة لبلد لم يعرف في تاريخه السياسي الحديث، تعددية سياسية حزبية، حيث كان النظام الوراثي هو السائد، مقتصرا على تسيير أجهزة الدولة، أما المجتمع المدني (ولا نقصد به المقابل للمجتمع القروي، بل الشعب كله خارج إطار الدولة) فقد كان العلماء هم ساسته الحقيقيون، وهذا ما حدا بروا الى أن يصفه بـ «مجتمع القانون» une société de droit [51] أي أنه — مبدئيا — يطبق الكثير من القوانين الاسلامية بأشكال ما.

إن نشأة الأحزاب تعني — من جملة ما تعني — الدخول في **مرحلة تسييس واسعة النطاق للأوساط الشعبية**، سواء في دار الهجرة (حوالي ستة ملايين مهاجر) أو داخل أفغانستان.

لقد تعين على أحزاب المجاهدين، أن تقوم — بحكم طبيعة الصراع الضاري مع العدو المحتل، ومع نظام الحزب الواحد المتوفر على إيديولوجية مناهضة متوفرة على تقاليد عريقة في التنظيم والدعاية والاستقطاب — **بإعادة تركيب عقلية الشعب في اتجاه تسييسه ورفع مستوى وعيه بأبعاد قضيته**، خاصة وأنها — أي قضيته هاته — اتخذت أبعادا إقليمية ودولية، تجاوزت بكثير مجرد كونها صراعا داخليا بين الحزب الشيوعي المسند، وبين معارضة القوى الاسلامية له، باعتباره يشكل خطرا كبيرا على عقيدة الشعب ومصالحه ومستقبله، وباعتبار أن الصراع مع المحتلين، له أبعاده التي يصعب التكهن بنتائجها التي ستكون ضخمة ولا شك...

وبغض النظر عن **الجوانب السلبية للتحزب** ولا شك — وهذا ما عبر عنه مؤخرا المهندس أحمد شاه رئيس حكومة المجاهدين الانتقالية (وهو غير أحمد شاه مسعود) عندما صرح لمندوب مجلة (المجاهدون) قائلا : **«التحزب مرض، وهو مخالف للشرع، وبالتالي، فهو ليس في مصلحة الجهاد، ونحن نحاول القضاء على التحزب والظروف التي أفرزته، ولعل تشكيل حكومة للمجاهدين، واحد من الطرق التي سلكناها للتخلص من التحزب والأحزاب في المستقبل إن شاء الله...»** [52] — بغض النظر إذا عن سلبيات التحزب — ساهمت عملية التسييس هذه — من جهة أخرى — في الانتقال **بالشعب الأفغاني، من مرحلة العزلة والتطويق، الى مرحلة الانغماس في وضعية الصراع المباشر مع الدوائر** المعادية **للاسلام**، وهو مالم يتح للشعوب الاسلامية الأخرى، في العصر الراهن، باستثناء الشعب الفلسطيني، الذي وعى أيضا، طبيعة **الصراع الحضاري الشامل** ضد الصهيونية والامبريالية الغربية والشرقية... وهذا مكسب مهم جدا يجب عدم إغفاله.

ومن مظاهر التطور السياسي لحركة الجهاد في أفغانستان أيضا، **الانتقال التدريجي، خلال سنوات الجهاد خاصة، من إطار القبلية والعشيرة والعرق (أي القوم) الذي عانى منه الجهاد ما عانى، الى مرحلة فهم واستيعاب كليات الاسلام وأساسياته، من خلال وضوح الأهداف التي تسعى اليها حركة الجهاد وعلى رأسها إقامة النظام الاسلامي بعد التحرير**، ومما يعكس تنامي الوعي السياسي هذا لدى الشعب الأفغاني جواب امرأة أفغانية في الثلاثينات من العمر وقد تحلق حولها أولادها تحت خيمة بئيسة في أحد مخيمات المهاجرين في باكستان، بعد أن سألها مراسل التلفزة الألمانية سؤاله الأخير عن الوقت الذي تتوقع فيه العودة الى قريتها، أجابت بعد لحظة قصيرة من التفكير : **«عندما تنسحب القوات الروسية وتقوم الدولة الاسلامية»** [52]

وأخيرا، من مظاهر التطور السياسي لحركة الجهاد الأفغاني، الانمحاء التدريجي للتمايزات الخاصة بما سميناه بـ «البنيات الدينية» وانصهارها جميعا في الجهاد، بعد أن تبلورت «الرؤية» الاسلامية — على الأقل في خطوطها العريضة العامة — وهي **رؤية تجاوزت الفهم التجزيئي للاسلام، الى الفهم الشمولي الذي يلتقي فيه الفقهي والسلوكي والسياسي والاجتماعي...** والخطوط العامة لهذه الرؤية الاسلامية تزخر بها الأدبيات السياسية الصادرة عن المجاهدين، وقد لخصها الأستاذ عناية الله شاداب في سلسلة مقالات بمجلة «المجاهدون» تحت عنوان «الخطوط الرئيسية لاستمرار جهادنا الاسلامي» [53] فيما يتعلق بالجوانب المنهجية لحركة الجهاد، وكان المدخل لهذه الرؤية السياسية مجموعة من التساؤلات، صاغها كالتالي :

«من نحن، وماذا نريد، وفي أية مرحلة يستقر جهادنا الاسلامي ؟

— لابد أن يكون لنا فهم شامل لواقعنا وللعالم المحيط بنا ولحركتنا الاسلامية في وضعها الحاضر.

— من المحتم علينا أن يكون لنا وعي بطبيعة التغيير الذي نريد، وماهي إمكانياتنا الميسرة قبال تحقيقها ؟

— علينا أن نعرف العدو ونعرف ايديولوجيته وإمكانياته وأسلحته التي يستخدمها ضدنا وضد جهادنا لنستعد استعدادا كاملا تجاهه.

— علينا أن نتعرف على متطلبات جهادنا على الصعيدين الداخلي والخارجي، ونتعرف على الظروف التي أحاطت بجهادنا الاسلامي التحرري من عبادة كل طاغ يحكم بغير ما أنزل الله.

— نقوي معرفتنا بإيديولوجية الجهاد في أبعادها المختلفة، ونقويها باستخدام الأسلحة المناسبة، بالأسلحة التي يستخدمها العدو ضد شعبنا المجاهد... حتى نكون محققين مغزى قوله تعالى «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» ومن أجل ما ذكر نحن نقوم بتعريف العالم بجهادنا وشرعيته تجاه هذا العدو المتجاوز ونتفاوض مع كل دولة يمكن أن نستفيد منها ضد عدونا المباشر الذي وضع خنجره على حلقوم شعبنا... وننتهج سياسة تبادل المصالح بالمصالح لا المبادىء... مستلهمين النصوص القرآنية والسيرة النبوية... ومع أننا نمارس كل هذه المحاولات، نحتفظ بإسلامية جهادنا بكل ما في مقدرتنا» كما ركز على مسألة **النقد الذاتي** وعلى **الجوانب الأمنية** إضافة الى كل ما سبق. والملفت للانتباه، أن الأستاذ عناية الله شاداب أشار في الحلقة الثانية إلى مسألة **الوحدة** — كمسألة مركزية — واستعرض وجهات النظر بين الاسلاميين، وميز — في هذا الصدد — بين «**الحرفيين**» و «**الواقعيين**» لدى أصحاب وجهات النظر تلك...

وفيما يتعلق **بالأهداف العامة** لحركة الجهاد الأفغاني، في جوانبها السياسية الاجتماعية والاقتصادية... يلخصها روا — في معرض حديثه عن مشكلة البرنامج السياسي لدى المجاهدين — (وكان هذا سنة 1985 عندما نشر كتابه) كما لمس ذلك بنفسه من خلال اتصاله بأوساط المجاهدين واستقاها خاصة من الأدبيات السياسية لكل من الجمعية الاسلامية والحزب الاسلامي كما أشار الى ذلك في أحد الهوامش وهذه الأهداف العامة هي كالتالي : **«الحاكمية لله وحده، والأمير وكيل عن الأمة لاغير والشرعية تستمد من الدين فقط. وطريقة اختيار الأمير هو رضاء الجماعة، المعبر عنها عمليا بالانتخاب، والمبدأ الانتخابي، على كل حال، شائع جدا في أوساط المجاهدين، على المستويات المحلية، كما على مستوى الأحزاب. سلط الأمير مهمة ولكنها مرفوقة بمجلس شورى. هيئة العلماء، تحتفظ باستقلاليتها تجاه السلطة السياسية ويمكن لها أن تراقب أو تبطل سلطة الأمير. المجتمع المدني يتم تدبيره من طرف العلماء حسب الشريعة. مساواة جميع المسلمين في الحقوق مؤكدة. الملكية الخاصة والربح معترف بهما، ولكن لابد من آليات للتصحيح، لتجنب الفوارق الاجتماعية الكبيرة : منع الربا، اقتطاع جزء من الدخل ومن رأس المال لصالح الفقراء والمرضى (الزكاة) حق تعليم النساء معترف به ولكن الاختلاط مرفوض.**

لايوجد قائد معصوم (على عكس المسلمين الشيعة المتأثرين بعقيدة الامام الغائب) رغم أنه نظام يساعد على إفراز القائد. هناك تأكيد على دولة القانون بفضل استقلالية هيئة العلماء، ونقض سلطة الأمير يتم عن طريق النظام الانتخابي. هذا البرنامج، الذي هو جد عام، يمكنه، بحكم مرجعيته الدائمة للاسلام، أن يجمع غالبية الأفغان، ولكنه لايوضح الشكل الدقيق الذي سيكون عليه النظام في أفغانستان بعد تحريرها» [54].

وبطبيعة الحال، فإن التطورات السياسية التي عرفتها قضية أفغانستان في السنتين الماضيتين وخاصة مهزلة «المصالحة الوطنية» ومؤامرة جنيف، جعلت المجاهدين يخططون في الاتجاه المضاد، وذلك بالعمل على الشروع في إنشاء **المؤسسات الدستورية الاسلامية**، كما تمت صياغة مشروع دستور وهو جاهز لعرضه على الشعب في الوقت المناسب ويعتبر بناء **المؤسسات الاسلامية** في عدد مهم من الولايات، ويتجلى ذلك في إنشاء **«مجلس شورى النظار»** في عشر ولايات من أصل تسعة وعشرين (أي ثلث ولايات أفغانستان) مع ما يتفرع عنه من بنيات تغطي كافة جوانب الحياة العسكرية والسياسية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وهي تشكل **مرحلة انتقالية** بالغة الأهمية بالنسبة لمستقبل الجهاد، ولمستقبل الدولة الاسلامية على أرض أفغانستان تبعا لذلك.

تطور حركة الجهاد على مستوى المؤسسات

عندما نقول «المؤسسات»، يجب ألا تتبادر الى الذهن تلك البنايات الفخمة المؤثثة بأفخر التجهيزات كما هو شائع في بلداننا، بل المقصود بها **أنماط تنظيمية متخصصة** تغطي كافة جوانب الجهاد المسلح وتدبر شؤون الشعب ومصالحه وفقا لأحكام الشرع الحنيف، وهي تحديدا، بنيات عسكرية وسياسية ومدنية.... وتعتمد هذه المؤسسات على الأطر الاسلامية المثقفة والملتزمة بخط الجهاد الاسلامي الأصيل...

أ ــ التكوين العسكري :

ومن أوائل المؤسسات التي أقامها المجاهدون لتلبية متطلبات الجهاد، هي **«جامعة الامام علي الحربية»**، وقد سبق لمجلتي «البنيان المرصوص» و«الجهاد» أن نشرتا استطلاعات مصورة عنها بمناسبات تخريج الدفعات منها.

وتتميز بنايات كلية الامام علي بالبساطة الشديدة، لكن نوعية التكوين، والمكوِّنين، والمكوَّنين من نوع آخر مخالف تماما. **يقول الرائد كفاية الله** رئيس الأركان بالجامعة في استجواب أجرته معه مجلة **«المجاهدون»** حول نشأة الكلية واختصاصاتها والدور الذي تلعبه لرفد الجهاد بالأطر العسكرية الاسلامية المتخصصة :

«أسست الجامعة الحربية نتيجة للظروف التي فرضت علينا مواجهة العدوان الروسي بتوجيه من قوله تعالى : **«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»** وذلك سنة 1980 تحت رعاية الأستاذ برهان الدين رباني أمير الجمعية الاسلامية الأفغانية، وهي أول جامعة أسست بعد بدء الجهاد المسلح وتشتمل على :

1 ــ كلية المشاة
2 ــ كلية المدفعية
3 ــ كلية الهندسة
4 ــ كلية الاستخبارات
5 ــ الكلية الجوية
6 ــ كلية المؤن والمواصلات.

ونظرا لطبيعة المرحلة التي يمر بها الجهاد، فإن ثلاثا من هذه الكليات تعمل بالفعل بينما الثلاثة الأخرى في انتظار الامكانيات والظروف الملائمة.

وبالنسبة للمناهج، يقول الرائد كفاية الله : إن المستوى العلمي في جامعة الامام علي يفوق بكثير المستوى العلمي في جامعة كابل الحربية ــ رغم قلة الامكانيات ــ من حيث تنوع العلوم العسكرية وملاءمتها لظروف الجهاد، إضافة الى العلوم الشرعية التي تشكل ركنا أساسيا في المناهج... وعن المواد المقرر هي كالتالي :

أولا : العلوم الدينية : القرآن وتفسير آيات الجهاد ــ السيرة النبوية ــ العقيدة ــ الفقه.

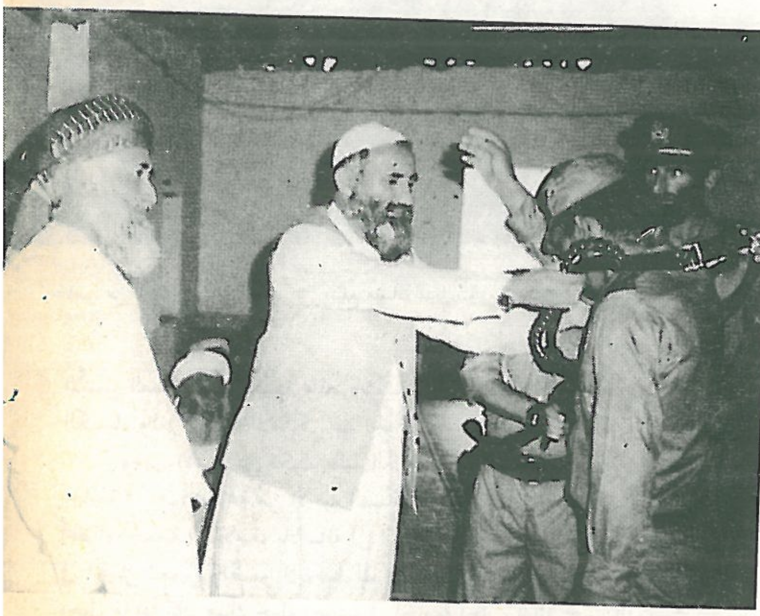
ثانيا : مواد المشاة : تكتيك المشاة ــ تكتيك الكوماندو ــ أسلحة المشاة ــ تقنية الأسلحة الخفيفة والثقيلة.

ثالثا : مواد المدفعية : تكتيك المدفعية ــ رماية المدفعية ــ تقنية المدفعية.

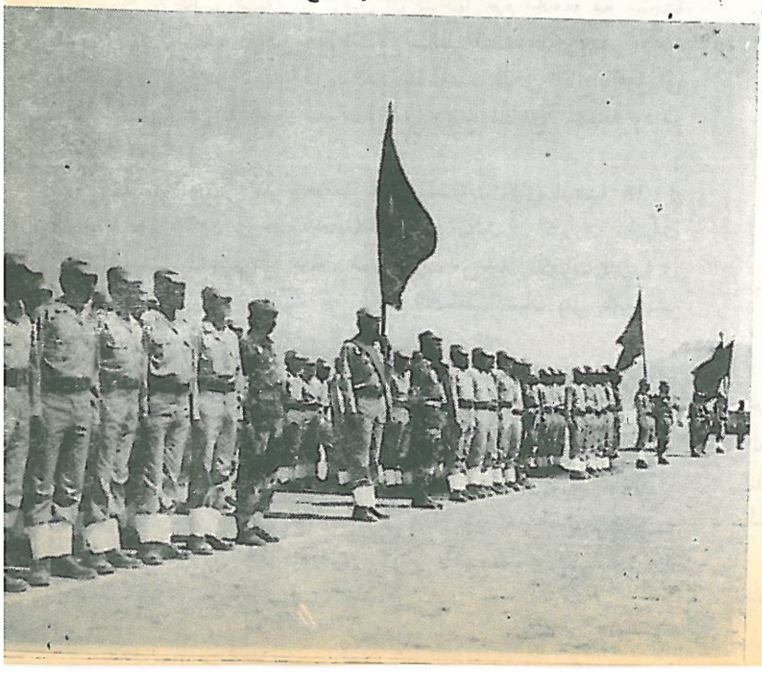
رابعا : المواد الهندسية : تكتيك الهندسة ــ موانع الألغام والتخريبات ــ التأمينات الهندسية ــ الكهرباء ــ توصيل المياه.

هذا عن مواد التخصص، أما الدورة العامة فتشمل : الخرائط ــ

المهندس احمد شاه رئيس الحكومة المؤقتة بصحبة برهان الدين رباني وهو يقلد أحد أوائل الخريجين من الدفعة الثامنة للكلية الحربية، حزاما عسكريا داخل مسجد متواضع



مجموعة من خريجي الفوج الثامن





الرائد كفاية الله رئيس الاركان



الرائد شمس الدين قائد الجامعة الحربية



عناصر من الفوج الثامن يتدربون على مدفع مضاد للدبابات من صنع سوفياتي

الأسس العسكرية ـــ القيادة والمعنويات ـــ الخدمات الداخلية والعقوبات ـــ الكيمياء والغازات ـــ اللاسلكي ـــ الجو ـــ السياسة الاسلامية.

وحول الأطر التي تكون طلبة الكلية يقول **الرائد شمس الدين**، قائد الجامعة : «هم مجموعة من الاخوة العسكريين والعلماء في العلوم الشرعية من أعضاء الجمعية الاسلامية، بالاضافة الى العسكريين الأفغان الذين تركوا الخدمة في الجيش العميل وانضموا الى صفوف المجاهدين منذ الأيام الأولى للجهاد».

وحول ما إذا كان هناك خبراء أجانب في الجامعة أجاب الرائد شمس الدين : «لانسمح للأجانب غربيين أو شرقيين أن يدخلوا حرم الجامعة مع حاجتنا الملحة لذوي الكفاءة، ولكن هذا الشرط يسقط بالنسبة للخبراء من الاخوة المسلحين إذا ما أرادوا أن يمدوا لنا يد العون والمساعدة، **فنحن نحتاج بالفعل الى إخواننا الخبراء من المسلمين ليساعدونا في وضع المناهج المتقدمة ودعم تطوير الجامعة**».

ولقد تخرج من هذه الجامعة خلال السنوات الثماني الماضية 1126 ضابطا، وهم موزعون في جميع أنحاء أفغانستان، ويتولون في كثير من الجبهات قيادة المجاهدين وتدريبهم على مختلف فنون الحرب من خلال دورات تدريبية في داخل أفغانستان... واستشهد من هؤلاء الضباط الشبان (الى غاية نشر الاستطلاع) مائتان وسبعون تغمدهم الله بواسع رحمته.

ومن خلال المقارنة بين أول استطلاع مصور حول الجامعة الحربية (56) وبين الاستطلاع الأخير، يمكن ملاحظة الفارق بينهما في بعض المظاهر وهي مؤشرات على تطور مستوى التكوين والأداء دون شك.

وإذا كان طبيعيا أن تكون الأسبقية للأمور العسكرية في اهتمامات المجاهدين، فإن ذلك لم يثنهم عن التفكير في إيجاد مؤسسات أخرى تستجيب لاحتياجات الجهاد في مجالات أخرى... ومن أهم المجالات التي اهتم بها المجاهدون اهتماما بالغا، المؤسسات التعليمية.

ب ـــ التعليم

لقد أدرك المجاهدون، منذ اللحظات الأولى، أن طبيعة الصراع مع العدو هي ذات طبيعة **عقائدية** وما السلاح إلا وسيلة هذا الصراع، ولذلك نراهم انكبوا على الاهتمام ـــ بكل ما يتاح لهم من طاقات ـــ بالمشكلة التعليمية ـــ سواء داخل أفغانستان أو في المهجر، وكم بحت أصواتهم وهم يناشدون المسلمين أين ما كانوا، لرفد جهادهم بالأطر التعليمية وغيرها، وهم يحذرون من سموم الهيئات التنصيرية التي حاولت استغلال الأوضاع المأساوية للشعب الأفغاني من أجل كسب مواطىء أقدام في صفوفه عن طريق تقديم المساعدات «الانسانية».

وفي هذا الاطار، صرح القائد آرين يور ـــ نائب **أحمد شاه مسعود** وأحد القادة العظام للجهاد الأفغاني ـــ حول عدم تناسب حجم العمل العسكري مع العمل الثقافي والتعليمي فقال : **لم يجد المجاهدون الفرصة لتثقيف الأهالي نتيجة شدة الحرب، وفي بعض النقاط يحتمل أنهم لم ينتبهوا لذلك. ولكن ـــ بصورة إجمالية ـــ وفي كل أنحاء أفغانستان هناك نصيب وافر، وقد توجه معظم قادة الجبهات لتأسيس مدارس حسب ظروفهم المحلية، والحمد لله، نحن قد قطعنا شوطا في هذا المضمار ونسأل الله تعالى التوفيق والحماية : فقد أسسنا في كِشم، مدرسة من الصف الأول الى الخامس ابتدائي، وبذلك يصل عدد المدارس المؤسسة** (في المناطق التابعة لقيادات الشمال ـــ الهدى) **الى 33 مدرسة** (هذا التصريح كان في أواسط سنة 1987) **وبلغ عدد الطلاب 3500 طالبا، وكذلك فتحنا مدرسة دينية بحتة فيها حوالي 200 طالب يواصلون تحصيل العلوم الشرعية من توحيد وتفسير وفقه ولغة عربية**» (انظر فقرة : الحركة الجهادية والمشكلة التعليمية في فصل «المهاجرون»).

وعيا من المجاهدين بدور العلماء الحاسم في قيادة الجهاد، الى جانب المثقفين المسلمين الملتزمين بالاتجاه الاسلامي الاصيل، وبسبب استشهاد أغلب عناصر الرعيل الأول من المجاهدين (خاصة العلماء والمثقفون حيث ذكر عميد المجاهدين العرب الدكتور عبد الله عزام في افتتاحية مجلة «الجهاد» لسبتمبر / اكتوبر 1988، أن **أكثر من 90 % من عناصر هذا الرعيل الأول، قضوا شهداء**...) اهتمت قيادات الجهاد بمسألة ايجاد مؤسسات لتخريج العلماء المجاهدين :

وهكذا تم تأسيس **جامعة الدعوة والجهاد** في مطلع عام 1405 ﻫ ويرأسها **العالم نعمة الله شهراني** الذي أكمل دراساته العليا بالازهر، وعمل استاذا بكلية الشريعة بكابل سابقا.

وتضم هذه الجامعة، ثلاث كليات :

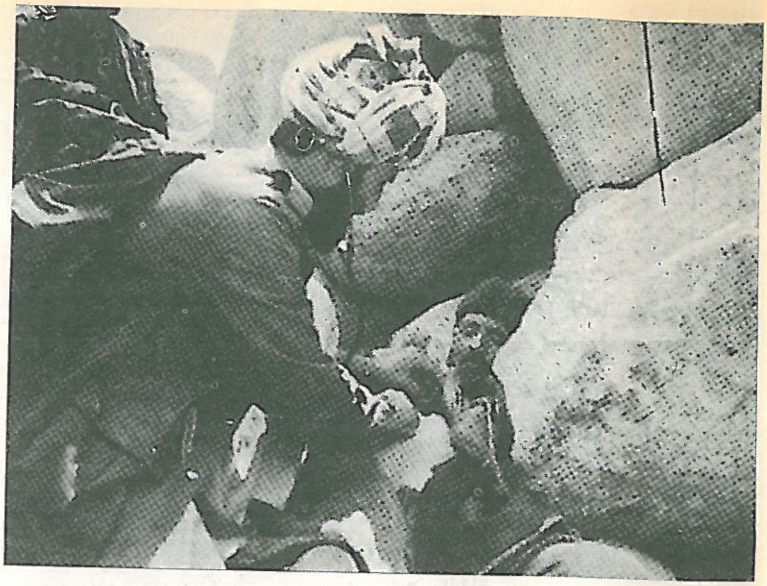
ـــ **كلية الشريعة**، وتضم 130 طالبا وعشرة أساتذة وقد ناشد المسؤولون عنها «الجامعات الاسلامية» في البلدان العربية والاسلامية لرفدهم بالاساتذة، ولكن لا حياة لمن تنادي.

ـــ **كلية الدعوة واصول الدين** : وتضم 170 طالب و 11 أستاذ

ـــ **كلية الطب** : وفيها **100 طالب و 7 أساتذة!!**

وبالنسبة لهذه الأخيرة يرأسها البروفيسور مير شرف الدين المولود في 1923 بإحدى ضواحي كابل، وشارك في تأسيس كليتي الطب بكابل وجلال أباد وعمل مدرسا بهما لمدة 31 عاما. وحول دواعي انشاء كلية الطب أجاب : «**نحمد الله عز وجل أولا وأخيرا على أن الجهاد في أفغانستان، جهاد إسلامي يقوده بيقين وايمان، خيرة رجال هذا الشعب المسلم من العلماء الاجلاء، الذين يقودون المعارك الحربية في مواجهة العدو الكافر بنفس القوة التي يقاومون بها العدو الصليبي الكافر في مجال تربية وتعليم الشعب في مخيمات المهاجرين.**

الحقيقة انه ظهرت، منذ امد بعيد، ومع بداية جهادنا المبارك، مشكلة كبيرة، ألا وهي نقص الاطباء المسلمين الواعين في جهات القتال أو



مخيمات المهاجرين، في حين تنشط المنظمات الصليبية الخبيثة التي تملك الاجهزة الطبية المتطورة ووسائل النقل اللازمة، إضافة الى عشرات، أو مئات من المتطوعين... والحقيقة أيضا، أن المرض المجاهد داخل الجبهات يعادل بروفسور في بشاور لعدم وجود الاطباء المتخصصين في الداخل... لقد ثبت لدينا أن كثيرا من الجرحى، استشهدوا لاحد أسباب ثلاثة :

ــ نزيف الدم

ــ عدم وجود اطباء متخصصين

ــ بعد المسافة.»

وحول المشاكل والعقبات التي تعاني منها كلية الطب يقول البروفسور مير شرف الدين الانصاري : «... نعم، اننا هنا في دار الهجرة لا نملك عشر معشار مستلزمات كلية الطب، وأهم المشاكل التي نواجهها :

1 ــ عدم وجود المعامل والاجهزة الطبية

2 ــ عدم توفر المواد الدراسية والكتب

3 ــ قلة الكوادر من الأساتذة المتخصصين.

وحول الفرق بين كلية طب كابل وكلية طب جامعة الدعوة والجهاد قال د. مير شرف الدين : «... لا وجه للمقارنة : فكلية طب جامعة كابل يشرف عليها من ينكرون وجود الله عز وجل ولا يدينون بدين الحق، أما هذه الكلية فيديرها رجال كالشموع، تحترق لتنير درب الجهاد، أناس لا يخافون في الله لومة لائم، يسعون لاعلاء كلمة الله وإزالة الطاغوت والمنكر، وكذلك فارق كبير في المنهج، فالمنهج الدراسي لدينا إسلامي بحت يتضمن 6 محاضرات أسبوعية للعلوم الشرعية إضافة الى محاضرة اسبوعية عن الدعوة ومشاكل العالم الاسلامي.»

ويقول أخيرا د. الانصاري : «لقد طلبنا من المؤسسات الطبية في العالم الاسلامي أن تتعاون معنا حتى نستكمل احتياجاتنا الضرورية ولكن للان، لم يصلنا رد منهم سلبا أو إيجابا!! أما الاجهزة الطبية والمعامل، ومراجع الدراسة، فتكاد تكون منعدمة، وليس يخفى على احد مدى ضرورتها للطلاب».

وختمت المجلة تقريرها بخبر مفاده أن الجهات الصليبية على استعداد كامل لتلبية كل احتياجات هذه الكلية، ولكن إدارة جامعة الدعوة والجهاد ترفض قبول أية مساعدات من الصليبية الخبيثة.» (عدد 20 ــ رمضان 1408).

جـ ــ الاعلام :

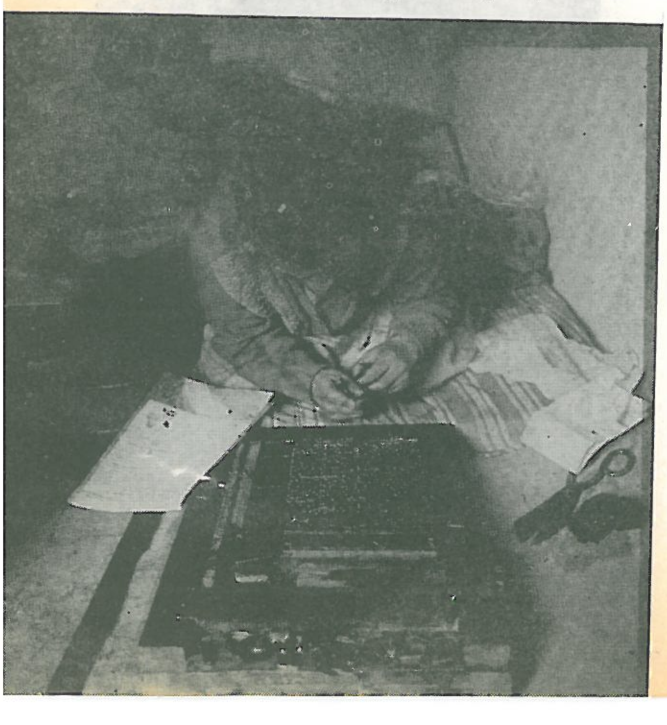
لم تعان حركة تحرير وطني من التعتيم الاعلامي، بل المحاصرة الاعلامية، مثلما عانى الجهاد الأفغاني. وفي هذا الصدد، تتحمل الدول العربية والاسلامية مسؤولية مباشرة، وخطيرة، إذ أنها تهدر أموالا طائلة على نقل المباريات وشراء المسلسلات والافلام الهادمة والتافهة، وغير ذلك في البرامج الاذاعية والتلفزية، دون أن تخصص، ولو جزءا يسيرا جدا من إمكانياتها الضخمة، من أجل التعريف بالبطولات الرائعة التي يسطرها المجاهدون، ولا بالمحن والارزاء، التي لم ير التاريخ لها مثيلا، التي نزلت على هذا الشعب المصابر

وفي هذا الاطار، حاول المجاهدون أن يسدوا بعض النقص في هذا المضمار من خلال إنشاء «وكالة الأنباء الأفغانية»، ومقرها لندن، وتقوم بتوزيع آخر الأخبار المتعلقة بالجهاد وتطبعها على الورق بطريقة بسيطة، وتوزعها على وكالات الانباء وبعض الاذاعات والمراكز والجمعيات... إلا أنه للأسف، لا تتوفر معلومات عن هذه الوكالة حتى يمكن إعطاء لمحة عنها.

أحد مصوري «مرآة الجهاد الأفغاني»



مطبعة يدوية بدائية تطبع جرائد ومنشورات المجاهدين



أما بالنسبة للاعلام المصور، فقد أنشأوا مركزا لانتاج أفلام الفيديو والصور، ويسمى هذا المركز «مرآة الجهاد الأفغاني» (57) والذي بدأ نشاطه المتواضع في يونيو 1984 بإنتاج فيلم فيديو (تشاوني — 1) حول حصار المجاهدين لقلعة تشاوني — ثم توالى إنتاج الأفلام، التي تتميز بقيمة وثائقية عالية، ويعاني المركز — مثلما هو الحال في المجالات الأخرى — من مشكلة الأطر والأجهزة الفنية، ولذلك، حاول المركز التغلب على هذه المشكلة، حيث قام المسؤول عنه بتدريب ثلاثين مجاهدا ليكونوا نواة الاعلام داخل الجبهات، لكن مشكلة — من نوع خاص — برزت بشكل غير متوقع — وهو أن أغلب هؤلاء المجاهدين، كانوا يتركون الكاميرا ليقاتلوا مع إخوانهم أثناء المعارك، وبقي من هؤلاء الثلاثين خمسة فقط ممن «صمدوا» أمام إغراء المعارك (وهذا طبعا حصل منذ أربع سنوات).

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح وهو : **لماذا تصر وسائل إعلامنا على حجب أخبار الجهاد رغم توفرها على الأفلام والوثائق الكافية التي تتوصل بها ؟** إن تلفزتنا المغربية مثلا، تقوم ببث لقطات قصيرة جدا لاتتعدى بضع ثوان، وفي أخبار الحادية عشرة والربع ليلا بعد أن ينام أغلب الناس، وهذا في الحالات النادرة التي تذيع أخبارا مجزءة لا تعطي سوى صورة ضبابية جدا لاتفضح العدوان ولا تظهر حقيقة الجهاد.

كانت هذه إذا، لمحة عامة عن تطور حركة الجهاد على مستوى بناء المؤسسات، وهي تعكس حرص المجاهدين على أن تأخذ حركة الجهاد أبعادها كاملة — في حدود طاقاتهم وإمكانياتهم — وفي نفس الوقت تتميز هذه المؤسسات بنقص مريع في الامكانيات والاطر...



قصف موقع للعدو، بمدفع هاون

تطور حركة الجهاد عسكريا

من المعروف ان حركة الجهاد، انتشرت بسرعة كبيرة، وفي جميع انحاء افغانستان، بمجرد اجتياح قوات الاحتلال للبلد... وردا على ذلك انتهج السوفييت (كما رأينا سلفا) **سياسة الارض المحروقة، مما دفع ملايين الافغان الى الهجرة قسرا، وذلك بهدف خنق حركة الجهاد، مما عقد المشاكل امام المجاهدين بشكل خطير**، إذ الشعب هو الرافد، بشريا وماديا...

ورغم تجاهل الرأي العام الدولي، والعربي والاسلامي بشكل خاص ورغم القرار السياسي الصامت بعدم تزويد المجاهدين بالسلاح لتحرير بلدهم، استمر المجاهدون الافغان في الاعتماد على إمكانياتهم الذاتية البسيطة بعد الله جل وعلا، وعلى ما يغنمونه من أعدائهم...

وليس هناك أدنى شك، في أن قرار السوفييت بالانسحاب من افغانستان، دون أن يحققوا أيا من أهدافهم التي خططوا لها أول الامر، هو من أقوى المؤشرات على تصاعد حركة الجهاد كما وكيفا، ولولا الضربات القوية التي ما فتأ المجاهدون يوجهونها الى قوات الاحتلال والقوات العملية، لما فكروا في إمكانية الانسحاب.

والحقيقة ان هناك صعوبات جمة فيما يتعلق بمحاولة رصد تطور حركة الجهاد عسكريا، بسبب نقص معلومات معينة : فعلى الرغم من توفر معلومات كافية نوعا ما عن سير المعارك منذ سنة 1985 (وهي سنة بدء صدور مجلة «الجهاد» التي يصدرها الدكتور عبد الله عزام وهي أولى المجلات التي وصلتنا عن الجهاد الأفغاني باللغة العربية) إلا أنها تبقى معلومات ذات صبغة عسكرية محضة، والذي نعنيه، **هو المعلومات التحليلية المتعلقة بقضايا التنظيم والتكتيك في مواجهة الة الحرب السوفيتية العاتية والتي خطط لها كبار القادة العسكريين الروس...**

ولذلك، سيكون التركيز على محاولة رصد تطور تجربة المجاهدين، في الولايات الشمالية والشمالية الشرقية، كحالة نموذجية، وهذا يرجع الى عدة أسباب — مع التشديد على أن الامر لا يعني، بأي شكل من الاشكال، الانتقاص من جهاد كل تنظيمات المجاهدين، فهذا غير وارد بتاتا، وانما هي محاولة لفهم واقع الجهاد كما هو، ما أمكن ذلك، فالجهاد جهاد الشعب كله، والاحزاب كلها، والتفاوت أمر طبيعي. أما الأسباب التي دعت الى اختيار المناطق الشمالية التي ينشط فيها مجاهدو الجمعية الاسلامية كنموذج، فنجملها فيما يلي :

1 — إن الجمعية، سبق لها أن نشرت تقارير مهمة للغاية حول تطور تجربة المجاهدين في المناطق التابعة لها ومنها تقارير المهندس محمد اسحاق المشهورة.

2 — لأن التكتيكات الروسية في افغانستان، **عادة ما تبدأ تجربتها في المناطق الشمالية وسرعان ما يتم تعميمها في باقي انحاء افغانستان**، كما اكد ذلك المهندس محمد اسحاق في تقريره عن سنتي 84 و 1985 (الملحق)

3 — بالرجوع الى شهادة الدكتور عبد الله عزام، وهو الخبير الضليع في شؤون الجهاد الافغاني، يتبين فعلا أن أرقى أشكال التنظيمات العسكرية السياسية وادارة الشؤون المدنية التي توصل اليها المجاهدون، توجد في تلك المناطق الشمالية، حيث لم يستطع د. عزام أن يخفي انبهاره بمستوى التنظيم فيها، وضرب على ذلك مثلا، عندما قارن بين فتح المجاهدين لقلعة تشاوني الحصينة التي استغرقت منهم 5 سنوات من الحصار، وفتح قوات احمد شاه لمركزي كران ومنجان والمواقع المحيطة بهما (رغم تحصينها وتسليحها القويين) حيث تمكنت تلك القوات من السيطرة عليها سيطرة تامة في أقل من ساعتين.

أ ــ التنظيم

تشكل «اللجنة» العمود الفقري للبنيات التنظيمية لدى المجاهدين على اختلاف احزابهم، وفي جميع المناطق بدون استثناء، ويختلف عدد أفرادها حسب كل تنظيم، وكذلك حسب مستوى الخبرة العسكرية لدى القيادات الميدانية، أي حسب مستوى المعرفة بفنون الحرب والتمرس فيها، وأيضا حسب الاعتبارات القبلية، أي اعتبارات «القوم». ولقد قدر أوليفيي روا عدد «اللجان» العاملة فوق أرض افغانستان بحوالي 4000 لجنة (وكان هذا التقدير سنة 1985) تضم عددا يتراوح بين 30 الى 50 مجاهدا في كل واحدة منها، وتشكل مجموعة من اللجان، «جبهة» عسكرية، وهي عادة ما تكون تابعة لحزب معين.

ويميز روا ــ بشكل عام ــ بين ثلاث فئات من المجاهدين :

1 ــ **المجاهدون الدائمون المسلحون والمؤطرون :** وهؤلاء نوعان بدورهما، فهناك «المحترفون» (مسلكي) ثم العسكريون وهم ضباط وجنود سابقون (نظامي) أو (سيّار) أو (متحرك)، وقدر عددهم بحوالي 150 ألفا.

2 ــ **المجاهدون غير الدائمون :** (محلي) أو (مُلكي، أي مدني) وينتمون هم أيضا الى التنظيمات الحزبية، الا أنهم لا يشاركون في المعارك بشكل منتظم ويقومون بين الحين والاخر، بزراعة الارض أو غيرها من الانشطة الاقتصادية...

3 ــ **كل افغاني يتوفر على السلاح فهو** (مجاهد) بحكم الواقع

وبالنسبة لعدد المجاهدين، من الصعب جدا، إن لم يكن من المستحيل اعطاء رقم معين، فإذا كانت مصادر المجاهدين تتحدث عن وجود نصف مليون مجاهد، فإن المقياس قد يختلف حول ما إذا كان الحديث ينصب على العناصر المنتظمة بصفة دائمة وتخضع لمقتضيات التنظيم العسكري، أم يدخل في الحساب كل من يحمل السلاح في وجه الاحتلال وأعوانه...

المهم، **ليس هناك أي مشكل فيما يتعلق بالحشد، بل على العكس من ذلك، فإن محدودية التسليح هي التي تفرض الحد من انخراط الراغبين في القتال من المتطوعين.**

ولا يوجد هناك أي فرق بين القادة والمقاتلين العاديين (بينما يلاحظ روا أن الامر على خلاف ذلك لدى تنظيم الشورى "الشيعي) إذ يأكلون نفس الطعام وينامون في نفس الغرفة... أما وتيرة اليوم فتحدد من خلال الصلوات الخمس، وأغلب اللجان تتلقى دروسا في التكوين السياسي والديني، وهي أكثر تطورا (أي الدروس) لدى «الاسلاميين» كما يسميهم...

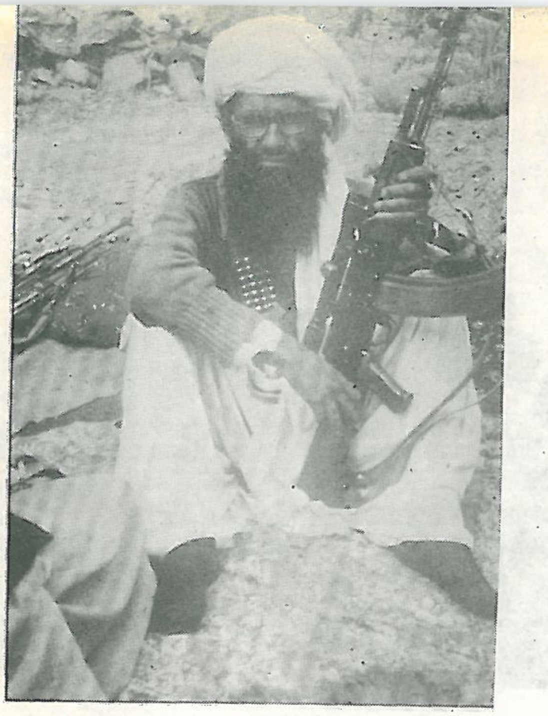
ويزعم روا أنه لم يكن هناك تدريب بالمرة، ولا أي تخطيط للهجومات بالرسومات مسبقا، وكذلك استعمال النماذج المصغرة... ولا شك أن في هذا التعميم والاطلاق الكثير من المبالغة... وربما كان الامر صحيحا في السنوات الاولى من عمر الجهاد، إلا أن وجود قادة سبق لهم أن عملوا في الجيش (خاصة في الحوزة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية (اسماعيل خان ــ ولي الله أفضل علاء الدين... وسيد أكبر في فرياب، وهميشة جل في سيد أباد، وكلهم ضباط سابقون) يجعل من المستبعد إصدار حكم مطلق كهذا، خاصة وأن روا نفسه ميز بين ثلاثة أنواع من حرب العصابات يطبقها المجاهدون الافغان وهي كما سماها :

ــ **حرب العصابات القبلية**

ــ **حرب العصابات المتأثرة بتنظيمات وتكتيكات الجيش النظامي**

ــ **نموذج مسعود**

ولقد رأينا سابقا ــ في هذا الفصل ــ دور كلية الامام علي الحربية والجامعة الحربية في تخريج الاطر العسكرية المتخصصة (مشاة ــ مدفعية ــ هندسة) منذ عام 1980، ودور هؤلاء الخريجين في قيادة العديد من الجبهات...



العالم جلال الدين حقاني قائد ولاية باكتا وبيده بندقية هجومية من نوع AK 74 والتي لا توجد الا عند الجنود الروس وهو غير النوع العادي AK47

وبالنسبة للنوع الأول الذي سماه بالحرب القبلية (La guerre tribale) أي في المناطق التي لا تزال العلاقات القبلية فيها قوية وتتحدد من خلالها مسرح العمليات القتالية، لا نستطيع أن نطمئن الى بعض التحليلات التي أوردها وكذا بعض الاحكام، كزعمه «عدم وجود رؤية استراتيجية» في العمليات الجهادية وأن القتال يكون "آنيا وحسب ماهو مرئي"... ! إلا أنه يشير وهذا صحيح بالتأكيد ــ الى ان "**إيديولوجية الجهاد، التي يحياها المجاهد بعمق، على المستوى الفردي، تمثل ردا فعالا على محاولات جهاز «خاد»** (الاستخبارات) **باللعب على حبال المسألة القبلية لصالحه...»** كما أن قيادة العلماء للجهاد، في هذه المناطق القبلية، ساعد كثيرا على تجاوز المشكلات الناجمة عن المسألة القبلية، ويقرر روا أن «**إيديولوجية الحرب القبلية، تتحول باستمرار لصالح إيديولوجية الجهاد...**» وهذه الملاحظة، سطرها في سنة 1984 أو 1985، وليس هناك أدنى شك، في أن استمرار الجهاد لمدة عشر سنوات تقريبا، قد أضعف الى حد كبير تأثيرات العقليات القبلية في تعاملها مع المعارك الحربية، على نحو يتجاوز مجالات القبيلة الى تنسيق وتعاون أفضل مع جهات قبلية أخرى، وقد سبق أن رأينا هذا خلال عرض خاصية «الشعبية» سابقا...

أما بالنسبة للنموذج الثاني، (دائما حسب شهادات روا، ونأسف لاضطرارنا الى الاستشهاد برواياته لاسباب سبق ذكرها) فيوجد في الحوزتين الشمالية الغربية حيث يقوم التنظيم العسكري للمجاهدين على أسس شبه نظامية : فأساس التنظيم العسكري هو الفيلق **Regiment** (غوند) ويضم ما بين 600 الى 900 مجاهد، وينقسم الى ثلاث كتائب **Bataillon** (كونداك) التي ينقسم كل واحد منها الى ثلاث سرايا **Compagnies** (تولاي)، وتبقى المجموعة (25 مجاهدا) دائما، هي اساس التنظيم، الا ان هذه الاخيرة تقوم بمهام الامن المحلي، بينما تتم العمليات الحربية على مستوى الكتائب (حوالي 200 مجاهد في الكتيبة) أما الفيلق، فيقاتل على مستوى المنطقة أو الولاية، والمجاهدون ينخرطون على أساس التطوع دائما...

لكن المشكلة، تكمن في هزال التسليح، مما يجعل قوة تركيز النيران أقل من المطلوب كما هو متعارف عليه في العلوم العسكرية (ويجب الا ننسى أن هذه الشهادات تهم السنوات 80 / 1985 حيث تحسنت نسبيا مستويات



التسليح لدى المجاهدين عموما ابتداء من 1986 كما يستفاد ذلك من مصادر المجاهدين). ويعطي روا أمثلة على ضعف التسليح، حالة الفيلق التابع لامرة القائد علاء الدين (ضابط سابق وينتمي الى الجمعية) لم يكن يتوفر سنة 1982 إلا على ست رشاشات ثقيلة من عيار 12،7 مم، وثلاث مدافع عديمة الارتداد وأربع مدافع هاون إضافة الى الاسلحة الفردية بطبيعة الحال! أما فيلق لَوْلاش فقد كان يتوفر في نفس الفترة على عشر رشاشات ثقيلة من عيار 12،7 وهاون واحد ومدفعين عديمي الارتداد!

ومن جهة اخرى، وفي إطار هذا النوع من التنظيم، يشير روا الى تنظيم «الشورى» وهو من أهم التنظيمات العسكرية للمسلمين الشيعة في الهزارا، ذهب بعيدا في تقليد النمط العسكري النظامي : فالانخراط الزامي بالنسبة للشباب البالغين 22 سنة فما فوق، مع نزع سلاح الاهالي واحتكاره من طرف التنظيم، وتوحيد الزي العسكري.... (الواقع أن التنظيمات الشيعية استفادت من دعم مالي وسلاحي مهم من طرف إيران، الا أن فعاليتها في الساحة القتالية تبذو ضعيفة بالقياس مع التنظيمات الجهادية الاخرى) وهذا الاحتكار والمبالغة في تقليد اسلوب الجيش النظامي، آدى — حسب روا — الى بقاء المدنيين الشيعة بعيدين عن النشاطات القتالية...

ونشير في الاخير — ونحن بصدد إعطاء لمحات فقط، الى ان ولاية هرات، شهدت ملاحم كثيرة بقيادة محمد اسماعيل خان، وملا نقيب الله، والشهيد صفي الله افضلي (أخو القائد ولي الله افضلي) رحمه الله تعالى وغيرهم كثير،

الدكتور حسين



ويعتبر استشهاد صفي الله في عالم الاسباب خسارة كبيرة للجهاد في تلك الولاية الباسلة، التي تقع في أقصى الشمال الغربي بمحاذاة اسيا الوسطى، حيث كثيرا ما تنطلق الطائرات الروسية من قواعدها داخل الحدود «السوفيتية» لتشن غارات مدمرة على مواقع المجاهدين في تلك المناطق التي كانت من أوائل المناطق التي انسحب منها المحتلون.

نموذج مسعود

لا شك ان احمد شاه مسعود، يمثل ظاهرة فريدة في حركة الجهاد الافغاني، وسرعان ما بدأت قيادات المجاهدين في مناطق أخرى تقتبس من أسلوبه الجهادي، على مستوى التنظيم، كما على مستوى التكتيك العسكري، وكذلك ادارة الشؤون المدنية للاهالي...

لقد سبق أن رأينا كيف أن احمد شاه، الشاب اليافع، وهو ابن ست وعشرين سنة وهو يقود اولى العمليات الجهادية التي كلف بالقيام بها من طرف قائده الاعلى، الاستاذ برهان الدين رباني (إذ سبق ان انخرط في الجمعية سنة 1973 وله واحد وعشرون سنة). في منطقة بنجشير، التي ينتمي اليها أصلا، ورأينا كيف بقي احمد شاه في ذلك الوادي الذي يصل شمالي كابل بالحدود مع أسيا الوسطى عبر نفق سالانغ الشهير الذي سيشهد فيه السوفييت ضربات موجعة منذ بداية الاحتلال الى الان... ذلك الوادي الذي يبلغ طوله حوالى 100 كلم.

لقد بقي احمد شاه في الوادي ولم يخرج منه إلا بعد السنوات الخمس الاولى من الجهاد، حيث لم يعد يشكل القاعدة الرئيسية، وإنما أصبح أحد القواعد الاصلية كما يسميها مسعود...

وبالنسبة **للتنظيم العسكري** لدى احمد شاه، يقوم على أساس ال«قرار كاه» أي القاعدة (وهي تماثل مبدئيا اللجان المحلية في باقي انحاء افغانستان). والقاعدة تضم نوعين من المقاتلين : «المحليون» (محلي) وهم عبارة عن ميليشيا مهمتها حماية المنطقة والدفاع عنها في حالة تعرضها لاي هجوم، وتتميز بتسليح خفيف فردي عادي، وهي تخضع لتدريبات معينة. وكل قرار كاه يضم عددا معينا من المجموعات. ويتم انتقاء احسن العناصر من هذه المجموعات لتكون بدورها ما يسمى ب «مجموعات التصادم» (كروبي زرباتي) وهي أفضل تسليحا وتخضع للتدريب باستمرار وتتكلف بالقيام بأعباء الخطوط الاولى في حالة هجوم من طرف العدو. وأخيرا، هناك «المجموعات المتحركة» (كروبي متحرك)، وتتكون من العناصر المتخصصة في العمليات الهجومية (proffessionnalisés)، وهي مدربة تدريبا عاليا وقاسيا، وتتميز بالزي الموحد ومسلحة تسليحا جيدا بالقياس الى المجموعات الاخرى. وهذه الاخيرة — على عكس باقي انحاء افغانستان — **ليست لها أية قاعدة جغرافية**، وإذا

الدكتور فهيم





اجتماع شورى النظار في صيف 1988.

كانت انواء المجموعات الثلاثة تتكون كل واحدة منها من 33 مجاهدا (كل مجموعة تقسم عادة الى مجموعات من 10 مجاهدين يرأسها قائد ومساعده اضافة الى عنصر ارتباط) فإن المجموعات المتحركة تتخذ بنية الكوماندو، حيث اثبتت فعاليتها وقوتها، إذ استطاعت منذ وقت مبكر — أن تقوم بعمليات تبعد 100 كلم عن قواعدها الاصلية... ويعلق روا على هذه النقطة قائلا «... **إنها المرة الاولى التي ترى فيها مجموعات من المقاتلين وهي تتطور خارج مجال تضامنها..**» ويختم ملاحظاته حول انماط حرب العصابات الشعبية في افغانستان على النحو التالي:

«**إذا كان النموذج العسكري لمسعود قد أثبت جدارته، يبدو أن أشكال التنظيم العسكري الاخرى، تتناسب أكثر مع المجتمع التقليدي الافغاني، وهذا ما يشكل قوتها ومحدوديتها في نفس الوقت**». والمحدودية تعني هنا — كما أسلفنا — المجال الجغرافي للعمليات العسكرية التي يقوم بها المجاهدون.

إن إحدى المعضلات الدقيقة، التي تعترض — عادة — حركات التحرير الوطنية، هو مسألة **الانتقال من حالة حرب العصابات، الى مرحلة جيش التحرير الذي يكون بمقدوره أن يقوم بعمليات واسعة النطاق** (استرجاع المدن، السيطرة على المحاور الكبرى...) وهذا يتطلب حشد أعداد كبيرة من المقاتلين ودرجة عالية من التنسيق بين مختلف المناطق... الخ. فإلى أي حد تتوفر هذه المواصفات في حالة حركة الجهاد الافغاني؟

المسألة ليست بالبساطة التي يمكن تصورها، إن أهم شرط — إضافة الى ما سبق — هو القدرة على السيطرة الفعالة على مناطق بكاملها **يتوفر فيها الامن وتتم إدارتها من طرف المقاومة وتتمتع فيها بدرجة عالية من التأييد الشعبي** الذي يبقى دائما، الرافد الاساسي لحركة التحرير الشعبية.

يمكننا القول، أن هذه الشروط، تتوفر — بحمد الله وتوفيقه للمجاهدين الابطال، بدرجة عالية في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية التابعة لقيادة احمد شاه على الاقل، وكما أسلفنا القول، فإن انعدام المعلومات لدينا حول المناطق الاخرى فيما يتعلق بقضايا التنظيم العسكري والاداري في المراحل الاخيرة الحالية، هو الذي جعلنا نركز على هذه الحالة النموذجية.

مجلس شورى النُظّار

يمثل «مجلس شورى النظار» قمة التنظيم الذي وصلت اليه حركة الجهاد حتى الان، على المستويات العسكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

ولقد بدأت الخطوات الاولى بناء على أوامر من الاستاذ برهان الدين رباني... حيث اجتمع قادة الشمال سنة 1984، وذلك تعبيرا عن آمال المجاهدين بعد سنوات من الفرقة والتشرذم، خاصة بعد استفحال بعض المشكلات بين القادة المجاهدين في بشاور... وقرر هؤلاء القادة أن يتخطوا العقبات ويعملوا على توحيد صفهم في الشمال تحت راية واحدة، وكان من هؤلاء القادة، احمد شاه مسعود، وأرين بور (غلام محمد) وعبد الحي حقجو والدكتور سيد حسين، وسيد أحمد وقاضي اسلام الدين وغيرهم... وبقي هذا التنظيم ينمو تدريجيا حتى افتتح اول جلسة له سنة 1406—1986 في منطقة خيلاب... هذا ما صرح به **القائد ج. محمد امين ناصر يار** من مديرية كشم «بدخشان» لمجلة «المجاهدون» ضمن وفد من مجلس الشورى قام بزيارة بشاور...



الدكتور حقبين



محمد امين نصرت يار.

وحول أهداف مجلس الشورى، حددها ناصر يار كما يلي:

— **القضاء على الخلافات بين المجاهدين فيما بينهم من جهة وبين قادتهم من جهة اخرى**

— **تنظيم امور القضاء والقضايا الادارية واتبات الامن والقضاء على قطاع الطرق**

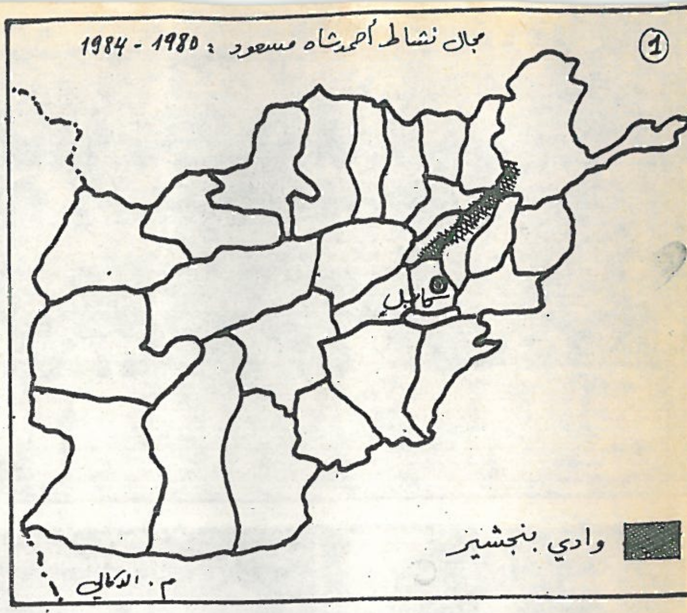
— **بناء الشخصية الاسلامية الجهادية التي تكون نواة الدولة الاسلامية**

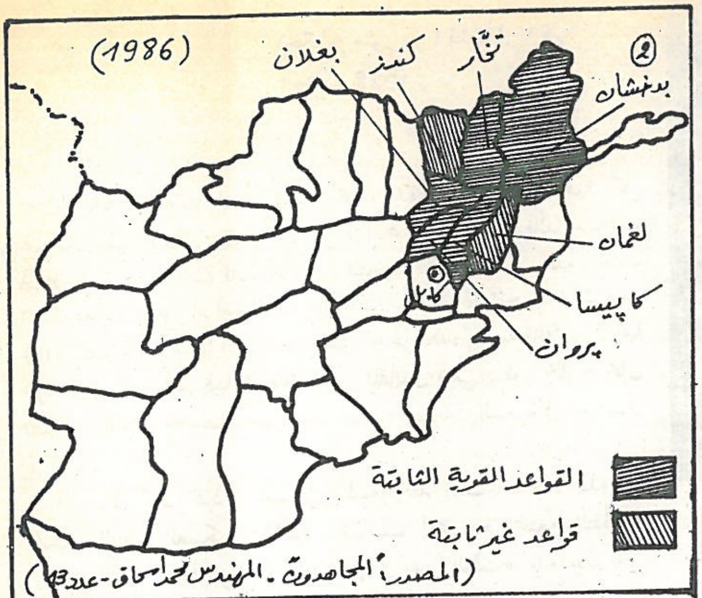
— **انشاء جيش منظم من المجاهدين.**

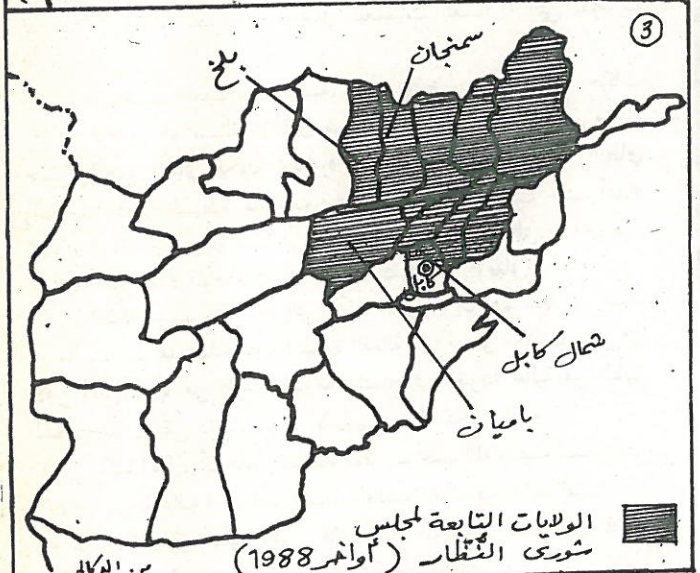
وفيما يتعلق بالمراحل التي مر بها مجلس الشورى عسكريا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا منذ انشاءه، قال **القائد الدكتور حقبين** معاون أمير ولاية كابيسا وعضو الشورى: «**كانت اخر جلسة لمجلس الشورى في يونيو 1988، وقد حضر هذه الجلسة، ممثلو عشر ولايات من قادة المجاهدين المنضمين الى شورى النظار. وبناء على التقارير التي حلمها الاخوة قادة الجبهات، تم اصدار بيان ختامي تضمن كافة الاعمال والترتيبات والتعديلات للهياكل الخاصة بمجلس الشورى بعدما اتسعت رقعة الاماكن التي يغطيها من أربع ولايات الى عشر.**

فمن الناحية الثقافية، قرر المجلس تأسيس المكتب الثقافي ومكتب التربية والتعليم بصورة مستقلة بعد أن كان يتبع لجنة من اللجان كمكتب فرعي، ومن خلال المكتب الثقافي، يعمل مكتب التربية الذي أنشأ له مكاتب اخرى فرعية في كافة الولايات، تشرف على المدارس الدينية والعلمية ودور تحفيظ القرآن الكريم، وقد وصل الطلاب في بعض المدارس التي يشرف عليها المكتب الى الصف الثامن.

وهناك مكتب اخر خاص بالشؤون الاقتصادية أنشأه مجلس







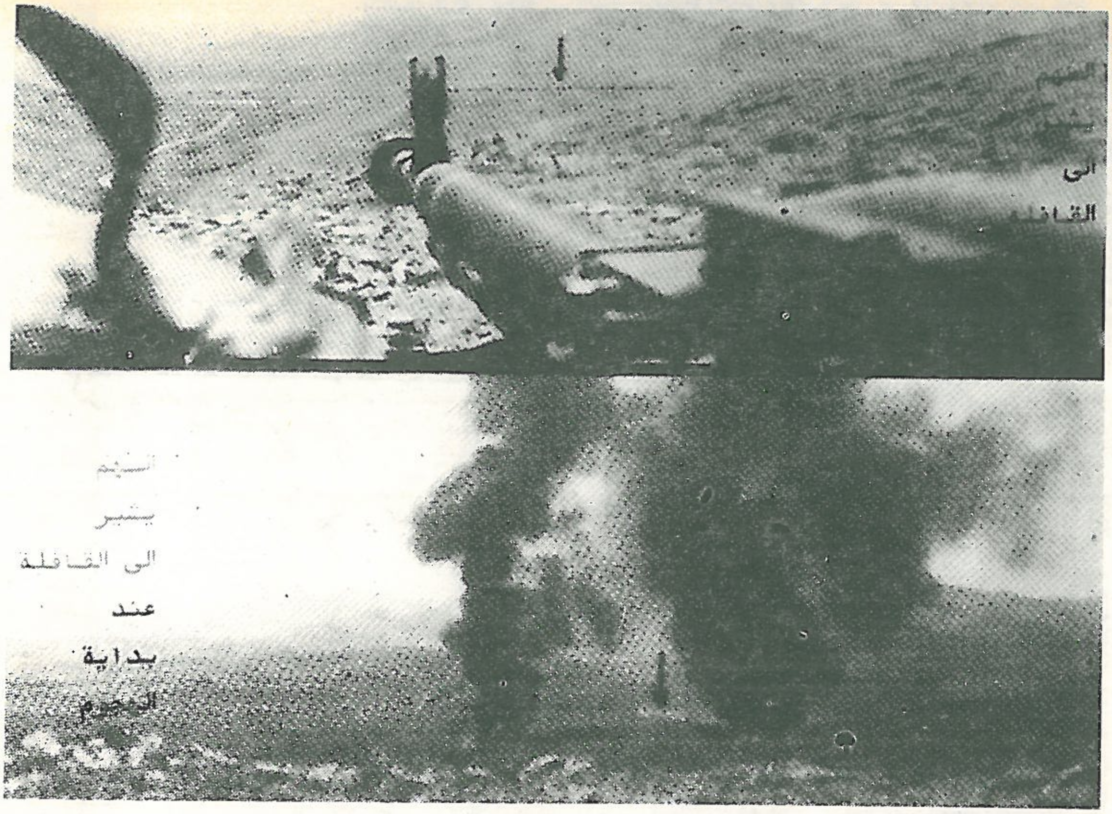
الشورى، وقد بدأ عمله في الآونة الاخيرة، وتقوم اهتماماته على اعمار البيوت المهدمة واعادة بنائها وشق الطرق واصلاح الانهار وتهيئة وسائل وسبل زراعة الارض بعد ما هجرت لفترة طويلة.

ومن الناحية العسكرية، فاللجنة العسكرية هي اقدم اللجان وتقوم بدورها على قدم وساق من أجل بناء الشخصية الاسلامية العسكرية المتكاملة... ومن الناحية السياسية، للمكتب السياسي مهامه واعماله التي يقوم بها من خلال مجلس الشورى، كما تم انشاء قسم خاص بالقضاء والامور الجنائية يتولى حل النزاعات وتوفير الامن... إضافة الى بعض الاقسام الفرعية الاخرى التي تكمل البناء الاسلامي...»

وحول موقف مجلس الشورى من تشكيل الحكومة الانتقالية للمجاهدين، قال القائد الدكتور حسين معاون أمير ولاية تخار وعضو الشورى «الشيء الذي يظهره لنا التاريخ هو أن 80 % من الحروب والمعارك تعتمد على الامور السياسية و 20 % فقط للامور العسكرية. لذا كان لابد أن يفكر المجاهدون في إيجاد صورة سياسية لهم تمثلهم في المحافل الدولية، وتقوم على شؤونهم أمام المنظمات الدولية حتى تكون البديل المناسب للنظام القائم في كابل الآن. ونحن ما حملنا السلاح الا لنزيل حكم الطاغوت من على ارضنا لنقيم الحكم الاسلامي الذي اختاره الشعب الافغاني، وما دام الشعب راضيا عن هذه الحكومة فنحن راضين عنها، وما دام الشعب هو الذي اختارها فنحن مع ما اختاره الشعب الذي ضحى وبذل من أجل إقامة شرع الله في افغانستان، وبما أن مجلس الشورى هو جزء من الجمعية الاسلامية الافغانية التي أيدها الشعب والتي أيدت حكومة المجاهدين، فنحن بالتالي مع هذه الحكومة.»

وحول سؤال عن مدى تمثيلية شورى النظار لكافة التنظيمات، صرح القائد الدكتور فهيم : «شورى النظار، أنشيء وهدفه الاساسي هو جمع كلمة المجاهدين وتوحيدها على هدف واحد، وبفضل الله نجح المجلس في ضم معظم قادة الجبهات من كافة التنظيمات في مناطق الشمال، عدا بعض الذين آثروا عدم الانضمام الى الشورى. ومعظم القرارات تتم باتفاق وتنسيق بين الجميع، واختلاف وجهات النظر في بعض الامور وارد، ولكنه لا يؤثر على وحدة الصف أو العمل المشترك، ويكفي أن اضرب لك مثلا على بركة الوحدة. فقبل تأسيس شورى النظار، كانت هناك خلافات كثيرة بين المجاهدين من التنظيمات المختلفة في محافظات تخار وبغلان، ولكن بفضل الله ــ انتهت كل هذه الخلافات الفردية، التي ربما تخضع لبعض الاهواء أو الاختلافات العادية التي يمكن أن تحدث في أي مكان... وحل محلها التنسيق والتفاهم والعمل المشترك.»

وأخيرا، قال الدكتور حسين حول المساحة التي يسيطر عليها المجاهدون الان في الشمال: «لقد سعينا في بداية الجهاد، الى اتخاذ بعض القواعد التي تمثل نقاط انطلاق لنا نلاحق العدو من خلالها. وتبعا لتكتيك وضعناه من خلال قراءتها ودراستنا لفنون الحرب، وفقنا الله سبحانه وتعالى، وأصبحنا نسيطر على مناطق كثيرة، أنشأنا فيها قواعد ثابتة لنا مثل كشم وخيلاب وأشكمش وانراب ونهرين، وكذلك قاعدة بنجشير التي كانت تعد من أقوى القواعد التي أنشأناها في الشمال والتي وقعت في أيدينا كلها الان بعد خروج الروس منها مؤخرا، ولقد استعصت عليهم قبل ذلك مرارا ولم يستطيعوا دخولها الا بعد خروج المجاهدين منها خروجا تكتيكيا، كذلك هناك قواعد كبيرة مثل كران ومنجان وبوركه التي سيطر عليها المجاهدون مؤخرا، وغيرها من المناطق الاخرى التي لا أستطيع حصرها، كما أننا نسيطر على خط العبور الرئيسي للعدو، ونذيقهم الويلات في ذهابهم وإيابهم وجبل خير خانه الذي يعتبر نقطة مرور رئيسية للعدو يقع تحت أيدينا. فشورى النظار ينضوي تحته 18 الف مجاهد يتبعون قيادة واحدة، واستطاعوا بفضل الله، أن يقهروا قوة من القوتين الكبيرتين، ويجبروها على الخروج من افغانستان بعدما اعلنت هزيمتها العسكرية، فنسأل الله أن يتم علينا نصره وأن يمكن لنا حتى نقيم شرعه على ربوع بلادنا».



نموذج لكمائن المجاهدين ويرى في مقدمة الصورة رشاش ثقيل من نوع DSHK السوفيتي الصنع، وفي عمق الصورة تبدو قافلة عسكرية معادية ــ أسفل : إصابات مباشرة في القافلة. (المصدر : الجهاد ــ يوليو 1986)

التكتيك

هناك تفاوت ولا شك، بشكل عام، في مستويات التكتيكات العسكرية لدى المجاهدين، التي تتراوح بين الكمائن العادية للأهداف المتحركة، والهجوم على الأهداف الثابتة المحصنة جيدا والتي تتطلب مستويات عالية من التخطيط والتنفيذ، خاصة وأن الأمر يتعلق بمحاربة أعداء بلغوا من الخبرة في الوسائل المضادة لحرب العصابات شأوا بعيدا، علاوة على تسليح وتأطير لافائدة من التأكيد على مستوياتها، حيث يتعلق الأمر بدولة «عظمى» وكذلك بالنسبة للجيش الحكومي الذي يدرب ويسلح مباشرة من طرف المحتلين.

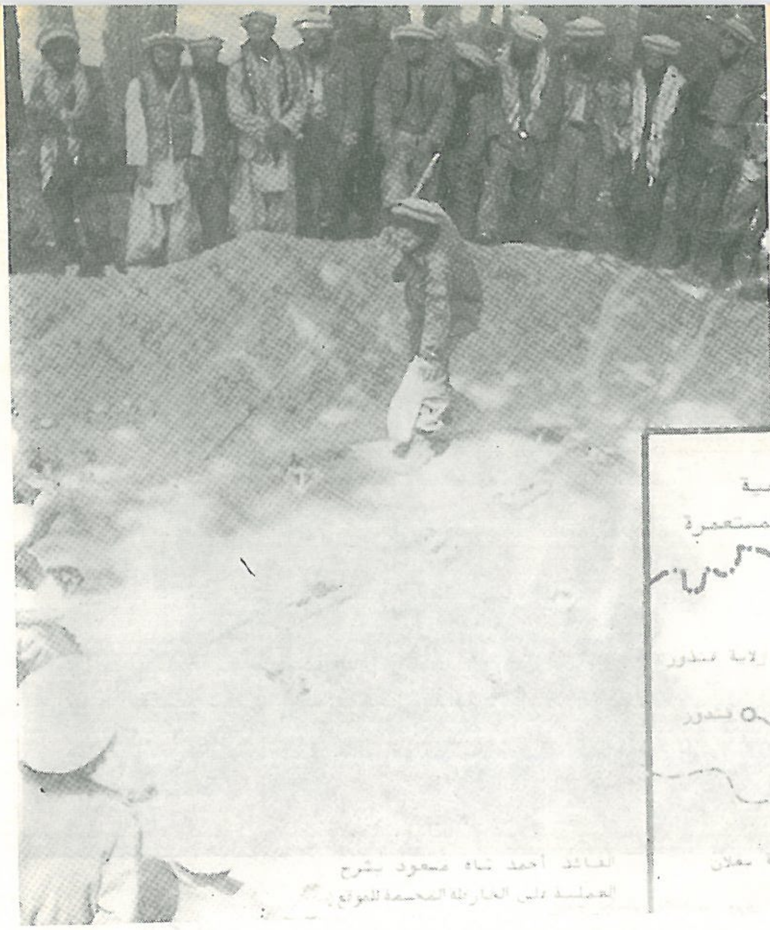
فبالنسبة للكمائن، نجد دائما تلك القاعدة العامة، وهي انقسام المجموعات الى قسمين، فئة لتنفيذ الهجوم، وفئة للحماية : والطريق. يلغم مسبقا، وتكمن المجموعة المهاجمة للهدف المتحرك (قافلة مدرعات ــ دبابات ــ تموين ــ نقل جنود...) وبمجرد انفجار اللغم، يقوم حامل قاذف الصواريخ (أر، بي، جي ونادرا ما كان عددهم يتعدى الاثنين في المجموعة الواحدة بسبب ندرة التسليح في السنوات الأولى من عمر الجهاد) بتوجيه قذيفة أو قذيفتين الى مقدمة القافلة أو مؤخرتها، وكثيرا ما يقترب المهاجم الى مسافة تقل عن 100 متر وهي مسافة تعرض المهاجم للخطر الشديد، وهذا ويعكس خاصية الشجاعة لدى المجاهد الأفغاني.

وفيما يتعلق بالكمائن، تطورت أساليب المجاهدين بمرور الوقت وتحسن مستويات التسليح واكتساب الخبرات، وبقي أسلوب الكمائن ــ بشكل عام ــ فعالا جدا، وهذا ما تعكسه آلاف الهياكل المحترقة للدبابات والمدرعات والشاحنات في الطرق والأودية في جميع أنحاء أفغانستان.

أما بالنسبة للأهداف العسكرية الثابتة (قواعد ــ مراكز...) فالظاهر الحصار، هو الأسلوب المفضل ــ بصفة عامة ــ عند بعض الفصائل المجاهدة، ولعل أبرز مثال على ذلك، هو حصار مدينة خوست (ولاية باكتيا) منذ بداية الاحتلال الى الآن، وكذلك حصار مدينة قندهار التي تتعرض باستمرار لهجمات المجاهدين منذ بداية الاحتلال أيضا، بل هناك أحياء من المدينة بقيت باستمرار، تشكل قواعدا للمجاهدين... وهناك أيضا مثال آخر، وهو حصار قلعة تشاوني الذي استغرق خمس سنوات قبل سقوطها بأيدي المجاهدين.

ومن بين اساليب حرب العصابات التقليدية التي يلجأ إليها المجاهدون، القصف المتقطع للأهداف، ومناوشتها، بهدف إزعاج العدو باستمرار وتنكيده، مما يؤثر على معنوياته.

وبالنسبة لرجال أحمد شاه مسعود، فقد تفوقوا في مهاجمة الأهداف العسكرية الثابتة ولا يعتمدون على أسلوب المحاصرة-الذي يستغرق وقتا طويلا، بل تخصصوا في الهجمات الخاطفة التي يتم الاعداد لها جيدا وبدقة كبيرة، حيث أصبح شيئا عاديا أن يسيطروا على المراكز الكبيرة في **بضع ساعات** على الأكثر، بل هناك حالات تتم فيها السيطرة على مركز مهم ــ مثلما حدث في قلعة كلفغان الحصينة ــ **في أقل من ساعة**...وهذا النوع من التكتيكات يمثل، ولا شك، مرحلة متطورة من أساليب القتال التي اكتسبها المجاهدون بعد تضحيات باهظة جدا. فالصعوبات التي تعترض محاولات الهجوم على الأهداف الأرضية الثابتة، كثيرة ومعقدة، فبالاضافة الى التحصينات بالاسمنت المسلح والمخابىء المبنية تحت الأرض، والخنادق (وهذه الأخيرة تتطلب الأسلحة ذات الاطلاق المقوس مثل الهاونات mortier التي لم يكن المجاهدون يتوفرون إلا على أعداد قليلة منها) وهناك أيضا حقول الألغام، وهي أنواع، وتزرع بتشكيلات هندسية معقدة، وقد عانى منها المجاهدون معاناة شديدة. ثم التسليحات المختلفة داخل القاعدة أو المركز. ويساند هذا كله، قصف مدفعي وصاروخي من مواقع أخرى (فالمدفعية المتوسطة يتراوح مداها من 8 الى 20 كلم ويتم تصويبها بأساليب متعددة من بينها المراقبة من الجو...) إضافة الى القصف بواسطة الطائرات الحربية النفاثة والمروحية...



فوق : أحمد شاه مسعود أثناء شرحه لخطة فتح قاعدة كلفغان فوق مجسمات للقاعدة، ويحيط به قادة المجموعات الذين سيشرحون التفاصيل للمجاهدين التابعين لهم.

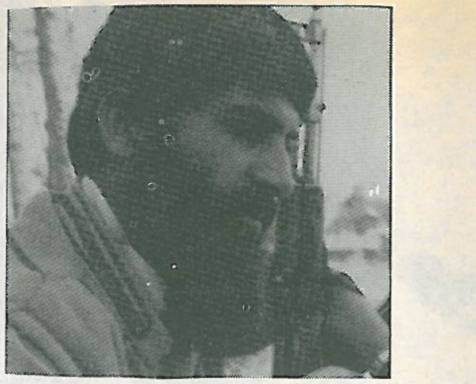
تحت : مجموعة متحركة من مجاهدي الشمال



وهناك نوع آخر من العمليات العسكرية يقوم بها المجاهدون، وهي الحالات التي يتصدون فيها لقطعات متحركة كبيرة مهاجمة، التي تتزامن فيها هجومات الأسلحة الثقيلة (دبابات ــ صواريخ ــ مدفعية...) مع القصف الجوي، والانزال الرأس لمجموعات الكوماندو (سپِتْناز) خلف خطوط المجاهدين الدفاعية... يمكن مراجعة التقارير التي حررها المهندس محمد اسحاق، لاخذ فكرة واضحة عن تكتيكات مجاهدي الشمال في التعامل مع قوات جيش الاحتلال والحكومتين، وكذلك من خلال الاستجوابات المجراة مع احمد شاه مسعود، وهي اساليب نجد لها نظائر في مناطق اخرى من افغانستان (المجاهدون : العددان 11 و12 1408هـ) واللافت للانتباه ان رجال احمد شاه مسعود استنبطوا نوعا جديدا من الكمائن، وهي الكمائن المضادة للطائرات المروحية (تقرير محمد اسحاق الأول عن سنتني 84 و1985)، وربما كان الفيتناميون قد سبقوا الى هذا النوع من التكتيك خلال حربهم مع الأمريكيين... ومع ذلك فلا مجال للمقارنة بين المروحيات الأمريكية المستعملة في ذلك الوقت (حيث كانت بطيئة نسبيا وغير مدرعة ومزودة برشاش ثقيل يستعمل يدويا) وبين المروحية السوفيتية مي 24 التي تعتبر من أحدث المروحيات العسكرية في العالم (تراجع خصائصها في فصل : الاحتلال وتطور الحرب).

ونشير في الأخير الى نوع آخر من المقاومة، وهو ما يعرف بالمقاومة الحضرية، ومن أساليبها، تدمير مرافق العدو ومصالحه ومنشآته، وتصفية رموزه... ومن أبرز قادة المجاهدين في هذه الأنواع من العمليات، القائد عبد الحق (تابع للحزب الاسلامي ليونس خالص) كما تم قصف مطار كابل العسكري والقواعد العسكرية في داخل العاصمة، بشكل منتظم، منذ بداية الاحتلال حيث بلغ الذروة خلال النصف الثاني من سنة 1988، رغم محاولات السوفييت المتكررة للقضاء على قواعد المجاهدين في المناطق المحيطة بالعاصمة ــ والتي توجد على بعد يتراوح بين 5 و20 كلم فقط ــ دون أية جدوى، ونشير الى أن كل واحد من التنظيمات المجاهدة يساهم بقسط معين من هذه العمليات.





القائد الشهيد صفي الله أفضلي (هرات) في إطراقة مهمومة



الشهيد صفي الله أفضلي (يمين) بعد إفراغ الذخيرة من على ظهور الحمير

التسليح

لقد قيل الكثير، حول المزاعم المتعلقة بمسألة التسليح لدى المجاهدين... وقبل أن نثبت كيف أن مشكلة التسليح شكلت واحدة من أخطر العراقيل التي عانى منها المجاهدون طوال سنوات الجهاد ــ وخاصة في السنوات السبع الأولى من الاحتلال ــ نشير الى أن السلاح في حد ذاته ليس كافيا وحده، وإلا فما بال اسرائيل لاتزال معربدة دون رادع رغم توفر الدول العربية على كميات هائلة من العتاد الحربي الحديث ؟ ولكن لابد من توفير شروط رئيسية أخرى، وأهمها قيادة واعية ومخلصة، تنأى بالكفاح عن مزالق الارتباطات والتبعية، وكذلك وضوح الأهداف، والاعداد الجيد تنظيما وتخطيطا وتنفيذا، وتعبئة الطاقات الشعبية بما يتلاءم مع قناعاتها وتطلعاتها... كل هذا ــ في عالم الأسباب ــ هو الذي يصل بالشعوب الى التحرير، وما ثورة الحجارة عنا ببعيدة، التي حققت، رغم بساطة الامكانيات، نتائج لاتخفى على أحد...

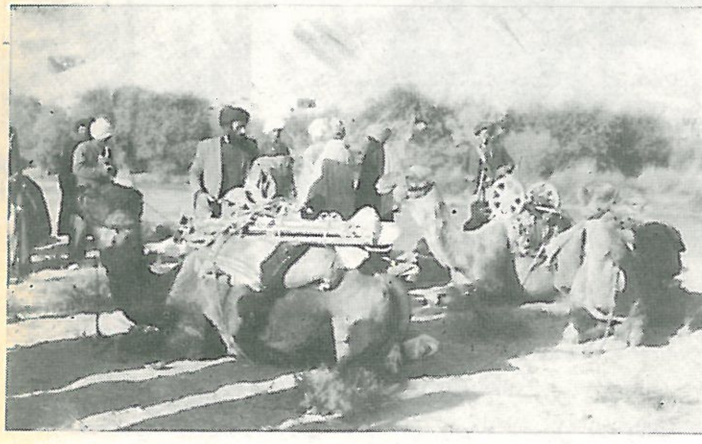
وبالنسبة للجهاد الأفغاني، عندما انطلق أول الأمر، كان مستوى التسليح فيه بسيطا جدا، ويمكن من خلال صور عديدة، لمناطق مختلفة في أفغانستان، ملاحظة البنادق القديمة التي كان المجاهدون يتوفرون عليها، وبها يقاتلون...

وبمرور الوقت، أصبحت **الغنائم** هي المصدر الرئيسي للتسليح لدى المجاهدين، بما في ذلك الأسلحة التي يحملها معهم الجنود المنضمون الى المجاهدين، وهم بالآلاف... أما ما يتوصلون به من قياداتهم في بشاور، فهي كميات ضعيفة، وتتكون بالدرجة الأولى من الأسلحة الفردية وبعض الرشاشات الثقيلة، وهذا المستوى من الامداد السلاحي لايزال ساريا الى الآن... (68).

وفي هذا الصدد، نسوق شهادة الدكتور عبد الله عزام الذي عايش حركة الجهاد لسنوات، ويعرف دقائقها وتفاصيلها أكثر من أي شخص آخر :

«إن أجرة السلاح تشكل عقبة كبرى أمام المجاهدين، وقد ينتظر المجاهد تسعة أشهر الى أن يوفر الله له سلاحه ومؤونته... وأكبر المشاكل، هو ما يواجه القائد حين يعيش متقلبا على أحر من الجمر، إذ في جبهته التي تركها في الداخل، قوات يخشى أن يفاجأها الروس بجيش عرمرم وليس لديهم ما يسدون به رمقهم ويوارون بشرتهم من كساء، وليس عندهم ما يكفون به عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم... وقد رأيت حالات كثيرة من القادة، يبقون يتضورون على الحدود ويتلهفون رؤية زائر قادم يشكون له حالتهم...

لقد وصل الى بنجشير، خلال ستة أشهر من عام 1985، أربعون ألف روبية، وفيها سبعة آلاف مجاهد متفرغ من خيرة المجاهدين، أي روبية واحدة لكل مجاهد في الشهر ــ ووصل الى جبهة هراة خلال نفس التاريخ



قافلة جمال وهي تحمل أسلحة من بينها رشاش ثقيل من نوع غوريونوف نموذج من الحرب العالمية الثانية (M 43) (المصدر : Guerres et conflis)

مائة ألف روبية وهم يعدون خمسة عشر ألف مجاهد، أي روبية واحدة لكل مجاهد، ويصل جبهة كونار ستة عشر ألف روبية شهريا وعدد المجاهدين فيها سبعة عشر ألفا ــ أي أقل من روبية واحدة...» (69).

وحول الكميات الضئيلة من الأسلحة والتموينات التي ترسلها القيادات من بشاور الى الداخل، يقول أوليفيي روا : «**تبقى الكميات ضئيلة بشكل مدهش. فجبهة مثل بنجشير لاتتوصل، إطلاقا، بأكثر من ست قوافل في السنة، علما بأن قوافل جبهة بنجشير هي الأكثر أهمية بالنسبة للمقاومة جميعا** : والقافلة تتكون من خمسين الى مائة فرس، أي ما يوازي حمولة عشرة أطنان على أقصى تقدير في الرحلة الواحدة... وتقضي مجموعة من المجاهدين تتكون من 20 فردا معدل سبعة أشهر في بشاور لكي تحصل على حصتها من السلاح، وتتكون من عشر بنادق رشاشة من نوع AK 47 (كلاشينكوف عادي) وقاذف واحد من نوع RPG7 مع عشرة من القذائف، وبضع بندقيات قديمة من نوع لي أنفيلد الانجليزية. أما إدخال رشاش ثقيل من نوع DShK فهي عملية خاصة يهتم بها القائد الميداني الذي يجب عليه ان ينتقل بنفسه ليتسلمه ويرتب إدخاله الى جبهته... وفي جميع الحالات فإن الجبهة، أو اللجنة هي التي تتكلف بنفسها، بتمويل عملية نقل السلاح... وكمثال على ذلك، تتكلف عملية نقل رشاش DShK فوق دابة، يرافقها مجاهدون سيرا على الاقدام، من بشاور، الى ولاية مَيْمَنَةَ في الشمال حوالي 80.000 أفغاني، أي حوالى 1500 دولار... إن المقاومة الافغانية هي واحدة من اكثر حركات **المقاومة ضعفا من حيث التجهيز، خاصة عندما نقارنها مع الرهان السياسي**



صواريخ أرض أرض وأحذية واقية غنمها مجاهدون بعد معركة مع كوموندو من الروس.

الذي تمثله. ومن حيث التسليح، هي بعيدة عما يملكه الفلسطينيون، والاريتريون والساندينيون. إنها مقاومة فقيرة، وحرب الفقراء» (70).

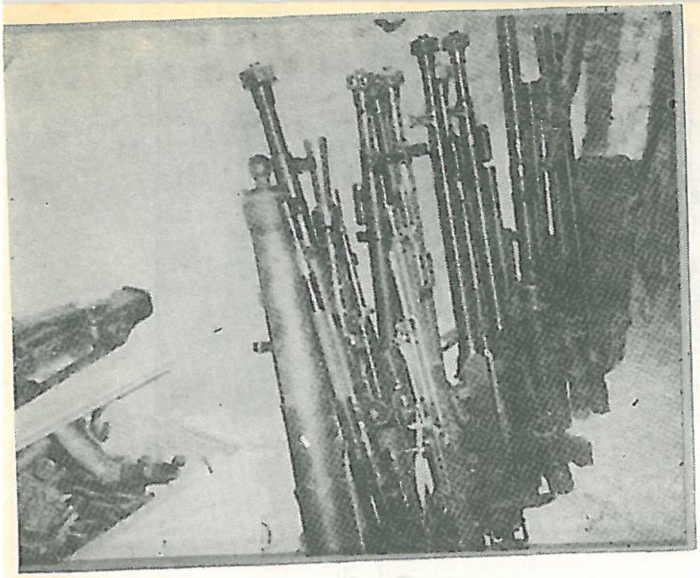
ولقد أتيحت فرص للعديد من الصحفيين والمصورين، من الدول الأوروبية، واليابان، واستراليا، والولايات المتحدة، وغيرها، لتسجيل أفلام وثائقية عن معارك المجاهدين، وعرضت هذه الأفلام على الرأي العام في تلك البلدان، وشوهدت فيها بوضوح تام، الأسلحة المستعملة في تلك الهجومات، وهي الأسلحة التي ذكرنا من قبل وما شابهها من الأسلحة السوفيتية الخفيفة والمتوسطة، ولم تشاهد أية أسلحة غربية كما توحي بذلك وسائل الدعاية السوفيتية، والغربية (وهذا التناقض صارخ حقا بين ما تبثه وسائل الاعلام من أفلام وثائقية، وبين ما تدعيه نفس تلك الوسائل دون أي إثبات) (71).

أما فيما يتعلق بالادعاءات الأمريكية عن «دعمها» للمجاهدين بالأسلحة، فمسألة تحتاج الى نظر وتمحيص.

هل تدعم الولايات المتحدة المجاهدين ؟

كثيرا ما تردد وسائل الاعلام، فيما يتعلق بقضية أفغانستان، الفكرة القائلة بأن الولايات المتحدة تقدم دعما متواصلا «للمقاتلين من أجل الحرية» كما يحلو للأمريكيين أن ينعتوا المجاهدين الأفغان. ولعل ذروة هذه الادعاءات، هو تصوير فيلم «روكي 3» الذي عرض في أروبا، والذي يظهر فيه «البطل الأمريكي» هذه المرة في أفغانستان وهو «يقود» المجاهدين في عمليات عسكرية ضد السوفييت، حيث ركز مخرج الفيلم على الدور الرئيسي والحاسم الذي يلعبه «البطل» الأمريكي، إذ هو الذي يخطط للعمليات العسكرية، وهو الذي يقودها، وهو الذي يقتحم المواقع، ويقوم ببطولات خارقة، بينما يتبعه مجموعة من المعمَّمين الملتحين الذين لايحسنون صنع أي شيء، سوى أن يتبعوا «البطل» أين ما حل وارتحل... ! ولا شك أن هذا الفيلم يعكس بوضوح أهداف الدعاية الأمريكية حول موقفها الحقيقي من المجاهدين الأفغان...

وإذا تركنا جانبا هذا الاسفاف الدعائي الذي لايستحق الرد، وانكببنا على التنقيب في المصادر الرسمية والاكاديمية الأمريكية، فإننا سنجد نقيض تلك الادعاءات، بل سيندهش المرء من درجة النفاق والتضاد، بين **المواقف المعلنة** والمواقف **المضمرة**....



مجموعة من الرشاشات الثقيلة غنمها المجاهدون وكثير منها يتم تفكيكه عادة من فوق ظهور الدبابات بعد إصابتها.

ولكي نتعرف على حقيقة الموقف الأمريكي من حركة الجهاد الأفغاني، لابد من اعتبار الحقائق التالية :

أولا : إن الولايات المتحدة، اعتبرت، منذ وقت طويل، أن أفغانستان تدخل ضمن مناطق نفوذ السوفييت، وبالتالي امتنعت عن التدخل في شؤون هذا البلد لهذا السبب. وهذه الحقيقة ليست وليدة لخيال، بل اعترف بها وأقر بها عدد من الأكاديميين والدبلوماسيين الأمريكيين المحترفين : فقد سبق لوكيل وزارة الخارجية السابق ديفيد د.نيوسم سنة 1976، أن ألقى خطابا في إحدى الجامعات الأمريكية، أشار فيه «**الى أن الولايات المتحدة، تعتبر هذه المنطقة (أي أفغانستان) وكأنها في نطاق نفوذ الاتحاد السوفييتي**». وهذه الوثيقة نشرتها هيئة استعلامات الولايات المتحدة... (72) وهذا الموقف أكده أيضا توماس. أ. جوتيير عميد الدراسات والبرامج الدولية بجامعة نبراسكا ومدير مركز الدراسات الأفغانية ويعتبر (أي المركز) الوحيد من نوعه في نصف الكرة الأرضية الغربي، وعمل هذا الخبير مديرا لمؤسسة فولبرايت في أفغانستان لمدة 10 سنوات... فقد ذكر في عرض له أمام «المؤتمر الدولي لبدائل القضية الأفغانية» بعنوان : «الولايات المتحدة والمقاومة الأفغانية» أن هناك «**دراسات قام بها رئيس أركان حرب الولايات المتحدة ومجلس الأمن القومي، تشير إلى أن الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، كانت تعتبر فيها أفغانستان، قليلة الأهمية أو عديمتها استراتيجيا بالنسبة للولايات المتحدة، وهذا استنادا الى تقييم مجلس الأمن القومي سنة 1953...**» (73) كما سبق لوزير الخارجية الأمريكي دالاس عام 1955 أن **رفض تقديم معونة عسكرية لأفغانستان** كما صرح بذلك السفير الأمريكي السابق روبرت ج.نيومات (74).

وحسب توماس أ. جوتيير نفسه، فإن إدارة الرئيس السابق جيمي كارتر أخذت بنصيحة شخصيات معينة مثل مارشال شولمان «**بتجنب أية مواجهة مع الاتحاد السوفييتي من شأنها أن تقلب الوفاق بينهما**»... «**وقد كان هذا واضحا جدا عام 1979 بما ابدته سياسة كارتر من عدم الاهتمام بعلامات واضحة أن الاتحاد السوفيتي كان يستعد للتدخل على نحو ضخم في أفغانستان**» (75).

ثانيا : يتضح مما سبق، أن الولايات المتحدة كانت على **علم مسبق** بعزم السوفييت على احتلال أفغانستان، وفيما يتعلق بهذه النقطة، فإن الادارة الأمريكية، اعترفت رسميا، بعلمها المسبق هذا بعزم السوفييت على احتلال أفغانستان، **دون أن تحرك ساكنا**، فقد صرح وار كريستوفر نائب وزير الخارجية السابق بما يلي : «**لقد كنا نعرف أن السوفييت قد شرعوا في حشد قواتهم في الجهة الأخرى من الحدود وقد وجهنا في وقت ما، تنبيهات الى**

السوفييت عن طرق القنوات الرسمية، كما أننا دخلنا في مناقشات حول الآفاق التي يمكن أن تتولد عن تلك الوقائع» [76] ومن خلال قراءة ما بين سطور هذا التصريح، يفهم أن مسألة احتلال الروس لأفغانستان، كانت موضوع «مناقشات ومباحثات» كما يستفاد بوضوح تام من هذا التصريح، **وذلك قبل الاحتلال.** إن عدم تحريك الولايات المتحدة لأي ساكن تجاه مخطط الاحتلال هذا، الذي كانت تعرفه مسبقا «وتفاهمت» بشأنه مع السوفييت قبل وقوعه، ذو دلالات واضحة لاتحتاج الى بيان... وهناك مصدر آخر أكد معرفة الأمريكيين مسبقا بما حدث، وهو باري بْلِتْشمان الذي كتب في مجلة «واشطن كوارترلي» المهتمة بالسياسة الدولية ما يلي : «**ورغم وجود دلائل قوية تشير الى احتمال إقدام الاتحاد السوفيتي على غزو أفغانستان، لم تحرك الولايات المتحدة ساكنا أو تهدد بعقوبات رادعة ومحددة**» [77].

ثالثا : يتضح مما سبق أيضا، أن الرؤية الأمريكية لقضية أفغانستان هي **رؤية براجماتية محضة**، أي أنها تنظر من خلال زاوية مصالحها البحتة، والشواهد على هذا كثيرة نقتصر على بعض منها :

ذكر مارفن ج فاينباوم (أستاذ العلوم السياسية ومدير برنامج حول دراسات عن آسيا الجنوبية والغربية في جامعة إلينوي وقام بأبحاث ودراسات عن أفغانستان منذ عام 1970) في عرض له بعنوان «المجتمع الدولي وأفغانستان» أن «**السياسة السوفيتية والسياسة الأمريكية، فيما يتعلق بأفغانستان، تقع في سياق أهدافهما الشاملة، ووضع علاقاتهما كقوتين دوليتين...**» [78]. وفي تعقيب للأمريكي سليغ هاريسون (من مؤسسة كارنيجي وهو خبير في شؤون آسيا الوسطى) في «المؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الأفغانية» عبر عن رفضه للفكرة القائلة بضرورة إزالة نفوذ السوفييت نهائيا من أفغانستان، وميز بين «إخراج القوات السوفيتية» و«إزالة النفوذ» السوفيتي، وهذا التصريح كان سنة 1983 [79] وقد كرر س. هارسيون هذا نفس المنطق في سنة 1987 عندما صرح لهيئة الاذاعة البريطانية بنوع من الاستنكار : «**إن المجاهدين لايرفضون فقط، المشاركة في حكومة ائتلافية مع الشيوعيين، بل يرفضون أي نوع من أنواع الاتصال مع حكومة كابل، وهذا أمر غير واقعي... وهم لايطالبون فقط بانسحاب السوفييت، بل ويرفضون أن يكون لهم (أي للسوفييت) أي نفوذ في أفغانستان، وهذا يدل على أن المجاهدين، ليست لهم رغبة في الوصول الى تسوية للمشكلة الأفغانية**» [80].

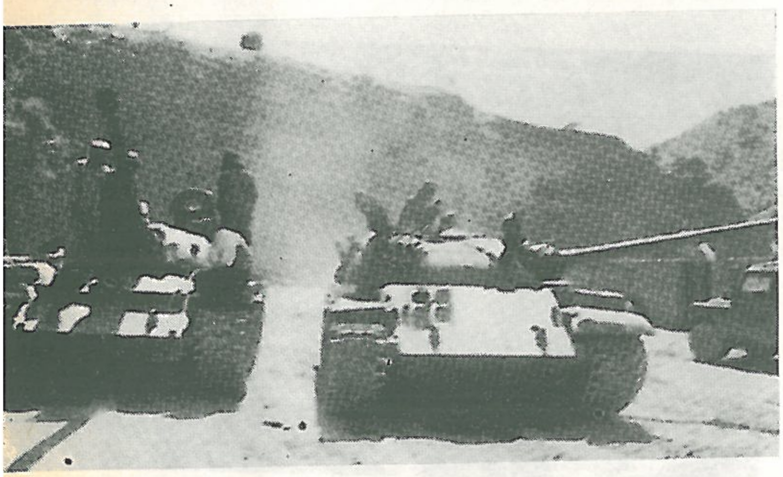
وفي هذا الاطار، هناك أمر يبعث على الدهشة فعلا : ففي الوقت الذي يحرص فيه الغربيون على أن يبقى للسوفييت نفوذ ما بعد انسحابهم من خلال مشاركة الشيوعيين الأفغان في السلطة، نسجل موقفا في غاية الغرابة سبق أن حدث في إذاعة موسكو (باللغة الانجليزية) بتاريخ 23 ماي 1983 عندما قام المذيع دانشيف بتسمية الاشياء بمسمياتها حيث وصف «المساعدات السوفيتية» لنظام كابل الصوري بأنه «احتلال» ووصف الجنود السوفييت بأنهم «قطاع الطرق» بينما وصف المجاهدين بأنهم «المدافعون عن بلدهم» ضد «السوفييت الغزاة» وكان مصير دانشيف أن نفي فورا من موسكو الى مصحة عقلية في طشقند [81].

رابعا : فيما يتعلق بموقف الغرب عموما، والأمريكيين خاصة، من حركة الجهاد الأفغاني، تعكسها تصريحات صادرة عن رموز ذات مستوى عال، يستحسن الاطلاع عليها :

فهناك تصريحات الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر التي تفيد بصراحة تامة كيف رغبت الادارة الأمريكية ــ على عهده ــ في أن «يتعذب الثوار» و«يكثر اللاجئون» وذلك «إلى أن يفهم المسلمون، بعد الضيم والوجع أن تعاونهم مع الولايات المتحدة هو في مصلحتهم» كما أشار باغتباط ظاهر الى أن عدم تحركهم أمام عزم السوفييت على احتلال أفغانستان «كان ضربة محكمة» إذ آتت أكلها عندما تقوّى النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط بشكل كبير... (يراجع التصريح في فقرة : التحليلات الغربية من الفصل الثاني).



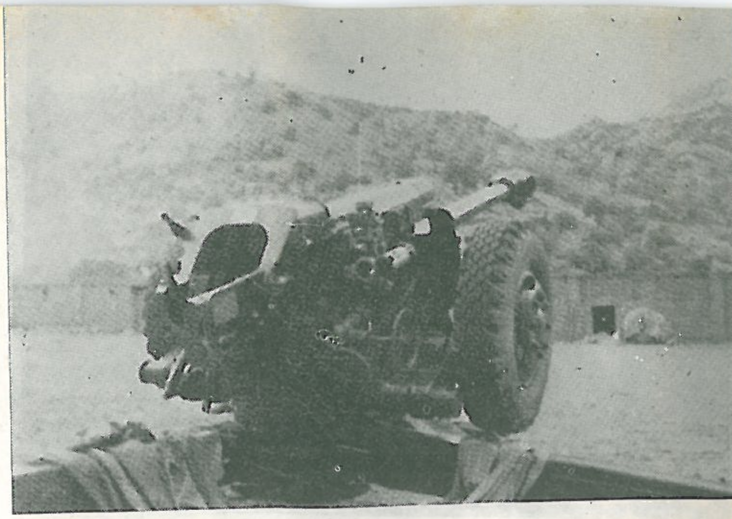
أسرى عملية بوشغور في 13 ــ 6 ــ 1985 في منطقة بنجشير وهم 480 جنديا من بينهم 80 ضابطا (المصدر : البنيان المرصوص عدد 3 ــ سبتمبر 1985).



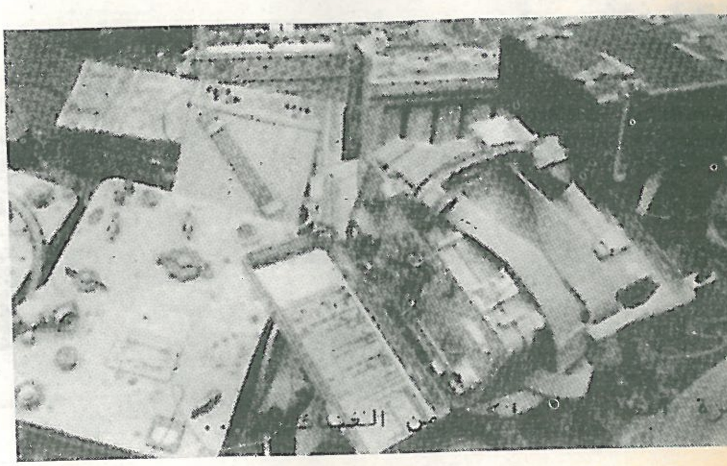
فق : دبابتان سليمتان غنمهما المجاهدون

تحت : قذائف مدفعية من الغنائم أيضا





مدفع ميدان M 30 عيار 122 مم سوفيتي — غنيمة (المصدر — الجهاد — مارس 1986)



أجهزة لاسلكي من الغنائم.

وبالنسبة لروبرت ج. نيومان الدبلوماسي الأمريكي العريق ورئيس معهد الدراسات الاستراتيجية بواشنطن، وكبير وفد الخبراء الأمريكيين الذين يتباحثون بشكل منتظم مع الخبراء الروس حول قضية افغانستان (82) حلل موقفه من المشروع الذي تطمح إليه حركة الجهاد في أفغانستان والمتعلق بإقامة نظام إسلامي قائلا : «إن الدولة — في صيغة الأصوليين — تحرم نفسها من مورد هائل وتتعثر مجهودات تطورها ! إن التطور ومذهب الأصوليين متضاربان على المستوى العملي. في استطاعتك أن تقول ما تشاء عن التنظير — نريد أن نقبل مظاهر التحديث الطيبة مع الاحتفاظ بقيمنا التقليدية — ولكن ليس هذا هو الطريق الى التطور، هذا النوع الدقيق من التمييز والفصل، ليس أسلوبا عمليا. إذا أردت التحديث فاختر طريقا، وإذا لم ترد، فاختر طريقا آخر» (83) وبغض النظر عن كون هذا الدبلوماسي المحترف المتمرس، ليس له الحق في أن يملي آراءه على المجاهدين الأفغان — مادام الأمر يتعلق بحق مقدس وهو حق تقرير المصير — إلا أنه، في مناسبة أخرى، ذكر موقفه بصراحة تامة من مسألة إقامة نظام إسلامي في أفغانستان وبلغة مباشرة وأكثر وضوحا من التعابير السابقة — لغة الدبلوماسيين الملتوية — حيث قال : «**أنا شخصيا، لاأحب أن أرى دولة أصولية في أفغانستان، لكن القرار عند الأفغان، وإذا بدأنا هذه اللعبة، فسوف تنتهي نهاية سيئة**» (84) سيئة بالنسبة للأمريكيين ؟ ربما، على أية حال، لقد استمر المجاهدون الأفغان في نهج هذا الخط، وهم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق هدفهم، وهم على أية حال، سعداء للغاية، وإن كان هذا لايعجب نيومان وأمثاله.



الغام من الغنائم في معارك خوست (ديسمبر 1986)
(البنيان المرصوص : فبراير 1987)

وهناك تصريح آخر، صادر هذه المرة عن الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، في مقابلة مع القناة الأولى للتلفزيون الفرنسي «حذر فيه من مخاطر انهيار الحاجز الذي يقف في وجه المد الديني المتطرف...» (85) ونفس الشيء بالنسبة لكلود شيسون وزير الخارجية الفرنسي السابق ومفوض السوق الأوروبية المشتركة حاليا الذي حذر هو الآخر من «تصاعد موجة الأصولية الاسلامية» (86).

وأعلن مسؤول أمريكي بارز أن الخبراء الأمريكيين يرون «أن هناك اعتبارات مهمة تشجع على تفاهم أمريكي سوفيتي لتطوير استراتيجية مشتركة» في منطقة الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا وقال هذا المسؤول «أن رئيسة الحكومة البريطانية مارغريت تاتشر ستمهد التعاون الأمريكي السوفييتي خلال لقاءها مع غورباتشيف..» (87) وهي الزيارة التي تمت في الشهور الاولى من سنة 1988.

على ضوء هذه المعطيات إذا، يتعين تحليل المزاعم القائلة بدعم الولايات المتحدة لحركة الجهاد الأفغاني بالمعنى الذي تردده وسائل الاعلام.

خامسا : فيما يتعلق بردود الفعل الصادرة عن الكتلة الغربية عامة والأمريكية خاصة تجاه الاجتياح السوفيتي لافغانستان، من المفيد الاستطراد قليلا في سبر غور هذه المواقف، وذلك من خلال **مقارنات** سريعة بين مستوى ردود الفعل تلك، وبين ردود الفعل لدى نفس الكتلة تجاه الأزمة البولونية في شهر ديسمبر 1981. والهدف من هذا الاستعراض، هو تسليط المزيد من الضوء على **طبيعة المواقف الغربية، الحقيقية تجاه المأساة الأفغانية وبالتالي تجاه الجهاد الأفغاني**.

فقد صرح وارن كريستوفر، كاتب الدولة المساعد في الشؤون الخارجية والناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية في 6 يناير 1980، أي بعد الاجتياح السوفياتي بأسبوع، حول رد الادارة الأمريكية على هذا الاجتياح قائلا : «**إن الرد يجب أن يكون حازما وممتدا في الزمن**» (La riposte doit être résolue et prologée dans le temps) ويرمي الى هدفين : «**دفعه** (أي الاتحاد السوفيتي) **للتراجع عن أفغانستان**» وإقناعه بأن «**كل تعدٍّ من هذا النوع** (على بلد آخر) **سيتسبب له في تبعات ثقيلة، وأنا أرفض الاعتقاد، أن رد فعلنا سيكون هذه المرة، قصير الأجل**» (88).

وهكذا أعلنت الادارة الأمريكية عن حظر تصدير القمح للاتحاد السوفيتي كإجراء أساسي، وفي وقت لاحق، قاطعت الألعاب الأولمبية التي أجريت بموسكو... وبالنسبة لهذا الاجراء الأخير، لايمثل سوى طابعا دعائيا أكثر من أي شيء آخر، إذ لاتتأثر بسببه المصالح الاقتصادية للاتحاد السوفيتي. والذي يهمنا، هو الاجراء الأول، خاصة وأن الاتحاد السوفيتي بقي يعاني من عجز مستمر طوال سنوات، ولا يزال إلى الآن، في مجال إنتاج القمح، حيث

يغطي عجزه هذا دائما عن طريق استيراده من الغرب، والولايات المتحدة خاصة... وإلى هذا الحد، يبدو الوعيد الكلامي الأمريكي شيئا جميلا... ولكن، لننظر ماذا حدث بعد ذلك بالفعل ؟

لقد استمرت الولايات المتحدة في تزويد الاتحاد السوفيتي بالقمح، وإن لم يكن بالحجم المطلوب، حيث صدرت إليه — من أكتوبر 1979 الى أكتوبر 1980 — 8 ملايين طن من القمح من أصل 25 مليون طن كان من المفروض أن يستوردها السوفييت من الولايات المتحدة [89]... وبالنسبة لهذا العجز، سرعان ما تمت تغطيته بوسائل أخرى : وهكذا أعلن الوزير الكندي المكلف بالشؤون الزراعية Candian Wheat Board في 18 نوفمبر 1980، عن رفع بلاده لصادراتها الزراعية للاتحاد السوفياتي من 3،8 مليونا طن الى 5،9 مليون طن، كما أعلن أن هذا الأخير قد توصل بـ 26 مليون طن — الى غاية ذلك الوقت — من أصل 30 مليون طن [90].

وبالنسبة للولايات المتحدة، **وقعت في 9 يونيو 1981 في لندن اتفاقية لتزويد الاتحاد السوفيتي بستة ملايين طن من الحبوب الى غاية 30 سبتمبر من نفس السنة.** [90 م].

من الصعب جدا أن نتصور أن كندا، المرتبطة جذريا بالولايات المتحدة، يمكنها أن تقدم على اتخاذ إجراءات مخالفة للمصالح الاستراتيجية الأمريكية دون موافقة هذه الأخيرة لها على ذلك...

ونفس الشيء بالنسبة للبلدان الأوربية : فقد أعلنت وزارة الزراعة الأمريكية، أن البلدان الأوروبية، قد ضاعفت **ست مرات** حجم صادراتها من الحبوب الى الاتحاد السوفيتي في الفترة الواقعة من سنة 1979 الى نهاية الأشهر الستة الأولى من سنة 1981، (أي في ظرف سنة ونصف على أكثر تقدير) حيث قفزت صادرات فرنسا الى السوفييت من 219 ألف طن من الحبوب سنة 1979 الى 645 ألف طن سنة 1980، كما ارتفعت صادرات ألمانيا الاتحادية الى 520 ألف طن... [91].

ويبدو أن الذاكرة الأمريكية ضعيفة جدا، حيث نسي البيت الأبيض وعود ووعيد وارن كريستوفر، عندما أعلن الرئيس الأمريكي ريغن في 24 أبريل 1981 عن رفع الحظر على تصدير الحبوب الى الاتحاد السوفيتي [92] وقد عللت الادارة الأمريكية هذا التراجع بكون الاتحاد السوفياتي لم يقم بغزو بولونيا بعد الأزمة الاجتماعية التي عصفت بها في تلك السنة، وهذا ما حدا بالسناتور وليم بروكسماير الى التعليق على هذه الخطوة قائلا «إن رفع الحظر هذا، بدعوى أن السوفييت لم يجتاحوا بولونيا، مثله كمن يكافىء سارقا محترفا لأنه لم يقم بالسطو على أحد البنوك» **وقد رفضت لجنة الشؤون بالكونغرس الأمريكي، اقتراحا لاعادة إقرار الحظر، وذلك بتاريخ 13 ماي من نفس السنة...** [93] وفي 26 ماي، أعلنت الحكومة الكندية أنها توصلت الى إبرام عقد مع الاتحاد السوفيتي يقضي بتزويده — خلال خمس سنوات — بـ 25 مليون طن من القمح ابتداء من غشت 1981، وقد كانت **«أضخم صفقة تعقدها الحكومة الكندية في تاريخها حتى ذلك الوقت...»** [94] **وفي هذا الوقت بالذات، كانت القوات السوفيتية تمعن في الابادة والتدمير والتهجير، حيث وصل عدد المهاجرين الأفغان الذين هربوا بأرواحهم من المحتلين — حسب الاحصائيات الرسمية لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين — حتى أواسط نفس السنة (1981) أكثر من مليونين من الأشخاص...** [95] ومنذ ذلك الوقت، عادت المياه الى مجاريها، ولم يعكر صفوها أي شيء بين الروس من جهة والأمريكان والأوربيين من جهة أخرى فيما يتعلق بالمسألة الأفغانية.

وهكذا إغتبط الرئيس ريغن، عندما أعلن في 15 أكتوبر 1983 عن السماح للاتحاد السوفيتي بشراء 15 مليون طن من الحبوب وهي كمية إضافية استثنائية ليرتفع حجم المبيعات الأمريكية للسوفييت خلال نفس السنة الى 23 مليون طن... [96].



تدريبات عسكرية ذات مستوى رفيع بمباشرة القائد بنفسه



مجاهد من بنجشير يحمل بندقية هجومية نوع **AK 74** مزودة بمكثف للضوء للقتال الليلي، وهي لا توجد الا عند رجال الكوماندو الروس، (المصدر : فيليب روندو Guerres et conflits)



مجاهد من كندز يحمل صاروخا مضادا للطائرات من نوع سام 7 روسي الصنع



مجموعة من الجنود الحكوميين الذين انضموا للمجاهدين

وفي شهر يناير 1987، عرف المجلس الأوروبي مناقشات صاخبة بخصوص بحث إمكانية تزويد الاتحاد السوفيتي بـ 3 ملايين طن من القمح **بسعر امتياز منخفض**، حيث لقي الاقتراح بعض المعارضة لأسباب تتعلق **بانخفاض الدولار** (طبعا ولا يعقل أن يكون هناك سبب آخر أكثر وجاهة كالوضع المأساوي في أفغانستان مثلا !) وكان رد البعض على هذه المعارضة، هو أنه سبق لفرنسا أن باعت 2،2 مليون طن من الحبوب للاتحاد السوفيتي بـ 75 دولارا للطن الواحد، كما أن بريطانيا باعت له 1،5 مليون طن بنفس الثمن المخفض، بينما كان ثمن الطن في السوق الدولية آنذاك 169 دولارا [97]، وتم هذا **في نفس الوقت الذي شن فيه السوفييت هجومهم الضخم على قواعد المجاهدين في ولاية باكتيا** في محاولة منهم لفك الحصار عن مدينة خوست... !

ليس الهدف من وراء استعراض هذه الحقائق هو التحسُّر بسببها، فهذا أمر غير جائز بالتأكيد، ولكننا سقناه لنقارنه مع تصريح و. كريستوفر حول «الحزم» في رد الفعل الأمريكي تجاه احتلال السوفييت لأفغانستان، و«امتداده في الزمن» !

وهناك استطراد أخير نعتقد أنه مفيد هو أيضا في تجلية النفاق الذي يغلف الخطاب الغربي بخصوص المسألة الأفغانية :

فبعد انفجار الأزمة الاجتماعية والسياسية في بولونيا، التي توجت بإعلان الأحكام العرفية في 13 ديسمبر 1981، واعتقال ما بين 5 آلاف الى 12 ألفا سرعان ما أطلق سراحهم بعد فترة قليلة من اعتقالهم [98] ودون أن تزهق أية روح بولندية، جاء الرد سريعا وبانفعال كبير :

ففي 15 ديسمبر 1981، أصدر وزراء خارجية السوق المشتركة، بيانا في اجتماع لهم بلندن جاء فيه «إن وزراء... يكنون **تعاطفا عميقا** مع الشعب البولوني... وأن وزراء خارجية الدول العشر سيستمرون في تتبع الأوضاع في بولونيا **بانتباه خاص**...» كما «يدينون عمليات **المس الخطيرة** بالحقوق المدنية والانسانية للشعب البولوني وانتهاك المبادىء الأساسية لمعاهدة هلسنكي».

وفي بيان آخر ببروكسل في 4 يناير 1982، حث وزراء الخارجية «على أن تعمل السلطات البولونية، في أقرب الآجال، على رفع الأحكام العرفية، وإطلاق سراح المعتقلين، وإقامة حوار حقيقي مع الكنيسة ونقابة «تضامن» [99].

أما الرئيس الأمريكي ريغن فقد صرح في 17 ديسمبر 1981 : «نحن نعتبر أن الوضع في بولونيا على أقصى درجات الخطورة... وسيكون من المستحيل بالنسبة لنا، الاستمرار في مساعدة بولونيا على حل مشاكلها الاقتصادية، مادامت الأحكام العرفية مفروضة على الشعب البولوني...» [100]

أما مجلس وزراء خارجية حلف الأطلسي، فقد أصدر مجموعة من القرارات بتاريخ 11 يناير 1982، وكان مما تضمنته :

«تعليق القروض التجارية في المستقبل المتعلقة بسلع أخرى إضافة الى المنتوجات الغذائية.

ـ تعليق المفاوضات المتعلقة بأداء الدين العام البولوني المستحق عن سنة 1982.

ـ يؤكدون استعدادهم للاستمرار والزيادة في المساعدات الانسانية لصالح الشعب البولوني.

ـ سيبحث الحلفاء الاجراءات الممكن تطبيقها على الواردات الآتية من الاتحاد السوفيتي، وعلى الاتفاقيات البحرية، والخدمات الجوية، ومجموع الممثليات التجارية السوفيتية، وكذلك الشروط المتعلقة بقروض الاستيراد...

ـ سيفكر الحلفاء أيضا (وهي تهديدات جدية) **في العلاقات الاقتصادية على المدى الطويل بين الشرق والغرب**، وخاصة فيما يتعلق بالطاقة، والمنتوجات الزراعية وتصدير التكنولوجيا...» [101].

أما **الاجراءات العملية** الأخرى المتخذة من طرف الدول الغربية **تجاه الاتحاد السوفيتي**، فقد عبر عنها الرئيس ريغن في 29 ديسمبر 1981 كما يلي :

1 ـ إلغاء تصريحات تصدير تجهيزات بترولية موجهة للاتحاد السوفيتي.

2 ـ تأجيل مفاوضات بيع الحبوب للاتحاد السوفيتي (الى حين إلغاء الأحكام العرفية).

3 ـ إلغاء جميع خدمات شركة ايروفلوت للطيران في الولايات المتحدة.

4 ـ عدم تجديد اتفاقيات التبادل حول الطاقة، والعلوم والتكنولوجيا.

5 ـ وقف المفاوضات الخاصة بتجديد اتفاق استعمال الموانىء الأمريكية من طرف البواخر السوفيتية (وقد بلغت زياراتها 337 زيارة سنة 1981)» [102].

أما بالنسبة للدول الأوروبية، فقد بلغت قيمة السلع التي **امتنعت** الدول الأعضاء في السوق المشتركة عن استيرادها من الاتحاد السوفيتي، فقد بلغت **2 مليار و700 مليون فرنك فرنسي، وهي تمثل نصف قيمة واردات دول السوق من الاتحاد السوفيتي**» [103].

وإذا كانت هذه المواقف العنيفة، السياسية والاعلامية والاقتصادية قد تم اتخاذها عمليا **لمجرد إعلان الأحكام العرفية في بولونيا**، فماذا كان يتعين على الكتلة الغربية أن تفعله بالنسبة للاجتياح السوفيتي لأفغانستان، دون أن يكون هناك أي مجال للمقارنة بين ما حدث في هذه الأخيرة، وما حدث في بولونيا ؟ ومن المعروف، أنه تم إلغاء هذه العقوبات حالما ألغت الحكومة البولونية حالة الطوارىء. وإذا عدنا الى تصريحات وارن كريستوفر الملتوية، ستتضح لنا

الفروقات الهائلة بين الموقفين !.

على ضوء هذا كله، نستطيع أن نفحص بعدئذ المزاعم القائلة بمساندة أمريكية لحركة الجهاد في أفغانستان.

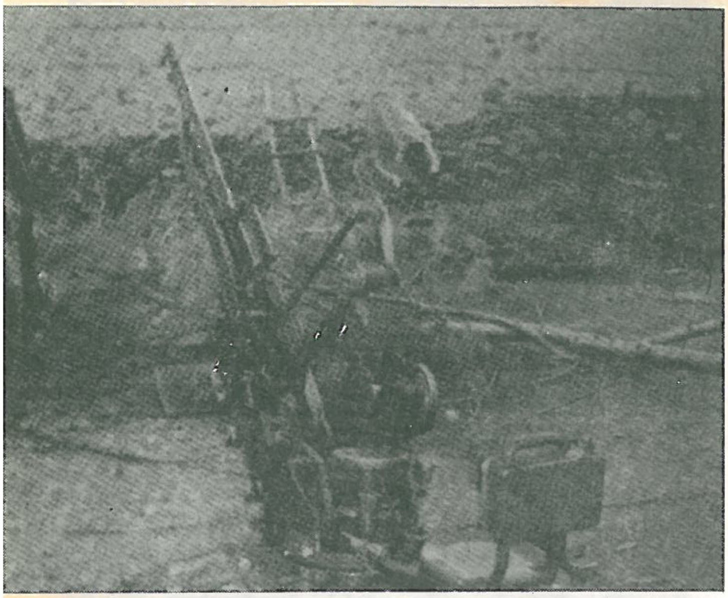
اتهامات

يتبين من خلال العديد من المناقشات التي جرت في «المؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الأفغانية» ــ من بين ما يتبين ــ أن مسألة «المساعدات» الأمريكية «للمقاتلين من أجل الحرية» قد تمت مناقشتها بدرجة كبيرة من الالتواء والضبابية، كما أن التناقضات التي طبعت تصريحات الخبراء الأمريكيين في المؤتمر حول هذا الموضوع، بيِّنة، بل كانت هناك اتهامات صريحة من طرف بعضهم للادارة الأمريكية بتقصيرها في تقديم دعم عسكري حقيقي للمقاومة الأفغانية، ونشير قبل عرض هذه الشهادات، إلى أن بعض الخبراء الأمريكيين حرصوا على أن يصفوا «المساعدات» المزعومة بأنها «سرية»، رغم أن وسائل الاعلام الغربية عموما، والأمريكية خاصة، ما فتأت تصرح بوجود دعم أمريكي للمجاهدين، فلماذا توصف بأنها «سرية» ؟ ولماذا لايكشف النقاب عن تلك «المساعدات» ؟ وإذا كانت الولايات المتحدة قد خصصت، بطرق مباشرة، دعما عسكريا مهما للكونترا، وقامت بتدريبهم بواسطة خبراءها العسكريين في الهندوراس، وتسليحهم بأسلحة مهمة فعلا، فما المانع من كشف أشياء مماثلة ــ في حالة وجودها فعلا ؟

لقد تساءل البروفسور **مارفن ج فاينباوم** في عرضه أمام المؤتمر المذكور، أسئلة عدة حول مسألة الدعم الأمريكي المزعوم للمجاهدين، وهي مسألة تأخذ طابع الاتهام أكثر من أي شيء آخر... يقول هذا الخبير الأمريكي : «إذا كان المرء يقبل **الحقيقة** القائلة، بأن الدور الأمريكي ــ فيما يتصل بالمقاومة الافغانية ــ هو **دور متأثر بالمفاهيم** (أي بالدعاية) أكثر منه **بالمعرفة الحقة** لهذا الدور، فقد يكون من الأفضل أن نمحص بعضا من الأسئلة التي تثيرها هذه المفاهيم :

كيف تستفيد مصلحة الولايات المتحدة من تقديم المساعدة العسكرية التي **توصف بأنها سرية** ؟ وعلى الرغم من أنه **ليس هناك اعتراف من قبل الولايات المتحدة، بأي شكل من الأشكال بهذه المساعدة، إلا أن هناك من كوّن مفهوما بأن الولايات المتحدة تقدم مساعدة حربية للمقاومة**» (والمقصود بالاعتراف، الاعتراف الرسمي، كما هو الشأن بالنسبة للكونترا مثلا، والتشديد على العبارات من عندنا).

«... هل **كمية الاسلحة ونوعيتها** التي حصلت عليها المقاومة تخدم مصالحنا ومصالح الأفغانيين كذلك ؟... أليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تبين من مسألة **مستويات الأسلحة** حتى لانتحمل باستمرار إدعاء الناس في الداخل والخارج أن سياستنا هي أن نحارب السوفييت بآخر أفغاني ؟. هل **استغلالنا** افتقار المقاومة الى الوحدة يمثل عذرا لعدم إمدادهم بأنواع معينة من المساعدة يخدم مصالح الولايات المتحدة ؟»... وقبل طرح هذه الأسئلة، أقر البروفسور فاينباوم بأن «هناك **تفاهما** بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، بشكل صفقة متبادلة تتعلق **بعدد الأسلحة ونوعيتها** التي قد يدخلها أي منهما الى مناطق الآخر ذات الأهمية...» وفي ملاحظة أخرى أكثر صراحة فيما يتعلق بالمزاعم الأمريكية، قال هذا الخبير ــ الذي تركز عرضه على موضوع العلاقة بين الولايات المتحدة والمقاومة الأفغانية ــ مانصه «.... في استطاعة المرء أن يذهب الى أنه ــ فيما يتعلق بالمقاومة الأفغانية، فإن تماسك الولايات المتحدة في السياسة الخارجية وفي ثباتها في حفظ التزاماتها، هو مرة أخرى تحت الفحص والتمحيص ؟» كما اعترف فاينباوم بأن الاحتلال السوفيتي لأفغانستان قد دفع الغالبية الساحقة من الشعب الأفغاني لمجابهة المحتلين «**وكان الأفغانيون، مصممين العزم على أن يقاوموا هذا الاحتلال لبلادهم سواء بمساعدة أو بدون مساعدة خارجية**» (104) وفي هذا الاطار، أقر رالف هـ. ماجنوس (وهو



منظم المؤتمر المذكور ويعمل أستاذا ومنسقا لدراسات الشرق الأوسط في إدارة شؤون الأمن القومي بمدرسة أسطول الولايات المتحدة بكاليفورنيا) بأن هناك اتفاقا بين عدد من الخبراء الغربيين على أن **مصير القضية الأفغانية ستحدد من داخل أفغانستان**» (105)، أي من خلال جهاد الشعب الأفغاني قبل أي شيء آخر. وفي هذا الاطار أيضا، لاحظ البروفسور كلود مالوري Claude Malhuret رئيس جمعية «أطباء بلاد حدود الفرنسية» بذكاء، في أحد تدخلاته في المؤتمر، ومتسائلا ــ في نفس الوقت ــ عما **يمنع الولايات المتحدة من العمل على إنشاء وكالة غوث خاصة بالمهاجرين الأفغان** ــ الذين يشكلون أكبر مشكلة للاجئين في العالم كما عبر عن ذلك بنفسه ــ معللا طلبه بأن إنشاء مثل تلك الوكالة سيوفر دعما سياسيا قويا للمقاومة الأفغانية. (106) وكانت هذه الملاحظة سنة 1983، إلا أن هذه الوكالة لم تر النور أبدا، رغم ضخامة قضية المهاجرين الأفغان، التي فاقت بكثير حجم اللاجئين الفلسطينيين، ومن حق الملاحظ أن يستنتج ــ بالنظر الى زخم الدعاية الأمريكية بخصوص قضية أفغانستان ــ أن الولايات المتحدة لاترغب بالتأكيد في أن يكتسب الجهاد الأفغاني أي دعم سياسي حقيقي يمكن أن يوفره إنشاء وكالة غوث خاصية بالمهاجرين كما طالب بذلك البروفسور مالوري !

أما حكاية صواريخ ستينغر، فقد ضُخمت لأسباب دعائية وسياسية واضحة، وهناك بعض الملاحظات الأساسية التي يجب إدخالها في الحساب أثناء تحليلنا للضجة حول هذه الصواريخ وهي :

1 ــ أن الولايات المتحدة لم تقم **ببيع** هذه الأسلحة للمجاهدين إلا بعد أن تأكد لها يقينا أن حركة الجهاد على أبواب النصر حيث **لم تظهر** هذه الصواريخ على مسرح العمليات الحربية في أفغانستان إلا سنة 1987 أي بعد **ثماني سنوات** من انطلاق الجهاد المسلح، وإلا، فلماذا لم تزود المجاهدين بهذا النوع من الأسلحة طوال سنوات الجهاد رغم حاجتهم الماسة لها ولغيرها من الأسلحة المتطورة لكي يواجهوا «قوة عظمى» ؟

2 ــ إن هذا السلاح لم يعط هبة ولا «مساعدة»، بل اشتراه المجاهدون بسبعين ألف دولار للصاروخ الواحد (107).

3 ــ إن كمية الصواريخ المباعة للمجاهدين كانت كمية محدودة وسرعان ما قامت الولايات المتحدة بوقف بيع هذا السلاح لهم (108).

4 ــ إن دور صواريخ ستينغر بقي دورا تكتيكيا محدودا بسبب ضآلة كميتها من جهة، ولكونها جاءت متأخرة جدا؛ ويكفي أن نضرب مثالا على ذلك عندما قامت قوات أحمد شاه مسعود بالسيطرة على مدينة كندر في صيف 1988 بعملية سريعة ومحكمة، الا ان القوات الحكومية سرعان ما استعادت السيطرة على المدينة بعد تدخل الطيران السوفيتي انطلاقا من قواعده



في آسيا الوسطى القريبة من الحدود إذ لاتبعد كندز عنها بأكثر من خمسين كيلو مترا، ولو كان المجاهدون يتوفرون على شبكة كافية من هذه الصواريخ لما جرؤت الطائرات المعادية على دك المدنية ولما انسحبت منها قوات المجاهدين !

وهناك خبر مهم له علاقة بما نحن بصدده، إلا أنه لم يحظ بأية تغطية تتناسب مع حجمه ودلالاته : فقد أوردت جريدة القبس الكويتية بتاريخ 15 مارس 1987 خبرا مفاده أن النائب وليم غراي رئيس لجنة المالية التابعة لمجلس النواب الأمريكي ومن كبار أعضاء إدارة الحسابات العامة «طالب بفتح تحقيق في اتهامات تقول بأن **مآت الملايين من الدولارات المخصصة كمعونات عسكرية للمقاومة الأفغانية لم تصل الى هذه الأخيرة على مدى السنوات السبع الماضية**» وكان من المفروض أن يجتمع النائب مع محققين في ملجس دائرة مراقبة الحسابات العامة للتباحث في مجال إجراء التحقيق «بعد أن اتضح أن وكالة المخابرات المركزية **اتخذت قرارا بعدم السماح بفتح ملفات لدائرة مراقبة الحسابات** باعتبار أنها سرية...» ! وعلى الرغم من اقتصار مخصصات الكونغرس ـــ على هزالها الشديد بالقياس لحجم مأساة المهاجرين الأفغان ـــ على المساعدات «الانسانية» إلا أن هيئة أمريكية مُعَيَّنة أطلقت اتهامات ـــ حسب نفس الصحيفة ـــ بكون **70% من تلك المخصصات البالغة 342 مليون دولار** (في خمس سنوات، من 1980 الى 1984) **لم تصل الى وجهتها**، حسب نفس الجريدة.

ورغم خطورة هذه الاتهامات، والمستويين القانوني والسياسي الذي أثيرت فيهما هذه الاتهامات، (كما لاتقل بحال من الأحوال، من حيث حجمها، عن فضيحة «إيران غيت»)، إلا أننا لم نسمع قط عن مصير هذه التحقيقات، ولم تثر حولها أية ضجة إعلامية أو سياسية ؟ أما لماذا، فالمفروض أن تجيب اللجنة المالية بالكونغرس الأمريكي على هذا السؤال، إلا أن الذي يهمنا في هذا المقام، ليست سمعة الادارة الأمريكية والأجهزة التابعة لها، فقد تكفل البروفسور فاينباوم بتوجيه اللوم الشديد الى مصداقيتها صراحة، ولكن الأهم بالنسبة إلينا هو التدليل على تهافت الادعاءات الأمريكية بدعمها المزعوم للمجاهدين الأفغان، حيث بلغت الصفاقة حضيضها عندما صرح الناطق الصحفي باسم البيت الأبيض أن تسوية جنيف «هي أعظم انتصارات إدارة الرئيس ريغن» (109) ولا شك أن رضوخ السوفييت ـــ نتيجة للضغط العسكري الذي مارسه المجاهدون ـــ للجلوس على مائدة المفاوضات وجها لوجه مع ممثلين عن «الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان» قد بخرت تماما هذه الادعاءات...

وهناك شهادة أخرى، من مصدر غربي أيضا، وهي جريدة لوموند، ذكرت ـــ تعليقا على نتائج سفر برهان الدين رباني الى الولايات المتحدة في أواخر سنة 1986 لحضور الدورة السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة ـــ أن الولايات المتحدة **رفضت الاعتراف بالاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان بصفته الممثل الشرعي والوحيد للشعب الأفغاني، كما رفضت تزويد المجاهدين بالأسلحة التي يطلبونها وذلك بعد أن تقابل رباني مع ريغن بناء على طلبه**(110).

أما بالنسبة للمجاهدين، فإن مواقفهم وتحليلاتهم بخصوص المزاعم الأمريكية معروفة وتزخر بها أدبياتهم السياسية وتصريحات زعمائهم، ومنها ما صرح به محمد ياسر المسؤول عن العلاقات الخارجية في الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان وعضو حكومة المجاهدين الانتقالية، حول ما يشاع عن تزويد الولايات المتحدة للمجاهدين بالسلاح قال : «**هناك يحاول الاستعمار دائما أن يقطف ثمرة جهاد الشعوب الاسلامية... إني أؤكد لكم أن ما ينشر عن تقديم مساعدات أمريكية للمجاهدين، هي إشاعات كاذبة ومؤامرة على الجهاد الأفغاني، حيث أن أمريكا تريد أن تصور للعالم أن الانتصارات الأفغانية هي بسبب السلاح الأمريكي وليس بسبب العقيدة الاسلامية... إن الجهاد في أفغانستان هو جهاد إسلامي بكل المقاييس، ويدافع عن عقيدة، ويعمل على إحياء الثقافة الاسلامية والجهادية بعد أن ماتت في نفوس المسلمين بسبب الاستعمار.**» (111).

عملية نموذجية ـــ فتح قاعدة كلفغان

إن الملاحم التي خاضها المجاهدون في كل أنحاء أفغانستان أكثر من أن تحصى، ولا شك أن هناك حاجة ماسة الى مركز دراسات وأبحاث خاص لتأريخ وتحليل مختلف مظاهر الجهاد في أفغانستان.

ولأخذ فكرة عن الأساليب التي ينهجها المجاهدون في تعاملهم مع أعداءهم والمحتلين وعملائهم، يتطلب الأمر إيراد نموذج أو أكثر لكل نوع من أنواع العمليات العسكرية التي يقومون بها، ونظرا لاستحالة القيام حتى بمثل هذه التغطية الجزئية، فإننا ندعو القارىء الى مراجعة أعداد مجلة «الجهاد» و «البنيان المرصوص» و «المجاهدون» وغيرها من المجلات الصادرة عن المجاهدين حيث عرض مراسلوها بشكل مفصل نماذج من أساليب القتال والجهاد ضد العملاء والدخلاء على السواء، ونخص بالذكر منها عملية مشهورة تبرز بوضوح الأساليب التي نهجها المجاهدون في مهاجمة الاهداف الثابتة الحصينة، ويتعلق الأمر بفتح قلعة «كلفغان» والمراكز المحيطة بها، دون أن يعني هذا أن هذه العملية هي أهم العمليات أو أولاها أو أخراها، بل نشدد على أن ملاحم الجهاد لايعلم عددها إلا الله سبحانه وتعالى، وساهمت فيها كل فصائل المجاهدين بدون استثناء، والذي جعلنا نختار هذه العملية دون غيرها، سببان : أولهما توفر معلومات دقيقة عن العملية بأغلب تفاصيلها فيما يتعلق بالجانب العسكري، والثاني لكون التغطية ـــ التي قام بها مراسل مجلة «الجهاد» وهو عربي من ضمن مئات من المتطوعين العرب والمسلمين من مختلف بقاع العالم الاسلامي في أفغانستان ـــ شملت جوانب الاعداد الأخرى السابقة للعملية العسكرية وخاصة ما يتعلق **بالاعداد الروحي والتربوي**، حتى يمكن للقارىء أخذ فكرة شمولية عن كل ما يتعلق بمفهوم الجهاد كما يمارس على الأرض الأفغانية، ونؤكد ثانية، أن إيراد عملية كلفغان كنموذج لا يعني بخس جهود كل فصائل المجاهدين، بل هناك أسباب منهجية هي التي أملت هذا الاختيار لاغير.

ونشير الى أن هذه العملية قد تم توقيت بدايتها على الساعة السادسة والربع من مساء 7 يوليوز 1987 بقيادة أحمد شاه مسعود، ويوجد معسكر كلفغان في موقع استراتيجي هام في شمال شرق أفغانستان بين ولايتي بدخشان وتخار ويحمي خط الامداد بين الولايتين واعتبر فتحها نصرا مبينا وهو يعكس المستوى الرفيع للاداء العسكري لدى المجاهدين (انظر مجلة «الجهاد» العدد 34 محرم 1408هـ/سبتمبر 1987)



تاجوار كاكار خلال زيارتها لفرنسا سنة 1987

تاجوار كاكار، نموذج المرأة الافغانية المجاهدة

ان قصة هذه القائدة المجاهدة، تاجوار كاكار، تجيب عن سؤال، سيخامر ولاشك، ذهن القارىء، وهو : ماهو دور المرأة الافغانية في الجهاد؟

من خلال الاستجواب، الذي أجرته معها مندوبة مجلة Arabies (الفرنسية، عدد سبتمبر 1987) ستتضح لنا بعض جوانب الجهاد الصامت الذي تشارك به المرأة الافغانية ضد الاحتلال السوفياتي لوطنها...

فجوابا على سؤال حول خلفية اشتراكها في الحركة الجهادية، قالت تاجوار **«النساء والرجال لهم نفس الاهداف... لقد قاتلت النساء في فجر الاسلام بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم ضد المشركين... وفي افغانستان كن في مقدمة من وقفوا ضد جيوش الاسكندر الاكبر... واليوم، نواصل على نهجهن بطبيعة الحال، لاننا من سلالتهن».**

لقد عرفت تاجوار كاكار العمل الجهادي مبكرا، فمنذ سنة 1977، عندما كانت مديرة مدرسة بمدينة كندز، عهد اليها أحد ضباط الجيش التابعين للحركة الاسلامية، بمهمة استطلاع اخبار الحركات الشيوعية السرية، والتعرف على الافراد والقيادات على الخصوص.

وبعد سنة، رفعت تقريرا يتضمن لائحة تضم خمسين من الاعضاء، مع تشكيلتهم التنظيمية، وتفاصيل الخطة المرسومة لاغتيال محمد دواد، وبهذا **الصدد تقول : «لم يفد هذا التقرير كثيرا، إذ أن اللجنة المرفوع اليها كانت هي نفسها مخترقة من طرف الشيوعيين، كما ان محمد داود سرعان ما أطيح به بعد ذلك بوقت وجيز».**

وبعد انقلاب ابريل 1978، تمكنت من أقامة شبكة مخابرات كل اعضاءها من النساء، واضطرت، بعد ان شعرت بأن حركاتها مرصودة، الى نقل نشاطها الى العمل المباشر حيث تقول : **«اتصلت بالسيد أربوب، أحد قادة الجمعية الاسلامية، وتمكنت، بالتعاون مع أحد المدرسين المنتمين الى نفس الحزب، من تشغيل عدة أساتذة من مختلف فصائل الجهاد، وصار رموز النظام يسمون ثانويتي «ثانوية قطاع الطرق» كما كان يحلو لهم أن يسموا المجاهدين...»**

وبالاضافة الى الترويج الاعلامي لصالح الجهاد على الساحة السياسية، واشعار التلاميذ والاساتذة بمسؤولياتهم وواجبهم الاسلامي، تم تكوين شبكات للاتصال بين المجاهدين في كندز، والخلايا السرية في كابل... تقول تاجوار كاكار : **«لم يكن لنا جهاز راديو وكنا نستغل كل المناسبات لارجاع الحق الى نصابه ومحاربة الاشاعات المضللة التي يروجها النظام، وقد جعلنا ولائم الزفاف خير مناسبة لمثل هذا العمل..»** كما لم يفتها اسلوب تحرير «الشبنوما» تلك المنشورات الليلية التي كانت تنسخ باليد لانعدام أدنى وسائل الطبع، لكي توزع أو يقذف بها في أفنية السفارات بواسطة المقاليع.

لكنها أصبحت معروفة مرصودة الحركات **«ولعدة مرات، وجدت الات تجسس صوتية في مكتبي، فقررت الانتقال الى كابل بعد التعلل بأسباب صحية..»**

وهناك، واصلت نفس العمل من غير كلل، الا ان ذلك لم يطل، حيث اعتقلت في ديسمبر 1982. وبعد سنة من السجن والتعذيب أطلق سراحها دون أن تبوح بأي شيء. ثم أعادوا تعيينها في كندز من جديد.

كانت التعليمات التي حملتها معها هذه المرة من القيادة، تتعدى الاطار المدني لتشمل تكوين جهاز عسكري قالت عنه **«كان تحت امرتي عشرون من الرجال، ويتلخص دورنا في جمع المعلومات العسكرية»** حيث لم تكن هناك اتصالات كافية بين المجاهدين والمدنيين : **«فمثلا للقيام بهجوم على مركز ما، يجب التعرف على المنطقة، والمسافات، وتحديد نقاط الضعف، واستقاء المعلومات عن القيادة، عن أساليبها ومزاجها وانتمائها السياسي... ثم عن معنويات الافراد ونوعية وكمية التسليح...»** ثم تضيف **«كنا نجتمع مرة في الاسبوع في ضاحية البلدة، وكنت كذلك على اتصال مع قادة الشبكات الاخرى في كندز بقصد التنسيق للعمليات واعداد المظاهرات...»** وبعد احدى هذه المظاهرات، كان عليها أن تسارع لمغادرة البلد **«لقد تم اغتصاب إحدى النساء وقتلت على يد أحد جنود الاحتلال في عقر دارها، فأرسلت «اللحى الرمادية»** (حكماء البلدة) **لطرح الامر والاستفسار في الموضوع مع حاكم المدينة، وكانت النتيجة، انه لم يرجع منهم أي أحد، وبعد ثلاثة أيام، جمعت عشرة من النساء، وانطلقنا في مظاهرة نحو وسط المدينة، وعند الوصول كنا حوالي 300 امرأة، نطالب بمحاكمة الجندي الروسي المسؤول عن الجريمة.»**

وفي الليلة الموالية، بلغها أنها ستعتقل في الغد، فجمعت أطفالها السبعة، ضمنهم اختهم الصغرى التي لم يتجاوز عمرها الاسبوع، وسمتها مايان (الوطن) ثم ارتحلت الى باكستان حيث تعيش منذ ذلك الحين

لقد تفرغت في دار الهجرة الى مهنتها الاولى، فأنشأت مدارس لابناء المهاجرين ودار للايتام، وأول ثانوية للبنات المهاجرات في 5 مارس 1987.

لكنها مع ذلك، لم تنس المجاهدين — الذي يكنون لها احتراما كبيرا — فهي على اتصال معهم لتبادلهم النصح وتعينهم على تنظيم شبكات جديدة. كيف ذلك؟ تقول تاجوار كاكار : «إنهم يزورونني عندما يأتون الى باكستان، أو يكتبون الي».

وتسألها المراسلة حول ما إذا كانت تشكل حالة نادرة، وتجيب **«اننا كثيرات في افغانستان، ففي نانكا غور، سقطت اثنتان من النساء القادة**

والسلاح بأيديهن في احدى الهجمات السوفيتية، وفي باكستان، خلال محاولة «المصالحة الوطنية» لقي بعض الرجال حتفهم على أيدى نسائهم عندما أبدوا استعدادهم للاستسلام..»

وتاجوار كاكار، على أية حال، تواصل تاريخ أسرة، فقد سجن أبوها ثماني سنوات بسبب مواقفه، وبناته يواصلن الطريق من بعده، فبينما تدير الاولى تنظيما جهاديا داخل افغانستان، تطمح الثانية في الحصول على تكوين في الطيران تمكنها من قنبلة مواقع داخل الاتحاد السوفياتي مستقبلا...



الدكتور عبد الله عزام عميد المجاهدين العرب في أفغانستان

شهداء عرب فى أفغانستان



شهيد من فلسطين



شهيد من مصر



الشهيد نور الحق، من المغرب

مع طفلين أفغانيين



شهيد من اليمن



شهيد من تونس

من الجنود الروس الذين انضموا الى المجاهدين وأسلموا. (المصدر : الجهاد ــ مارس 1986)



جنديان أسلما وانضما الى المجاهدين : الأول أحمد (سيرجي فلاديمير والثاني محمد إسلام (فكتور سيل بيوج) المصدر : البنيان المرصوص ــ عدد 20 ــ رمضان 1408.




صواريخ المجاهدين
تنطلق الى مطار كابل
"البنيان المرصوص" صفر 1408
غشت

الهوامش

1) Chroniques des faits internationaux : Tome 85-1981, 1er trim-Pub CNRS. PP : 100-101.

2) انظر على سبيل المثال لا الحصر، مقال البرافدا بعنوان : مصير جلال آباد، حيث انطلقت منها أول الوحدات المنسجمة، والذي أعادت نشره المجلة السوفيتية : Temps Nouveaux — n° 32- Août 1988 (الطبعة الفرنسية).

3) ورد هذا التعبير في الاستجواب الذي أجرته مجلة «النهج ـــ دفاتر الماركسية اللبنانية في العالم العربي» مع نجيب : عدد 19 ـــ 1988 ـــ بيروت. أما وصف «الأصوليين» و«المعتدلين» فقد ورد في استجواب أجرته معه مجلة «الأفق» الصادرة بنيقوسيا ـــ غشت 1988.

4) Temps Nouveaux : n° 50 — Dex 1986 Moscou p : 16.

5) للتوسع حول الدول الحضاري الرائع الذي شاركت به أفغانستان في بناء الحضارة الاسلامية، انظر الدراسة الممتازة للدكتور محمد علي البار : افغانستان، من الفتح الاسلامي الى الغزو الروسي ـــ دار العلم للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى ـــ 1985 ـــ 563 صفحة.

6) Victor Korgoune : l'Afganistan, les premiers pas vers l'independance - in- Etudes orientales en URSS — pp : 159-165.

وقد سبقت الاشارة الى هذا المرجع.

7) روا، ص. 46 ـــ 112 بمرجعه المذكور في الفصول السابقة.

8) فيكتور كورغون السابق.

9) مجلة «النهج» العدد المذكور أعلاه.

10) جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية 5 نوفمبر 1988.

11) مجلة «الأفق» العدد المشار إليه بالهامش 3.

12) أستاذ مساعد بكلية الحقوق بالدار البيضاء وعضو هيئة تحرير مجلة «تجاري» الصادرة عن المنظمة الاسلامية للتجارة التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي (!) وهو ابن علي يعتة زعيم «حزب التقدم والاشتراكية» أقدم الأحزاب الشيوعية المغربية، الذي احتفل مؤخرا بالذكرى 46 لتأسيسه حيث حرصت تلفزتنا المغربية على تغطية احتفاله!.

13) انظر على سبيل المثال لا الحصر :

ـ «دراسات اشتراكية» مارس 1987 ويونيو 1988 ـــ القاهرة

ـ «المدار» عدد 3 ـــ 1988 موسكو.

— L'Union soviétique : n° 6 (459) 1988 — Moscou.

— Aubes Nouvelle : n° 8 — 1988 — Moscou.

— Temps Nouvelles.

وبالنسبة لهذه الأخيرة (الطبعة الفرنسية) تنظر خاصة الأعداد الصادرة في سنتي 87 و1988.

14) «اليسار السياسي... والاسلام» ـــ الحلقة التاسعة ـــ جريدة «الاتحاد الاشتراكي 11 نوفمبر 1988.

15) جاء هذا الوصف في عرضه لكتاب للعالم الباكستاني. د. أكبر أحمد. بجريدة الاتحاد الاشتراكي 24 يوليو 1988.

16) روا، ص. 275 ـــ 288.

17) المجلة 11 ـــ 17 ديسمبر 1982.

18) شهرية أبريل 1983.

19) هذه المذكرات منشورة في مجلة «المجاهدون» الصادرة عن جمعية إسلامي أفغانستان منذ عددهاال الأول (بالعربية) الصادر في نوفمبر 1986 ولا تزال هذه المذكرات تتوالى في كل عدد جديد، وعنوان المجلة البريدي :

Pakistan — Peshawar.

G.P.O. Peshawar — P.O. Box 1102.

أما العنوان البنكي : National Bank of Pakistan

Tahkal — Payan Branch — Peshawar — A/C 534 Mr.Burhanudin Rabbani.

20) مجلة «المجاهدون» عدد 9 ـــ جمادى الثانية 1409.

21) مجلة «البنيان المرصوص» ـــ أكتوبر 1988.

22) انظر الروبورتاجات المصورة عن معارك خوست وأسبابها والمعطيات الخاصة بها ونتائجها في مجلة «الجهاد» (د. عبد الله عزام) عدد 38 ـــ يناير 1988.

23) «المجاهدون» عدد 8 ـــ نونبر 1987.

24) «المجاهدون» 15/14 ـــ سبتمبر 1988.

25) المرجع بالهامش 19 أعلاه.

26) انظر فصل : «جذور الأصولية الأفغانية والحركات الشعبية حتى 1947» من كتاب روا السابق الاشارة إليه، من ص. 74 إلى 93.

27) السابق ص 75 و76.

28) السابق ص 76.

29) السابق ص 76 ـــ 77.

30) المرجع نفسه بالهامش 19 أعلاه.

31) انظر كذلك روا ص 95.

32) انظر مذكرات د. سيد محمد توانا، كذلك د. محمد علي البار ص. 279 كذلك روا ص 102.

33) د. محمد علي البار ص 278.

34) مذكرات توانا ـــ عدد 8 ـــ نوفمبر 1987.

35) روا ص 95.

36) السابق ص 97، ونشير الى أن المعلومات التي أوردها روا عن هذه المرحلة وغيرها، استقاها من أدبيات الحركة الاسلامية المنشورة وقتئذ أو عبر لقاءات مع الكثير من قيادات المجاهدين، بما في ذلك رباني نفسه كما يستفاد من الهوامش أو من سياق شهاداته، انظر فصل : «الحركة الاسلامية حتى سنة 1978»، ص 94 الى 111، كذلك د. سيد محمد توانا في المذكرات، ود. محمد علي البار من ص 277 الى 281 وكل هذه المصادر متطابقة في المعلومات الواردة بها حول تلك المراحل.

37) روا ص. 102.

38) انظر فصل : الأوضاع قبل الاحتلال ـــ انتفاضة هرات.

39) فيما يتعلق بتفاصيل المرحلة، منذ هجرة القيادات، بعد حملات القمع في 1975 والى بداية الاحتلال، يرجع الى مذكرات توانا، والى البار، وروا.

40) يلاحظ أن المجلات الصادرة عن المجاهدين لم تبدأ في الصدور إلا بعد سنوات من بداية الاحتلال، وهذا راجع أساسا الى انعدام الامكانات المالية والبشرية اللازمة، قياسا على عدد من الجهات السياسية العربية (رسمية أو حزبية) التي تغرق السوق بأعداد كثيرة من عناوين المجلات والصحف رغم كونها لاتتوفر على رصيد شعبي، بعكس حركة الجهاد الأفغاني التي انغمست قياداتها كليا في محاولة توفير الحدود الدنيا لاستمرار الجهاد المسلح.

... فمجلة «الجهاد» (د. عزام) بدأت في 1985، وكذلك «البنيان المرصوص» (سياف)، أما «المجاهدون»، (رباني) فلم تبدأ إلا في نهاية سنة 1986 وهذا مؤشر آخر على تهافت الادعاءات القائلة بوجود دعم حقيقي للمجاهدين !

41) إ.نابي «حركة المقاومة الأفغانية» ـــ المؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الأفغانية المشار إلى مرجعه في الفصل الثاني.

42) الواقع أن هناك مصادر أخرى للمعلومات ولا شك، ونعني بها مصادر الأجهزة الخاصة والسفارات الغربية في المنطقة، إلا أنها تبقى بعيدة عن الايدي بسبب «حساسيتها» وإن كان بالامكان «اشتمام» بعض منها كما هو الشأن مثلا بالنسبة للعروض والمداخلات المقدمة في المؤتمر المشار إليه أعلاه على سبيل المثال.

43) نشرت ـــ على سبيل المثال ـــ مجلة «الحرس الوطني» الصادرة عن رئاسة الحرس الوطني السعودي ـــ التي تصف نفسها بأنها مجلة عسكرية متخصصة ـــ في عددها 19 ـــ السنة الخامسة ـــ يونيو 1984 مقالا في تسع صفحات عن أفغانستان، خصصت منه صفحة واحدة عن الجهاد الأفغاني وكان عنوان الفقرة «لمحة (!) عن الجهاد الأفغاني» كانت مخصصة للحديث عن أحمد شاه مسعود فقط ويغلب على هذه «اللمحة» الطابع العاطفي، كما تضمن المقال «معلومات» تنم عن جهل فاضح بحقائق الجهاد، عندما زعمت أنه كانت في أفغانستان ـــ زمن داود ـــ أربع تشكيلات سياية هي حزب خلق وحزب برتشام (اللذان هما مجرد جناحين لحزب واحد)، إضافة الى الحزب الاسلامي لحكمتيار وأخيرا الجمعية الاسلامية لرباني، والواقع أنه من المخجل ـــ بالمقارنة مثلا مع المجلات العسكرية المتخصصة الغربية أن نقيس مدى تخلف مجلاتنا «المتخصصة» وخصوصا فيما يتعلق بقضايانا الاسلامية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

44) انظر الخريطة الاثنية لأفغانستان

45) لقد ناقش طويلا العلاقات بين كل هذه المكونات، وأثرها على حركة الجهاد الأفغاني، ومن الصعب اتخاذ موقف محدد في غياب دراسات إسلامية مماثلة من النتائج التي توصل إليها، أو على الأقل، بالنسبة للبعض منها. انظر كتابه المشار إليه. وكذلك المقالان اللذان نشرهما بمجلة المشار إليها أيضا.

46) La geopolitique des deux Camps : les espaces de la guerre et de la resistance — Le Monde diplomatique : sept 1984 p : 22.

47) د. البار ص 59 — 60.

48) فوسي السابق.

49) محمد بوخزار : التحول من سلطة الحزب الى سلطة العشيرة — جريدة البلاغ المغربي (الموالية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية) 1986/12/24، وهي من المقالات النادرة جدا التي نشرتها الجريدة عن قضية أفغانستان.

50) سبق لمصادر المجاهدين أن أشارت الى هذه الولاية الجديدة وخلفيات إحداثها، ويمكن رؤية اسم باكتيكا واضحا على الخريطة في مكتب نجيب من خلال الصورة التي نشرتها له مجلة «الأفق»، غشت 1988، نيقوسيا، بصحبة مراسلها، وكذلك الصورة المنشورة بمجلة «النهج» الماركسية 1988/19.

51) روا، 211 — 214.

52) ورد هذا التصريح في شريط فيديو رآه كاتب هذه السطور. وتوجد نسخة منه لدى جمعية الثقافة الاسلامية بمدينة تطوان.

53) من العدد الأول الى العدد الثامن.

54) روا، ص. 100 — 101.

55) عدد 15/14 محرم 1409. (المجاهدون)

56) البنيان المرصوص — عدد : 3 — سبتمبر 1985.

57) عنوان المركز :

M.A.J : P.O. Box n° 712 Peshawar — Pakistan.

(وقع خطأ في أرقام الهوامش، من 57 إلى 68)

68 — انظر على سبيل المثال، الاستطلاع المصور الذي أنجزه «منصور البنزرتي» بمرافقة قافلة إمداد توجهت الى ولاية تخار في أقصى الشمال — مجلة البنيان المرصوص — عدد 20 — رمضان 1408 — انظر كذلك مجلة **Guerres et conflits** المشار إليها سابقا وفيها صورة لقافلة الجمال وهي تحمل بعض الأسلحة الخفيفة والمتوسطة.

69 — مجلة الجهاد، عدد 15 — غشت 1985.

70 — روا — ص 250 — 251.

71 — من بين الأفلام الوثائقية التي تعكس هذه الحقائق على سبيل المثال لا الحصر، الفيلم التسجيلي الذي صوره المعلق البريطاني المعروف ساندي غول بتلفزة بي.بي.سي عن معركة فتح مديرية نهرين، وهو شريط متداول، وكذلك شريط من إنجاز **Sigme TV** الفرنسية حول استيلاء المجاهدين على مركز معاد، وكذلك الأشرطة الوثائقية حول فتح قلعة كالفغان وغيرها من القواعد العسكرية من إنتاج الجمعية الاسلامية وكذلك الأشرطة المنتجة من طرف «ماج»... وكلها أشرطة متداولة.

72 — هذا الاستشهاد أورده الدبلوماسي الباكستاني ضياء السلام الانصاري في تعقيب له بالمؤتمر الدولي لبدائل المشكلة الافغانية المشار اليه سابقا (انظر الهامش 2 في الفصل الثاني) ص : 84.

73 — البدائل، ص 218.

74 — السابق ص. 219 السابق ص 231.

76 — هذا التصريح أورده كلود جوليان كبير محرري شهرية لوموند دبلوماتيك — فبراير 1980 ص. 12.

77 — هذه العبارات، أوردتها سوسن حسين المحررة بمجلة السياسة الدولية أبريل 1981، ص. 225 — القاهرة — وبالنسبة لمعرفة الامريكيين المسبقة بالغزو السوفيتي لأفغانستان أشار إليها كذلك كل من :

Pierre Métge : Le Monde (dossiers et doccument) Nov. 1986 P : 1.

Henris Paris : in Guerres et conflits d'aujourd'hui n°6 p : 6 1985.

78 — مؤتمر البدائل المشار إليه سابقا ص : 160.

79 — السابق ص : 237.

80 — هذا التصريح أورده المعلق غوردون آدم في برنامج «أضواء» بي بي سي 12 — 4 — 1987، السابعة مساء.

81 — هذه الحادثة المشهورة، استمع إليها ملايين الأشخاص في مختلف بقاع العالم ضمن نشرات 11 و12 و1 بتوقيت جرينتش، وقد أورد هذه التفاصيل ه. أ. كربي في مؤتمر البدائل، ص 38.

82 — الواقع أنه نادرا ما كانت وسائل الاعلام تتحدث عن هذه الاجتماعات مثل ذلك الاجتماع الذي عقده الوفدان في إسلام أباد لبحث حل للقضية قبل انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي بالكويت مباشرة (نشرة 11،15 ليلا بتلفزة الرباط بتاريخ 18 — 1 — 1987) والأهم من ذلك هو أنه لايعرف أي شيء عن فحوى تلك اللقاءات وما كان يدور فيها...

83 — مؤتمر البدائل، ص 284.

84 — السابق ص. 302

85) القبس الدولي 31 — 3 — 1987.

86 — القبس الدولي 26 — 4 — 1988.

87 — هذه المعلومات أوردتها جريدة القبس الدولي، وللأسف لم يسجل تاريخ العدد على القصاصة وإن كان الخبر يشير — في مقدمته — الى اجتماع عقده الرئيس الأمريكي ريغن مع أركان إدارته في أوائل فبراير 1988 لمراجعة السياسة الأمريكية وسبل التعاون مع السوفييت لمواجهة المضاعفات المحتملة «لانتصار النظام الايراني في الحرب مع العراق ومضاعفاته السلبية بما في ذلك تأثيراته على المسلمين في اسيا الوسطى. ونرى أن التفكير كان منصبا على مجمل التحرك الاسلامي وليس بالنسبة لايران وحدها خاصة وأنها كانت — انذاك — على مشارف إنهاء الحرب كما وقع بعد ذلك ببضعة أشهر.

88 — هذه التصريحات، أوردها كلود جوليان في مقال له بشهرية لوموند دبلوماتيك — عدد 311 — فبراير 1980 — ص 1.

89 — **Charles Rousseau : Chroniques des faits internationnaux : Revue Generale du Droit Public International Tom 85 — 1981/1 — Pub. CNRS — pp 100, 101 — Paris.**

90 — المرجع السابق.

90 م — نفس مرجع الهامش 91 أسفله.

91 — المرجع السابق — مجلد 85 — سنة 1981 الفصل الثالث — ص 529 — 530.

92 — المرجع السابق.

93 — المرجع السابق.

94 و 95 المرجع السابق

96 — المرجع السابق — مجلد 87/1983 — الفصل الثاني ص 399.

97 — التلفزة المغربية — نشرة 11،15 ليلا بتاريخ 19 يناير 1987.

98 — المجلة العامة للقانون الدولي العام المشار إليها أعلاه — مجلد 86 — 1982 — الفصل الثالث — ص 603 — 612.

99 — المرجع السابق.

100 — المرجع السابق.

101 — المرجع السابق.

102 — المرجع السابق.

103 — المرجع السابق.

104 — مؤتمر البدائل، ص 221 — 226.

105 — انظر تقديمه لجوهر العروض المقدمة في المؤتمر، المرجع السابق.

106 — البدائل، ص. 256.

107 — هذه الحقيقة أوردها الدكتور عبد الله عزام في إحدى افتتاحيات مجلة «الجهاد» لسنة 1988 وللأسف لم نعثر على المرجع بدقة، إلا أن الخبر مؤكد وروده في المجلة المذكورة، كما نشير إلى أن الدكتور عبد الله عزام ذكر أن المجاهدين في الشمال تمكنوا من بيع كمية من الأحجار الكريمة التي يستخرجونها من محاجر الشمال وحصلوا على أموال مهمة بها.

108 — جريدة لوموند 30 مارس 1988، ونشير الى أن هذه الجريدة أوردت في متن الخبر نحوا آخر يتعلق بشراء المجاهدين لكمية من صواريخ ميلان المضادة للدبابات وهي من صنع فرنسي — ألماني وذلك في شهر مارس من نفس السنة، وعللت ذلك بكون المجاهدين لم يكونوا يتوفرون على أسلحة تمكنهم من تدمير الدبابات السوفيتية، وإذا كان عدم توفرهم من قبل على أسلحة متطورة مضادة للدبابات صحيحا، إلا أنهم استخدموا أسلحتهم المتواضعة بفعالية وشجاعة كبيرين ضد الدبابات السوفيتية، وإلا فكيف استطاعوا تدمير الآلاف من الدبابات والمدرعات طوال سنين الجهاد قبل حصولهم على صواريخ ميلان !

109 — القبس الدولي 1988/4/14.

110 — **Le Monde (dossiers et documents) Nov 1986 p : 4**

111 — في استجواب أجرته معه مجلة الوعي الاسلامي — يوليوز 1987 — الكويت.

التطورات الرئيسية خلال سنة 1988

ان الاتحاد السوفيتي ينسحب من افغانستان، المغامرة التي كلفته ارواحا واموالا كثيرة جدا، وهو يعلم أن هناك امكانية ضئيلة جدا لبقاء حكومة شيوعية في كابول. وفي عهد بريجنيف لم يكن هناك اي مجال للتفكير في هذا الامر او تصوره.

السير انتوني بارسونز

(مندوب بريطانيا الدائم لدى الامم المتحدة في الفترة من ١٩٧٩ حتى ١٩٨٢)

القبس الدولي

السبت - الاحد ١٩٨٨/١٢/٣١ - ١٩٨٩/١/١

□ لم يكن الكثير من المراقبين، يتصورون أن تتطور الأحداث على الساحة الأفغانية — خلال سنة 1988 — في اتجاه الهزيمة المتسارعة للقوات الروسية. وباستثناء العارفين ببواطن الأمور، فإن هؤلاء المراقبين كانوا يتوقعون استمرار الحرب لسنوات أخرى وذلك بناء على المعطيات التالية :

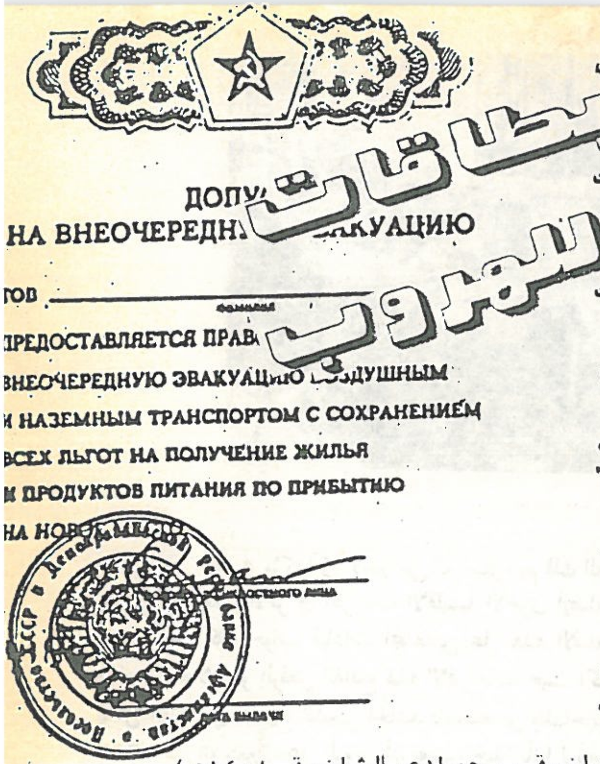
1 — الانهيار المتوالي للنظام الصوري في كابل وتؤكد استحالة صموده في وجه المجاهدين دون إسناد كامل من طرف قوات الاحتلال.

2 — عدم ظهور بوادر واضحة للعيان حول «عياء» قوات الاحتلال واستمرارها في الزج بقوات وتسليح إضافيين في مسرح العمليات العسكرية.

3 — تعاظم قوة المجاهدين وارتفاع مستوى التنظيم والأداء العسكري لديهم، وهو ما يعني تصعيد حدة القتال لفترات طويلة، إذا أخذنا بعين الاعتبار الهدف الأصلي الذي احتل الروس من أجله أفغانستان، وهو محاولة سحق حركة الجهاد وإخضاع البلاد الى السيطرة المطلقة للاتحاد السوفيتي.

4 — استمرار مؤامرة الصمت عربيا وإسلاميا ودوليا التي تطوق القضية برمتها وتركيز وسائل الاعلام على «مفاوضات» جنيف التي بقيت تراوح مكانها دون أن تظهر — للعيان مباشرة — علامات عن أي تقدم في هذه المفاوضات، خاصة مع رفض المجاهدين التام للجلوس على مائدة مفاوضات تضم عناصر من النظام العميل في كابل.

5 — تأكيد المجاهدين المستمر على ضرورة التفاوض مع الدولة المعتدية المحتلة، وهو ما كان يقابل بالرفض القاطع من طرف الروس...



بطاقات للهروب

وقع فى أيدى المجاهدين نموذج لبطاقات الهروب التى وزعتها السلطات الروسية على عدد من الشيوعيين الكبـ لهروبهم من أفغانستان عندما تضطرهم الظرف الى ذلك.

وقد أعدت البطاقات باللغتين الروسية والفارسية تحت عنوان "جواز الورود بلاقيدولاشرط" وكتب فى هذه البطاقة المذيله بالخاتم الأحمـــر:

▪ يسمع للرفيق ... مع عائلته بالدخول الى المطـــارات الحربية عند حدوث حالات الاضطرار .

▪ يحمل حقيبة يد لايتجاوز وزنها عشرة كيلوغــرام ولايسمع بحمل الأسلحة والمواد الغذائية.

هذا وقد عينت أماكن التجمع على خريطة مدينة كابل التى رسمت فى ذيل البطاقة منطقتين وهما "ثانوية أمانى" و"صالة المحبة للأفغان والروس" .

وتفيد بعد الأخبار أن أعضاء (٦٠) عائلة من أعضاء حزبى "خلق وبرشم" الكبار تم نقلهم الى روسيا، أمـــا رؤساء هذه العوائل لايزالون باقين فى أفغانستان.

وتفيد التقارير أن حكومة الهند وافقت على منـــح (١٥٠٠) بطاقه للشيوعيين الأفغان لاستخدامها فى حالات الاضطرار .

(المجاهدون : العدد التاسع ـ السنة الثانية ـ جمادى الثانية ١٤٠٨هـ)

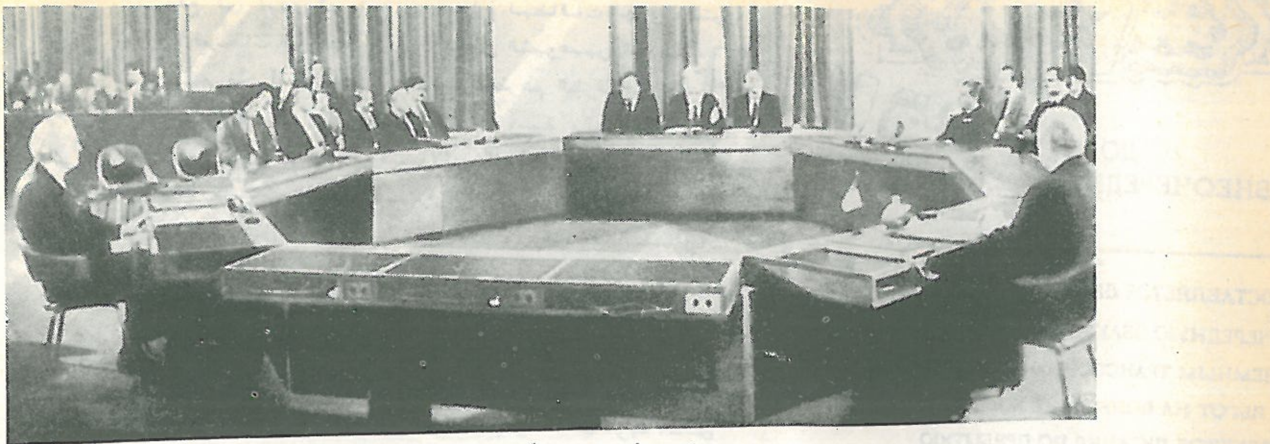
هذه المعطيات، كانت توحي بتوقعات متشائمة فيما يتعلق بمآل القضية، وكان الرأي آنذاك هو «**استحالة تحقيق المجاهدين لنصر عسكري**» على السوفييت كما كتب أوليفيي روا في مقدمة كتابه «أفغانستان الاسلام والحداثة السياسية» (ص 9)، وإن كان هذا الخبير يرى، في نفس الوقت، أنه من غير الممكن إلحاق الهزيمة بالمجاهدين، وترك للعامل السياسي دوره لامكانية الوصول الى حل ما.

وإذا كان الرأي السائد، حول بعض مظاهر «المغازلة» الصادرة عن الروس وعملائهم تجاه المجاهدين، أنها لم تكن تمثل سوى تكتيكات سياسية من طرفهم، إلا أن القليلين فقط كانوا يعرفون أن تلك «المغازلة» كانت إرهاصات حقيقية لتراجع الروس ودرجة أولى في سلم الانهيارات نحو قاع الهزيمة... وقبل استعراض التطورات الرئيسية التي حدثت على الساحة الأفغانية خلال عام 1988، من الضروري التطرق بإيجاز الى «التنازل» السياسي الأول والكبير الذي أبداه الروس تجاه المجاهدين.

«المصالحة الوطنية»

لقد كان الاعلان عن تبني النظام الصوري لفكرة «المصالحة الوطنية» هو المقدمة الحقيقية لسلسلة من الهزائم — العسكرية والسياسية — في داخل أفغانستان وعلى الساحة الدولية. ويخطىء من يتصور أن هذه المبادرة هي من تدبير نظام كابل، بل هي في الحقيقة مبادرة سوفيتية درست بعناية على أعلى المستويات في الكرملين... والدليل على هذا، هو البيان الذي أصدره ميخائيل غورباتشوف الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي حول أفغانستان في 1 فبراير 1988، وهو وثيقة هامة تعكس شعورا واضحا بالانهزام النفسي والرغبة الملحة في الانفكاك من الورطة الخطيرة التي وجد الروس فيها أنفسهم... وهذا الشعور، لم تفلح في إخفاءه العبارات الدبلوماسية، التي صيغت بعناية تامة.

يبدأ غورباتشوف بيانه موضحا كيف «يستمر النزاع العسكري في أفغانستان منذ فترة طويلة» دون أن يوضح طبيعة هذا «النزاع»، ووصفه بأنه «**من أصعب النزاعات الاقليمية وأكثرها إسلاما**» وبعد أن استعرض أفكارا تتعلق باستعداد بلاده لتوقيع اتفاقية جنيف تمهيدا لسحب قواتها من أفغانستان — دون أن يشير من قريب أو بعيد الى انتفاء «الأسباب» التي جعلت القيادة الروسية تكتسح أفغانستان مثلما اشترطت هذه القيادة باستمرار — أوضح أن هذه الخطوة تعكس «تفكيرنا السياسي الحالي، ورؤيتنا الجديدة العصرية للعالم. وأردنا بهذا أن نؤكد **وفائنا لتقاليد حسن الجوار وطيبة القصد والاحترام المتبادل**» وبلغة المحامي المتحمس لوكيله أضاف الزعيم السوفيتي أنه «من المعروف أن هذا كله قد حمل القيادة الأفغانية — وعلى رأسها الرئيس نجيب الله — على **إعادة التفكير المعمقة** في النهج السياسي الذي صيغ في السياسة الوطنية **والواقعية** للمصالحة الوطنية، وهذا عمل على جانب **بالغ من الجرأة والبسالة**، فإنه (وهذه التعبيرات أوردناها كما هي حرفيا) ليس مجرد دعوة الى وقف الصدام المسلح، وإنما هو اقتراح تشكيل حكومة ائتلافية **وتقاسم السلطة مع المعارضة** بمافيها من يخوضون **الكفاح المسلح** ضد الحكومة، وحتى **مع أولئك الموجودين خارج الحدود**...» وهذه العبارة الأخيرة تعني — كما هو واضح — قيادات المجاهدين... كما وصف الشعب الأفغاني بأنه ذلك «الشعب **الأبي والمحب للحرية والشجاع** الذي مر عبر قرون من النضال في سبيل حريته واستقلاله وهو الان وسيظل سيد بلاده» و وسياسة المصالحة الوطنية هذه قائمة «على أساس **تعدد الأحزاب في مجال السياسة وتعدد الأنماط في المجال الاقتصادي، وسيحدد الأفغان أنفسهم أيضا الوضع النهائي لبلادهم بين الدول الأخرى**...» وحول «حرص» السوفييت على «عدم التدخل في شؤون أفغانستان» صرح أنه «حينما يلح **عليهم** البعض بضرورة مشاركتهم في رعاية مسألة «المصالحة الوطنية وتشكيل الحكومة الائتلافية»، فإن غوربا تشوف يجيب على هذا الاقتراح «بحزم ووضوح : اعفونا من هذا، فالمسألة لاتخصنا، بل ولا تخصكم أيضا» ! كما حرص الزعيم السوفيتي على الدفاع مرة أخرى على صنيعته في كابل نافيا أن تكون مبادرة طلب المصالحة تعكس شيئا من الضعف بل وصفها بأوصاف شاعرية مثل «قوة الروح والحكمة وجدارة القادة السياسيين الأحرار والشرفاء المقدرين للمسؤولية وهم الحريصون على حاضر بلادهم ومستقبلها...» وبالنسبة لحرص غورباتشوف شخصيا على نفي صفة الضعف عن نظام كابل أكد الجنرال كيم تساكالوف Kim Tsagalov أحد «المستشارين» الروس في أفغانستان بعد هذا البيان بوقت قليل «**في تصريحات علنية عن شكوكه العميقة في قدرة الحزب الشيوعي الأفغاني على التماسك، وقدرته الذاتية على البقاء قيد الحياة**» (1) **ووصف غورباتشوف القضية الأفغانية بأنها «أرض متقرحة الجلد بالمعنى**



اتفاقية جنيف، لم يكن لها أثر في الواقع لأنها حاولت تجاهل المعنيين الحقيقيين بالامر

الحرفي لهذا التعبير» مؤكدا في الاخير على أنه حينما «**يتم فك العقدة الأفغانية، سيكون لها أعمق الأثر في النزاعات الاقليمية الأخرى أيضا**» (2).

لقد كان جواب قيادات المجاهدين على هذه الاستعطافات حازما وواضحا فعلا وهو الرفض القاطع لهذه الاقتراحات حيث أكد مولوي محمد يونس خالص في الاجتماع الشعبي الحاشد للمجاهدين والمهاجرين في 17 يناير **1987** على أنه يتعين «**على الروس أن يفهموا جيدا بأننا لم نتعب من جهادنا وقبولنا تلك الهدنة لخزي ومذلة**» وبعد أن تساءل **صبغة الله مجددي** عن سبب اختيار طريق الجهاد أكد من جهته أيضا «**إننا سنظل مجاهدين ــ بإذن الله الى أن نسترد عزتنا وكرامتنا الاسلامية**» وبالنسبة للمهندس **حكمت يار** فقد أكد «**أن الراية الاسلامية سترفرف على كابل وربوعها إن شاء الله**» وكذلك **عبد رب الرسول سياف** الذي صرح «**أن العودة الى أفغانستان قبل إقامة الحكم الاسلامي خزي ومذلة**» أما **برهان الدين رباني** فقد اعتبر «**أن مشكلة حل القضية تكمن في الانسحاب الفوري للقوات الروسية وأن يكون حق تقرير المصير بيد الشعب الأفغاني نفسه**» (3).

لقد كانت الأهداف المتوخاة من وراء فكرة المصالحة الوطنية خطيرة بالفعل على مصلحة الجهاد، إذ كانت تهدف ــ إضافة الى خروج السوفييت والنظام الألعوبة من المأزق العسكري والسياسي الصعب الذي حاق بهما ــ الى محاولة تفتيت صفوف المجاهدين على أساس توقع اختلال ردود الفعل لديهم تجاه هذه المبادرة، إلا أن **وحدة الموقف** لدى المجاهدين والمهاجرين فوت الفرصة على أعدائهم، وبقيت تلك الفكرة موقفا محسوبا على الروس ولا لصالحهم....

والواقع أن سلسلة الهزائم السياسية ــ الى جانب الهزائم العسكرية ــ لم تتوقف عند طلب المصالحة من طرف الروس والنظام الصوري بل وصلت الى درجة محرجة للغاية بالنسبة للقيادة الروسية، وهكذا أثار ميخائيل غورباتشوف في استجواب مع صحيفة «أونيتا» الناطقة باسم الحزب الشيوعي الايطالي الى استعداده لقبول عودة الملك ظاهرشاه للمشاركة في «برنامج المصالحة الوطنية» على أساس «**أن ذلك راجع الى اختيارات الرفاق الأفغان... وأن الاتحاد السوفيتي لايتدخل ولن يتدخل في هذه الاختيارات**» (4) وهذا الموقف أيضا ردده نجيب في استجواب مع مجلة دير شبيغل الألمانية عندما صرح «**بالنسبة لظاهر شاه فإننا لن نحول دون عودته والدعوة ما زالت قائمة له في أي وقت يشاء**» واعترف في هذا الاستجواب بوجود قمع هائل في البلاد عندما صرح أنه أطلق سراح، **ستة آلاف وتسعمائة معتقل سياسي** وكرر «**الدعوة الموجهة الى المجاهدين للانضمام إلينا في عملية التآخي الوطني...**» (5).

وبالنسبة لهذه التحولات المذهلة في المواقف السوفيتية من قضية أفغانستان ككل ومن حركة الجهاد الأفغاني خصوصا، لم تكن الوحيدة من نوعها، بل كانت مقدمة فقط لانهيارات مريعة أخرى فيما بعد.

الاتفاقية التي ولدت سقطا

لقد أولت القيادة السوفيتية اهتماما كبيرا لهذه «الاتفاقيات» وانعكس هذا في تصريحات قياداتهم وأجهزة الدعاية لديهم... والحقيقة أنهم كانوا يأملون بفارغ الصبر أن يهيأ أي إطار سياسي أو قانوني يتيح لهم الخروج من «المستنقع» كما عبر عن ذلك المعلق العسكري الكسندر بروخانوف Alexandr Brokhanov في المجلة الأسبوعية «ليتراتورنايا غازيتا» **في 1988/2/17 منتقدا الدعم السوفيتي للحزب الشيوعي الأفغاني الذي ارتكز على «اعتقاد خاطيء» بأن هذا الأخير بإمكانه السيطرة على جميع البلاد** (6) (لنتذكر تأكيدات غورباتشوف حول قوة الحزب الحاكم في كابل في بيانه الذي صدر قبل هذا المقال بأسبوعين فقط !).

والحقيقة أيضا، أن الروس كانوا مصممين ــ كيفما كان الحال ــ على الخروج من أفغانستان إذ كانوا يشعرون بهلع واضح، وهو ما عبر عنه فاديم ينفيليف **Vadim Yenvelev** الناطق الرسمي لوزارة الخارجية السوفيتية عندما صرح «**أن الاتحاد السوفيتي سينفذ الخطة المقررة لسحب قواته عن الأراضي الأفغانية حتى ولو أخفقت اتفاقية جنيف في التوصل الى اتفاق لوقف إطلاق النار في أفغانستان التي تطحنها الحرب الأهلية (!!) منذ دخول القوات السوفيتية إليها في ديسمبر 1979**» (7) وهذا راجع أساسا الى الضغط العسكري القوي الذي مارسه المجاهدون كما سنرى فيما بعد...

ومما يعكس الوضع/المأزق الذي كانت تشعر به القيادة السوفيتية **قبيل** التوقيع على اتفاقية جنيف أيضا، البلاغ الصادر عن **المكتب السياسي** للحزب الشيوعي السوفيتي الذي حث «جميع أطراف النزاع على بذل المزيد من الجهود لتشكيل حكومة **وحدة وطنية** على أسس **ائتلافية** تشارك فيها **كل القوى والأحزاب العاملة في أفغانستان**» وعلقت وكالة تاس على هذا البلاغ بأن «**هذه المسألة تهم الشعب الأفغاني أكثر من غيره وهو الوحيد الذي له الحق في أن يقرر في ذلك دون تدخلات خارجية**» (8) فسبحان مبدل الأحوال !

وبالنسبة لمضامين «اتفاقية جنيف» فهي ليست بذات قيمة كبيرة سوى ما يتعلق **بنصها على انسحاب القوات السوفيتية** إذ أن هذا يعني على المستوى القانوني، اعترافا ضمنيا باحتلال الروس لأفغانستان، وكذلك عودة المهاجرين بسبب هذا الاحتلال، ولكن ما يهمنا في هذا الاطار، هو الهدف، أو الأهداف التي توخاها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة من وراء رعايتهما لهذه الاتفاقية الغريبة من نوعها في القانون الدولي العام وفي العلاقات الدولية.

ولقد وصف **الدكتور خورشيد أحمد** رئيس معهد الدراسات السياسية بإسلام آباد (ومن كبار رجالات الجماعة الاسلامية بباكستان) اتفاق جنيف بأنه «طشقند الثانية» نسبة الى الاتفاقية الموقعة بين الهند وباكستان سنة



جانب من الاجتماع الشعبي الحاشد الذي أعلن فيه المجاهدون عن رفضهم لمهزلة «المصالحة الوطنية»



الدكتور خورشيد أحمد

1962 بإشراف روسيا والتي أدت — حسب تحليله — الى ضياع كشمير المسلمة، ويرى هذا الباحث أن الأهداف المرسومة لهذا الاتفاق:

1 — اعتراف باكستان والدول الاسلامية بالنظام العميل.

2 — التزام الدول الاسلامية بوقف مساعداتها للمجاهدين (وكان حريا بالدكتور خورشيد أن يوضح الطبيعية الاغاثية لهذه «المساعدات» على ضآلتها).

3 — ألا تسمح باكستان باستخدام أراضيها لأية أنشطة ضد نظام كابل (9).

أما **الدكتور طاهر أمين** أستاذ العلاقات الدولية بجامعة قائد أعظم فهو يرى أن اتفاق جنيف هو **«مجرد سلام على الورق»**

وإني أعتقد أن هذا الاتفاق هو صفقة روسية أمريكية... فالادارة الأمريكية تريد أن تظهر للعالم أنها هي التي أجبرت روسيا على الانسحاب من أفغانستان، وفي المقابل تريد روسيا — التي هزمت شر هزيمة على يد المجاهدين — أن تحفظ ما تبقى من ماء وجهها، في الوقت الذي اتفق فيه الطرفان على عدم قيام حكم إسلامي أفغانستان...» (10)

أما **الدكتور إعجاز جيلاني** نائب رئيس معهد الدراسات السياسية (دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بوسطن) في إسلام آباد، فقد لاحظ «أن الاتفاق لم يبرم بين المجاهدين وروسيا، وهما الطرفان الحقيقيان في النزاع، وإنما هو اتفاق بين روسيا وأمريكا استهدفتا منه تنظيم وتقنين تدخلهما في أفغانستان، كما أنه محاولة لتجاهل دور المجاهدين واعتبار الصراع الدائر في أفغانستان بين أمريكا وروسيا وهذا لم يكن يوما ما، ومن هنا أقول : إن اتفاق جنيف صفحة تضاف الى سجل التاريخ الاستعماري...» (11).

وقد لاحظت صحيفة لوموند (1988/4/5) أن «**واشنطن اختارت مساعدة موسكو لايجاد مخرج مشرف**» ووصفت اتفاقية جنيف بأنها تمت «**بين القوتين العظميين... ولكن العنصر الرئيسي غائب** (عن هذه المفاوضات) **وهو المقاومة الأفغانية التي أرغمت السوفييت على طي حوائجهم، والتي ترفض أن تساند مباحثات لم تساهم فيها**».

وكذلك وصفت صحيفة دير شبيغل اتفاقية جنيف على لسان أحد الدبلوماسيين أن اتفاق جنيف «ليس إلا حيلة دبلوماسية لاخراج السوفييت...» (12).

لقد وصلت القيادة السوفيتية — قبيل التوقيع على الاتفاقية — الى حالة صعبة جدا، وكانت تبحث عن أي مخرج ممكن، الى حد أنها حاولت استرضاء المجاهدين بمناصب كبيرة في السلطة السياسية في كابل (هؤلاء الذين كانت تسميهم قطاع الطرق bandits) حيث صرح جينادي جراسيموف Genadi Gerassimov الناطق الرسمي لوزارة الخارجية السوفيتية أن «كابل» عرضت «على **المجاهدين** منصبي الوزير الأول ورئيس الوزراء» (13).

والواقع أن المرء لن يحتاج الى ذكاء كبير ليستنتج الحقيقة البديهية القائلة بأن رضوخ السوفييت للجلوس أمام المجاهدين للتفاوض يعني، ببساطة، أن اتفاقية جنيف قد بقيت حبرا على ورق وأن تجاوز المجاهدين لها كان من موقع قوة فعلا...

مواقف «أممية» متناقضة !

دأبت الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذلك لجنة حقوق الانسان المتفرعة عنها، بانتظام، على إصدار قرارات واضحة، سواء فيما يتعلق بالاحتلال العسكري الروسي لأفغانستان، أو بالنسبة لـ «انتهاكات» حقوق الانسان فيها بواسطة هذا الاحتلال.

إلا أنه — عندما تعلق الأمر باتفاقية جنيف — لوحظت سلوكيات ومواقف تتناقض مع القرارات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة نفسها، وذلك من خلال اتخاذ المبعوث الأممي دييغو كوردوفيز بصفته ممثلا شخصيا للامين العام للأمم المتحدة، بمبادرات غير مفهومة !.

فكيف قبلت الأمم المتحدة رعاية الاتفاقية دون أن تكترث لحضور ممثلي الشعب الأفغاني الحقيقيين وهم المجاهدون باعتبارهم — كما هو شائع في القاموس الأممي نفسه — حركة تحرير وطنية ؟ وكيف قبلت حضور ممثلين عن النظام الصنيع في كابل رغم علمها علم اليقين أنه نظام لايقدم ولا يؤخر شيئا وأن أصحاب القرار هم السوفييت باعتبارهم قوة احتلال أجنبية وبالتالي فلا يعقد بتمثيل أولئك «الممثلين» ؟ (فهم يمثلون فعلا).

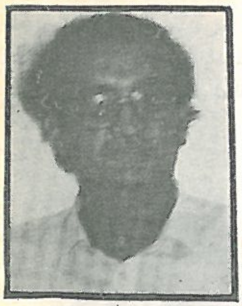
لقد كتب المنظر اليوغسلافي المعروف ميلوس مينيك Milos Minic كلاما جميلا عن مواصفات حركات التحرير الوطني وواجبات المجتمع الدولي تجاهها يحسن أن نسوق بعض المقتطفات منه لتوضيح ما نحن بصدده.



سياف : «إن العودة الى أفغانستان قبل إقامة الحكم الاسلامي لخزي ومذلة»



الدكتور اعجاز جيلاني



الدكتور طاهر أمين

«إن جميع حركات التحرير الوطني وجدت لنفسها السند السياسي المعنوي الدولي في مبادىء ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان وهم يتمتعون بالتأييد المعنوي للدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة...دون أن يتجرأ أي أحد على وصف هذا الدعم بأنه «تدخل في الشؤون الداخلية» لأن الأمر كان يتعلق بالشعوب وبحركاتها للتحرير الوطني التي كانت تعمل على التخلص من نير الاستعمار...».

«... إن الجمعية العامة أكدت دائما الاعتراف بشرعية كفاح الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية. إن لها الحق في تقرير المصير وفي الاستقلال وفي النضال من أجل تحقيق هذه الأهداف بكل الوسائل المتوفرة.

إن الجمعية العامة قد طلبت من المنظمات التابعة لها (وذلك سنة 1980) بمناسبة الذكرى العشرينية للاعلان العالمي لاستقلال البلدان المستعمرة) أن تمد كل المساعدة المادية والمعنوية الضرورية لشعوب المستعمرات ولحركات تحريرها الوطني» (14).

إذا كان هذا الكلام منطقيا ومقبولا دون شك، فإننا لانجد له تطبيقا فيما يتعلق بكفاح الشعب الأفغاني من أجل تحرير وطنه وضمان استقلاله، وهذا يدفعنا الى التساؤل ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ عن السبب الذي منع «المفوضية السامية لشؤون اللاجئين» بصفتها منظمة أممية من إيجاد وكالة غوث خاصة بالمهاجرين الأفغان وهم ملايين ؟ وما هو السبب الذي أبقى المجتمع الدولي متفرجا، بل غير مكترث للحرب الأبادية التي مورست على الشعب الأفغاني دون دعم لا مادي ولا معنوي . ولماذا تقوم الدنيا ولا تقعد احتجاجا على «مساعدات» وهمية رغم أن الأمم المتحدة نفسها اعترفت بحق الشعوب التي تعاني من الاحتلال الأجنبي، في تحرير أوطانها بكل الوسائل ؟!

وليت المشكلة توقفت عند هذا الحد، بل حاول المبعوث الأممي كوردوفيز، مرارا، الضغط على المجاهدين لقبول فكرة حكومة ائتلافية تضمهم الى جانب مجرمين تسببوا لبلدهم في كوارث مروعة (15) وهذا تدخل سافر في شؤون السيادة التي هي من اختصاص المجاهدين وحدهم باعتبارهم حركة تحرر وطني.

لقد سبق للجمعية العامة أن اتخذت قرارات سنوية حول قضية أفغانستان، نسوق مقتطفات من أحدها (وقد تم اختياره اعتباطا) وهذا القرار تقدمت به 44 دولة من دول عدم الانحياز وصوتت لصالحه مائة وست عشرة دولة مقابل ثلاث وعشرين ضده (من بينها دول عربية، انظر أسماء الدول المصوتة ضد في الهامش (16))وامتناع ستة عشر عن التصويت وذلك في دورتها السنوية «إن الجمعية العامة تطالب، مرة أخرى بالسحب الفوري للقوات الأجنبية من أفغانستان. وتؤكد على ضرورة الحفاظ على سيادة وسلامة الأراضي الأفغانية» وعلى «**حق الشعب الأفغاني في أن يقرر، بنفسه، شكل حكومته، واختيار النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، بدون تدخل أو مساعدة أو إكراه أو اعتراض من الخارج، تحت أي شكل كان**». (16).

ولا ندري إن كان دييغو كوردوفيز قد قرأ نصوص هذه القرارات أم لا (وهذا مفترض بحكم طبيعة منصبه والمهمة التي قام بها) إلا أن مخالفته لقرارات الأمم المتحدة بينة !.

الحكومة الانتقالية

عندما رفض «الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان «مشروع المصالحة»وكذلك اتفاقية جنيف التي صرحوا مرارا وتكرارا أنها لاتلزمهم في شيء وأنها ليست لها أية قيمة بالنسبة لهم، كانوا واعين بضرورة تهييء البديل، أي إيجاد السلطة السياسية التي تتولى مهمة الانتقال بالبلاد من مرحلة الحرب، الى مرحلة بناء النظام الاسلامي الى حين قيام المؤسسات الدستورية الاسلامية وذلك في غضون ستة أشهر بعد تحرير البلاد، وكذلك درءا لأخطار المؤامرات المختلفة التي تحاك باستمرار ضد الجهاد والمجاهدين الأفغان.

وهكذا أعلن «الاتحاد الاسلامي لمجاهدي» أفغانستان، قبل التوقيع على اتفاقية جنيف في أبريل 1988 عن تشكيل حكومة مؤقتة لقطع الطريق على الاتفاقية وذلك بعد مصادقة مجلس الشورى العام للاتحاد عليها وتحديد اختصاصاتها. وبالنسبة للتركيب السياسي لهذه الحكومة، فقد تم الاتفاق على مبدإ التمثيل المتساوي وليس النسبي عن طريق تعيين شخصين من طرف منظمة جهادية، وفي نفس الوقت روعيت بعض الاعتبارات في التشكيلة الحكومية كتخصيص نصف المقاعد للأحزاب السبعة، والربع للمهاجرين في إيران وأوروبا، والربع الأخير للمسلمين في كابل كما صرح بذلك المهندس أحمدشاه رئيس حكومة المجاهدين المؤقتة، (17) (انخرط في صفوف الحركة الاسلامية منذ

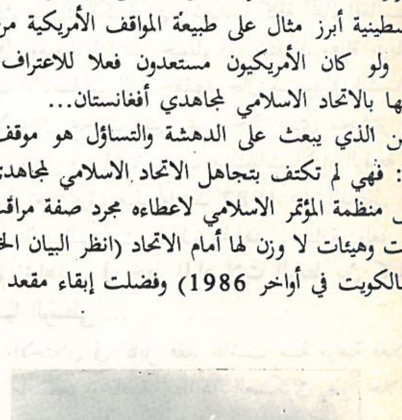
الستينات وكان من أبرز القيادات الطلابية في جامعة كابل، وأكمل دراساته العليا في الولايات المتحدة، في الهندسة المعمارية، وعمل أستاذا لهذه المادة في جامعة الرياض، والتحق بصفوف المجاهدين منذ اللحظات الأولى للاحتلال الروسي، وشغل منصب رئيس لجنة **التربية والتعليم في الاتحاد**، ثم رئيسا للجنة التربية والتعليم قبل أن يتم اختياره لمنصب رئيس الحكومة المؤقتة، وهو يعمل بجانب الأستاذ سياف...).

وحول مقر عمل الحكومة الانتقالية صرح أحمدشاه أنها أقامت إدارة محلية في باريكوت بعد تحريرها وهي قريبة من المناطق الحدودية، كما أن للحكومة برامج لتشكيل إدارات محلية في المناطق الأخرى المحررة، وتقرر العمل على إنشاء إدارات عبر مجالس شورى محلية تغطي ــ في مرحلة أولى ــ ستّ محافظات : كونز ــ ننْجْرَهار ــ وبكتيا ــ وبكتيكا وغزني ولوجر. وإذا علمنا أن مجلس شورى النظار في الشمال يغطي 9 ولايات، وإذا علمنا أيضا أن المجاهدين قد تمكنوا فعلا من إيجاد بنيات تنظيمية (إدارة ــ خدمات...) في الحوزة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية، خاصة بعد المبادرات الوحدوية التي قام بها القائد محمد اسماعيل خان، فإننا نستطيع القول، أن المجاهدين قد استطاعوا أن ينشأوا ــ ولو في حدود دنيا ــ الأجهزة الادارية التي تسمح لهم بملأ الفراغ بعد سقوط النظام الصوري واستكمال الروس لانسحابهم.

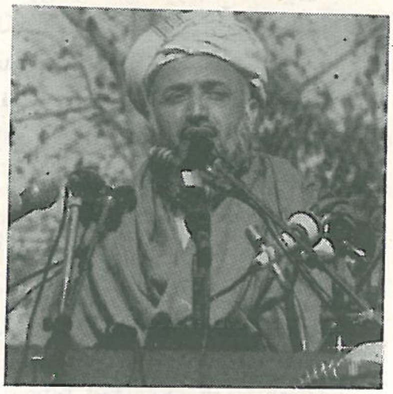
وفيما يتعلق بموقف مختلف الدول من الحكومة المؤقتة فإن أول ردود الفعل التي يمكن رصدها هو الموقف السوفيتي الذي عبر عنه ميخائيل سيتنكو السفير فوق العادة والوزير المفوض، المبعوث الخاص لغورباتشوف الى المغرب لشرح موقف بلاده من آخر تطورات القضية الأفغانية حيث صرح أن «الاشاعات الرائجة بخصوص تكوين حكومة بالمنفى خطيرة جدا» ! وأنها تهدف «الى تخريب جهود التسوية الجارية...» وأن هذا الأمر «من شأنه أن يعقد الأمور... مما سيعرقل التوقيع على وثائق الاتفاقية...» كما أوضح أن السوفييت «ليس في نيتهم فرض النظام الاشتراكي على هذا البلد...» (18).

أما الموقف الأمريكي فقد تميز بمواقفه المعهودة في مثل هذه الحالات، فقد أعلن «أن الولايات المتحدة ستؤيد ــ وفق شروط محددة ــ حكومة مؤقتة يشكلها الثوار الأفغان» (19) وهذا الموقف ليس غريبا، وإن كان مستهجنا، لأن الحالة الفلسطينية أبرز مثال على طبيعة المواقف الأمريكية من القضايا العربية والاسلامية، ولو كان الأمريكيون مستعدون فعلا للاعتراف بهذه الحكومة، لاعترفوا قبلها بالاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان...

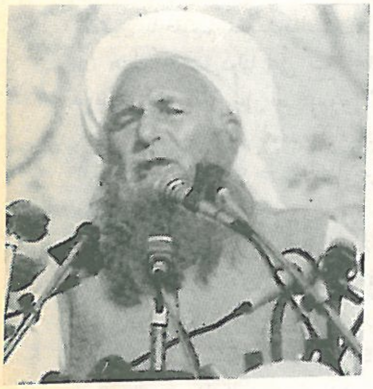
ولكن الذي يبعث على الدهشة والتساؤل هو موقف البلدان العربية والاسلامية : فهي لم تكتف بتجاهل الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان من خلال رفض منظمة المؤتمر الاسلامي لاعطاءه مجرد صفة مراقب، التي حظيت بها مؤسسات وهيئات لا وزن لها أمام الاتحاد (انظر البيان الختامي لمؤتمر القمة الاسلامي بالكويت في أواخر 1986) وفضلت إبقاء مقعد أفغانستان شاغرا



حكمت يار : «سترفرف راية الاسلام على كابل وربوعها»



رباني : «إن مشكلة حل القضية تكمن في الانسحاب الفوري للقوات الروسية»



مولوي محمد يونس خالص : «على الروس أن يفهموا جيدا بأننا لم نتعب من جهادنا وقبولنا تلك الهدنة خزي ومذلة»

رغم الحضور المستمر لممثلي الاتحاد في مثل تلك المؤتمرات، بل تجاهلت كليا الحكومة المؤقتة، رغم أن سابقة الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة لاتزال ماثلة في تاريخنا المعاصر... ومن المظاهر التي يحار العقل في فهمها، هو صدور جريدة عربية نشرت في صفحتها الأولى خبرا حول تشكيل حكومة المجاهدين المؤقتة، تحت عنوان بارز كما يلي. «توالي الاعترافات بحكومة المجاهدين الأفغان» (20) دون أن تكون هناك أية دولة عربية أعلنت اعترافها بهذه الحكومة !

أما الدول الأوروبية، فقد اتخذت موقفا أكثر مرونة عندما أبدى ممثلو السوق المشتركة ــ خلال استقبالهم من طرف المهندس أحمدشاه رئيس الحكومة المؤقتة في بشاور ــ استعدادهم للتعامل مع المجاهدين فيما يخص المساعدات المتعلقة بالمهاجرين وإعادة توطينهم وليس مع أية جهة أخرى دون أن يعترفوا هم الآخرون بهذه الحكومة (21).

وفي هذا الاطار، نشير الى أن الجهاد الأفغاني، استطاع أن يحقق مكاسب سياسية جيدة رغم كل ظروف التعتيم والحصار الاعلامي : وعلى سبيل المثال نظمت مجموعة بحث في الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) مؤتمرا دوليا يومي 17 و18 مارس 1988 حول «السلام في أفغانستان» وحضره وفد من المجاهدين من مختلف التنظيمات بما في ذلك أهم الأحزاب الشيعية (حركتي إسلامي) كما حضره ممثلوه عن البرلمان الأوروبي، وعن مجلس الشيوخ الفرنسي ودبلوماسيون وحشد من الخبراء... والأمر الذي لفت انتباه الجميع واعتبر ذا دلالة خاصة، هو إسناد المجاهدين لمهمة الناطق الرسمي باسم الوفد، الى آية الله محسني زعيم التنظيم الشيعي المذكور، الذي صرح أمام المؤتمر، أن «**كل أحزاب المجاهدين الأفغان، لا تولي لاتفاقية جنيف أي اعتبار، وأكد رفض المجاهدين المطلق لأية مفاوضات مع الشيوعيين الأفغان**»، **كما أكد جميع ممثلي أحزاب المجاهدين في مداخلاتهم، أنهم تجاوزوا خلافاتهم بهدف تكوين دولة حرة ومستقلة وغير منحازة في أفغانستان**». (22).

ومن جهة أخرى تم توقيع التماس من طرف ألف وخمسمائة من كبار الشخصيات الأوروبية، من بينهم مائتان وعشرون برلمانيا أوروبيا **طالب فيه الموقعون ميخائيل غورباتشوف بالتفاوض مع المجاهدين الأفغان**، وتم تسليم هذا الالتماس الى السفير السوفيتي في باريس في 15 مارس 1988. وهذا الالتماس تبناه في الأصل عدد من كبار الشخصيات الفرنسية ممن بينهم عالم الاجتماع آلان توريل **ALain Tourel** ولوران فابيوس **Lorent Fabius** رئيس الوزراء الفرنسي السابق، وعدد من الحاصلين على جوائز نوبل ومنهم الأرجنتيني أدولفو بريز اسكيفيل **Adolfo Perez Esquivel** الحائز على جائزة نوبل للسلام (23).

أما بالنسبة للأمم المتحدة فقد حاول المجاهدون مرارا إقناع المسؤولين الأمميين بأحقيتهم بمقعد أفغانستان، ولكن بدون جدوى. والشيء الواضح هو أن هناك حرصا دوليا على منع المجاهدين من التحدث أمام الجمعية العامة وإطلاع الرأي العام على قضيتهم، وإلا فلماذا لم تحاول الولايات المتحدة ــ وهي التي تدعي أنها تدعم المجاهدين أن تضغط بثقلها لتسمع صوتهم أمام المنتظم الدولي ؟ علما بأن الامين العام للأمم المتحدة دي كويلار استقبل الأستاذ برهان الدين رباني في دورة نهاية 1988 وتباحث معه حول إجراء المفاوضات مع الروس ومسألة عضوية أفغانستان. وقد لاحظ الأستاذ سياف في خطابه أمام مؤتمر القمة الاسلامي في الكويت (أواخر 1986) ــ بعد أن انسحب عدد من الوفود العربية من قاعة المؤتمر ولم تعط له سوى عشر دقائق ــ أن المسؤولين الأمميين كانوا يردون على مطالبة المجاهدين بمقعد أفغانستان في المنتظم الدولي قائلين : **عندما تعترف بكم الدول العربية والاسلامية سنعطيكم آنذاك المقعد.** (24).

قاذف قنابل اوتماتيكي نوع AGS 17 استعمله الروس لاول مرة في افغانستان
(المصدر : Guerres et conflits)



عام الرعب

بحلول سنة 1988، كانت أوضاع الجهاد ــ بصفة عامة ــ قد تحسنت بشكل كبير على جميع المستويات... مقابل وضعية عسكرية وسياسية متردية بالنسبة للمحتلين وعملائهم، وظهرت على الساحة معطيات كان لها دور مباشر في الاسراع بعزم السوفييت على التماس مخرج بأقصى سرعة ممكنة، ويمكن إجمال هذه العوامل فيما يلي :

1 ــ **تعزيز الوحدة السياسية والعسكرية بين تنظيمات المجاهدين** بصورة طيبة في داخل أفغانستان بالدرجة الأولى. وتمثلت هذه الوحدة في المواقف السياسية المتعلقة بما سمي بالمصالحة الوطنية، وباتفاقية جنيف، وأيضا بالاعلان عن الحكومة المؤقتة بصنيعة توافقية تلائم طبيعة المرحلة. كما تم تعزيز الوحدة أيضا بانتشار البنيات التنظيمية الموحدة في مناطق متعددة من البلاد، وعسكريا برفع مستوى التنسيق العسكري بأشكال لم تعهد من قبل، مما كان له أكبر الأثر في الحاق الهزائم المتوالية بالمحتلين وبالقوات الحكومية، وخاصة بعد المبادرة الوحدوية للقائد محمد اسماعيل...

2 ــ **تحسن مستوى التسليح وتوفر الذخائر ومواد التموين بكميات كبيرة،** هذا على المستوى الكمي، أما من حيث النوعية فقد بقي هذا المستوى متواضعا بالقياس على ما يتوفر عليه المحتلون، كما عمد المجاهدون ــ وعلى نطاق واسع في السنوات القليلة الماضية ــ الى حفر قواعد عسكرية في بطون الجبال وفي الكهوف وتجهيزها بمختلف المتطلبات تحسبا لاستمرار الجهاد لسنوات أخرى خاصة بعد الضغوط القوية التي تعرضت لها باكستان لانهاء تواجد المجاهدين على الحدود وقطع خطوط إمداداتهم مع الداخل... كل هذا مع توفر معنويات عالية، حيث تأكد للمراقبين أن حركة الجهاد قادرة فعلا ــ بعون الله ــ على مواصلة القتال لسنوات أخرى..

3 ــ **تطور العمليات الجهادية ــ من حيث الاداء العسكري ــ** الى مستويات لفتت انتباه المراقبين العسكريين، سواء عبر عمليات مجاهدي الشمال أو من خلال العمليات الكبيرة التي شهدتها العاصمة كابل والتي تسببت في خسائر عسكرية مهمة للمحتلين، علاوة على تأثيراتها المدمرة على معنوياتهم، وكذلك المعارك الكبيرة التي شهدتها كافة أنحاء أفغانستان الأخرى من باكتيا شرقا، ومرورا بقندهار جنوبا، الى شنداند وهراة غربا..

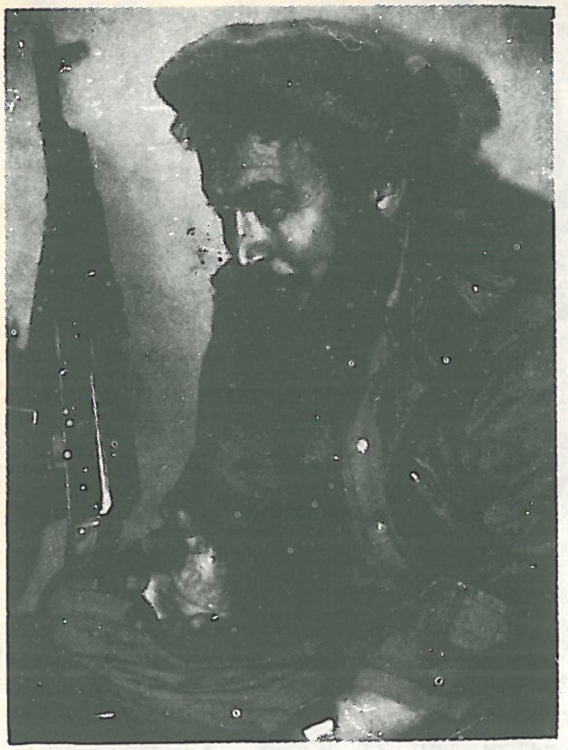
لقد كانت الانتصارات التي حققها رجال مسعود في الشمال باهرة الى حد أن قوات الاحتلال عجزت حتى عن دخول وادي بنجشير من مداخله الجنوبية كما كانت تفعل من قبل، بسبب مستويات الأداء الرفيعة التي أبداها المجاهدون بحيث لم تعد تجرؤ، منذ أواسط 1987 على الدخول الى الوادي، وأصبحت المناطق الشمالية تحت سيطرة المجاهدين التامة، ولعل أهم ما في الأمر، هو **تحكم المجاهدين في خط المواصلات الرابط بين كابل والحدود الشمالية مع آسيا الوسطى....**

أما قوات الاحتلال في كابل فقد عاشت سنة مرعبة فعلا، فقد ركز المجاهدون على العاصمة، وخاصة مطارها العسكري من خلال القصف بالصواريخ، وقد وصف مراسل صحيفة لوموند مطار كابل بحاملة الطائرات، وذكر أنه شاهد خلال تحليق الطائرة التي كان ينتقلها مئات الطائرات المروحية والنفاثة السوفيتية وهي جاثمة على المطار، وذكر أن ما معدله سبع أو ثماني طائرات نقل ضخمة من نوع إليوشن 76 كانت تحط في مطار كابل يوميا، ووصف الكشافات القوية التي تضيء كابل من فوق رؤوس الجبال المحيطة بالعاصمة، كما أن عددا من طائرات مي 24 كانت تجوب سماء العاصمة ليل نهار، إضافة الى ستة أو سبعة أحزمة تحيط بالعاصمة بشعاع يبلغ عشرين كيلو مترا (25).



سيناريوهات المجاهدين : إن المجلات الصادرة عن المجاهدين زاخرة بالاستطلاعات المصورة عن مظاهر الهزائم العسكرية التي حاقت بالمحتلين وعملائهم، كما أنها زاخرة بالمعلومات التفصيلية عنها، وبالنسبة لما حدث في كابل، توجد معلومات كافية، يمكننا — من خلالها — تصور الوضع الخانق الذي كان يعيشه السوفييت في العاصمة على الخصوص...

فأمام هذه الحشد العسكري الضخم للآلة العسكرية السوفيتية في كابل وما حولها، كان المجاهدون يتوفرون على معلومات دقيقة ومفصلة عن وضع جميع القوات المسلحة الروسية في العاصمة، حيث ذكر مراسل صحيفة لوموند أن المخططين الاستراتيجيين لدى المجاهدين، وضعوا عدة سيناريوهات للتطورات العسكرية المحتملة (والسيناريو يعني تصوُّر وضع معين وكيفية التعامل معه بناء على معلومات محددة) وذلك على ضوء قرار السوفييت بالانسحاب. وإذا علمنا أن حجم الآلة العسكرية الروسية الموجودة في كابل على الخصوص، لايمكن — لأسباب لوجستية — (أي تتعلق بتقنيات النقل) سحبها كلها عن طريق الجو، فإن الانسحاب عن طريق البر يبقى **الخيار الوحيد** لدى المحتلين. ويصف المراسل دقة المعلومات التي يتوفر عليها المجاهدون كما يلي : «**فوق حائط في منزل القائد عبد الحق** (وهو من أبرز قادة منطقة كابل) **توجد خريطة مفصلة جدا** extrêmement détaillée **مع أسماء عديدة بالروسية، وأوضح لنا عبد الحق كيف تعمل محطة تزويد العاصمة بالكهرباء، وكيف يستطيع المجاهدون أن يقطعوا التيار عن هذا الحي أو ذاك في العاصمة حسب حاجة المجاهدين. ثم انتقلنا الى غرفة أخرى وجدنا فيها مجموعة من المجاهدين وهم يتلقون «دروسا ليلية» وهي عبارة عن أفلام وصور ثابتة** diapositives **عن المعارك حيث يتم تحليلها ونقدها بطريقة منهجية. كما يتوفرون على العديد من الصور الجوية التي التقطها واستعملها السوفييت، ويجتهدون للاستفادة مما توفره من معلومات، وفي جهة أخرى من الغرفة كانت هناك تصميمات مصغرة لقواعد سوفيتية وما تحتوي عليه من مرافق وأسلحة... لم يترك القائد عبد الحق أي شيء للصدفة، وهذا الاعداد الدقيق مكن رجاله من القيام بعمليات جريئة داخل العاصمة، حيث يتوفر على شبكات واسعة، في كل مكان، وأغلب عناصر الشبكات مجاهدون مندسون في تنظيم «خلق» الشيوعي... ويتوقع عبد الحق ان يمارس هؤلاء العناصر دورا مهما في ادارة المرافق الوزارية بعد الانسحاب السوفييتي ». وذكر — في معرض حديثه عن**



القائد الشهيد ذبيح الله

الاعداد للهجوم على العاصمة — أنه سيعمل كل ما في طاقته ليكون متناسقا مع أنشطة القيادات الجهادية الأخرى...»[26].

لقد كانت سنة 1988 بحق، سنة الصواريخ، التي غنمها المجاهدون ودكوا بها المطار والمرافق العسكرية الروسية في العاصمة، وعلى سبيل المثال تم تدمير ثماني طائرات حديثة جدا من نوع سوخوي 25 في إحدى العمليات، ولاحظت صحيفة لوموند — التي أوردت الخبر — أن الطائرات احترقت واحدة تلو الأخرى، كما أوردت — حسب مصادر المجاهدين — أن العملية تمت بواسطة قذائف الروكيت، استهدفت طائرة شحن عسكرية محملة بالذخائر مما نتج عنه انفجار الطائرة وامتداد الحرائق الى تلك الطائرات الحديثة، وكان هذا في 23 يونيو 1988 [27]، ولا يمكن القيام بهذه العملية دون الاقتراب من الأهداف من مساحة معينة وهذا بدوره لايمكن أن يتم دون وجود دعم وتنسيق من الداخل...

لم تكن هذه العملية سوى نموذجا من العمليات العديدة التي نفذها المجاهدون في المطار وفي داخل العاصمة. غير أن هناك عمليات ضخمة نفذها المجاهدون في مناطق أخرى يحسن تسليط بعض الضوء عليها استكمالا لصورة الوضعية العسكرية للمحتلين غداة انسحابهم، وهذا مااعترفت به المصادر الروسية نفسها، فقد أعلنت وكالة «تاس» في 10 يوليو 1988 أن «**الأيام الأخيرة تميزت بتدهور خطير في الوضعية السياسية/العسكرية في أفغانستان، مع تصعيد متزايد للنشاطات العسكرية للمعارضة المسلحة...**» [28].

عملية كيلاجاي : تقع هذه القاعدة الجوية الضخمة قريبا من كابل، وكانت هذه القاعدة مسرحا لعملية كبيرة «هزت أركان الكرملين» كما عبرت مجلة «المجاهدون» التي أوردت تفاصيلها (كما أوردتها مجلة القبس نقلا عن الوكالات في عدديها بتاريخ 18 غشت و22 غشت)، وتحتوي هذه القاعدة على مخازن للذخائر وخزانات للوقود، إضافة الى الطائرات وقد قام مجاهدون تابعون للجمعية الاسلامية بهذه العملية. كانت الخسائر مروعة : فقد بلغ عدد



حطام طائرة اسقطها المجاهدون
قرب قندهار
تحت: راجمة صواريخ رباعية
الفوهات، غنمها المجاهدون في
قاعدة الصواريخ.

القتلى — حسب مصادر المجاهدين — حوالي 580 قتيلا وألفا من الجرحى، (وقد أشارت جريدة القبس الى أن القاعدة يقطنها حوالي 1000 من السوفييت مع عائلاتهم) كما تم تدمير حوالي 200 دبابة ومدرعة وسيارة عسكرية و6 طائرات عمودية و3 مستودعات تحتوي على آلاف الأطنان من الذخائر، وخزانات تحتوي على 8 أطنان من الوقود، وأشارت تلك المصادر إلى أن شظايا الانفجارات الهائلة وصلت الى مسافة عدة كيلو مترات. (29).

ولوحظ أن السوفييت بدأوا بسحب جنودهم بعد هذه العملية الهامة «بوتيرة عالية» كما أوردت صحيفة القبس التي أفادت أيضا أن **الولايات المتحدة ناشدت المقاومة الأفغانية. أن تمتنع عن شن هجمات على القوات السوفيتية** (!) مخافة أن يؤدي ذلك الى إبطاء خطى الانسحاب في نفس الوقت الذي **نفى فيه جينادي غيراسيموف الناطق السوفيتي الرسمي أن يكون في نية موسكو إبطاء أو توقيف خططها لسحب قواتها من أفغانستان** (30).

عمليتا فتح لواء الصواريخ وفتح سبين بولدك : في 7 غشت 1988 بدأت عملية فتح لواء الصواريخ في منطقة شكر دره حيث تمكن مجاهدون تابعون لسياف، بالتنسيق مع مجاهدين من منظمات أخرى، من السيطرة على كافة مراكز المنطقة واستولوا عليها جميعا، وغنموا منها كميات كبيرة من الأسلحة بما في ذلك قاعدة الصواريخ التي دمر بعضها وسقط البعض الآخر سليما في أيدي المجاهدين. (31).

وفي 9 سبتمبر 1988 شن المجاهدون هجوما محكما على قاعدة سبين بولداك المهمة القريبة من قندهار في هجوم صاعق بالتعاون بين عدة منظمات جهادية واعتبر سقوطها نكسة مهمة للقوات الحكومية... (32).

ومن غير الممكن إعطاء صورة شاملة عن سير المعارك وانتصارات المجاهدين في كافة أنحاء أفغانستان خلال سنة 1988 ولأخذ فكرة عن مظاهر انتقام قوات الاحتلال وعملائهم من المدنيين العزل صرحت مصادر هيئة الصليب الأحمر الدولي في كويتا قرب الحدود مع أفغانستان أن المعارك في منطقة قندهار «تسفر عن سقوط أكثر من 1500 جريح شهريا وأن نصف المصابين من الرجال والنساء والأطفال أصيبوا نتيجة القصف بمدفعية الميدان والطيران السوفيتي بينما النصف الآخر تعود جروحه الى انفجار الألغام والاصابة بالأسلحة الأوتوماتيكية، وقد ضاقت جنبات المستشفى الذي تملكه الهيئة بالمصابين فنصبت ست خيام كبيرة لاستيعاب الجرحى، وذكرت تلك المصادر أن فرق الجراحة تعمل دون توقف ليلا ونهارا، وتتركز العمليات على بتر الأعضاء المصابة وزرع الجلد للمحروقين والتقطيب ويتم صنع أطراف صناعية محليا...» (33)

«الانسحاب بشجاعة»

من المفيد معرفة الحالة النفسية للسوفييت غداة بداية انسحاب قواتهم من أفغانستان ابتداء من منتصف ماي 1988. (وتعيين هذا التاريخ بالذات يطرح تساؤلات حول سبب اختيار هذا التاريخ — 15 ماي الذي هو تاريخ الاعلان عن قيام الدولة اليهودية — إذ من المسلم به أن اختيار المسؤولين، خاصة في الدول الكبرى، لتواريخ اتخاذ قرارات كبيرة لايخضع أبدا للصدفة

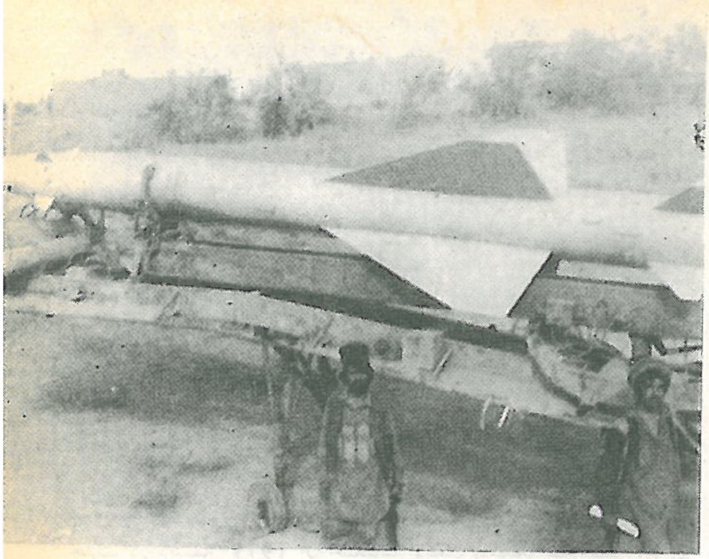
فهل كان المقصود به نوع من التغطية على ما كان يجري في الأرض ؟).

فقد كتب جيورجي أرباتوف Guerogui Arbatov أحد مستشاري ميخائيل غورباتشوف بعد بداية الانسحاب «**يجب توفر المزيد من الشجاعة لسحب الجيش من أفغانستان أكثر من شجاعتنا على إرساله إليها. إننا نظهر أننا نتوفر على الشجاعة والحكمة للقيام به**» (34).

كما كتب ألكسندر بروخانوف Alexandre Prokhanov وهو من كبار المحررين الصحفيين، مهاجما الحزب الحاكم في كابل «**لأنه أراد فرض اشتراكية في بلده بطريقة غير أفغانية وغير إسلامية، مستعملا أساليب إدارية** (وهذا المصطلح يعني في الأدبيات السياسية السوفيتية القمع) **فيها تهجم على التقاليد والمشاعر العميقة للسكان**» (35).

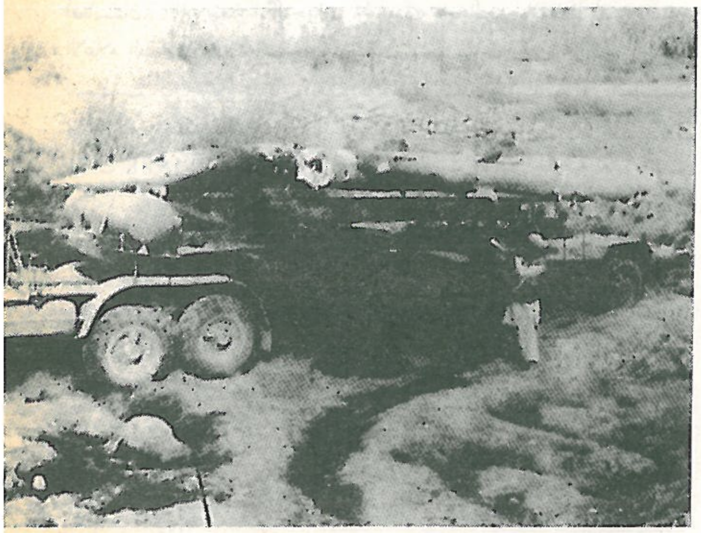
ووصل اهتمام السوفييت بالنهاية المفجعة لمغامرتهم في أفغانستان الى حد تخصيص مناقشات علنية لأول مرة — فيما نعلم — حول المشكلات الاقليمية





فوق : صاروخ سام 2 على منصة الاطلاق

تحت : صاروخ آخر مدمر بقذائف المجاهدين



من غنائم قاعدة الصواريخ



وعلى رأسها قضية أفغانستان. فقد نظمت وكالة «تاس» بالتنسيق مع مجلة «ليتيراتورْنايا غازيتا» حلقة نقاش حضرها لفيف من علماء السياسة السوفييت اللامعين (كما وصفتهم المصادر السوفيتية) والصحفيون الأجانب... وكان موضوع المناقشة «الصراعات الاقليمية : من العام الى الخاص» بينما كان عنوان تغطية هذه الحلقة في مجلة «الفجر الجديد» Aubes Nouvelles السوفيتية (عدد 8 — لسنة 1988 ولم ينص على تاريخ الصدور بالضبط — ص 44) كما يلي : «الصراعات الاقليمية وحسن النوايا» ! Les conflits) regionaux et le bon sens) : لقد قيل في هذه الحلقة كلام غريب لم نعهده إطلاقا في الأدبيات السياسية السوفيتية، التي عودتنا على التحاليل الايديولوجية الصارمة المغلفة في قوالب تعبيرية يعرفها الخاص والعام، بل يتعلق الأمر هذه المرة بأسلوب آخر مخالف تماما :

فقد افتتح المناقشة إيغور بليابيف Igor Beliaev المعلق السياسي في مجلة «ليتراتورنايا غازيتا» الذي أوضح أن «**التأييد العالمي للنتائج الايجابية لمباحثات جنيف... يُفسَّر بالدرجة الأولى بكونها تسمح بتهدئة الوضع في واحدة من أكثر مناطق العالم التهابا...**» (وهذا ما لم يحصل بطبيعة الحال) أوضح كيف أن هذه الاتفاقية مكنت من الوصول الى «**تسوية معقولة**» لأزمات كان «**من المستحيل إيجاد حل لها حتى الان**» وأضاف المعلق السياسي البارز أن التسوية حول القضية الافغانية «**هي بمثابة نموذج يمكن أن يحتذى به في مناطق أخرى من العالم لم تُسَوَّ مشكلاتها الأقليمية بعد**».

أما خبراء السياسة السوفييت — تضيف المجلة — فقد نصحوا بضرورة «**الأخذ بعين الاعتبار، العامل الديني خلال البحث عن حل للمشكلات الاقليمية**» وفيما يتعلق «**بالخصوصيات، يجب الاهتمام بالدرجة الأولى بالتقاليد، وبالنفسية الوطنية la psychologie nationale لشعب ما**» !

وأجمع المشاركون على «**أن الالتزام الحرفي بحقوق الشعب في الاستقلال، والتقدم، وفي الاختيارات الحرة لطريق النمو، كل هذا يساعد على حل المشكلات الاقليمية. وهذا أمر لاينفصل عن الاحترام الالزامي لمبدأ عدم التدخل، حتى في البلدان الصغيرة، الضعيفة، وغير المتقدمة، إن شعوب هذه البلدان لها تقاليدها، ونظراتها الخاصة للعالم...**».

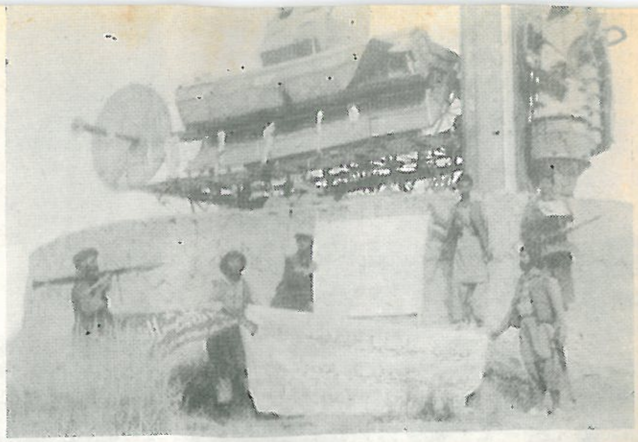
وختمت المجلة تغطيتها هذه بالتأكيد على أن «**الاعتراف بحق كل شعب في الاستقلال، وفي الاختيار الحر لطريق التنمية، وفي توجهه السياسي بدون تدخل خارجي، هو الطريق الوحيد لحل المشكلات الاقليمية...**».

إن هذه الرؤية الجديدة، **ليست ناتجة عن صحوة ضمير، ولكنها الصدمة الهائلة التي شعر بها الروس نتيجة عجزهم أمام شعب «صغير» و«ضعيف» و«متخلف» أذاقهم هزيمة لم تتصورها عقولهم بالمرة.**

هذا هو الاطار النفسي العام الذي اكتنف انسحابهم من أفغانستان، وبالنسبة لصنائعهم في كابل، بدأوا إعطائهم بطاقات للهروب بهدف الاقامة في الاتحاد السوفيتي منذ أوائل سنة 1988.

وأعلنت الحكومة السوفيتية أنها «**ستلتزم بدقة**» بنصوص الاتفاقية فيما يتعلق بالانسحاب وأضاف بيان رسمي «**ينبغي ألا يكون ثمة شك في أن الاتفاقية الخاصة بانسحاب القوات السوفيتية... نهائية ولا رجوع فيها**» (36).

ويبدو أن الروس كانوا يشعرون بنوع من الهلع مخافة أن يوجه لهم المجاهدون ضربات موجعة أثناء الانسحاب بعد أن تأكد لهم أن المجاهدين لم يكترثوا باتفاقية جنيف رغم كل الضغوط، وهذا ما عكسه تصريح الجنرال فلاديمير لوبوف Vladimir Lopov النائب الأول لرئيس أركان القوات المسلحة السوفيتية لصحيفة «أخبار موسكو» بأنه «استنادا على معلومات حصل عليها الجيش السوفيتي أن الثوار الأفغان يتأهبون بصورة مكثفة لشن هجمات على طريق انسحاب القوات السوفيتية» وحول سؤال عن مدى



إدارة القاعدة



أول راجمة صواريخ تقع في أيدي المجاهدين من نوع بي م 21 بعد فتحهم لقلعة سبين بولداك يوم الجمعة 9 — 9 — 1988

ضرورة تدخله في أفغانستان : أجاب الجنرال لوبوف جوابا بئيسا : «الذي حدث في ديسمبر 1979 أن أصدقائنا الأفغان ناشدونا ستة عشر مرة أن نساعدهم ثم لبينا النداء السابع عشر» (37).

وبخصوص انسحاب الوحدات الأولى التي بدأت من مدينة جلال آباد، أعلنت وكالة «تاس» أن «قافلة أولى من وحدات المشاة غادرت كابل في أجواء احتفالية بادئة المرحلة الأولى من انسحاب الوحدات السوفيتية المحدودة عن أفغانستان» (38) وتعبير «الوحدات المحدودة» هو التعبير المفضل لدى وسائل الاعلام السوفيتية بخصوص حجم جيشهم المحتل، وحول هذا الموضوع، سبق للسوفييت أن أعلنوا غداة توقيعهم لاتفاقية جنيف أن لديهم في أفغانستان 100 ألف جندي وتعهدت أن تسحب 50 ألفا منهم ما بين 15 ماي و15 غشت 1988 (39) ولا يتوقع أن يعطي السوفييت الأرقام الحقيقية لعدد قواتهم المحتلة.

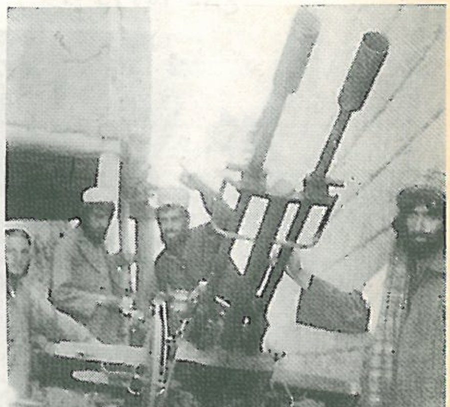
ولم يفت التلفزة السوفيتية أن تنقل صورا عن انسحاب القافلة الأولى معترفة — في نفس الوقت — بتعرضها لهجوم من طرف المجاهدين دون أن تشير الى الخسائر. (40).

وفي 14 غشت أعلنت إذاعة موسكو أن «نصف قواتها في أفغانستان قد انسحبت قبل يوم من الموعد المحدد في اتفاقية جنيف» كما أكدت أنه «لم تعد توجد أية قوات سوفيتية في شرق وشمال شرق وجنوب شرق أفغانستان» (41) وبعد ذلك بيومين عادت وكالة «تاس» لتؤكد انسحاب 50 ألفا. من الجنود السوفييت. (42).

ومن جهة أخرى حرص الروس على التأكيد على أنهم **سينسحبون من جميع أنحاء أفغانستان** حيث صرح السفير السوفيتي في اسلام اباد أن بلاده ستسحب قواتها من كل المناطق في أفغانستان بما في ذلك ممر واخان الاستراتيجي على الحدود الباكستانية — الصينية — السوفيتية، ونفى أن يكون الاتحاد السوفيتي قد اعتزم الاحتفاظ بهذا الممر بموجب اتفاق سري مع النظام العميل (43) والحقيقة أن الروس كانوا قد اقتطعوا هذا الجزء الهام من التراب الأفغاني، وهذا ما سبق أن أكدته مصادر المجاهدين ومصادر رصينة أخرى مثل (المجلة العامة للقانون الدولي العام مجلد 1982/86 — الفصل الأول — ص 118) كما أكدته في حينها جريدة لوموند بتاريخ 19 يونيو 1981 وقد عمد الروس الى طرد سكان هذه المنطقة الهامة وإحلال مستوطنين منهم مكانهم، ودارت فيها معارك طاحنة مع المجاهدين وخسروا فيها الكثير من عناصرهم قبل السيطرة عليها. وقد نصبوا فيها رادارات ضخمة وأجهزة تصنت متطورة، إذ يجب ألا ننسى أن في هذه المنطقة من سلسلة جبال هندوكوش توجد قمم شاهقة تتراوح ما بين 18 ألف و28 ألف قدم.

كما أن حصر الروس على التأكيد على انسحابهم من كامل التراب الأفغاني، له علاقة بمحاولاتهم الفاشلة لايجاد منطقة عازلة على الحدود مع اسيا الوسطى في شمال أفغانستان حيث رسم ولاية جديدة سماها الروس «ساري بول» وتضم ولايات سمنجان وبلخ وجوزجان وفرياب وبدغيس، وهذه الولايات حاول الروس ربطها مباشرة — عبر اتفاقيات ثنائية مع «جمهوريتي» أوزبكستان وتركمانستان في مجالات مختلفة (وهي اتفاقيات غريبة من الناحية القانونية إذ

غنائم من القاعدة

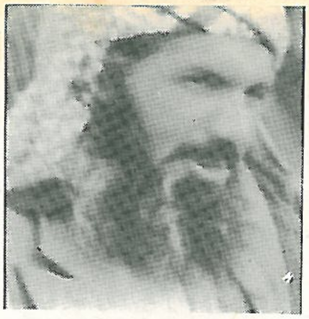




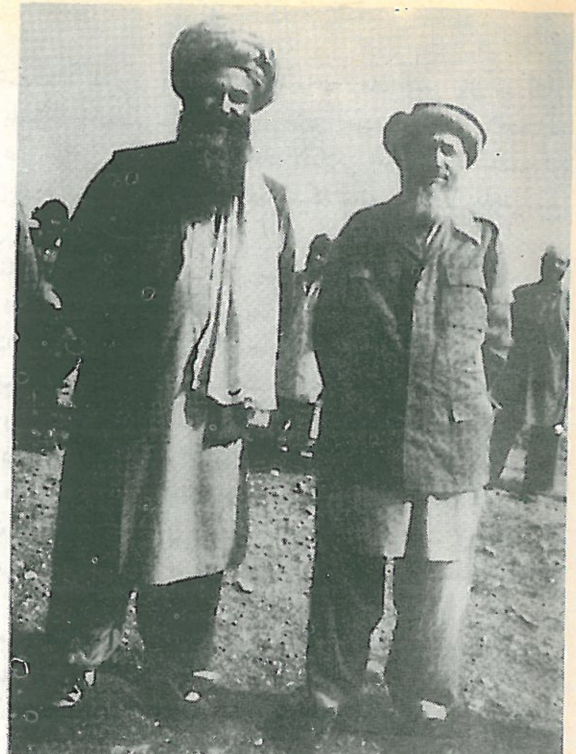




أحمد شاه رئيس الحكومة المؤقتة.



القائد العام للحوزة الجنوبية الغربية محمد اسماعيل خان



سياف ورباني معا في رحلة الوحدة الى مشارف كابل



الدكتور عبد الله نائب الحاج شير علم
ومن مخططي العمليات ضد الأهداف في كابل



الحاج شير علم القائد العام
لجبهة باغمان

لايعقل أن تبرم «جمهوريات» اتفاقيات مع محافظات ذات كيان إداري داخل الدولة) وهذه المناطق السهلية الخصبة تتوفر على مصادر الغاز والبترول الغنية وموارد أخرى هامة، وقد لمح نجيب الى إمكانية احتفاظ الروس بهذه المناطق عندما أعلن أنه **«سمع همسا حول هذا الموضوع»** (44) دون أن يعقب بشيء... وسبق لمصادر المجاهدين أن أكدت هذه المحاولات مع إيراد التفاصيل المتعلقة بهذه المحاولات. (45).

إن تأكيد الروس على عزمهم على الانسحاب من كافة المناطق الأفغانية يدخل في إطار شعورهم بخطورة الاقدام على مثل هذه المحاولات لما قد ينجم عنها من استمرار المعارك مع المجاهدين، وهذا أمر لم يعد لهم أي استعداد نفسي لمواصلته بعدما ذاقوه منْ هزائم، وهذه الوضعية المزرية هي التي سترغمهم على اتخاذ خطوة لم يكن يتصورها أي أحد ــ باستثناء الملاحظين المهتمين بتفاصيل التطورات العسكرية وغيرها على الساحة الأفغانية ــ ألا وهي الجلوس على مائدة المفاوضات مع قيادات المجاهدين مباشرة، بعد تَمنُّع طويل.

وجها لوجه

لم يأت قرار السوفييت بالجلوس على مائدة المفاوضات وجها لوجه مع «قطاع الطرق» و«عملاء الرجعية والامبريالية» من فراغ، بل هناك معطيات محددة على الأرض، هي التي أنزلتهم من صياصيهم.

وقبل التعرض الى هذه المعطيات الجديدة التي أفرزتها التطورات العسكرية خلال ربيع وصيف 1988، نشير الى أن أولى الارهاصات لقبول الروس الجلوس للتفاوض مع المجاهدين، هو توسيطهم للدكتور حسن عبد الله الترابي الأمين العام للجبهة الاسلامية القومية بالسودان، الذي قام بزيارة للصين ثم الاتحاد السوفيتي الذي صرح أنه من خلال لقاءه مع المراقبين والرسميين الروس **«يحاولون عبر صلات معنية أن نعينهم على حل هذه الأزمة، وما زال الأمر في أوله، وما كنا لنعقد شيئا قبل أن نتبصَّر مواقف إخواننا ونتعرف على ما لديهم.»** (46).

وبالنسبة للمعطيات الأخيرة على الساحة، فتتعلق **بوضعية اختناق عسكري واضحة** : فمن المعلوم أن الروس انسحبوا من الشمال الشرقي (مناطق تابعة لقوات أحمدشاه وقد أخلاها الروس قبل بداية انسحابهم بوقت طويل نسبيا) ومن الشرق ومن الجنوب الشرقي ومن الجنوب ومن المغرب، وإذا علمنا أن خط الرجعة الوحيد أمام قوات الاحتلال المنحصرة في كابل ونواحيها، وخاصة شمالي كابل، هو طريق كابل/الحدود عبر ممر سالانغ المرعب، وإذا علمنا أيضا أن **هذا الطريق يقع تحت السيطرة المباشرة لرجال أحمدشاه،** سيتبين لنا أن الروس محاصرون بشكل ما، وهذه الوضعية الخانقة، حاول الروس تغطيتها من خلال إجرائين اثنين ذَوَيْ **طبيعة دعائية محضة** :

الأول يتعلق باستقدام عشرات الطائرات الحديثة من نوع ميغ 27 والمزيد من المروحيات العسكرية المتطورة، وكذلك استقدام صواريخ من نوع إس إس 1 (وهي ما تعرف بصواريخ سكود وهي من أطرزة مختلفة) (47) التي تم تمرير بعض منها وسط شوارع كابل في **محاولة لاحداث أثر نفسي لصالحهم، ولمحاولة رفع معنويات بقايا الجيش الحكومي المنهار الى حين إكمال الانسحاب وليكن بعد ذلك الطوفان.**

وقد هاجمت تلك الطائرات مواقع المجاهدين والسكان المدنيين الذين أطلقت عليهم أيضا تلك الصواريخ الثقيلة، وأحدثت دمارا كبيرا وأسفر ذلك كله عن مئات الشهداء خاصة في صفوف المدنيين، وقد علق المراقبون على هذه الهجمات الوحشية بكونها ذات **«طبيعة انتقامية»** (48) بسبب ما حل بقوات الاحتلال من هزائم منكرة خلال الصيف، وكان الهدف ــ كما هو واضح، محاولة التفاوض من موقع قوة خلال المفاوضات التي كانوا يعدون لها أنفسهم.

أما الاجراء الثاني فقد تمثل في الاعلان عن **«وقف الانسحاب»** من طرف الروس معللين ذلك بتكثيف المجاهدين لنشاطاتهم العسكرية ضد القوات الروسية والحكومية **والحقيقة أن الروس لم يوقفوا انسحابهم بشكل إرادي، بل كان إجراء وقف الانسحاب إجراء حمائيا لاعتقادهم بعدم إمكانية سحب باقي قواتهم ـ خاصة من كابل ـ دون التعرض لخسائر كبيرة، خاصة وأن قيادات المجاهدين كانت قد قررت عدم سحب قواتها المحيطة بكابل كما كانت تفعل مع حلول كل شتاء سبب قساوة البرد وعدم توفر وسائل الحفاظ على آلاف المجاهدين في مناطق صعبة بيئيا، وقامت بتزويد أكثر من 10 الاف مجاهد يحيطون بكابل، بالمؤن والذخائر، وهيئوا خططا لمهاجمة قوات الاحتلال داخل كابل، إضافة الى ما يتوفرون عليه من شبكات قوية داخل العاصمة نفسها... كل هذا جعل القيادة العسكرية السوفيتية في أفغانستان تُقيِّم الوضع العسكري في العاصمة بأنه خطير جدا وأن محاولتهم مقاومة هذا الطوق المحكم سيكون انتحارا عسكريا، أو على الأقل، سيتكبدون فيه خسائر هائلة، إضافة الى دمار العاصمة، وهو ثمن ليسوا مستعدين لدفعه عسكريا وماليا وسياسيا إذا علمنا أن الوضع الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي يعاني من مشكلات خطيرة، حيث صرح وزير المالية غوتسيف أن العجز في ميزانية 1989 سيصل الى 36 مليار روبل (57 مليار دولار) مما حدا به الى أن يصف الوضع المالي للاتحاد السوفيتي بأنه «صعب»** [50] **إذا علمنا هذا كله، ستتضح لنا مكونات صورة الوضع العام الذي وجد فيه الروس أنفسهم في أفغانستان غداة قبولهم التفاوض مباشرة مع المجاهدين.**

ومما يعكس الشعور بالاحباط من جراء هذه الوضعية الصعبة، هو تصريح جنادي غيراسيموف، المتحدث باسم وزارة الخارجية السوفيتية، الذي انتقد فيه مراقبي الأمم المتحدة العاملين في أفغانستان لمراقبة الانسحاب بناء على اتفاقية جنيف واتهمهم بالفشل في أداء مهمتهم ووصفها بأنها **«لا تؤدي وظيفتها على نحو لائق وتفتقر الى سيطرة كافية على الوضع»** [51].

واستكمالا للصورة، فقد كانت لتهديدات برهان الدين رباني ـ أثناء حضوره لجلسات الجمعية العامة ـ بقطع طريق العودة على قوات الاحتلال، وبشكل علني ورسمي، بصفته رئيسا للاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان، أثر مباشر في إقناع الروس بضرورة حل كافة المشكلات من خلال التفاوض مع المجاهدين.

فقد صرح رباني ـ جوابا على سؤال حول ما إذا كان للمجاهدين مشروع لقطع الطريق الرئيسية التي تربط كابل بالحدود السوفيتية فأجاب: **نعم، هذا صحيح، لأنه بدل الانسحاب عبر هذا الطريق فإن الروس يستقدمون أسلحة جديدة... إن قادة المجاهدين في الشمال أعدوا خطة عمليات واسعة ليثبتوا للروس بأن لديهم الوسائل لمواجهتهم بشكل أقوى من السابق إذا ما أرادوا استئناف الحرب... لقد أعلنا منذ زمن طويل أنه إذا ما انسحبوا دون قتل للمدنيين والأبرياء فإننا لن نضع لهم عوائق، وأكد مرة أخرى أن المجاهدين مستعدون للتحاور مباشرة مع السوفييت في موضوع انسحاب قواتهم فقط، وليس بشأن حكومة مقبلة أو بشأن مستقبل البلاد.** [52].

وبعد هذه التصريحات بيومين، وبعد لقاء بين رباني ودي كويلار استغرق ساعة، أعلن زعيم الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان أن مباحثات ستجرى بين المجاهدين والروس في سفارة الاتحاد السوفيتي في إسلام آباد في غضون أسبوعين، وأعلنت السفارة «عن تشكيل فريق عمل سيتباحث مع المجاهدين مباشرة» مقابل تشكيل المجاهدين لفريق عمل لبدء المفاوضات. كما وجه رباني تحية شخصية لدي كويلار إلا أنه اعتبر كوردوفيز «فاشلا» في مهمته لكونه أظهر انحيازا عندما اتهم قادة المجاهدين بالسلبية مقابل إشادته بحسن شرف رئيس وزراء النظام العميل [53].

والحقيقة أن الروس بدؤوا استعداداتهم للتفاوض مع المجاهدين منذ شهر أكتوبر، عندما عينوا واحدا من أبرز دبلوماسييهم والذي وصف بأنه «محنك» و«خارج عن المألوف بذكاءه الحاد...» وهي يولي فورنتشوف **Youli Forontsov** سفيرا في كابل ولما يمض على تعيين نيكولاي إيغوريتشيف



Nicolai Igoretechev سفيرا في العاصمة الأفغانية قبل ستة أشهر فقط[54] إلا أن المجاهدين أعلنوا أنهم يرفضون التباحث مع فورنتسوف بصفته سفيرا، بل بصفته النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتي.

وفعلا، بدأت المفاوضات يوم الجمعة 2 ديسمبر 1988 بقصر المؤتمرات بالرياض، بعد جولة أولى في السفارة السوفيتية في إسلام آباد رباني والى جانبه العالم صبغة الله مجددي وقيادات أخرى... **وأكد المجاهدون في بيان لهم أن قبول الروس للتفاوض معهم يعني فشل اتفاقية جنيف.**

لقد كان حدثا فريدا، ومع ذلك فقد لوحظ أن وسائل الاعلام لم تعط له الاهتمام الكافي، رغم دلالاته السياسية الكبيرة. وكانت نتائج اللقاء «مشجعة» حيث وافق السوفييت على التباحث في موضوعات رئيسية بعد أن حاولوا قصرها على مسألة أسراهم لدى المجاهدين الذين يبلغون بضع مئات، وهكذا اتفق الجانبان على دراسة الملفات الرئيسية في جولة أخرى من المفاوضات في باكستان.

«الصفقة الكبرى»

بخصوص مسار المفاوضات التي يتعين على الطرفين التباحث فيهما بعد الجولتين الأوليين، كشفت صحيفة القبس الكويتية المعروفة بتوفرها على مصادر معلومات عالية المستوى، عما سمته بـ «صفقة سياسية كبرى» وذلك استنادا الى مصادر أوروبية شرقية وثيقة الاطلاع.[55] فقد ذكرت تلك المصادر للجريدة أن مهندس المفاوضات هو فلاديمير بولياكوف Vladimir Boliakov رئيس دائرة الشرق الأوسط في الخارجية السوفيتية، كما أوضحت **«أن القيادة السوفيتية مستعدة للذهاب بعيدا في علاقاتها مع المجاهدين الأفغان وراغبة في إقامة علاقات مستقبلية جيدة طويلة الأمد مع المجاهدين انطلاقا من حرصها على قيام علاقات طبيعية وسلمية مع أفغانستان في مرحلة ما بعد الانسحاب».**

وانطلاقا من هذه القناعة السوفيتية ــ تضيف تلك المصادر ــ فإن القيادة السوفيتية مستعدة لتقبل الأمور الرئيسية الاتية وذلك للمرة الأولى :

1 ــ التعامل مباشرة مع المجاهدين الأفغان على أساس أنهم سيشكلون القوة الرئيسية بعد الانسحاب، كما أنهم لايريدون (أي الروس) أن يتركوا الولايات المتحدة تقيم وحدها ــ دونهم ــ علاقات مع المجاهدين، بل يعتبرون أن مصلحة الاتحاد السوفيتي تقضي بإقامة علاقات تعاون مستقبلية مع المجاهدين الأفغان والإعداد لذلك منذ الآن.

2 ــ قبول قيام نظام إسلامي (وكأن الأمر مرهون بقبولهم ولكنها الصياغة الذكية لعبارات الهزيمة) **وذلك من منطلق أن أفغانستان بلد اسلامي وأن شعبه شعب مسلم.**

3 ــ قيام علاقات تعاون وحسن جوار تتضمن التعهد المتبادل بعدم التدخل في الشؤون الداخلية. (وفي هذا إشارة واضحة الى المناطق الاسلامية في اسيا الوسطى).

ومقابل هذه التعهدات يريد السوفييت الأمور التالية :

1 ــ إتمام انسحاب القوات الروسية في موعد أقصاه 15 فبراير دون أن تتعرض لهجومات من طرف المجاهدين.

2 ــ لايريد السوفييت أن تتكرر تجربة سايغون في كابل، والواقع ــ كما تقول المصادر ــ أن المسؤولين السوفييت يعيشون هاجس تجربة سايغون عندما شن ثوار الفيتكونغ هجوما كبيرا عندما علموا بعزم الأمريكيين على الانسحاب، مما أدى الى انسحاب الأمريكيين بصورة مذلة، ولهذا يريد السوفييت من المجاهدين ألا يهاجموا المدن الكبيرة التي لازالوا يتواجدون فيها أثناء انسحابهم.

3 ــ يريد السوفييت أن تنتقل السلطة بعد انسحابهم بطريقة سلمية الى ايدي المجاهدين، وعللوا ذلك بكونهم يعتبرون من مصلحتهم وجود وضع مستقر بعد انسحابهم، والواقع ان المسألة لاتعدو أن تكون درءا لحصول هزيمة شنيعة لعملائهم بعد انسحابهم، مما سيؤثر على سمعة الروس لكونهم تركوا «رفاقهم» لمثل ذلك المصير البائس.



الهوامش

1 — هذا التصريح ورد في مجلة le Nouvel Observateur الفرنسية وقد أغفلنا كتابة تاريخ العدد على القصاصة وقد تضمنت الصفحة مقالا بعنوان «موسكو تأخذ إجازة» ويتعلق ببداية انسحاب قوات الاحتلال.

2 — صدرت الترجمة العربية لنص البيان في مجلة «المدار» السوفيتية — عدد 3 — 1988 ص 2، 3 — موسكو.

3 — هذه المقتطفات وردت في مجلة البنيان المرصوص — عدد 12 — فبراير 1987 — ص 14، 22 ويمكن الرجوع الى المواقف والتحليلات الصادرة عن المجاهدين بخصوص هذا الموضوع في المجلات الصادرة عنهم خلال شهري فبراير ومارس من نفس السنة.

4 — نقلا عن مجلة جون أفريك Jeune Afrique — عدد 3 — يونيو 1987 ص 19.

5 — نقلا عن القبس الدولي 11 مارس 1987 ص 14 وقد كررها نجيب مرات عدة، انظر على سبيل المثال تصريحه باحتفاظه بمقاعد شاغرة في الحكومة لقوى المعارضة ! القبس الدولي 16 — مارس 1988.

6 — شهرية le Monde deplomatique. 6 أبريل 1988.

7 — القبس الدولي 9 — 10 أبريل 1988.

8 — لوموند 31 مارس 1988.

9 — اتفاق جنيف : رؤية تحليلية مستقبلية — حوار — مجلة البنيان المرصوص عدد 20 رمضان 1408 ص 34 — 35.

10 — المرجع السابق ص 35.

11 — المرجع السابق ص 35.

12 — نقلا عن القبس الدولي 27 أبريل 1988

13 — لوموند 31 مارس 1988.

14 — Milos Minic : les mouvements de libération dans le systéme des relations internationales — in : Revue de Politique Internationale — n°868-5/6/1986 — Belgrade — pp : 7; 12.

15 — لوموند 5 — 6 غشت 1988 كما أشارت مصادر المجاهدين عدة مرات الى رعونة المبعوث الأممي وحشره لأنفه في مثل هذه القضايا.

16 — الدول المصوتة ضد (حسب الأبجدية اللاتينية كما وردت في المصدر : أفغانستان ! أنغولا، بليوروسيا، بلغاريا، كوبا، اثيوبيا، غرينادا، هنغاريا، لاوس، ليبيا، مدغشقر، منغوليا، موزمبيق، بولونيا، المانيا الديموقراطية، ساو تومي، سيشيل، سوريا، تشيكوسلوفاكيا، أوكرانيا، الاتحاد السوفيتي، فيتنام، واليمن الغربي، علما بأن بيلو روسيا واوكرانيا ومنغوليا هي تابعة للاتحاد السوفيتي وتصوت مستقلة باعتبارها جمهوريات فدرالية !!

17 — استجواب مع أحمدشاه أجرته مجلة الجهاد — عدد 43 — يونيو 1988.

18 — الندوة الصحفية التي عقدها بالرباط في 26 — 2 — 1988 ونشرت جريدة «البيان» الشيوعية تغطية عنها في عددها 28 — 29 فبراير 1988.

19 — القبس الدولي 7 — 1988/5/8.

20 — الشرق الأوسط 21 — 6 — 1988 والى حد كتابة هذه السطور (أواخر 1988) لم تعترف بعد أية دولة عربية أو غير عربية بتلك الحكومة.

21 — مرجع الهامش 17 أعلاه.

22 — صحيفة لوموند 20 — 21 أبريل 1988

23 — لوموند 17 مارس 1988.

24 — نص الخطاب وظروف القاءه أوردته مجلة المجتمع الكويتية حينها ولم نتمكن من تحديد تاريخ العدد.

25 — لوموند 29 أبريل 1988.

26 — لوموند 26 أبريل 1988

27 — لوموند 28 أبريل 1988 وأوردت صحيفة القبس (الدولي) أخبارا عن هذه العملية نقلا عن مصادر سوفيتية، عدد 27 يونيو 1988.

28 — لوموند 12 يوليو 1988.

29 — مجلة المجاهدون عدد 15/14 محرم 1409

30 — القبس (الدولي) 30 سبتمبر 1988.

31 و32 — أوردت مجلة البنيان المرصوص عدد 24/ غشت 1988 تحقيقين مصورين عن فتح لواء الصواريخ وسقوط قلعة سبين بولداك وبالنسبة لهذه الأخيرة تناقلتها وكالات الأنباء العالمية حينها كما أن جريدة القبس أوردت خبر فتح مراكز شكردرة بتاريخ 17 غشت 1988.

33 — القبس الدولي 29 يوليو 1988.

34 — le Nouvel observateur : 20-26 Mai 1988

35 — المرجع السابق.

36 — القبس 28 أبريل 1988

37 — القبس 12 ماي 1988

38 — القبس 16 ماي 1988

39 — القبس 8 غشت 1988

40 — القبس 19 غشت 1988

41 — القبس 15 غشت 1988

42 — القبس 17 غشت 1988

43 — القبس 18 غشت 1988

44 — لوموند 30 أبريل 1988

45 — سبق لمجلة الجهاد أن تناولت هذه المسألة بالتفصيل في أحد أعدادها لسنة 1988 ولكننا لم نتمكن — للأسف من تحديد مرجع العدد — ونشير الى أن مجلة الأكسبريس l'express الفرنسية تناولت هذا الموضوع بالتفصيل في عددها الصادر في 22 أبريل 1988.

46 — انظر الاستجواب الذي أجرته معه مجلة الجهاد — عدد 37 — ديسمبر 1987 ص. 10.

47 — الوكالات والاذاعات والصحف في فاتح وثاني نوفمبر 1988.

48 — التلفزة المغربية — نشرة 7،15 مساء — 6 نوفمبر 1988.

49 — الوكالات والاذاعات والصحف في 6 نوفمبر 1988.

50 — جريدة العلم 29 أكتوبر 1988

51 — القبس 1 — 2 أكتوبر 1988

52 — القبس 11 نوفمبر 1988

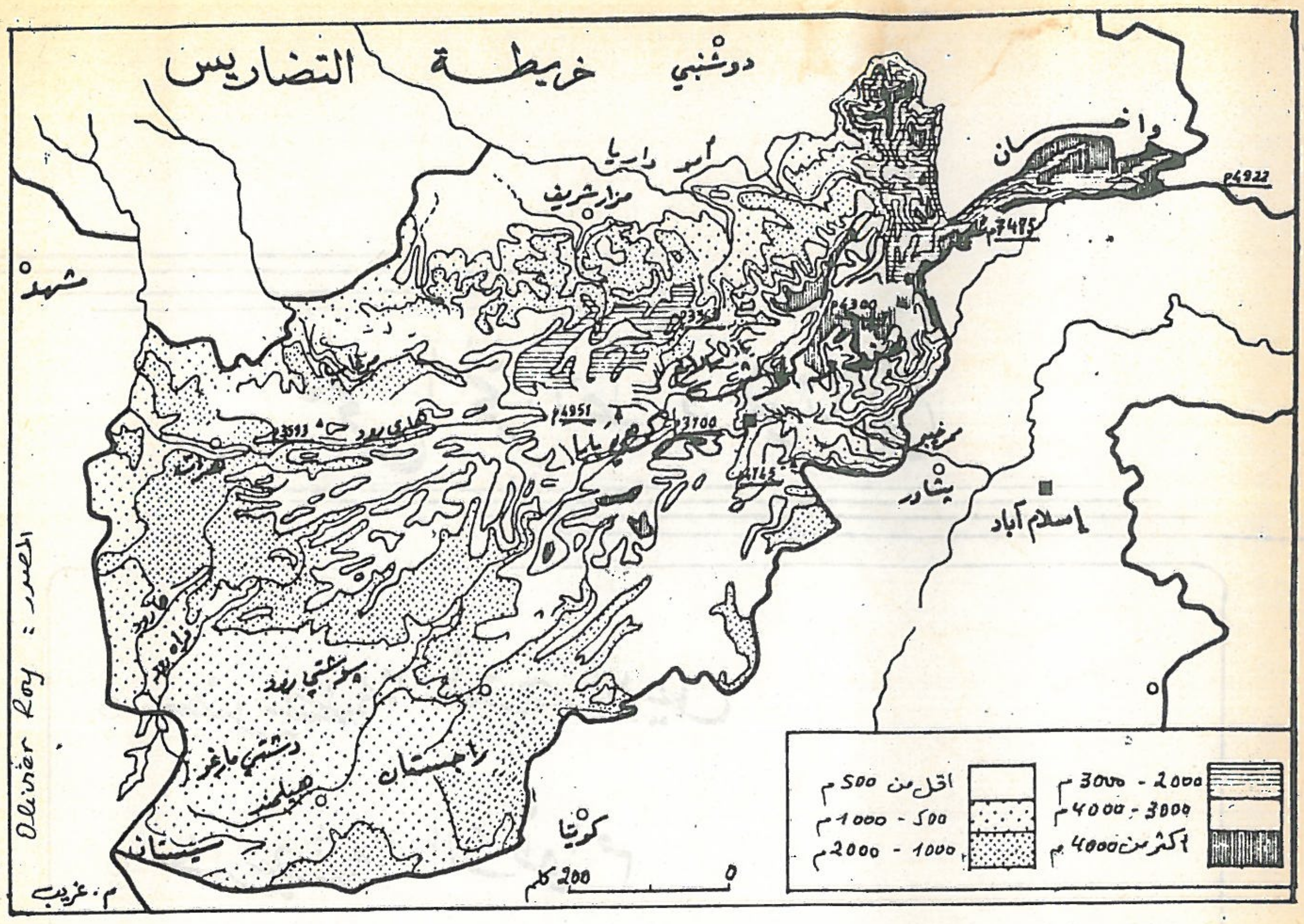
53 — القبس 13 نوفمبر 1988

54 — القبس 15 — 16 أكتوبر 1988

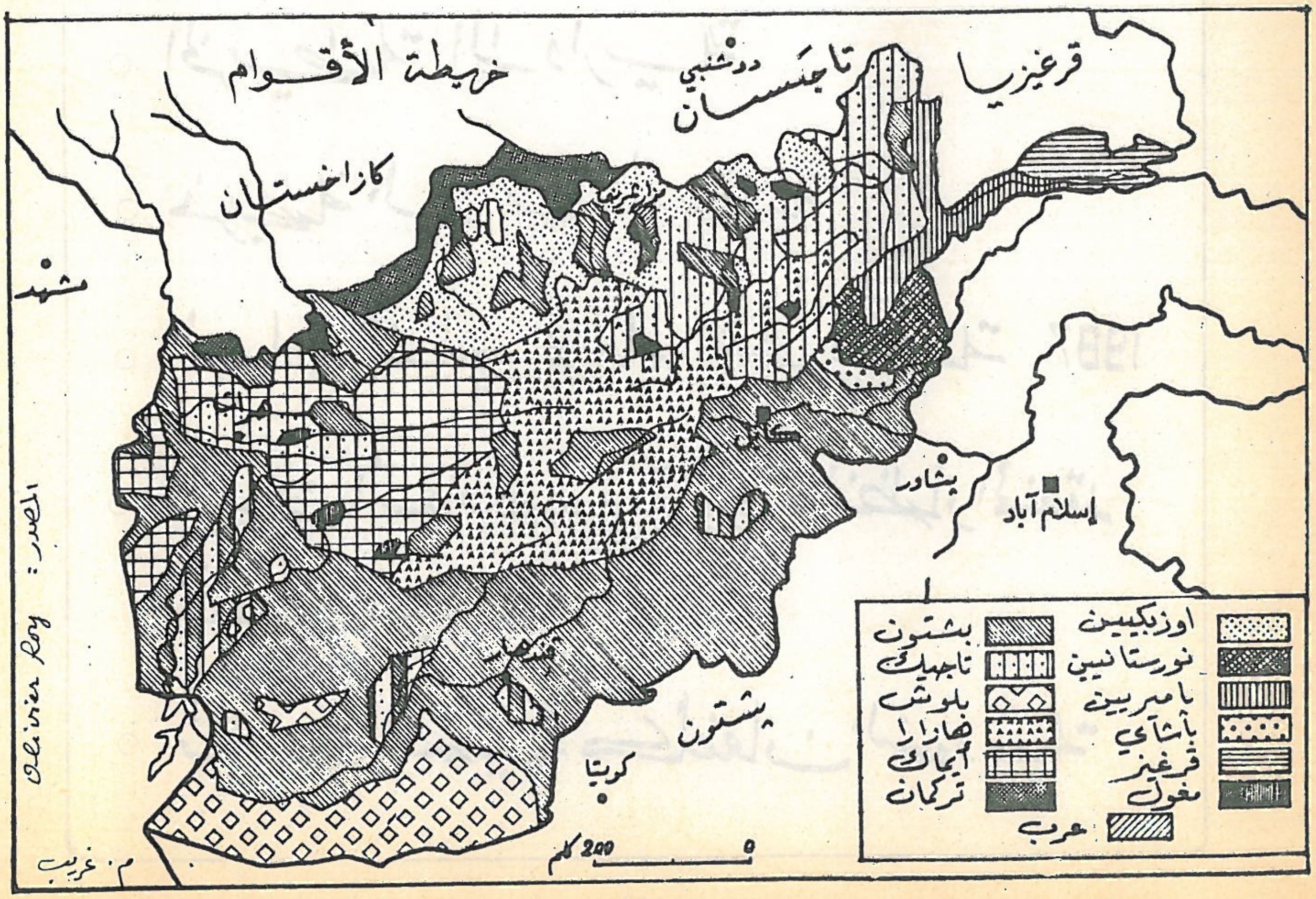
55 — القبس 8 ديسمبر 1988.

ملحق الخرائط والوثائق

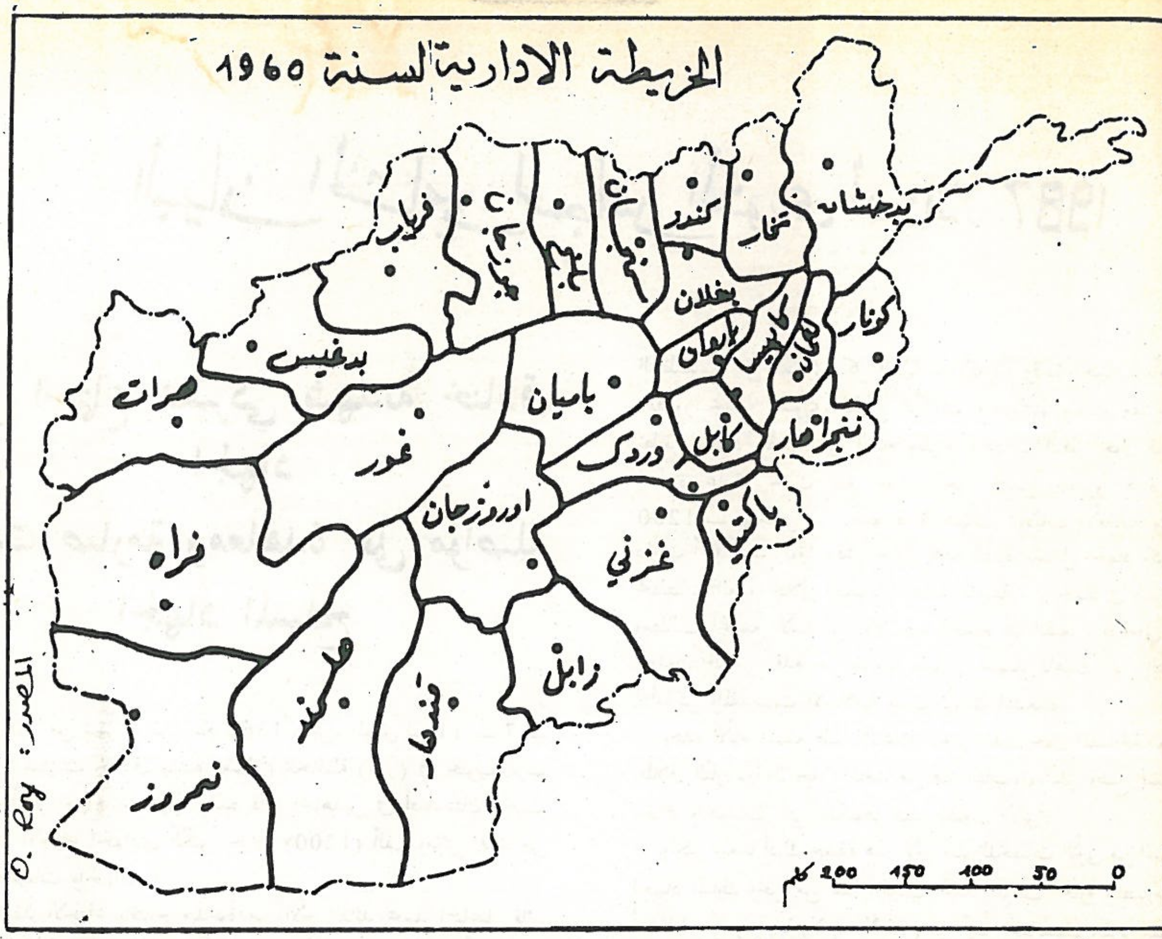
- خريطة التضاريس
- خريطة الأقوام
- الخريطة الإدارية
- خريطة القواعد السوفيتية
- البيان الختامي لمجلس الشورى لسنة 1987
- البيان العام لمجلس شورى النظار المنعقد في صيف 1988
- تفاصيل عملية كلفغان النموذجية

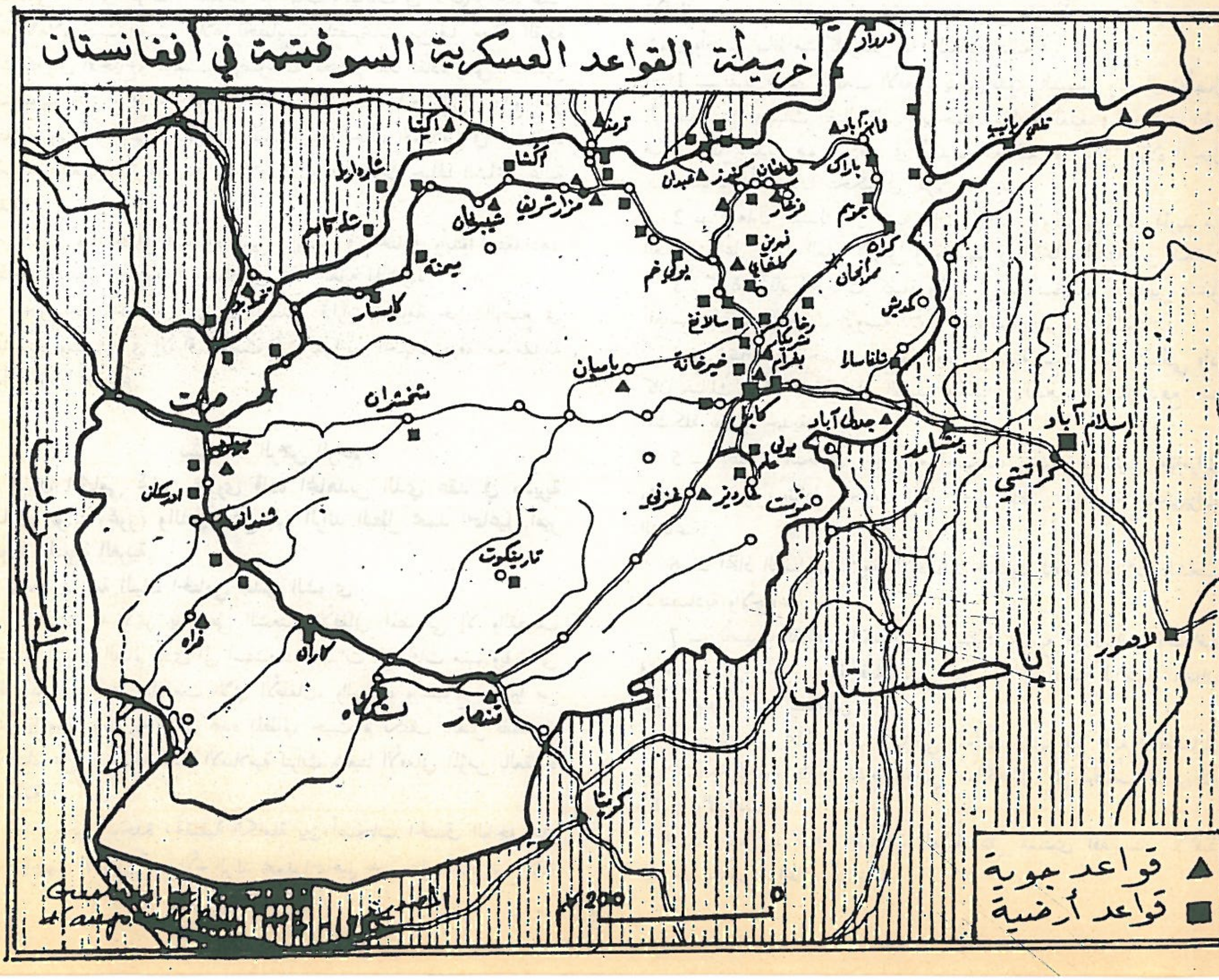


خريطة التضاريس
دوشنبي
أمو داريا
مزار شريف
مشهد
واخان
بشاور
إسلام آباد
هلمند
ريجستان
كويتا
اقل من 500 م
500 - 1000 م
1000 - 2000 م
2000 - 3000 م
3000 - 4000 م
أكثر من 4000 م
200 كلم
Olivier Roy : المصدر
م. غريب



خريطة الأقوام
دوشنبي
تاجكستان
قرغيزيا
كازاخستان
مشهد
كابل
بشاور
إسلام آباد
بشتون
كويتا
بشتون
تاجيك
بلوش
هازارا
أيماك
تركمان
اوزبكيين
نورستانيين
پاميريين
پاشاي
قرغيز
مغول
عرب
200 كلم
Olivier Roy : المصدر
م. غريب


الخريطة الادارية لسنة ١٩٦٥
بدخشان
تخار
كندوز
فارياب
بغلان
كونار
بادغيس
هرات
باميان
غور
وردك
كابل
ننجرهار
اوروزجان
غزني
فراه
پاكتيا
زابل
هلمند
قندهار
نيمروز
المصدر D. Ray
0 50 100 150 200 كلم


خريطة القواعد العسكرية السوفيتية في افغانستان
قواعد جوية
قواعد أرضية
هرات
مزار شريف
شبرغان
باميان
كابل
جلال آباد
اسلام آباد
غزني
قندهار
فراه
باكستان
200 كلم

البيان الختامي لمجلس الشورى لسنة 1987

أكبر اجتماع عسكري شهدته خنادق الجهاد

قرارات صارمة ومعاهدة على مواصلة الجهاد المسلح

بتاريخ 20 من شهر سرطان عام 1366 ه ش، الموافق لـ (11 — 7 — 1987) م شهدت خنادق مدينة (ساغر) بمحافظة (غور) في جنوب غرب أفغانستان أكبر اجتماع عسكري عقده قادة المجاهدين في أفغانستان، حيث حضر هذا الاجتماع الجهادي الكبير حوالي (1200) ألف ومائتي قائد من مختلف المحافظات والجبهات.

ولقد عقد الاجتماع باقتراح وبدعوة من الأخ القائد محمد اسماعيل قائد المجاهدين العام في هرات واستمرت المباحثات والبيانات في الاجتماع أحد عشر يوماً كاملاً، حيث ألقيت حلالها الخطابات والتصريحات من قبل معظم القادة المشتركين في الاجتماع، ونوقشت الموضوعات المعنية وجدد القادة وممثلي المجاهدين تصميمهم على مواصلة الطريق واستمرار الجهاد المسلح حتى إخراج آخر جندي روسي من أرض أفغانستان الحبيبة وإقامة الحكم الاسلامي في هذا البلد الاسلامي العريق، وترتفع راية الاسلام في ربوعها وفوق جبالها الشامخة عالية خفاقة.

وقد لبى هذا النداء جميع المجاهدين الرابضين في الخنادق وأبدوا استعدادهم الكامل وتفانيهم من أجل الوصول الى هذه الغاية المنشودة.

وأخيرا اختتم الاجتماع القيادي بإصدار قرارات حازمة حول الوضع في أفغانستان وسجلت في الأوراق، حيث تم توزيعها بين الجبهات مرفقا مع مقدمة حول انعقاد الاجتماع.

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الختامي لمجلس شورى قادة المجاهدين الذي عقد في مديرية (ساغر) بولاية (غور) والذي دعى إليه الرائد البطل محمد اسماعيل أمير الحوزة الجنوبية الغربية.

وهذه مقدمة البيان الختامي لمجلس الشورى.

حيث أنه لايمر يوم على الشعب الأفغاني المضحي إلا والقصف العشوائي الروسي الظالم يؤدي الى استشهاد العشرات بل المئات منهم ويقود الى محرقة الموت من هذا الشعب الابي الأطفال، والنساء، والشيوخ طوابيرا من الضحايا ويوما بعد يوم تشتد هذه المظالم، حيث لم تكتف بالقتل فقط بل بالاعتداء على كل المقدسات الاسلامية لتراث شعبنا الأفغاني المؤمن بالعقيدة الاسلامية.

ولعدم وجود الوحدة الحقيقية الكاملة بين أصحاب الخندق الواحد على ساحة الجهاد الأفغاني أقدم الأخ الرائد محمد اسماعيل خان على دعوة جميع قادة التنظيمات على مستوى كل الولايات الأفغانية، وقادة الجبهات وأمراء الولايات لحضور مجلس الشوري لطرح أفكارهم ونظرياتهم وتقديم مقترحاتهم بشأن تطوير الجهاد وتقدمه الى الأمام وطرح وجهات النظر حول قضايا المنطقة بصورة عامة، حيث بلغ عدد الاخوة الذين حضروا هذه الجلسة — 1200 — شخص من جميع قادة جبهات الولايات الأفغانية وممثليها حيث دامت أحد عشر يوما نوقش خلال هذه الفترة مسائل الجهاد وكيفية مواجهة مخططات العدو خلال السنوات العشرة الماضية من الجهاد في ضوء المقترحات ومطالب المجتمع الاسلامي. وكما يعلم الجميع أن الشعب الأفغاني في مقاومته للعدوان الروسي قدم ما يقارب مليونين شهيد ناهيك عن التدمير الكلي للأماكن والمقدسات الاسلامية ونهب ثروات الشعب.

وهذه الأيام نسمع طبول الاعلام الروسي تدق حول المصالحة الوطنية ووقف إطلاق النار يريدون خداع شعبنا من هذا الباب، وبالتالي وضع الستار على كل الجرائم والخيانات التي ارتكبوها ضد الشعب الآبي.

ولكن شعبنا أدرك حقيقة هذا الأمر منذ اللحظات الأولى من السير في طريق الجهاد المبارك ونحن من هذا الجانب اتخذنا الموقف الحازم والصارم كي نحقق أهدافنا وهي رفع راية (لا إله إلا الله) على أرض أفغانستان وتقرير مصير الشعب الأفغاني بنفسه دون تدخل أي قوة خارجية. وعلى هذا الأساس عقد أول مجلس شورى وأصدر بيانا مشتركا واتفق على النقاط التالية:

1 — تقرير مصير الشعب الأفغاني يتعلق بذوي الشهداء والرجال الأبطال الرابضين على جبهات القتال الذين يواجهون شراسة العدو في جبهات الحق ضد الباطل والذين هم صادقون في عهدهم مع الله. فلا يمكن لهؤلاء الرجال أن يسمحوا لأحد بأن يتحكم في تقرير مصيرهم.

2 — التعاون المشترك بين جميع قوات المجاهدين والتنسيق لشن المزيد من العمليات على قوات العدو الروسي وعملائهم في الأنحاء المختلفة من البلاد.

3 كما تم اتخاذ إجراءات كفيلة ولازمة لوحدة صفوف المجاهدين داخل أفغانستان لاجبار القوات الروسية للاسراع بالانسحاب من أفغانستان.

4 — ارتباط كل الجبهات بعضها ببعض بواسطة شبكة جهاز لاسكي فإذا كان هنالك عوائق تعرقل هذه العملية فالاسراع بالسعي المتواصل لرفع هذه المشكلة بصورة جدية.

5 — التبادل التجاري بين جميع الجهات، وكشف دسائس ومؤامرات ومخططات الروس وتبادل وجهات النظر حول النظم العسكرية والتجهيزات الدفاعية.

6 — اتخاذ التصاميم اللازمة والاجراءات الكفيلة لرفع مشكلات الشعب الاقتصادية والاجتماعية.

7 — تأسيس القواعد والمعسكرات المشتركة لجميع التنظيمات الاسلامية في نقاط متفرقة من ساحة أفغانستان لتكوين قواعد أصلية لمواجهة العدوان الروسي وعملائهم الشيوعيين.

8 — تأسيس محاكم العدل الاسلامي ينتخب هيئتها من جميع التنظيمات على الساحة لرعاية حقوق الشعب والحل مشاكله في كل الولايات والمديريات والقرى والأرياف.

9 — انتخاب الهيئة القضائية العالية على مستوى أفغانستان لاتخاذ القرارات بشأن النزاعات الداخلية.

10 — اتخاذ قرارات بصدد المرضى ومعالجتهم ومعالجة الجرحى المحرومين من الشعب الأفغاني وذلك بتهيئة الأدوية وإنشاء بعض المراكز الصحية.

11 — يعين مجلس الشورى العالي قادة الجهاد على هدفهم في تقرير الشعب الأفغاني وفي كيفية الادارة والتنظيم العسكري الاستراتيجي والاستعداد للمؤتمر الثاني على أن تعقد الجلسة الثانية خلال فترة ستة أشهر قادمة.

12 — على أن يحضر في الجلسة الثانية الاخوة أمراء الولايات الأفغانية وقادة الجبهات أو من ينوب عنهم ممن يكون لديهم صلاحية الرأي من جميع تنظيمات الجهاد المقدس.

13 — يتاح المجال لجميع الاخوة قادة الجبهات وأمراء الولايات لطرح آرائهم وأفكارهم وابتكاراتهم في جميع ميادين العمل السياسي والعسكري من أجل تقدم هذا الجهاد المقدس الى الأمام.

14 — مجلس الشورى الذي ينتخب من هذه الجلسات يجب عليه أن يضغط في خارج المجلس بفعالياته السياسية على تنظيماته وبين صفوف المهاجرين لاتخاذ موقف واحد لوحدة جميع صفوف الجهاد وعلى الصعيد الداخلي اتخاذ قرار عسكري قاطع لوحدة الصفوف والفعاليات العسكرية المشتركة لاجبار القوات الروسية الغازية للخروج من أفغانستان.

15 — ويعقد مجلس الشورى المنتخب من الولايات والمديريات جلساته كل على انفراد لاعداد المقترحات للجلسة الثانية وانتخاب ممثليهم للجلسة القادمة ويكون لديهم الصلاحية الكاملة لذلك.

16 — اتخذ المؤتمر الأول لقادة الجبهات أو أمراء الولايات قرارا موحدا لاخراج القوات الروسية من أفغانستان بدون قيد أو شرط و أن يترك الشعب الأفغاني لاختيار نوع الحكم الذي يريده و لايلعب أكثر من هذا بدماء المظلومين.

17 — لن تمكن الروس من الخروج بدون دفع تعويضات عن الأضرار التي نجمت عن عدوانه في السنوات العشرة الماضية من تخريب وتقتيل وتشريد على الشعب الأفغاني المسلم ولا يمكن أن يغادروا البلاد بأمان.

18 — تم الاتفاق في هذه الجلسة على عدم وضع السلاح حتى إقامة الحكومة الاسلامية التي تحكم بما أنزل الله من القرآن والسنة ولرفع راية (لا إله إلا الله) خفاقة فوق أرض أفغانستان الاسلامية.

19 — نرفض بصورة قاطعة مسألة الصلح أو المصالحة الوطنية ووقف إطلاق النار والمشاركة في الحكومة الائتلافية كما يدعى الروس وعملائه ونحن نعلم أن كل ذلك عبارة عن مخطط روسي وخدعة للشعب الأفغاني.

20 — تعتبر هذه القرارات نافذة المفعول من حين نشرها في جميع نشاات ومحلات التنظيمات الجهادية الموجودة على الساحة الأفغانية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



البيان العام لمجلس شورى النظار لولايات الشمال في صيف 1988

بناء على ارشادات أمير الجمعية الاسلامية الافغانية الاستاذ برهان الدين رباني اجتمع أعضاء الشورى النظار في جلستهم الخامسة برئاسة الاخ القائد أحمد شاه مسعود ومسؤولي الجهاد في المحافظات العشر، بدخشان ، تخار ، كندز ، بغلان ، سمنجان ، باميان، بروان ، كابيسا ، لغمان ، شمال كابل وبغلان . وبعد البحث في موضوعات مختلفة أصدروا الاجتماع القرارات التالية :

١ - يرفض الشورى النظار رفضا باتا اتفاقية جنيف ويعتقد بأن هذه الاتفاقية لم تأخذ بعين الاعتبار أصالة وشخصية مجاهدي أفغانستان المستقلة وجهادهم الذي خاضوه طوال عشر سنوات .

٢ - يطالب شورى النظار حكام روسيا بسحب جنودهم من وطننا الحبيب دون قيد أو شرط وأن لا يمدوا يد العون للنظام العميل في كابل حتى ينتهي حمام الدم في أفغانستان .

٣ - يرفض الشورى النظار جميع المناورات السياسية والاجتماعات المزيفة وكذلك الحكومة الائتلافية مع الشيوعيين لأن كل هذه المؤامرات من أساليب الاستعمار الشيوعي ومخططات النظام العميل في كابل .

٤ - يطالب شورى النظار كل الاخوة المجاهدين وجميع فئات الشعب الافغاني بتوحيد الصف قبل فوات الاوان ونبذ جميع الخلافات السياسية والعرقية والحزبية والمحلية ، وتمهيد الطريق لتكريس الحرية والاستقلال وبناء النظام الاسلامي في الوطن .

٥ - يؤكد الشورى النظار على المجاهدين بأن يوجهوا ضرباتهم القاصمة على مراكز العدو حتى تقام الحكومة الاسلامية على أنقاض وركام الكفر والالحاد .

٦ - يؤكد الشورى النظار على تأمين الوحدة وحراسة الثغور والحدود وضمان حرية أفغانستان وعدم انحيازها لأي معسكر أجنبي كما يرفض رفضا قاطعا تقسيم البلد أو تفريقه .

٧ - يرجو الشورى النظار من جميع المواطنين الذين بقوا - بعذر - في صف العدو ولازالوا يشتغلون في الادارات الحكومية أن يتصلوا بشبكات شورى النظار وقنواته ومد يد المساعدة بصدق وباخلاص نحو هذا الجهاد .

٨ - كما يجدد أعضاء الشورى النظار بيعتهم لأميرهم الاستاذ برهان الدين رباني ويعلنون استمرار جهادهم على ضوء الكتاب والسنة والمضي على العهد حتى يكون الدين كله لله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



طال المنام على الهوان فأين زمجرة الأسود



خاتمة

لن نستطيع في عدد واحد من أعداد المجلة أن نتطرق لكل جوانب القضية الأفغانية، ولا أن نعرض جميع بطولات الجهاد الافغاني، ومتاعب المهاجرين واللاجئين الأفغان.

ثم إن الملف ما زال مفتوحا، والجهاد يحقق النصر تلو النصر، والعدو المغتصب ينسحب مرغما مهزوما يجر أذيال الهزيمة دون أن يحقق شيئا مما خطط له، والنظام العميل يهوى من برج وهمي حمله عليه أسياده المحتلين ليسقط على نعش حقيقي أعده له الأبطال المجاهدون،...

ثم لم نذكر في هذه الدراسة / الملف جميع التفاصيل المتعلقة بالجهاد، وما عاناه المجاهدون ليس من ويلات الحرب، فذلك أمر احتسبوا أنفسهم وأموالهم لله في سبيل مقاومته، ولكن من خذلان العديد من الحكومات العربية والاسلامية التي لم تساندهم أي مساندة تذكر، لادبلوماسيا ولا سياسيا ولاماليا ولا إعلاميا!

ولا يفوتنا أن نشيد بالشهيد ضياء الحق رحمه الله، فلقد كان نعم السند، ونعم العون، ونعم الناصح الأمين، للجهاد الافغاني وللاجئين والمجاهدين الأفغان، كان رحمه الله مسلما شجاعا غيورا على الاسلام وبلاد الاسلام، مؤمنا بأن الجهاد سيوصل لا محالة الى النصر، وأن السوفييت سيجنون الرعب والموت في أفغانستان، وأن دماهم في كابول سيكون مثالها الجحيم. كان مما قاله قبيل اغتياله في غشت 88 رحمه الله، متنبئا بسقوط النظام العميل:

«... بعد حرب ضارية حول كابل، ومقاومة في البداية، سيبدأ السقوط بشكل مسترسل للنظام في أسابيع قليلة أو بضعة أشهر. وسنساند المجاهدين في حدود إمكانياتنا...

لقد ربحنا الحق في أن يكون الحكم في أفغانستان صديقا لنا، وتحملنا من أجل ذلك المخاطر كدولة في خط المواجهة، ولن نسمح بالرجوع الى الحالة التي كان عليها النظام في أفغانستان قبل الحرب، والمتمثلة في النفوذ الكبير للهند والاتحاد السوفييتي والمناداة بمطالب في التراب الباكستاني.

إن الحكم الجديد سيكون إسلاميا بحق، بل جزءا من الصحوة الاسلامية التي كما ستلاحظون، ستمتد في يوم من الأيام الى مسلمي الاتحاد السوفييتي.»*

فجزاه الله عن الجهاد خيرا، وجزى كل من ساهم وأمد الجهاد بالزاد والزناد، وجزى كل من ساهم معنا نحن كذلك في اخراج هذا الملف — الدراسة حول الجهاد الافغاني من داخل أسرة المجلة وأصدقائها، ومن الجمعية المغربية لنصرة الجهاد الأفغاني والمتعاطفين معها، سواء بتمويل العدد أو لاعداده،

وفي الاخير أخي المسلم، ندعوك للمساندة ومد يد العون لمجاهدي أفغانستان، وأيتام أفغانستان، وأرامل أفغانستان، ومهاجري أفغانستان، ومعوقي الحرب في أفغانستان، علما بأن المعركة هي معركة الاسلام وليس معركة أفغانستان فقط، وقد انتهى الشوط الأول منها أو كاد بانهزام العدو الدخيل وسقوط النظام العميل، وبقيت الاشواط الاخرى المتمثلة في بناء الدولة واستعادة السيادة وتربية الأجيال المقبلة، وترحيل المهاجرين وإعداد الاراضي المحروقة وإزالة آثار الخراب السوفييتي في الحرث والنسل.

فلقد كان مما ذكره لكاتب هذه الكلمات الشيخ محمود الصواف، الداعية الاسلامي الذي ساند الجهاد منذ انطلاقته وعايش رجالاته وقادته حين زيارته الأخيرة للمغرب، وجود آلاف الايتام يفيضون حماسا لنصرة الاسلام ورفع راية الاسلام، لا يجدون ما يسدون به الرمق، ولاتفي مساعدات المحسنين لكفالة سدسهم! ووجود آلاف الأرامل والمعوقين في أشد الحاجة الى الكفالة والعلاج، كثير منهم كانوا في رغد من العيش في وطنهم قبل الغزو، وما كانوا لينقصوه لو قبلوا الدنية في دينهم، ولكن أبت نفوسهم الزكية إلا التضحية بالمال والنفس، والصبر على الدين دون مد اليد لأحد، لاتشعر وأنت بينهم بحاجة الى شيء وإن كانت أحوالهم توحي لك بالحاجة الى كل ما تستلزمه مقومات الحياة.

واليك المثل: دخل الشيخ الصواف في الاشهر الماضية الى ملجأ للايتام يفتقر الى أبسط المرافق والضروريات، فحف به الايتام مبتهجين ينشدون في فرح بهيج:

أنـــا يتيم أفغـــاني	أبي الشهيـــد أوصاني
أن أحمل سلاحي بشمالي	وفي يمينـــي قرآني
ربي الاسلام عرينـــي	وكل أرجـــاؤه أوطـــاني
بدمـــي بروحـــي أحميها	من كل عدوان
نصر اللـــه يأتينـــا	بإعـــداد وإيمان
وتعلـــو رايـــة التوحيـــد	على جبـــال أفغـــان
بهذا نرضي ربنـــا	ونشهـــد كل إنسان

* ورد النص في مقال ممتلىء حقدا على الشهيد في جريدة «لوموند ديبلوماتيك» لشهر فبراير 1989 في مقال للكاتب «سليج هارسون» Selig S. Harrison.

وكان الأمير يختار للموقع المهم أقوى المجموعات ويختار للمكان الخطر أمهر المجاهدين وقد تم توزيع الاخوة العرب على المجموعات الهجومية، وكانت معنويات المجاهدين عالية جدا وكلهم يتمنى أن يكون في مجموعة الهجوم. قال عبد الواحد ـــ أخ عربي : «بعد تقسيمنا كنت مع مجموعة بنجشير وكان هناك رجل في الخامسة والثلاثين من عمره تقريبا وباقي المجموعة كلهم شباب يصغرونه بعشر سنوات وقد وضعه الأمير في مجموعة الحماية فجاء يرجو الأمير أن يكون في مجموعة الهجوم وقال له : (أنا ما جئت من بنجشير إلا لأكون في مجموعة الاقتحام وأدخل «البوستة» أول من يدخل) فسمح له بذلك، قال عبد الواحد : «وقد رأيته ينافسنا دخول «البوستة» رغم فارق السن والرصاص فوق رؤوسنا كالمطر».

تحركنا بعد صلاة الفجر باتجاه كلفغان تحملنا عشرة سيارات شحن كبيرة حتى وصلنا فرخارمسا وكان من فضل الله علينا أن طائرة واحدة لم تمر ذلك اليوم، ثم تحركت السيارات حتى الثالثة ليلا والطريق طويلة وعرة مليئة بالحجارة والحفر والمبارات وتحمل ثلاثة أضعاف ما تستطيع حمله. والأضواء خافتة حتى لايظنها المجاهدون من بعيد أنها قوة من الدولة فيقصفونها دون أن يعلموا.

وهكذا استمرت رحلتنا وقلوبنا متوجسة أن تتعطل إحدى السيارات لتعطلنا أو أن يواجهنا كمين على حين غرة أو يطلع علينا الفجر فننكشف قبل أن نأخذ مواضعنا.

دخلنا آخر قرية للمجاهدين بعد طلوع الشمس مباشرة وقد زاد من اطمئناننا أن طائرة للكشف جاءت تحلق فوق رؤوسنا ثم غابت دون رجعة فعلمنا أن أمرنا ما زال مستورا. وهناك في القرية وعلى بعد نصف كلم فقط من الموقع جلسنا نأكل الطعام ونعيد توزيع الأسلحة ونستريح استعدادا للمعركة وقد أخذت الامنيات والترتيبات كاملة.

وبعد الظهر بدأت الأفواج تتحرك بسرعة الى مواقعها بعضها يصعد الجبل وبعضها يخترق السهل، ليجلس في الخندق أو المكان المعد له وبعضها يتسلق ليجلس على بعد مائة متر من جدار «البوستة» خلف صخرة أو داخل حفرة لعدة ساعات دون أن يراه أحد.

المعركة :

بعد العصر وفي تمام الساعة السادسة والربع تماما انطلقت أول قذيفة مدفع (ترب 75) لتدك مركز القيادة والمخابرة (اللاسلكي) فتحطمها وتحطم معها معنويات الشيوعيين وقد كانت هذه إشارة البدء ثم تحولت السماء الى أقواس متشابكة من اللهب تصحبها أصوات تصم الآذان... الرصاص في كل مكان... النيران تلتهم المباني الطينية... الدخان والغبار يحيل السماء الى غيوم بيضاء وسوداء.

وقد حاول الأعداء المقاومة في بادىء الأمر ولكن قوة النيران وهول المفاجأة والدقة في إصابة الأهداف منعتهم أن يرفعوا رؤوسهم فينظروا من يهاجم عوضا أن يدافعوا، مما جعلهم يهرولون مذعورين الى خنادقهم وملاجئهم كالفئران، فكنت لا ترى إلا خيوط من اللهب تصيب أهدافها بدقة، صاحب الهاون ـــ العبد محمد ـــ من بنجشير يقول أنه ينزل القذيفة في البرميل إذا كان هناك من يوجهه من بعيد، قاذف الصواريخ المنفرد (بي، أم، أي) لايحتاج لاكثر من قذيفتين ليهدم البيت فوق أهله فيأتيه الأمر : «توقف البوستة استسلمت فيتحول الى غيرها.

وقد رأيت بنفسي رامي المدفع (توب 82) يرمي البوستة التي أمامنا وعليها برج ذو منزلتين فيرمي القذيفة الأولى في المنزلة العليا والتالية في السفلى !! «وما رميت إذ رميت ولكن الله ومن».

وهكذا كان السلاح الثقيل موقفا تمام التوفيق من فضل الله تعالى حيث شغل كل مركز بسلاحين أو أكثر يدكانه من أماكن مختلفة في الوقت الذي كانت فيه مجموعات الهجوم تتسابق لتدخل على المجرمين من الأبواب الرئيسية إذ أنهم لم يجدوا ما يعيقهم أو من يقاومهم فإذا وصلوا قريبا من الباب اتصلوا بالقيادة فيتوقف السلاح الثقيل عنهم فيدخلون عليهم بسرعة ليخرجوهم من تحت الأرض يرتجفون.

بعد عشرة دقائق فقط كان صوت المؤذن يجلجل عاليا ولأول مرة فوق بوستين كبيرتين وبعد خمس دقائق أخرى سقطت التبة (التلة) وقد عرفنا أنها سقطت قبل أن يصلنا الخبر باللاسلكي حيث رأينا المجاهدين يصعدونها صفا كأنهم يتسابقون في فرقة رياضية.

قال عبد الله أنس عن التبة : «لقد اشتبكنا معهم لدقائق معدودة وعندما انهالت عليهم صواريخ ال (بي، أم، أي) خمدوا فجأة فدخلنا عليهم لنجدهم متكومين في غرفة واحدة»، وعندما حاولت البوستة الرئيسية (مركز القيادة والمخابرة) المقاومة ضربناها بسلاحهم ـــ من التبة ـــ فخمدت واستسلمت.

في تمام الساعة السابعة وبعد أقل من ثلاثة أرباع الساعة صلى المجاهدون صلاة المغرب على أبواب البوستات حيث سقط المعسكر كله ولم تصمد إلا بوستة واحد لخاد (المخابرات المركزية). لأنهم يعرفون أن مصيرهم الاعدام وحاصرها المجاهدون حتى سقطت بعد ساعتين وكان مما ساعدهم على الصمود أن الدولة بدأت تضرب الموقع كله بالسلاح الثقيل وبشدة من مدينة كشم مما أربك المجاهدين وجعلهم يتراجعون قليلا ثم توقف الرمي فجأة بعد دقيقتين فقط لأن المجاهدين هناك ضربوهم بالسلاح الثقيل على الجبل وكانوا مستعدين لذلك.

أما باقي البوستات فقد فتحت دون مقاومة تذكر حيث أن بعضهم يتمكن من الوصول الى سلاحه فيدافع به عن نفسه وهذا ما يفسر قلة عدد القتلى بالنسبة للأسرى إذا أن المعركة لم تسمر طويلا.

قبل طلوع شمس اليوم التالي كان المجاهدون في طريقهم الى مناطقهم التي انطلقوا منها بعد أن أخذوا الأسرى ونقلوا الغنائم وأحرقوا مراكز الاعداء ولكن كان يقلهم هذه المرة عشرون شاحنة بأنوار عالية وتكبير يملأ الافاق.

نتائج المعركة

1 ـــ مدة العملية (45 دقيقة)
2 ـــ القتلى المنظورون (3)
3 ـــ عدد الأسرى (137) أسيرا.

أما غنائم المجاهدين فهي كالتالي :

1 ـــ أكثر من (100) قطعة سلاح خفيف مع كمية كبيرة من الذخائر.
2 ـــ مدفع واحد 76 ملم صحراوي مع ألف قذيفة.
3 ـــ (20) مدفع هاون مع مجموعة كبيرة من القذائف.
4 ـــ (2) مدفع دوشكا روسي.
5 ـــ كمية كبيرة (لاتحصى) من الذخائر والقنابل اليدوية.
6 ـــ أكثر من (7000) كغم من المواد الغذائية.
7 ـــ (65) سريرا.
8 ـــ كمية من البطانيات والألبسة.
9 ـــ جهازين لاسلكيين من طراز (108) ـــ آر)
10 ـــ جهاز لاسلكي بعيد المدى من نوع (هنغر)

للقرآن ودرس في التجويد ودروس منتظمة في السيرة النبوية وحلقات مكثفة في الفكر الحركي حيث تم شرح غزوة بدور الكبرى بالتفصيل وموضوعات أخرى مهمة…

أما التدريب العسكري فقد كان هناك دروس خاصة يعطيها مسعود بنفسه ذات مستوى عال في التكتيك والاستحكام وكسح الالغام وخطط الهجوم والاقتحام وتدريبات خاصة على استخدام الأسلحة الثقيلة وإصابة الأهداف بدقة بالغة وقد أثبتت التطبيقات والنتائج والمناورات الحية نجاح الدورة، وقد قال الاخوة العرب الذين شهدوا الدورة أن هذا أجمل رمضان في حياتهم رغم الجوع والتعب والسهر وكانت معنويات الشباب مرتفعة ويربطهم جو أخوي عجيب…

بعد رمضان بدأ الأمير يتصل بقادة الجبهات يوضح لهم الخطط ويناقش معهم المسائل والمشاكل المهمة ويقسم عليهم الوظائف والمهمات وكانوا يأتونه من ستة ولايات تقريبا، وكنت لا ترى الأمير إلا في اجتماع أو يراجع المعلومات التي تأتيه من مجموعات الاستطلاع ويتابع أخبار الجبهات والأعداء، يسهر كثيرا ويتحرك كثيرا ولا يؤثر ذلك على برامجه الخاصة من مطالعة أو دراسة.

وكنت حين أرى أفواجه المراجعين أقول : «إعانة الله كيف يجلس مع كل هؤلاء ويحل مشكلاتهم»، وقد كنت أعجب من حب الشعب له وإعجابهم به.

وقد قدر الله أن تتأخر العمليات قليلا بعد العيد حتى أصاب بعض الأفراد الضيق، فقد سألت شابا مرة عن حاله فقال : «لقد أصابني الضيق، قلت لم ؟ قال : تأخرت العمليات».

اختيار الزمان والمكان :

كانت هناك عدة أهداف كبرى في الخطة وكان كل شيء جاهز المجاميع مقسمة والأسلحة موزعة والخطط مرسومة تنتظر التطبيق وقد أتت الأخبار من العمق بالداخل أن هناك قوة من الروس تزحف من كندر لضرب بدخشان أو تخار وطريقها لابد أن يمر من مدينة طالقان وكلفغان — وكلاهما مع الدولة — لتصل الى كشم وقد استقر الأمر على أن يسمح للقوة أن تمر فإذا وصلت الى هدفها ضربها المجاهدون ثم تكون حملة مكثفة على كلفغان فتفتح ويقطع على القوة خط رجوعها، وقد وصلت القوة الى طالقان وبعد أيام سألنا الأمير عنها فقال : «لقد رجعت، وقالوا أننا غير مستعدين الآن لمعركة وقد كسرنا في منطقة بكتيا قبل أيام وسنكسر هذه المرة إن هجمنا»، وهكذا هزمهم الله بالرعب.

وبعد انسحاب القوة مباشرة كان التوقيت بالهجوم على مسعكر كلفغان ومباغتتها.

الموقع :

يقع مسعكر كلفغان بين ولايتي بدخشان وتخار على بعد عشرة كيلو مترات فقط عن مدينة كشم — التي ما زالت بيد الدولة — ويعطيه موقعه الاستراتيجي أهمية خاصة في أخذ أمنيات الطريق واستراحة قوافل الدبابات حين تتحرك بين الولايتين.

يشغل الموقع مساحة مستطيلة بطول كيلو مترين وعرض كيلو متر ويحتوي على تسعة بوستات (مراكز) مستحكمة وقوية موزعة بشكل يحمي بعضها بعضا وفوق كل منها أبراج عالية للمراقبة والحراسة وتحيط بها حلقات من حقول الألغام في أرض مكشوفة.

ويعتمد الموقع في قوته على تبة (تلة ترابية) عالية تتخللها الخنادق وغرف تحت الأرض وتعتبر أقوى معقل هناك تطل على كل ما حولها بأبراجها العالية وأسوارها المحصينة وفتحات صغيرة للغرف الداخلية «ولا يمكن فتح المراكز الأخرى حتى يفتح مركز التبة» — كما قال مسعود —.

ويحوي المسعكر على كل ما يحتاج إليه من دكاكين ومستوصف طبي وغرفة اتصالات ومركز لخاد (المخابرات المركزية) وبعض العائلات.

وقد كان من قوة المراكز في المعسكر أن المجاهدين في المنطقة قد يئسوا من فتحها حتى صار من عاداتهم إذا هاجموها أن يضربوها من بعيد بالأسلحة الثقيلة فقط ولا يؤثر فيها ذلك.

استعدادات ما قبل المعركة :

تم استدعاء المجاميع التي ستشارك في المعركة وكانت قطعتين مركزيتين وقطعة متحركة من بنجشير وأخرى من خوست فرنك — بغلان وثالثة من بدخشان ومجموعة من مزار شريف وأخرى من بغمان ورابعة من مجاهدي المنطقة كلفغان، والهدف من هذا التعدد والتنوع أن يتعود المجاهد على الجهاد في غير منطقته، والأهم من ذلك أن يعلم بأن الجهاد ليس لتحرير منطقته فقط وإنما لتحرير كل أفغانستان ومن ثم تكون عالمية الجهاد… وبهذا تتحقق وحدة الهدف ووحدة الرأي ويتوزع دم الشهداء على المناطق وتعجز الدولة عن الرد فلا تدري من أية منطقة ستنتقم وقد نجحت هذه التجربة في فتح مركز بوشغور العظيم ومديرية أندراب ومديرية فرخان ثم فتح فرقة النهرين ومديريتها وذلك في أقل من سنة وهكذا تبقى الدولة حائرة تفكر في استرجاع ما أخذ منها. ومراكزها الباقية ترتجف أن تكون الضربة التالية من نصيبها.

تم استدعاء المجاميع في قرية آمنة في ورسج تبعد عن الموقع مسافة ثلاثة أيام مشيا وقطعت عنها الحركة : الدخول مسموح والخروج ممنوع حتى لاينتشر الخبر حتى بين المجاهدين الذين لايشتركون.

بعد مناقشة الخطة بين الأمير والقادة تم عرض فيلم فيديو مصور ومجموعة من الخرائط والصور كانت قد أخذت عن الموقع ثم توجه الأمير يشرح للقادة على الخارطة الرملية — المجسمة — كيف تكون المعركة، وذلك ليقوموا بشرحها للمجاهدين بعد التقسيمات حتى يكون كل شيء عنها واضحا من هذه العملية واطلاعات العدو (أي الاستطلاعات) وأوضاع الأرض وأخبار العدو وماذا عنده ثم تكون الخطة فتوزيع المهمات والأوامر والامدادات فإذا ما تم تحقيق ذلك كله تبرز بعد قضية براعة القيادة في مواجهة ما يطرأ واستغلال المواقف وسرعة التحرك.

التقسيمات وأماكن التجمع :

تمت التقسيمات بسرعة وعناية حيث كان الأمير يستدعي كل مجموعة وقائدها فيكلمهم فردا فردا ويسألهم عن معنوياتهم وما ينقصهم فيستكمل لهم ثم يعين لهم صاحب المخابرة الذي يكون على اتصال مباشر معه ثم يسأل عن الماهر في رمي ال (آر، بي.هي) والخبير في كسح الألغام فيضعهم في الأماكن المناسبة وهكذا حتى تمت التقسيمات مجموعات الهجوم والمجموعات التي نقوم بحمايتها ومجموعات الامداد ومجموعات مقاومة الكوماندوز ومجموعة السلاح الثقيل ومقاومة الطيران واللاسلكي (المخابرة) ومن يقوم بزرع الألغام في طريق الدبابات ومن يأخذ أمنيات المنطقة فلا يهرب الأفراد ومن ينقل الجرحى والشهداء ويسحب الغنائم والأسرى بسرعة.

تفاصيل عملية كَلْفَغان النموذجية

كتب عبد السلام عمر (مراسل الجهاد في ولايات الشمال) : في يوم الثلاثاء بتاريخ 8 — 8 — 1987 م الموافق 11 ذي القعدة 1408 : تم سقوط معسكر (أغارنيزون «كلفغان») بيد المجاهدين بقيادة الأخ أحمد شاه مسعود — أسد الشمال — في وقت لايتعدى ثلاثة أرباع الساعة بفضل الله تعالى !!

ذلك المعسكر الذي ذاق المجاهدون والشعب كثيرا من ويلاته في المنطقة من دمار وهلاك وفساد وإفساد لمدة سبع سنوات أو أكثر قبل أن ترفرف عليه راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وبعد أن يئس الناس من فتحه وظنوا ذلك من المحال. وقد كان المعسكر مستحكما ومحصننا ذا موقع استراتيجي هام بين ولايتي بدخشان وتخار يحمي خط الامداد بين الولايتين.

فكيف تم فتح ذلك المعقل ؟ وكيف كان الاعداد لذلك من تربية روحية وتدريب عسكري وتعبئة معنوية للأفراد قبل المعركة ؟

الجهاد، العدد الرابع والثلاثون — محرم 1408 هـ — سبتمبر 1987 م

استعدادات الشتاء :

شتاء أفغانستان قاس لايرحم تسقط فيه الثلوج في كل مكان تغلق الطرق وتقل الحركة وتقل معها العمليات ويصل ارتفاع الثلج الى أكثر من نصف متر مدة أربعة شهور كاملة، هذا في القرى والأماكن الآهلة بالسكان بين الجبال. أما فوق الجبل فيصل الى عدة أمتار ويستمر الصيف ويضطر كثير من السكان الى الهجرة ومغادرة البلاد والذهاب الى باكستان لقضاء الشتاء هناك أو العمل بجمع القوت أو ما يستعينون به على الحياة طوال العام. وإن كان هناك من القادة من يهاجرون أو يجلسون في أماكنهم دون عمل حتى يصيبهم الملل فإن هناك من استطاع أن يستغل الشتاء أحسن استغلال في التربية والاعداد والبناء استعدادا للصيف، فقد مكثنا في جبهات مسعود ما يقارب السنة دون أن نشعر وكنا حوالي عشرة من العرب ورأينا كيف يكون استغلال الشتاء وفترات الراحة فلا يصيب المجاهد الملل القاتل ولا يشعرون به حيث يوزع المجاهدون في مجموعات على أماكن مختلفة مجهزة بغرف واسعة تحت الأرض وكهوف في الجبل ومزودة بما يحتاج إليه من طعام وغداء وسلاح بعيدة عن القرى والسكان كأنها ثكنات عسكرية ويقوم المجاهدون بالتدريب والتعليم والتربية من خلال برامج مكثفة ومدروسة استعدادا لمرحلة أخرى من مراحل الجهاد الصيف القادم.

برنامج الدورة

كنا في هذه المرحلة وكأننا في جامعة علمية أو كلية عسكرية اسلامية أو معسكر تربوي، وكانت الدورة تتب في تنفيذها الخطوات التالية على الترتيب.

○ قراءة الأذكار بعد صلاة الفجر، فتلاوة القرآن والتجويد، ثم صلاة الضحى بعد طلوع الشمس.

○ طابور الصباح لمدة ساعة — ركض وتمرينات رياضية — يعقبه الافطار (خبز وشاي وحليب مجفف).

○ الدرس العسكري ومدته ثلاث ساعات فوق الثلج.

○ الاستعداد لصلاة الظهر، ثم طعام الغذاء، وقليل من الراحة.

○ درس نظامى أو درس في الاستحكام والالغام حتى صلاة العصر.

□ التوجه إلى الغرف للاستماع لدرس في الحديث أو الفقه أو التفسير حتى صلاة المغرب.

○ بعد صلاة المغرب يأخذون درسا سياسيا يعطيه أحد الاخوة من اللجنة الثقافية.

○ تدوين ما تم دراسته ثم مراجعته، ثم النوم بعد أن أخذ التعب من الجميع كل مأخذ.

وتجدر الاشارة الى أن التدريب يشمل معظم أنواع الأسلحة وطرق مهاجمة الأهداف الثابتة والمتحركة ومقاومة الكوماندوز وأنواع الكمائن المختلفة والألغام.

وقد كان لهذه الدورة شأن كبير في إعداد المجاهدين وتأهيلهم الى الحد الذي يتمكنون فيه من مواجهة أعداء الله.

قضينا الشتاء بين إخوة كلهم شباب كالورود لاتطيق فراقهم حريصين على قراءة القرآن وتعلم الجديد وهم يحترمون العرب كثيرا ويحبونهم وينظرون إليهم أنهم أساتذة وكانوا ينادوننا بذلك ونقول لهم : «بل قل يا أخي ولا تقل يا أستاذ، ولا يقبلون وأين نحن منهم ؟ جهابذة في المعارك والحروب. لايخافون الموت... وكل واحد منهم له قصة تحير لسماعها. وأذكر لكم قصة على سبيل المثال لا الحصر : هناك شاب عن بنجشير اسمه صوفي دوشكه ماهر جدا في الرمي على الدوشكة نظره قوي واصابته بحول الله دقيقة وله قصص عجيبة في ذلك، كان ينصب الدوشكة سلاحه الحبيب قريبا من بوستة (مركز) الاعداء ينتظر أن يخرج أحد منهم من جحره فيرميه بطلقة أو اثنتين فيرديه قتيلا فلا يجرؤ غيره على الخروج وإذا خرج فالرصاصة تنتظر... ولا تدري (البوستة) كيف ترد لأنها لاتعرف من أين يأتيها الرمي، فرصاصة أو اثنتان لاتكفيان لكشف المكان، ويقذف الله الرعب في قلوبهم فلا يخروجون من جحورهم. هذا الشاب جاءنا مرة يبكي — وكان معنا في الدورة — سألناه عن سبب بكائه فلم يجب وبعد إلحاح قال أنه لايجد القوت الكافي ليقرأ معنا القرآن ويحفظ منه كما يجب ورجانا أن نكلم المسؤولين أن يخففوا عنهم من الدروس النظامية والعسكرية فيتفرغوا للقرآن أكثر، رغم أن كثيرا من المجاهدين في هذه الدورة حفظوا سورة الأنفال وبعض السور القصيرة كسورة «يس» وتبارك وأحاديث الجهاد المهمة والأدعية المأثورة وتعلقوا بالقرآن بشكل يلفت الانتباه وكان لوجوده الاخوة العرب هناك أثر كبير في ذلك.

حينما ترى هذه النماذج البشرية — وخاصة أمير المركز ومجموعة القيادة — تستصغر نفسك أمامهم وتشعر أنك أمام أناس كبار رغم تواضعهم... عظام رغم بساطة حياتهم، إنه الجهاد يفعل أكثر من ذلك... يصقل النفوس ويهذبها ويجعل من أهلها رجالا... وإن كنت أنسى فلا أنسى ذلك اليوم الذي وقفنا فيه نودع المعسكر لننتقل الى مكان آخر بعد انتهاء وظيفته ووقف الجميع يبكون ويحزن على فراقنا وبعضهم لم يقووا على وداعنا وكان فراقنا لهم أصعب من فراق آبائنا وأهلينا.

استعدادات رمضان

أما شهر رمضان فقد شمل استعدادا روحيا وعسكريا خاصا ليناسب فصل الصيف ومعاركه الحامية — كما قال مسعود — فقد تم اختيار مكان آمن بين الجبال الشاهقة في منطقة جميلة كثيرة الأشجار لذيذة المياه تبعد عن القرى والمناطق السكنية أكثر من عشرين ساعة جلس فيها مسعود ومعه بعض الاخوة العرب ومئتين وخمسين من القادة وأفراد القطع المركزية — وهي خاصة أسسها مسعود وتعب في أعدادها وتدريبها للمهمات الصيفية —، وكان قد تم تجهيز المكان من قبل بمسجد كبير وغرف واسعة وكهوف تحت الجبال وشملهم برنامج خاص من التربية الروحية من صيام وقيام الليل وصلاة التراويح وتلاوة

محتويات العدد

الاشتراكات
لأربعة اعداد في السنة

○ المغرب	:	28 درهما
○ الخارج	:	10 دولارات
○ للمؤسسات	:	20 دولارا

يرسل الاشتراك باسم مدير المجلة على شكل حوالة بريدية أو على الحساب
البريدي : P 67 ـ 22 الرباط

